كيف أُعِدَّ السودان الحديث

حياة ومراسلات السير دوقلاس نيوبولد .K.B.E

عضو الجهاز الإداري السياسي السوداني

ك. د. د. هندرسون .C.M.G

مدير مديرية دارفور

الجزء الأول - القسم الثاني

تقديم

مارجري برهام .C.B.E

ترجمة

محمود صالح عثمان صالح

مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي

إنَّ إدراج هذا الكتاب ضمن سلسلة «دراسات مقارنة للمستعمرات» هو خروج جديد عن المألوف. الكتب الأخرى تناولت القضايا الدستورية أو السياسية أو الاقتصادية للمستعمرات أو المستعمرات السابقة. هذا الكتاب يعنى بحكومة تُدار بواسطة حاكم عام: إنها دراسة سيرة ذاتية لإدارة استعمارية. وهذا الخروج في رأيي لا يتطلب أي اعتذار تحريري، ولكنه يتطلب شرحاً قد يساعد في إبراز أهمية عمل سير دوقلاس نيوبولد في ما يتعلق بتلك الأسئلة العامة التي من أجلها استحدثت هذه السلسلة لتقديم بعض الأجوبة عليها.

هذا الرجل نفسه، كما عرفته، يجب تقديمه، حيث الاهتمام العام بوظيفته، ليس من قبيل الترقّي الروتيني الذي بدأه بتولّي منصب مرموق في زمن استثنائي، وإنما هو نابع تحديداً من خصال شخصيته. ولكننا لا نعتقد – ولو أن ذلك متروك لتقدير القارئ – أن صداقتنا قد أثّرت على حكمنا عليه. حقيقة أن مقدرة نيوبولد لاستشعار العواطف وإلهام الآخرين لم تكن مجرد صفة مبهجة مصاحبة لموهبته كإداري وإنما جوهرها.

مسطورات
MUSTORAT
INTERNET ARCHIVE

كيف أُعِدَّ
السودان الحديث

THE MAKING OF THE MODERN SUDAN

The life and letters of

SIR DOUGLAS NEWBOLD, K.B.E.

of the Sudan Political Service

Governor of Kordofan, 1932–1938

Civil Secretary, 1939–1945

BY

K. D. D. HENDERSON, C.M.G.

Governor of Darfur

WITH AN INTRODUCTION BY

MARGERY PERHAM, C.B.E.

FABER AND FABER LIMITED

24 Russell Square · London

كيف أُعِدَّ
السودان الحديث

حياة ومراسلات السير دوقلاس نيوبولد K.B.E.
عضو الجهاز الإداري السياسي السوداني
مدير مديرية كردفان (١٩٣٢ - ١٩٣٨)
السكرتير الإداري (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

ك. د. د. هندرسون C.M.G.
مدير مديرية دارفور

تقديم
مارجري برهام C.B.E.

ترجمة
محمود صالح عثمان صالح

الجزء الأول - القسم الثاني

مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي

كيف أُعدّ السودان الحديث

First Published in January 2010
Copyright © **Abdel - Karim Mirghani - Cultural Center**
Omdurman - Sudan

حقوق النشر محفوظة لمركز عبد الكريم ميرغني الثقافي
أم درمان ـ السودان

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ٢٠١٠

مقدمة المترجم

يشتمل القسم الثاني من كتاب «كيف أعدّ السودان الحديث» على بقية الجزء الأول من الأصل الإنجليزي ويغطي الفترة بين ١٤ يونيو ١٩٤١ حتى ١١ مارس ١٩٤٥ تاريخ آخر مراسلة للسير دوقلاس نيوبولد، عضو الجهاز الإداري السياسي السوداني إبان الحكم الإنجليزي للسودان، وقد توفي بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٤٥. لقد احتوى القسم الأول على مراسلات نيوبولد من ١٩٢٣ إلى ١٩٤١، وكان شغله الشاغل وقتها مشاكل الحرب التي اندلعت مع تولّيه منصب السكرتير الإداري. أما هذا الجزء من مراسلاته، فعلى الرغم من أنها اشتملت على بعض الرسائل عن الحرب، إلا أن خطرها على السودان قد تلاشى بهزيمة الطليان في الحبشة وأرتريا وليبيا، وأصبح نيوبولد مكرّساً جهده وفكره ومراسلاته لشئون الحكم المحلي وتطوير المؤسسات الدستورية والتعليم شمالاً وجنوباً. وكل ذلك بغية تهيئة السودانيين للحكم الذاتي والذي كان يخطط له نيوبولد وبعض زملائه، رغم معارضة أغلبية الكادر البريطاني الحاكم في السودان.

ومع ذلك لم تقتصر خطاباته على القضايا الرسمية، وإنما واصل مراسلاته مع أفراد أسرته وأصدقائه وصغار الموظفين البريطانيين والموظفين السودانيين أمثال مكي عباس ومكاوي سليمان أكرت والشيخ أحمد عثمان القاضي وخلافهم. كما لم ينس أن يراسل الطالب الكيني والطالب الزنجباري واللذين كانا يدرسان في كلية مكرري في

يوغندا عند زيارته لها. المدهش في مراسلات نيوبولد أنه يخاطب من هم في عقدهم الثامن ومن هم في عقدهم الثاني بنفس الأسلوب: يشرح لهم عن عمله وعن السودان ومشاكله ومميزاته ويسألهم عن أحوالهم وعن أسرهم وخلافه. ولا يكاد خطاب واحد منها يخلو من حكمة أو مَثَل، أو معلومة جديدة على المتلقّي، مما يؤكد اطلاعه الواسع وثقافته المستنيرة وأريحيته في إشراك الآخرين في علمه. وقد صدقت الأستاذة مارجري برهام، صديقته ومحررة الكتاب في وصفه كأستاذ يبثّ علمه على كل من دار في فلكه.

محمود صالح عثمان صالح

٢٠٠٩

مقدمة ترجمة الجزء الأول

أغنتني مقدمة السيدة/ مارجري برهام عن كتابة مقدمة مطولة لترجمة هذا السفر القيّم، فقد كانت مقدمتها، كما يقول أخي الأستاذ/ أحمد إبراهيم أبو شوك: «جامعة مانعة، استوفت الغرض، وعرضت النص عرضاً موضوعياً، وحققت الهدف المنشود».

إن ما دعاني لترجمة هذا المؤلف الرفيع هو إعجابي بشخصية إنسانية فذة، واسعة المعرفة، غزيرة الثقافة، حادة الذكاء، تتحلّى بالشجاعة، والمثابرة، والصبر، والتسامح، والأريحية، وروح الدعابة وحب الناس.

صدر الكتاب في عام ١٩٥٣ من ضمن سلسلة «شئون المستعمرات ودراسات مقارنة» التي تحررها السيدة مارجري برهام، والتي تُعنى أساساً بتطور الحكم المحلي للمستعمرات في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد صدرت نحو عشر دراسات عن هذا الموضوع بين الأعوام ١٩٤٦ - ١٩٥٣ عن نيجريا، وساحل العاج، وروديسيا الشمالية (زامبيا)، وسيلان (سيرلانكا)، وترينيداد وتوبيقو وأثيوبيا والسودان. وتشمل تلك الدراسات، مؤلف البروفسير مكي شبيكة «مسألة السودان» الذي صدر عام ١٩٥٢. ويعتبر الكتاب مرجعاً أساسياً للإداريين والمؤرخين، إلا أن الرسائل والتي هي موضوع الكتاب الرئيسي، كتبت بأسلوب أدبي رائع يجد فيه القارئ غير المتخصص متعة ومنفعة.

فأسلوب نيوبولد ينطبق عليه وصف الأديب بطرس البستاني لأسلوب الجاحظ: «فمن خصائص أسلوبه في كتاباته التكرار والمرادفة والإسهاب، ويعود ذلك إلى قصده تبليغ المعنى وإيضاحه، وإبراز الموصوف وتصويره، ثم على تطرابه لموسيقى ألفاظه، ووقعها على مسامعه. وتصوير الموصوف من أبرز خصائصه، فإنه كثير العناية بمراقبة الأشياء التي يصفها، فلا يهمل موضعاً يتعلق به غرضه إلا جعل له صورة حتى يبرز موصوفه على الشكل الذي يراه، ومن الناحية التي يريد أن يظهره فيها. ويستعين على ذلك بتعابيره الخاصة فيكرر، ويرادف، ويبدئ، ويعيد إلى أن تتم له الصورة التي يريد... كما هو كثير الاستشهاد بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثال، مما يدلّ على سعة اطلاعه ووفرة روايته»[1].

على الرغم من المتعة التي وجدتها في مطالعة هذا الكتاب، وفي ترجمته، إلا أن الصعوبة كانت في معرفة معنى الكثير من الأمثال والأشعار والأحاديث التي وردت بلغات غير الإنجليزية، مثل الفرنسية والإيطالية واللاتينية وخلافها، والتي لم أجد لها شرحاً في القواميس، وكذلك الحال بالنسبة لعشرات الأشخاص والأماكن المذكورة في الرسائل وغير المعروفة إلا من صاحب الرسائل ومن يراسله. وعليه فقد قمت بترجمة ما علمت، واجتهدت في أماكن أخرى قدر استطاعتي، عملاً بنصيحة مؤلف الكتاب وصاحبة المقدمة في أن لا يجهد القارئ نفسه بمحاولة فهم كل كلمة أو تعبير، أو اسم علم أو مكان، وإنما الأهم هو التعرف على إنسانية نيوبولد ـ وهو غرض المؤلف الأساس ـ والذي يظهر بجلاء خلال جميع فصول الكتاب.

وضع المؤلف كتابه في جزأين بالإضافة إلى المقدمة والتصدير والفهارست والصور الفوتوقرافية والخرائط في ما يزيد على ٦٦٠ صفحة من القطع المتوسط. ويضم الجزء الأول سبعة عشر فصلاً، عدد صفحاته ٤٦٠ صفحة، أما الجزء الثاني فيضم خمسة فصول جملة صفحاتها ١١٠ صفحات. وقد رأيت أن أقسّم الجزء الأول إلى قسمين

(١) بطرس البستاني ـ أدباء العرب في الأعصُر العباسية ـ دار نظير عبود ـ صفحة ٢٨٠.

وطباعة الترجمة في ثلاثة مجلدات كل منها يحتوي على ٣٠٠ ـ ٣٥٠ صفحة، وهذا الحجم من الكتب لا يرهق القارئ. وسيشتمل القسم الأول على المقدمة والتصدير وثمانية من فصول الجزء الأول (١ ـ٨). كما يشتمل القسم الثاني على الفصول التسعة الأخيرة من الجزء الأول (٩ ـ ١٧) إضافة إلى الحاشية. أما القسم الثالث فيشمل كامل الجزء الثاني من الكتاب الإنجليزي. وقد قمت بتوزيع فهارس الأعلام والأماكن على المجلدات الثلاثة، وكذلك الحال بالنسبة للصور الفوتوقرافية والخرائط.

أرجو أن أكون وفقت في ذلك، وما توفيقي إلاّ بالله.

محمود صالح عثمان صالح

٢٠٠٩

مسطورات

MUSTORAT

مقدمة المحررة

إن إدراج هذا الكتاب ضمن سلسلة «دراسات مقارنة للمستعمرات» هو خروج جديد عن المألوف. الكتب الأخرى تناولت القضايا الدستورية أو السياسية أو الاقتصادية للمستعمرات أو المستعمرات السابقة. هذا الكتاب يُعنى بحكومة تدار بواسطة حاكم عام: إنها دراسة سيرة ذاتية لإدارة استعمارية. وهذا الخروج في رأيي لا يتطلّب أي اعتذار تحريري، ولكنه يتطلّب شرحاً قد يساعد في إبراز أهمية عمل سير دوقلاس نيوبولد في ما يتعلق بتلك الأسئلة العامّة التي من أجلها صمّمت هذه السلسلة لتقديم بعض الأجوبة عليها.

وقبل أن نحاول ذلك، فإن الرجل نفسه، كما عرفته، يجب تقديمه، حيث الاهتمام العام بوظيفته ليس من قبيل الترقّي الروتيني الذي بدأه بتولي منصب مرموق في زمن استثنائي، وإنما نابع تحديداً من خصال شخصيته. هذا الزعم يجب أن يتبعه فوراً اعتراف من السير هندرسون (المدير الحالي لمديرية دارفور والباحث في تاريخ ومؤسسات السودان) ومن شخصي - بأننا كنا صديقين لدوقلاس نيوبولد. ولكننا لا نعتقد - ولو أن ذلك متروك لتقدير القارئ - أن صداقتنا قد أثّرت على حكمنا عليه. حقيقة أن مقدرة نيوبولد لاستشعار العواطف وإلهام الآخرين لم تكن، كما سأحاول أن أشرح، مجرّد صفة مبهجة مصاحبة لموهبته كإداري وإنما جوهرها.

كان أول مطلب له مني نابعاً من رؤيته الخاصة لما يتضمّنه عمله عموماً. كانت

زيارتي الأولى للسودان عام ١٩٣٦ كباحثة في شئون المستعمرات، بعد زيارات عديدة لسنوات طوال لبلاد أفريقية وغير أفريقية أخرى؛ وقد وجدت إدارة السودان متفرّدة عن إدارة أي بلد آخر، وكان نيوبولد في قلب كل ما يميّز أعرافها. لم يكن ذلك لأن شخصيته كانت ساكنة، تمكّني من اختياره للدراسة دون مراقبة أحد، فمنذ اللحظة التي دخلت فيها لمنزله في الأبيض كان هو المعتدي ـ مغيراً على عقلي ومستحوذاً عليه، ومطالباً فوراً بأي خدمات بوسعي تقديمها، ولم يعتقني لآخر أيام حياته من رباط صداقته الوثيق.

كيف أصفه؟ كلّما كان الشخص متفرّداً كلما عجزت المفردات المستهلكة التي أسيء استعمالها في أوصاف البشر عن وصفه. كان قوي الشكيمة، صبغت شمس السودان الحارقة بشرته. وعلى الرغم من حيويته وحياته الرياضية كانت تعوز حركته الرشاقة وهي أشبه بحركة الأكاديميين من حركة موظفي المستعمرات ـ حركة شخص مهموم بعقله وغير منشغل بباقي جسده. الانطباع الفوري الذي يعطيه هو لشخص مفعم بالحياة بسعادة. قد يبدو أن حديثه ينمّ عن العناد والمشاكسة وغير مترابط حتى تتبيّن لك وجهة ما يرمي إليه وهو مسعاه لتحقيق مكاسب للسودان. كان حديثه يجعل الإنسان يفكّر في نهير سريع الجريان تحت ضوء ساطع، يتمايل من جهة إلى أخرى فوق الصخور الوشيكة في محاولته للتقدم إلى الأمام، كما كان كثير الضحك. نجد بعضاً من تلك الخصال المتوهّجة والمتقلّبة في خطاباته أيضاً. لم تكن حيويته من النوع الذي يكبت ويقمع الآخرين عن طريق التأثير، وإنما كانت من النوع الذي يجتهد دائماً للتواصل مع الآخرين، وللوصول إلى توافق، وللمشاركة، وللاستحضار والتلاحم وليس فقط للتعبير عن نفسها. كانت عيناه الرماديتان تستفسران دائماً بسخرية وعبث ـ ولكن السخرية كانت دائماً لطيفة وفي غالب الأحيان موجهة لنفسه ـ وقد عزّز من ذلك ارتفاع حاجبيه بشعرهما الأسود الكث. كان من قلائل الناس الذين يملكون الشجاعة للتخلي عن كل وسائل الدفاع، كما كانت حساسيته المحبّبة تجعل من حوله يستحون من وسائل دفاعاتهم المحكمة وتثير فيهم الرغبة في المساعدة

والحماية، ولكنها رغبة غير مجدية حيث لا أحد يستطيع حماية نيوبولد من نفسه، أو أن يسدل ستاراً بينه وبين كل ما يعبر أمامه من جمال أو قبح أو ما يشعر به من سعادة أو ألم (ولنستعر تعبيره هو) لأن طبيعته مثل شريط فوتوقرافي مفرط الحساسية لا بد أن تسجل ذلك كأوضح ما يكون. يمكننا رؤية نيوبولد كإداري خلال دوائر متّحدة المراكز ومتباعدة ووثيقة الصلة. الدائرة الأبعد التي تمثّل مسرح الإمبريالية الحديثة حيث كان هو رغم عقله المتسائل دوماً، موظفاً في خدمة، مهما كان اسمها، كانت في الأساس استعمارية (أنا لا أستعمل التعبير، بالطبع، بمضمون استنكاري كما يستعمله بعض المصريين والسودانيين الناقدين لبريطانيا). إن المحاولة لتثمين أي تجربة بعيداً عن النظرية لمعرفة تأثيرها على حياة وخصائص كبار متنفذيها تعطي أحياناً نتائج غير متوقعة. وعندما نطبّق تلك التجربة على الإمبريالية البريطانية، يجد أعداء الإمبريالية تلك النتائج مربكة للغاية. ذلك لأن العلاقة بين الدولة الحاكمة والدولة الخاضعة لها واسعة في طبيعتها وعريضة في كل امتداداتها حيث تتضمن أغراضاً كثيرة مختلفة، بل ومتعارضة، كما يشمل ذلك الاختلاف أيضاً الرجال الذين يُناط بهم تنفيذ تلك الأغراض. كما تغيّر التجربة أيضاً خصائصها بمرور الزمن، ولم يكن التغيير أسرع في أي وقت من الفترة التي قضاها نيوبولد في خدمة السودان.

لا بد من الإعتراف بأن المحرّك الأقوى والأكثر استدامة، وليس بالضرورة الشامل، لتوسيع الحكم الاستعماري، هو مصالح الدولة المستعمرة الخاصة. ولكن الدافع الإنساني كان دائماً مصاحباً، إن لم يكن سابقاً، لذلك المحرّك، خصوصاً في أفريقيا. وقد أظهرت بريطانيا، وعلى نحو متزايد ولأكثر من مائة وخمسين عاماً، رغبة واعية لعرض، ليس مختارات حذرة، وانما أفضل ما جادت به حضارتها الخاصة للشعوب الضعيفة والفقيرة التي أصبحت تحت حكمها. وقد تعلّمت، على أي حال، أنه بينما يمكن فرض الهيمنة العسكرية والسياسية بسهولة، وتصدير كل ما تذخر به الدولة الصناعية من معدات ونُظم مادية، ترفض المجتمعات الخاضعة لنفوذها في معظم الأحيان الاختراق الأعمق للمؤثرات السياسية والروحية.

إن السبب في ذلك ليس خفياً. فإدارة المستعمرات تعاني، ليس فقط من العدوى التي تستوطن كل الحكومات الحديثة، وإنما أيضاً من أمراض خاصة بها. فكلّما ضاعفت الدولة الحديثة من وظائفها لخدمة الملايين من مواطنيها ومحاولة علماء الاجتماع في استيعاب نشاطاتها المتوسعة وتضمينها ضمن تعليقاتهم ونظرياتهم، تصبح الإدارة واقعياً ونظرياً أقل شخصنة. وفي دولة مثل بريطانيا فإن تلك الخطورة ليس معترفاً بها فقط، وإنما باتساع نشر التعليم والمساواة كعوامل تصحيحية بالإضافة للديموقراطية التي توفّر للمواطن نصيباً ضئيلاً من السلطة يتوافر المناخ المناسب للتوزيع الصحي للحقوق المدنية والواجبات. أما في المحميات فغياب مثل تلك العوامل التصحيحية يزيد من الخطورة الشاملة للدولة المركزية الحديثة والقوية. ولو أن من الصحيح أن الحكومة في الدول المحمية بموظفيها المحدودين ليست بدرجة من الفساد أو الكفاية كما هو الحال في أوروبا فهناك قرى أهلية في افريقيا لم ترَ مفتش مركز في تاريخها ـ ومع ذلك يصل نفوذ سياسة الحكومة إلى كل كوخ وسوق على قارعة الطريق. حتى عندما تكون تلك الحكومة ـ الفعل المضارع لا ينطبق الآن في كل مكان ـ في أيدي قلّة من المتنفذين ـ فهم يتسلحون بنفوذ أقوى غير محدّد كما هو الحال في بريطانيا، وهم معزولون عن الأعداد الغفيرة من المواطنين تحت حكمهم ليس فقط بالوظيفة والنفوذ وإنما بالعرق والثقافة. لقد تمّ قبول هؤلاء الحكّام، ربما بعد مقاومة في البداية، وقد جلبوا معهم الفوائد التي لا تحصى من قانون ونظام ورفاهية وعدالة رحيمة. ومع ذلك فقد كان من الممكن، بعد أن اعتبرت تلك الفوائد حقاً مشروعاً، أن تطفو سياسة وثقافة الحكّام فوق مجتمع الأهالي المستعمرين كطبقة معزولة لا يمكن الالتحام معها. إن مستويات الكفاية والإدراك والعدل وحتى الرحمة الحتمية التي ورثها الموظف البريطاني من مجتمعه المقابل قد تهيمن على طبقة المجتمع الإنساني المحكوم دون افتراقها سريعاً أو بعيداً. يتجلى ذلك بوضوح عندما تتبلور المجتمعات المحكومة، كما هو الحال في المستعمرات الآسيوية، نتيجة حضارتهم التي توارثوها منذ أمد طويل. ولكن نقيضاً لذلك نجد سكان المدن ومن تلقوا تعليماً مدرسياً وهم الذين تأثروا أكثر

من الحكم البريطاني، نجدهم أول من يتحدى السلطة الحاكمة نظراً لتمسكهم بأهم ما جُلب من بريطانيا - مبادئ الحرية الفردية والوطنية. إنهم لا يحتاجون لغالبية واعية تدعمهم: فعدم الإدراك في الأقاليم بحضارة الحكّام أو عدم المودة الصادقة بينهم وبين الحكّام قد مهّد الطريق لنجاحهم. وكلّما كان ذلك التحدّي عدوانياً وفوضوياً انحسرت قيمة العلاقة بين الطرفين. إن التدرّج والتعاون هو ما يحقّق المكاسب القصوى للتحرر والانعتاق. ولن يتأتى ذلك إلا إذا وقف الحكّام بجانب الأهالي وحازوا ثقتهم وبرهنوا لهم أنهم وما يجلبون للبلاد هو شيء مفهوم ومرغوب فيه. وبتطبيق هذا الاختبار الدقيق على النظام الإمبريالي يمكن لحكومة السودان، ومن ثم لمثلها نيوبولد، أن تتوصل إلى غايتها المنشودة.

ليس هناك في الحكم الاستعماري أو في عملية تحرير المستعمرات قاعدة نموذجية، ومع ذلك فقد أظهرت لي حكومة السودان أصالة ملحوظة. وعندما تجوّلت في أقاليمه ومراكزه المختلفة بدا لي وجود علاقة هادفة وحميمية بين المسئولين والمواطنين أعمق مما عهدته إلى الآن. كانت وما زالت نقطة الالتقاء الأولية في كافّة المستعمرات بين بريطانيا ومواطني المستعمرات تتمثّل في المفتش المحلي، وكانت المسئولية تقع عليه في ما إذا وقف الحكم الاستعماري عند حدود القوانين والنظام والتنمية المادية أم تعداها لخلق علاقة أشمل وأخصب لتمكّنه من أن يكون ممثّلاً ليس فقط لحكومته بل لحضارته أيضاً. الحاجة لمثل هذه العلاقة كانت أدعى في منطقة مثل شمال السودان الخالية من تجمّعات بريطانية تجارية أو تبشيرية أو مستوطنة، وحيث كان ممثّل الحكومة يكاد أن يكون البريطاني الوحيد الممثّل للدولة الحاكمة. إن الأعداد الكبيرة من الموظفين البريطانيين، متعددي المواهب والذين يعملون بدون كلل وبإنسانية في السودان وفي مستعمرات أخرى، والذين مكّنتهم الظروف من تبوؤ تلك المنزلة الرفيعة، هم الذين خلقوا تلك الشخصية الرمزية لبلادهم - مفتش المركز الاستعماري. ولكنني لاحظت أن تقاليد وأعراف مفتشي المراكز البريطانيين في السودان كانت أرفع من أي مكان آخر في أفريقيا، كما كانت الصداقة بل الود نحوهم أكثر انتشاراً. إن من

الأسباب الرئيسية التي تجعل دراسة مهمة نيوبولد من الأهمية بمكان هي أنه كان مثالاً ممتازاً لتلك الطبقة، وأحد الذين تمكّنوا من نقل تلك الخصال الحضارية لمفتش المركز المثالي إلى قيادة الحكومة. وهذا مهم ذكره في مطلع الكتاب، ومع أن الكتاب يركّز على نيوبولد فلا بدّ أن نتذكّر ـ وخطابات نيوبولد نفسها ستذكّرنا ـ أنه كان واحداً من أفراد خدمة استمد منها هو نفسه معظم فضائله الإدارية ولو أنه عزّز تلك الفضائل بأخرى شخصية. إنه تقدير وثناء لإدارته وأيضاً لشخصه كونه تمكّن من أن يعمل بحريّة داخل الإدارة ويترقى فيها لأعلى المناصب. وتلك الخصوصية المتسمة بالتواضع والاستفهام والتي يصعب المحافظة عليها في المناخ الاستعماري الذي تحدثت عنه، قد تكون أبرز خصاله، ولكنها لم تكن فريدة. لم أنس الانطباع العميق الذي تركه في نفسي الحديث الذي أدلى به سلفه السكرتير الإداري ـ السير أنقس جيلان ـ في نادي كاتدرائية الخرطوم، بعد وصولي بفترة وجيزة للسودان. كان الاحتفال بمناسبة ترحيب بعدد من الشبان السودانيين العائدين للسودان بعد زيارة لإنجلترا. كانت تلك المرّة الأولى التي أسمع فيها أحد كبار الموظفين البريطانيين يصرّح فيها ببساطة، بل بتواضع، أمام رعاياه، عن شعوره بالمصاعب وباحتمال القصور في كل ما يحاول هو وجهازه الإداري القيام به من أعمال.

كان نيوبولد مؤهّلاً جداً لتمثيل وتوصيل أفضل ما في حضارته، لم يكن مثال البريطاني المتطرّف في فردانيته والذي نجده بين أولئك الذين شقّوا طريقهم بعصاميتهم إلى أرفع الرتب وغالباً في المناطق الحضرية والذين لا يستطيعون فهم التلاحم الأسري والقبلي الوثيق في المجتمعات الأكثر بساطة. ينتمي نيوبولد لأسرة عريقة، مثقّفة ومتحابّة، تقطن الريف وتتحلّق حول والدته الأرملة، والتي كانت أيضاً أعزّ صديق له. لم يكن يعتبر ذلك الشعور بالقرب كملاذه الخاص، بل حمله معه إلى محيط عمله العام. لم تكن نظرته للفرد من الناس فقط كإنسان فريد ومتفرّد، بل كان يعلم أن أي واحد منهم كان عضواً في أسرة وكانت رغبته أن يتعرّف عليهم من هذه الناحية: يتعرّف على منازلهم وعلى والديهم وعلى أزواجهم وأطفالهم، وإذا تيسر له، معرفة أولئك

أيضاً شخصياً. ومن حبه لأسرته نبع حبّه لوطنه وتفانيه لإنجلترا - لأنه قبل كل شيء كان إنجليزياً - دولة وبلداً، ولكنها كانت وطنية سعيدة وكريمة. كانت وطنيته لدولة ليبرالية حرة. وبدينه المسيحي وشغفه بالعلوم الإنسانية، والكلاسيكية منها تحديداً، كان مالكاً للإرث الغربي بالكامل. كان يتمتّع بحب استطلاع مرح وعاطفي عن عالمه. كان عقله يعيده إلى حقب غابرة من الماضي واجداً متعة باكرة ومتواصلة لعلم الآثار، كما قاده إلى الفضاءات الرحبة ليجد متعته القصوى تقريباً في الترحال وفي استكشاف الصحارى. وقد وضع كل معرفته وما كان يمثّله بدون تحفظ لخدمة السودان. لقد كان هناك زمن ما كان يطيق أن يُنفى من وطنه الأم نظراً لحبه العميق له. ولكن، ونظراً لأن حب الناس والأشياء من حوله كانت ضرورة له، فلم ينقض وقت طويل قبل أن يرى خلف سطح شمال السودان القاسي والغريب، الكثير الذي يثير الانتباه والعاطفة ويتطلّب البذل، مما ولد حباً جديداً من الحب القديم. وعندما توثق ذلك الرباط أصبح شاملاً. لم يرسم أي حدود - كما كان سائداً في مجتمعات موظفي المستعمرات - بين جنبي حياته، بين الحياة الإنجليزية في الوطن والحياة في البلد البعيد حيث مقر عمله، أو في السودان بين الساعات الخاصة التي كان يخلد فيها للراحة والمتعة مع زملائه من البريطانيين من جانب، وساعات العمل العام في مكتبه وتعامله مع المواطنين. كل جنب يتدفّق في الجنب الآخر مثريين بعضهما بعضاً.

ولو أنه توصل إلى تهذيب الإدارة دون وعي تقريباً إلا أنه أدرك أن ذلك غرض يتطلب أن تشرع فيه الحكومة بوعي، وقد استعمل كل نفوذه لتحقيق ذلك. وعندما كان يعمل تحت ضغوط غير محتملة لإدارة شئون البلاد الرئيسية، وحتى في الأيام الأخيرة عندما كان يعالج مشاكل الحرب الصعبة والروتينية، كان واعياً لحتمية جني القروي السوداني، بتعدد أنماطه، للفائدة المنتظرة من الحكومة ومن النصر. وكما استشهد هو بتولستوي «فقط عندما شعر أنه في حلف مع القروي تمكن عندها من توجيهه». وقد كتب عندما كان مديراً لكردفان: «حتى هنا في الأبيض بمقاهيها المترفة وفي جو النميمة والحسد يمكننا أن نلمح الوجوه المتطلّعة للملايين من سكان كردفان

المحتاجين لمساعدتنا». كان يثور على حياة الرئاسة لأن في المدن الثلاث المكتظة بالسكان حول ملتقى النيلين كان من المستحيل أن ترى رجلاً يستخدم طورية أو تسمع خرير السواقي وهي ترفع قداديس مياه النيل بجهد لتروي الأرض العطشى[١].

هذه الصفحات تضج بالشواهد عن معاناة نيوبولد من انعزال الحكام عن الناس الذين يحكمونهم. كان دائماً يعظ بعدم إغراق الفرد في المجموعة وأن تحطيم التفرد هو تحطيم للأخلاق، وأن الإصلاح يجب أن يكون نوعياً وليس كمياً. كان جهاز السودان الإداري أصلاً يتحلى في تقاليده بالعطف والكياسة نحو رعاياه، ولكن نيوبولد قوّى وكثّف تلك التقاليد. كان ذا قناعة بأن الحضارة الأجنبية الطاغية والتي فرضت رغم أنف السودانيين، بموجب الفتح، يمكن في الحقيقة أن تكون مفهومة وحتى جاذبة لهم. وليقدم لهم تلك الحضارة ظهر كأنه أتاهم من خارج أسوار القوة الأجنبية وفي نفس الوقت بمحاولته أن يفهم ويقدّر حضارتهم، قد استدرجهم خارج اكتفائهم الذاتي الصلب والمعارض ليفسح مساحة واسعة للإلتقاء. إن مثل ذلك التصالح لا ينجز إلا بتضحيات إنسانية جسيمة، كأن يقدم البشر طواعية المادة المطاطية اللينة التي نسجوا منها ليهمدوا ارتطام الكينونات الكبيرة والقاسية مع الأفكار التي ينشدون لها الانسجام، أو لتجاذبها في ما بينهم لما فوق قوة الاحتمال تقريباً.

وعند دراستنا لنيوبولد كوكيل لحكومة استعمارية ربما نجد أنه قد نجا من قلق ذهني واحد. فهو لم يتشكك في أساس الإمبريالية ولم يعذب نفسه بالارتياب من المهنة التي التحق بها. لقد كان مثل كثير من زملائه في خدمة السودان وفي مستعمرات أخرى، لكنه كان أكثرهم تروياً وفعالية. لقد رضي بالعلاقة الإمبريالية كإرث تاريخي وبدأ من العمل لتحريكها لمسافة أقرب لمطالب ضميره المسيحي ولذوقه الخاص المتحضر.

وإذا ما اقتربنا إلى صميم عمل نيوبولد يمكننا أن نجد مغزى عاماً ثانياً ولكنه محلي في ما يتعلق بالمهام الإدارية التي واجهته في سنوات خدمته في السودان خصوصاً

(١) كانت هناك، في الواقع، واحدة من تلك السواقي أمام منزل أحد رجال الدين في الخرطوم، وكانت رؤيتها مصدر متعة عظيمة لنيوبولد.

خلال السنوات الأخيرة منها. ويمكننا أن نراه يتعامل في أحوال السودان الخاصة والمعزولة، مع نفس المشاكل الكبيرة التي واجهت بريطانيا في الهند والتي لا تزال تتطلب الحلول في كل المستعمرات تقريباً. فبعد فرض القانون والنظام وكسب الثقة جاء بناء جهاز الحكم المحلي لمجتمع القبائل والمجموعات الحضرية، وترك جهازي القانون والمحاكم (المدني والشرعي) للعمل جنباً لجنب بدلاً من التوفيق والتنسيق بينهما، والمهمة الحساسة الخاصة بإلباس التعليم الغربي لمجتمعات تكونت في بيئة مختلفة فيزيولوجياً وذهنياً، وإدخال مبادئ الاقتصاد الغربي في مجتمعات فلاحية قروية أو رعوية متنقلة. بعض هذه المهام الإدارية تتطلب التعليق.

ربما كان الحكم المحلي هو المهمة الكبرى لنيوبولد مقارنة بالمهام الأخرى. لقد استوعبت السلطات السودانية مبادئ الحكم غير المباشر واتخذت نظام نيجريا نموذجاً وطبقته في مرحلة متأخرة في السودان في ظروف غير ملائمة. وقد تبع ذلك توجّه سبقت فيه كل المستعمرات الأفريقية الأخرى نحو إيجاد نظام أكثر منهجية للحكم المحلي وأقرب للنموذج البريطاني، علماً أن نيوبولد والذي اضطلع بالدور الأساسي في البناء الجديد، قد بحث في كل أرجاء العالم عن نظام يلائم تجربة السودان. إن أهمية عمل نيوبولد في هذا الجانب لا تحتاج منا لتأكيدٍ حيث الخطابات والوثائق التي ستتبع ستلقي الضوء الكامل والمقارن لهذه المسألة الكبرى التي تهم جميع حكومات المستعمرات.

أما بالنسبة للمهمة الاقتصادية فكان من الطبيعي أن يشعر نيوبولد بالأسى المعتاد - وقد نقول اللوعة - بشكل خاص وحاد، كأي مندوب استعماري فاضل يضطر أن يراقب عن كثب ضغوط القوى الحديثة، والتي يساعد هو نفسه في زرعها، على المجتمعات الصغيرة والضعيفة تحت رعايته. لقد كان عليه أن يتعامل مع حالتين رئيسيتين من هذا النوع المؤلم. كان حبه الأول لقبائل البجا رعاة الإبل بالقرب من البحر الأحمر. لقد تأثر جداً من واقع الصدمة من جراء فرض زراعة القطن على أولئك الرحل القدماء، ذوي الأوجه الوسيمة والشعر الكث الجعد الذين ذكرهم

كيبلنج في أشعاره، والذين لا يجيدون الزراعة. وكما سنرى في هذه الصفحات فقد ملك نيوبولد الشجاعة ليعترض على تلك السياسة ويغيّر اتجاهها. ثانياً كان عليه التعامل مع مجتمعات جبال النوبة الصغيرة والوثنية والمفعمة بالرجولة والذين أجبرتهم الغزوات العربية على الاحتماء بجبال كردفان العصيّة. لم يوافق نيوبولد على قسرهم وإنما استمالهم بالملاطفة والتملق لقبول مبدأ المواطنة في النظام الاقتصادي والسياسي الجديد والذي اجتاح القرى العربية كمدٍّ ثانٍ وأصبح الآن محيطاً بجبالهم الحجرية العصية. في الحالتين اتخذ نيوبولد الخط «العاطفي» كما يسميه العمليون الذين يستعينون بالمجاز البشع «إنك لا تستطيع عمل جعة (أومليت) بيض دون كسر البيض» لتبرير حتمية دعواهم. وكان بمقدور نيوبولد أن يكون عاطفياً بمجرد أن ينفض يده عن الموضوع بتحسر غير مجدٍ. في الواقع فإن تسخيره للعاطفة لسنوات العمل الإداري المتأني، برهن على أن العطف لا يقل قوة أو عناداً من الحرص على الإيمان بالقضاء والقدر.

كان نيوبولد في المركز وفي الإقليم يتعامل مع هذه المهام وأخرى نجدها ضمن هذه الصفحات ـ سنشير لاحقاً لسياسة التعليم ـ بطريقته وفي ظروف السودان الخاصة، كمسائل تكاد تكون عامة في كل الإمبراطوريات الإستعمارية. كما نجد في أواخر أيام عمله عندما عين سكرتيراً إدارياً، يجابه أحداثاً أخرى ليست ذات مدلول تمثيلي فقط، مثل انتقال السلطة الإمبريالية، بل ذات أهمية أساسية للسودان وبعلاقة لصيقة بالحرب العالمية الثانية وبعلاقة بريطانيا بمصر. تلك هي الأحداث والسنوات التي تغطي أكبر مساحة في هذا الكتاب حيث إننا ندخل في قلب دائرة دراستنا، وعلينا، إذا رغبنا في تقييم مغزاها، أن نفحص بدقة أحوال السودانيين التي كان نيوبولد نفسه تفهّمها واستوعبها. إنها رواية من أربعة فصول متزامنة: العلاقة مع مصر، الحرب العالمية الثانية، الإجراءات التي اتّخذت تجاه التعليم ليواكب تطور الحكم الذاتي، وأخيراً الموضوع الأهم لكتاب ضمن هذه السلسلة ـ التطور الدستوري ومعاملة مؤتمر الخريجين.

لا بد من اختصار التعليق على المواضيع الثلاثة الأول. أولاً مصر - يجب أن نتذكر أن نيوبولد وزملاءَه كان عليهم تصريف كل أعمالهم تحت التدقيق المتهور واللاذع من جيرانهم من ناحية الشمال ونفوذهم المعتاد. لقد سبق لمصر فتح السودان، ثم شاركت بريطانيا في إعادة فتحه، ووقعت مع بريطانيا الإتفاقية الثنائية، وكان علمها الأخضر يرفعه الضباط البريطانيون بجانب علم بريطانيا بكل احترام واستفزاز. ومع ذلك فقد حُرمت مصر من المشاركة الفعلية في إدارة السودان أو اقتسام السيادة عليه. هذا أمر تصعب مناقشته خصوصاً في الوقت الحاضر حيث وصلت العلاقات البريطانية - المصرية إلى أسوأ حالات الخصام في ما يتعلق بالسودان(٢). العلاقة بين البلدين والتي بدأت بتدخل بريطانيا في مصر عام ١٨٨٢، كانت عبارة عن شراكة مفروضة بين بلدين غير متكافئين وغير متجانسين. وقد زادت حدة التوتر كلما ازدادت مصر قوة ووعياً بذاتها. وقد قاومت القيود التي طوقتها والتي فرضت عليها أيام ضعفها وفقرها. كان إرثها التعس والموسوم بالاضطهاد والفساد في الماضي وخلافاتها الاجتماعية والسياسية العميقة كانت ستجعلها شريكة غير مريحة على أي حال. ولكن في سَوْرة غضبهم ضد ما شعروا به من إذلال بريطاني، حاول القادة السياسيون المصريون من وقت لآخر إلحاق الأذى ببريطانيا عن طريق السودان. لقد تسبب اغتيال حاكم عام السودان، السير لي ستاك، في القاهرة والتمرد الذي أثارته مصر في السودان عام ١٩٢٤، في تحويل عزوف الموظفين البريطانيين عن التعاون الإداري مع المصريين إلى تصميم راسخ لمنع مصر من التدخل في شئون رعاياها في السودان مع المحافظة بحذر شديد على حقوق مصر في مياه النيل.

وطبقاً لشخصيته ومعاييره الإدارية وتفانيه في خدمة السودانيين، كان من الطبيعي أن يتمسك نيوبولد بوجهة نظره تلك بشدة. وقد قابلت مصر عزلها شبه التام والذي لم تلطّفه اتفاقية عام ١٩٣٦ بأي قدر، من أي نصيب في إدارة السودان، بمضاعفة جهودها لإثارة القلاقل وشراء موالين لها في السودان. ولو استعمل قادتها

(٢) كتب ذلك قبل تنحية الملك فاروق. وعندما تتم المراجعة في سبتمبر ١٩٥٢ نأمل أن يكون الأسوأ قد ولى.

الحكمة والاعتدال للتعامل بمقتضى الاتفاقيات المبرمة وبابتعاث موظفين أكفاء ومتعاونين ليمثّلوها لما أصرّ البريطانيون على سياسة الإقصاء الصارمة. وللأسف كان الإسراف في حياة مصر السياسية يصِم أي مرونة تجاه بريطانيا بالخيانة التي تعاقب حتى بالإغتيال. ليس أسهل من اتهام مصر بأنها أسوأ عدو لنفسها، ولكن ألم يكن في الوسع عمل المزيد لإنقاذها من نفسها؟ يعجز البريطانيون في كثير من الأحيان عن التعامل مع الاضطراب العصبي للدول حتى وإن اقتضت مصالحهم تخفيفها. والسودانيون، مع عدم إدراكهم لذلك لمدة طويلة، كانت لهم مصلحة طاغية في تخفيف مرارة المصريين. كنت أحياناً أتجرأ بمجادلة نيوبولد بأن حكومة السودان قد استسلمت بسهولة للإغراء بتحويل أنظارها بعيداً عن الشمال، ومن الحقائق غير السارة والتي تعطي مصر بموجب الاتفاقيات على الأقل حقوقاً متساوية مع بريطانيا في السودان، وسيأتي يوم عصيب تصرّ فيه مصر على حقوقها نتيجة تراكم المرارات بسبب الإقصاء. كان يمكن تقديم تنازلات سايكلوجية وليست سياسية مع محاولات أكثر لمقابلة وتنوير الرأي العام المصري مهما كان حجمه، للمحافظة على شعرة معاوية، مهما كانت رفيعة، عبر هوة الأغراض والأفعال. كانت تلك قضية يصعب الترافع فيها، ولم يتأثر نيوبولد بها لأنه كان يشعر بأن كل غرائز البريطانيين ومصالح السودانيين تدعمه. إن أحوال وأفعال وتصرفات مصر عام ١٩٥٢ وموقف السودان السليم بالمقابل يبدو مطابقاً لوجهة نظر نيوبولد. ومع ذلك فإن من مصلحة السودان أن يحتفظ بعلاقة حسنة مع مصر، ومرارات مصر وجهلها تجاه جارتها من ناحية الجنوب يظلان العقبتين الرئيستين نحو تحقيق ذلك.

العلاقة مع مصر وبناء المؤسسات الدستورية لا يمكن فصل موضوعهما عن موضوع الحرب وستظهر الفصول الخاصة بهم الكثير. ويمكننا أن نرى تأثير الحرب على الحكومة وكيف كوفئ الحكام لحسن إدارتهم لمدة أربعين عاماً بثبات السودانيين وولائهم عندما كان حكامهم في خطر. وقد أحطنا علماً بأهمية السودان كمركز مواصلات، ليس فقط من الشمال للجنوب، ملبياً بذلك آمال سيسل رودس بربط رأس

الرجاء الصالح بالقاهرة جواً بعد فشل مشروع الطريق البري والسكك الحديدية؛ بل أيضاً عابراً القارة غرباً - شرقاً عبر الخرطوم. يمكننا أن نتعلّم الكثير هنا عن مغزى أفريقيا الاستراتيجي من الفصول اللاحقة التي تلقي الضوء على التاريخ السياسي - العسكري للحرب في هذه المنطقة. ولكن هذه الصفحات وعن غير قصد، قبل كل شيء، هي سجل للشجاعة. فكما في بريطانيا، أيضاً في السودان كان هناك القليلون في القيادة ممن يعلمون مبلغ الخطر في الأشهر التي بلغت فيها الأزمة أسوأ حالاتها، وقد تحملوا عبء المعاناة نيابة عن رعاياهم. وبكل المقاييس المنطقية، عند دخول إيطاليا الحرب عام ١٩٤٠ كان الوضع في السودان بائساً. فقد أخذ على حين غرة وكان بدون دفاعات تقريباً بين جبهتين، وكانت القوات الإيطالية معدة إعداداً حسناً وجاهزة للإنقضاض على سهول السودان من حصونها الأثيوبية. وبدا السودان كقاعدة أمامية لبريطانيا محكوم عليها بالهلاك كما كانت بريطانيا نفسها محكوم عليها بنفس المصير. كان نيوبولد وحاكمه العام غارقين في خضم من المسئوليات الجديدة والعاجلة والتي لم يكن لديهما موظفون أو معدات أو خبرة لها. كما كانوا يتوقعون كل ليلة أن تقصف المدافع عاصمتهم غير المحمية بالقنابل ومع ذلك فقد حافظا على تلك الثقة في مقر رئاستهما - تلك الثقة التي تكسب المعارك في الجبهات، أو تضمن عدم نشوب المعارك أصلاً. ما كان نيوبولد يسمح بالكلام بأن السودان غير محمي، أو، وهذا الأهم، أن السودان ليست له رغبة في الدفاع عن نفسه. كان العدد القليل من الجنود السودانيين، الذين يظهرون ويختفون على طول حدود السودان الجنوبية - الشرقية المحتلة، مثل جيش في مسرح، يراوغون ويقاومون جيوشاً إيطالية تفوقهم عدداً وعتاداً. وقد نجا السودان من الاجتياح، كما يبدو، بمعجزة.

وبزيادة أعداد وأحجام الملفات المتعلقة بالحرب والعلاقات الخارجية المتراكمة على مكتب نيوبولد، كان نيوبولد، بدون شك، يسعد برؤية ملف خاص بالتعليم. لقد ولد نيوبولد معلماً. وكان الدور الذي يناسبه أكثر من سواه في جميع ما اضطلع به من أعباء، هو دور المدرس المتحفز والمتواضع والذي يشرح لمدرسته (السودان) أفضل ما يعلمه

عن تاريخ وخبرة وطنه. لقد قيل ما فيه الكفاية مما يثبت بأن نيوبولد كان يؤمن بقوة أن منح السودانيين مؤسسات غربية يرغبون فيها بدون تعليم غربي وتأثير حضاري سيكون عديم الفائدة، كمن يقدم سيارة بدون وقود يحركها. إن توسع التعليم وسط المسلمين والوثنيين، والمركز الثقافي بالخرطوم، والإرتقاء بكلية غردون لتصبح جامعة، وابتعاث الشباب السودانيين في زيارات لبريطانيا ـ تلك كانت من أمتع النشاطات وأكثرها فائدة في فترة نيوبولد كسكرتير إداري. ونجد روح تلك المواضيع في الوثائق والمحاضرات المدرجة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، بعضها كان خطباً ألقيت خلال إدارته أثناء الحرب عندما كان يسرق ساعة من زمن عمله لتحضير ما كان يود أن يقوله. لقد أملت عليه شجاعته وتحرره أن يتوسع في تعليم التاريخ الغربي والسياسة الغربية بدلاً من تقليصه وإطلاق أيدي المعلمين في توفيره بالرغم من توقعه كإداري بالمزالق والمخاطر التي قد تسبب اهتياجاً خطيراً.

ومع ذلك، وعندما نأتي إلى أهم عمل لنيوبولد كسكرتير إداري، وهو التطوير الدستوري، يبدو لنا وكأنه أخذ على حين غرة بالنسبة لمؤتمر الخريجين. ولكن قبل أن نناقش الدور الذي لعبه هنا، علينا أن نلقي نظرة على خلفية الموضوع.

إن حكومة السودان كانت تحكم شعباً مذعناً سياسياً لنحو أربعين عاماً. لقد كانت هناك حادثة واحدة من القلاقل بإيعاز من مصر عام ١٩٢٤. وفقط في عام ١٩٣٦ عندما أبرمت الإتفاقية البريطانية ـ المصرية وأشارت لحقوق السودانيين دون مشاورتهم على بنودها، حفز ذلك المجموعة الصغيرة من السودانيين الذين تلقوا تعليماً غربياً للحراك السياسي والتنظيم. وبما أنني كنت في السودان حينئذ وقابلت مجموعات من أولئك الشباب في منتدياتهم، فقد تمكنت من مشاهدة بعض ذلك التلمس نحو فكرتيّ الوطنية والحرية. وقد كان من المستغرب له جداً عند وصولي للسودان في ذلك الوقت أن اكتشف أنه لم يتم أي نوع من تخفيف أتوقراطية الحكومة المحضة والتي لم يكن لها بذلك الوقت أي جهاز رسمي للتشاور مع السودانيين أو التفكير في ذلك الاتجاه. لقد كان من الصعب عليَّ أن لا أعلق بأن حتى الحكومة المصرية المستبدة

بدأت محاولات لتشكيل مجلس أعيان منذ القرن التاسع عشر. إن العلاقات الشخصية الطيبة بين البريطانيين والسودانيين بمختلف مراتبهم والتشاور غير الرسمي بدا لي ليس عذراً كافياً لعدم الشروع في تشكيل مؤسسات مجلسية رسمية. فقط بمثل تلك المجالس كان يمكن للسودانيين تعلم أسس عمل الحكم المركزي والبدء في بناء وحدة وطنية حقيقية داخل الوحدة الاصطناعية التي رسمت القوة الأجنبية حدودها. وإلا فمن الواضح أن تأخير قيام حركة سياسية لمجموعة مثقفة كسكان مدن السودان وضفاف نيله لا بد أن تفرض نفسها خارج الدستور. وقد أثرت هذه المسألة في عديد من المرات مع نيوبولد، وكان كعهده دائماً مستعداً لتقبل ومناقشة النقد. وإذا ما بدا من الخطابات التي ستلي أنني كنت أضغط لقيام مجالس مديريات فذلك لم يكن من قبيل الإقتناع بأنها الأفضل في حد ذاتها حيث أن المديريات نفسها لم تكن وحدات حقيقية ولكنها تمثل جهازاً وسطياً بين الإدارة الأهلية والمجالس المركزية، أو كهيئات انتخابية لمثل تلك المجالس.

لا داعي أن نستبق الرواية التي يرويها المستر هندرسون في كتابه هذا والتي ترويها الوثائق المضمنة فيه أيضاً. وبما أن النقد الوحيد الذي وجهه السودانيون لنيوبولد يتعلق بمعالجته لهذا الموضوع فلا بد من التعليق(٣). لقد وجد نيوبولد نفسه كسكرتير إداري في مطلع عام ١٩٤٢ مجابهاً بعدة مطالب دستورية من مؤتمر الخريجين المعيّن من نفسه والمكوّن من خريجي المدارس ومن أفندية المدن. يلوم السودانيون نيوبولد على رده المتعسف على خطابات لجنة المؤتمر في ربيع وصيف ١٩٤٢ في التسبب بتصدّع المؤتمر إلى جناح معتدل وآخر متطرف توجه ناحية مصر للمساعدة(٤). أضف لذلك فإن تشكيكه في أهلية المؤتمر للتحدث باسم البلاد قد قاد الجناحين، في بحثهما عن أسهل الطرق لتكوين حركة شعبية، وطلب العون من الطائفتين الكبيرتين اللتين يتبعهما مسلمو شمال السودان. وقد قاد ذلك للفرقة والتطرف والفوضى المحبطة

(٣) انظر في هذه السلسلة، مكي عباس في كتابه «مسألة السودان»، ١٩٥٢، صفحة ١٠٧ وما يليها.

(٤) الحقيقة أن المؤتمر قد انقسم على نفسه تلقائياً قبل هذا التاريخ.

للأغراض الطائفية والسياسية. لن أتجرأ بإصدار حكم نهائي في هذه المسألة العويصة، ولكني فقط أبدي بعض الملاحظات. قد يعتقد القرّاء أن نبرة خطابات نيوبولد للمؤتمر في ربيع وصيف ١٩٤٢ كانت حادة وبدت كأنها مغايرة للروح الليبرالية التي كانت تتسم بها حواراته مع قادة المؤتمر وكذلك بروح مذكرته الضافية للمجلس التنفيذي بتاريخ ١٠ سبتمبر(٥). ويجدر بنا أن نتساءل حقيقة كم من حكومات المستعمرات في مقدورها أن تنشر وبهذه السرعة تقريراً سرياً بمجرد اندلاع هياج سياسي.

يمكننا أن ندلي بعدد من أسباب التناقض الواضح بين آراء نيوبولد وفعله. **أولاً** ومهما كانت آراؤه، فإن قراراته الرسمية كانت تتطلب الموافقة عليها من الحاكم العام والمجلس التنفيذي بأكمله. **ثانياً**، هو وهم كانوا يتعاملون مع الأمر بما ورثوه من عدم بصيرة بمثل هذه الأمور مما سبقهم من إدارات في الماضي. **ثالثاً**، كان نيوبولد وحكومته يعملون وهم في عزلة غير مألوفة، فما كانوا مساءلين مباشرة، لا من البرلمان ولا من الشعب البريطاني نظراً لوضع السودان الغامض، كما حرموا من الدعم والخبرة اللتين كانت توفرهما وزارة المستعمرات البريطانية لمستعمراتها الأخرى. وقد وقع على عاتق القلة من كبار الموظفين بحكومة السودان الاضطلاع بابتكار السياسات تقريباً من أفكارهم واجتهاداتهم الخاصة. **ورابعاً**، يجب أن لا ننسى أن ذلك التحدي برز عندما كانوا هم والسودان منهمكين في التوتر والقلق بسبب الحرب التي كانوا يكابدون فيها للبقاء، كما برز أيضاً في أحلك أيام تلك الحرب مما دعا نيوبولد لأن يصرخ «دعونا نهزم رومل أولاً».

لكل تلك الاعتبارات الخاصة يمكننا إضافة اعتبار آخر عام. كان نيوبولد يواجه أصعب امتحان خلقي وسياسي للحكم الامبريالي. إن أول احتجاج ضد سلطته، بطبيعة الأشياء، لا بد أن يقدم من مجموعة تفتقد الخبرة وتمثل نفسها فقط. يمكن استيعاب مثل هذه الحركة دستورياً، ولكنها لن تهمد لمجرد أنها وجدت منبراً في مجلس

(٥) يرجى الاطلاع عليها في مكان آخر من الكتاب.

تنفيذي. ستكون المجموعة بالتأكيد غير مُمَثِلة، وغير مؤهلة، وغير كفؤة لتقديم حكومة بديلة، بل ولا حتى قادة للمشاركة في مسئوليات الحكومة الهامة. لا بد للفجوة بين كفاية الحركة الفعلية والكامنة أن تجسر، كما وأن الموقف العاطفي كان على وجه يتعذر فيه الوصول لحل في جو من المعقولية الهادئة. ولم تكن العاطفة مقصورة على الطرف السوداني فقط. إن خدمة قوامها موظفون بريطانيون، اشتهرت حكومتها بالخبرة والأبوية والأتوقراطية، والتي لنحو خمسين عاماً قامت بواجبها خير قيام، لا بد أن تكون ردة فعلها تلقائية منذ أول تحد يهدّد فوراً سياسة بلدها (بريطانيا) وأداء ومُثُل موظفيها ومصالحهم الوظيفية.

قد تبدي الوثائق المنشورة في هذا الكتاب أن نيوبولد قد تأثر بالصراع المتكرر في بريطانيا لإيجاد حل للمعضلة التي تتمثل في أن بريطانيا تُحَكَمْ ديموقراطياً بينما تحكمُ في الخارج أتوقراطياً. وإذا سُئلنا «هل نجح في ذلك؟» فلا بد من إضافة سؤال آخر: «ما هو النجاح؟» في مثل هذه الحالة، وهذا سيقودنا مرة أخرى لمناقشة أسس السياسة البريطانية، الشيء الذي لن نتمكن من الخوض فيه الآن. أضف لذلك أن من الصعب عمل تسويات سياسية كبيرة في أي مكان كان بكياسة تامة واتفاق شامل، وخصوصاً في البيئة الاستعمارية. وربما ساعد وجود نيوبولد في منصب السكرتير الإداري في مرارات أعظم نسبة لأنه آخر من يوصف بالأتوقراطي، ولعطفه على الشباب وتأييده لأفكارهم، ولحرصه على عقد صلات صحيحة وشخصية مع قادة المؤتمر. لقد فتح نيوبولد ذهنه وذهن زملائه في القيادة لكل الأفكار والتجارب الخارجية، وأوصلها بأفضل ما في وسعه من استطاعة إلى أفراد الخدمة المنتشرين في كل مكان، والذين قد يصعب عليهم تقدير مغزى الأحداث في العاصمة مقارنة بخلفية الكمونولث وحتى العالم.

وحتى لو أظهر فحص أشمل لكل البيّنات أن معالجة نيوبولد للأمور لم تكن مبرأة من الخطأ، خصوصاً في ما يتعلق بتأخير تشكيل مجلس نيابي فأن ذلك لن يبرهن عدالة الناقدين السودانيين في بحثهم لتفسير فقدانهم للوحدة وانحرافهم عن طريق

القيادة السياسية القويم. إنه قدر رواد الإصلاح المحتوم أن ينقسموا إلى مجموعة معتدلة وأخرى متطرّفة: الإستغاثة بمصر، أو بالأحرى من مصر، لا بد أنها كانت إغراء لا يقاوم لأسباب تاريخية وأخرى أقل اعتباراً. وربما فشلت أي سياسة في ذلك الوقت من إنقاذ ونَشْل بواكير القومية السياسية من الغرق في خضم بحور الطائفية الدينية الأكبر والأقدم. في كل الأحوال، وبغضّ النظر عن درجة التأخير أو الصرامة، فلحكومة السودان رصيد وافر من ثقة السودانيين فيها ـ وكانت مساهمة نيوبولد في ذلك الرصيد كبيرة للغاية ـ تمكنها من المضي قدماً تحت إدارة صديقه وخلفه المقتدر، السير جيمس روبرتسون، في مناخ من التعاون يكاد يكون غير مسبوق لمثل هذا الانتقال للسلطة تقريباً.

قبل أن نترك هذا الموضوع المهم يجب أن نتذكّر أن خلق جهاز تشريعي هو جزء واحد من أجزاء عملية تطوير الحكم الذاتي، ولو أنه الجزء الذي يسرق عادة أضواء التاريخ. لقد كانت هناك ثلاثة أجزاء في برنامج نيوبولد وكل واحد منها يجب ان يكون في وضع متساو مع الأجزاء الأخرى.

لقد ذكرنا شيئاً عن التعليم والحكم المحلي، وعلينا أن نلاحظ أن جعل الحكم المحلي أكثر ديموقراطية، وخصوصاً في المدن، كان يدفعه نيوبولد إلى الأمام حتى النهاية. وبرهن، عندما بدأت عملية انتقال السلطة الحقيقية، على أنه أعطى تدريباً ممتازاً لبعض القادة السياسيين والموظفين السودانيين.

الجزء الرابع كان سودنة الخدمة المدنية. قد لا تكون نتائجها مثيرة للإعجاب ولكنها كانت متساوية في أهميتها مع الجزء التشريعي، كما كانت مهمة متواصلة وشاقة ومحرجة. في الجانب الأول كان هناك جهاز خدمة مطلوب منه التعاون في مهمة ستعود لزاماً عن طريق التخفيف إلى زواله الحتمي. وفي النهاية كان المتعلمون السودانيون توّاقين للترقية، غيورين من كل تباين، واثقين من قدراتهم، بالغين تارة ومتجاهلين أخرى ورافضين المعايير التي يحاول جهاز الخدمة الأبي أن يحافظ عليها. وموازياً لتطوير كلية غردون، وبتفصيل مقررات تدريب الإدارة، وضعت حكومة

السودان جداول مفصّلة لاستبدال الموظفين البريطانيين بسودانيين بشكل متصاعد بالنسبة للرتب العليا. ولكن الجداول لم تمنع الشذوذ أو تسمح بالتغيير في الجو السياسي. كانت التجربة تراجع باستمرار وكان نيوبولد يحث المديريات دائماً ببذل جهود أكبر لقبول السياسة والعمل على إنجاحها. تستمر عملية السودنة اليوم بخطى متسارعة ولن تصل إلى منتهاها إلى أن يغادر آخر موظف بريطاني موقعه، مورثاً، كما نأمل، تقاليد تمكّن الخدمة المدنية السودانية من أن تستمر في أن تكون مثالاً للإستقامة والإخلاص للدول المجاورة.

قبل أن نترك المسألة الدستورية لا بد من إبداء ملاحظة: فالوثائق المطبوعة في الجزء الثاني من هذا الكتاب يجب أن تجعله مصدراً مهماً لتاريخ السودان. فهي توضح كيف ولماذا اندفعت حكومة السودان، وهي المبتكرة دائماً، بقوة ونشاط في ما يختص بمشروع مؤسسات الحكم الذاتي في طريق مغاير للحكومات الإستعمارية الأخرى. ويمكننا أن نتقصى في هذه الوثائق بالإضافة لخطابات الممثّل الرئيسي لهذه الأحداث إثر نشوء استقلال السودان، بينما الكتاب الذي صدر في سلسلة هذا العام لمؤلفه مكي أفندي عباس يورد شرحاً وتعليقاً من سوداني كان مشاركاً أيضاً في الأحداث.

يتابع المستر هندرسون تاريخ نيوبولد إلى منتهاه، ويا لها من نهاية ملائمة. فبعد الأزمة الأولى التي انحازت فيها إيطاليا إلى الأعداء، وطّد نيوبولد نفسه لمجابهة معاناة الحرب الطويلة بما فرضته عليه من أعباء إضافية لاسيما أن أعباء الإدارة المحلية استمرت وزادت تعقيداً. لقد نجا من الموت في الحرب العالمية الأولى لتقتله الحرب العالمية الثانية في مكتبه. ليس لأنه لم يَنْصَعْ لكل المناشدات لأخذ عطلة في بلده بحجة أن الآخرين، وخصوصاً المتزوجين منهم، أحق منه بالمقاعد المحدودة في الطائرات، ومتعللاً بأن المسئولين في بريطانيا يحملون أعباء أكبر جسامة من أعبائه، وإنما لعدم رغبته أو قدرته في أن يتعلم كيف يحمي نفسه، حتى بما تتطلبه منه وظيفته الهامة من حماية مشروعة، من عطفه وأريحيته. وبينما كان الأباطرة والملوك والجنرالات ورؤساء الوزارات والعديد من شخصيات الاتحاد العظيم المشهورة يهبطون في الخرطوم من

الآفاق مطالبين بالاستضافة والتنوير وهم عابرون، ظلّ منزله مفتوحاً لأصدقائه الجدد والقدامى المتواضعين، كما كان يحرق الليالي في كتابة الرسائل الطويلة والشديدة الخصوصية، بخطه الواضح المتكوّر، تلك الرسائل التي كانت تبهج وتشجع متلقّيها، كما ساعدت أيضاً كثيراً في رفع معنويات أفراد إدارته المجهدين والمنهكين.

كان أثقل عبء عليه هو الحزن العميق الذي يشعر به عند وفاة صغار مرؤوسيه الذين التحقوا بالجيش أو صغار الضباط، مثل ابن اختي، والذين أسكنهم قلبه ومنزله عندما كانوا معسكرين في الخرطوم. لم ينقطع أبداً عن تسطير رسائل مطوّلة لأمهاتهم معبراً لا عن عاطفة عامة، ولكن عن الحزن الشخصي لفقد شخص عزيز من أسرته هو. هناك بعض الناس ممن ينزلقون عبر الحياة بسهولة لمحافظتهم على واجهة ناعمة لا يلصق فيها شيء. ولكن نيوبولد ما كان ليتحرك ياردة واحدة بين الناس دون أن يلتصق بهم، جامعاً لصداقات وواجبات جديدة. من ينزل معه في بيته يدرك أن تلك العاطفة الجيّاشة والمميّزة لم تشمل أصدقاءه وزملاءه فقط وإنما خدمه وأطفالهم وحتى الحيوانات التي تقطن منزله. إحدى ذكرياتي المحببة عن نيوبولد كانت عندما أخرج من منزله في الصباح الباكر للعدو فوق الحواجز في الأبيض وأجده منهمكاً في محادثة مع فرسه المفضّل «دود» كأنه يحادث فرداً من البشر. وعليه تجد أنه عندما ذهب إلى يوغندا في آخر الأمر، لم يكن ذلك بغرض الراحة أو ليتعلم كل ما هو جديد في ذلك البلد، وإنما ليعقد صداقات مع بعض صغار الطلبة الأفارقة في كلية ماكرري، مما تطلب تحرير رسائل مطوّلة لهم، غير ناسٍ أنهم قد لا يملكون ما يشترون به الطوابع ليردوا عليه. بين آخر ما حرّر من خطاباتٍ كان لأحد الطلبة من قبيلة الكيكيو اسمه قاساقا. كتب له: «أنا لا أنسى صديقاً قط»، ولكم يا ترى تمثّل تلك الكلمات الصدق المحض؟ ولكن قاساقا لم يكن يعلم في ذلك الوقت كَم كلّفت تلك الذاكرة نيوبولد.

قرّاء هذا الكتاب ممن لم يعرفوا نيوبولد إذا اطّلعوا على هذه المقدمة، قد يقرأونها بقدر طبيعي من التشكك. إن الإطراء اللفظي لشخصية رجل فاضل يندر أن يكون فاعلاً، خصوصاً لجيل ما زال يستاء من استعمال جدودهم المتكرّر وغير الكيّس لنماذج العظماء

والأخيار كوسيلة لرفع المعنويات. من المأمول أن يجد قرّاء هذا الكتاب في خطابات وأوراق نيوبولد ما يجعلهم يتعرّفون على شخصيته عن قرب وأن يشاركوا في تخيّل متعة صداقته ويثمّنوا مغزى مكانته كدليل للحكم البريطاني. ولكن ليس هناك ادعاء مثير للشك، بل الاشمئزاز أكثر من أن يوصف المرء بأنه كامل. وأنا كمحررة وصديقة أشعر، إذا كان عليّ واجب إضافي، أن أوضح بجلاء أنني لا أدعي صراحة أو ضمناً ذلك.

ولكن ماذا ندّعي؟ عن نفسي لا بد أن أوضح صراحة أنه خلال تجوالي ودراستي لسنوات طويلة في شأن الحكم الإستعماري، أن نيوبولد قد أظهر لي أعلى مستوى رأيته في أي إدارة استعمارية أخرى. بالطبع فتلك المعايير لا بد أن تكون شخصية، كما أن الصداقة رغم أنها مفتاح الفهم، تشكّل أيضاً إغراءً لا يليق بالدارس. ولكن إذا ما بدا للبعض أن الصورة التي رسمتها ودية أكثر مما يجب، فلا بد أن ندرك أنه من الصعب، وليس فقط لمودتي له، أن أنتقد كتابة سيرة صديق بعد سنوات قليلة من موته، وأيضاً لأن الرجل والأحداث لم يمضِ عليها وقت كافٍ للحكم عليهما. كما أكرر أنني لا أدّعي أن نيوبولد بدون أخطاء. لقد قامرت في هذه المقدمة بإثارة سؤالين عن سياسة نيوبولد تجاه مصر والمؤتمر، قد يساعدان الآخرين مستقبلاً في إيجاد أجوبة لهما. قد يكون هناك الكثير الذي يمكن إثارته بدون شك، وهناك استفسار ثالث يمكنني إضافته الآن: لاحظ أصدقاء نيوبولد وخصوصاً في الأيام الأخيرة، في بعض الأحيان أنه يميل إلى المماطلة في الشرح الذي تعذّر معه حصولهم على قرارات واضحة وحاسمة. هذا من دون شك عيب لأي إداري. ولكن ذلك هو الوجه المقابل للفضيلة - شعوره بتعقيد الأمور التي كان يتعامل معها وما يترتب عليها في النهاية بالنسبة للسودانيين. وكان يدرك أيضاً أن الحلول لتلك المعضلات لا توجد في رأسه ولا في إدارته ولا حتى في السودان. وقد فتح كل نوافذ عقله - للشرق الأوسط ولأفريقيا ولبريطانيا وللكمنولث وللعالم وللماضي كما للحاضر - مقتبساً من أفكار وتجارب كل تلك المصادر واختمرها في عقله ليضع سياسة تناسب السودان في القرن العشرين. كان بعض زملائه من البريطانيين يفضلون رئيساً أسرع قراراً وأكثر ثقة بالنفس، ومستعداً لكل الحلول. ولكن كان هناك نيوبولد واحد بين

عشرين من أعضاء إدارته المؤهلين، ولن يكون هناك خلاف عمّن يفضله السودانيون سكرتيراً إدارياً أو من سيذكرونه طويلاً.

إذا ما أصبح هذا الكتاب، كما آمل، مرجع دراسات للطلبة السودانيين ومؤرخي المستقبل، فإني أناشدهم، عندما ينظرون في ما يحتمل من قصور لحكامهم السابقين، أن يفتحوا أذهانهم لاحتمالات نفس الشيء لأنفسهم. الدول الحديثة تبحث عن الخرافة والأساطير في أصولها لاستشعار الفخر والثقة. ومع أنه في ما مضى كانت الأساطير تتحدث عن نجاح كفاح أبطالها ضد الأعداء الأشرار، فهذا لا ينطبق بالطبع على ميلاد دولة تحت الحكم البريطاني في منتصف القرن العشرين: فالسلبيات والإيجابيات في القصة معقدة للحد الذي يصعب فيه تصنيفها. بالنسبة للإيجابيات، إذا ما أحب نيوبولد السودانيين فلأنهم استحقوا عواطفه ولأنهم بادلوه حباً بحب. لقد قال مكي أفندي عباس، أحد السودانيين المنتقدين للحكومة، عند موت نيوبولد: «نحن نعلم أنه مات من الإرهاق. كما نعلم أن حافزه عندما أرهق نفسه حتى الموت لم يكن مجرد سداد لدين ولكنه كان لأسباب أكثر سمواً ـ كان ذلك حبه للسودان، وعندما كان يضيق بعمل مكتبه كان، كما يقول هو نفسه، يخرج ليتفرج على بعض الأطفال وبعض الأبقار وبعض (العيش) لأن رؤيته لتلك الأشياء تنعشه أكثر من أي شيء آخر»[٦].

مكي عباس الذي احتفظ نيوبولد بصداقته بالرغم من كل خلافاتهما السياسية، لم يكن السوداني الوحيد الذي أظهر إعجاباً بالسكرتير الإداري. فقد أبدت صحافة السودان الفتية والممثلة لكل الأحزاب نفس الإعجاب العميق والمتبصر. كما أن رئيس مؤتمر الخريجين نفسه وضع إكليلاً من الزهور على تابوته وعبّر نيابة عن المؤتمر «عن عميق حزنه لوفاة سير دوقلاس. إن كل الدوائر السودانية التي تقدر بصدق الخدمات الجليلة التي قدمها بتفان لأهل هذا البلد، ينعون فقده الأليم»[٧]. كما كتبت صحيفة

(٦) الرسالة الاخبارية ـ الخرطوم ٢٨ مارس ١٩٤٥.

(٧) صوت السودان ـ ٢٤ مارس ١٩٤٥.

«الرأي العام» السودانية: «لقد خبر السودان جيداً، وأحبه، وكان مخلصاً له، وأدرك أنه بتوجهه هذا كان يظهر حبه وتفانيه لوطنه»(٨). وفي صحيفة «السودان الجديد» نقرأ: «تعرّف نيوبولد عن قرب بالراعي في فلاه والمزارع في حقله والتاجر في دكانه والأفندي في مكتبه... كان يؤمن بقدرة السودانيين في إدارة شئون بلدهم، كما أن مجهوداته الشاقة لتحقيق ذلك استنزفت قواه»(٩).

لا بد أن نتذكر عندما نقرأ هذه المقتبسات أنها من صحف أبعد ما تكون شبهاً بالصحف البريطانية وإنما من صغار صحافيي الشرق الأوسط الملتهب في أوج إسرافهم وحماسهم الوطني، وكانت الصحافة المصرية المتطرفة هي مَثَلهم. إن الذين يعرفون أجواء البلاد الإسلامية في هذه المنطقة قد لا يصدقون تلك الاقتباسات عن مسئول بريطاني كبير يمثل الاستعمار. ويجب أن نقرأها لا كتقدير لنيوبولد وحده، وإنما لنيوبولد والسودانيين معاً في إعجابهم المتبادل وهدفهم المشترك. أحرز نيوبولد تلك المرتبة لا لأنه كان يتحكم في السودانيين وإنما لأنه كان يحكم شعباً يملك خصالاً رفيعة: القتال بشرف وحسن الدعابة واحترام ديانتهم مما دعاهم لاحترام ديانته أيضاً. إن إعداد السودان الجديد والذي أولاه نيوبولد كرئيس للجهاز الإداري، كل ما جادت به خصاله العظيمة وأيضاً حياته، كان ابتكاراً مشتركاً سينظر له البريطانيون والسودانيون في ما بعد بفخر عام. إن التفاني والعطاء الذي طالب به السودان نيوبولد وغردون مع اختلافهما والذي قاد كليهما لأن يتركا جسديهما المتعبين في تربته الرملية، قد يوصف بالتبني. وقد يدّعي السودانيون، ولهم كل الحق، أن الشخصين ينتميان للسودان ولتاريخه بنفس قدر انتمائهما لوطنهما إن لم يكن أكثر.

كلمة أخيرة. بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون السودان أو المختصرات الفنية ولغة الناشطين المختزلة وهم يكتبون على عجل، قد يجدون بعض الإشارات في هذه الصفحات تبدو غامضة بعض الشيء. ولقد رأى المؤلف والمحرر عدم تحميل

(٨) الرأي العام ـ ٢٤ مارس ١٩٤٥.
(٩) السودان الجديد ـ ٣٠ مارس ١٩٤٥.

هذه الصفحات بمذكرات تفسيرية وترك الغموض كما هو. وأنا أؤيد نصيحة المستر هندرسون للقارئ بأن يواصل قراءته مطمئناً في أنه سيدرك لبّ الموضوع والذي رغم كل شيء هو الرجل نفسه. وإذا ما وجد القارئ النص متبايناً ومتعارضاً بإرباك فهذا من طبيعة الحكومات الاستعمارية. إنه، أو كان حتى الأمس القريب، عالم أوجب على الموظفين البريطانيين في المديريات أن يعالجوا بسرعة قضايا متعددة الخصائص والعناصر لما يقرب من مليون نسمة، مسلحين بالنيات الحسنة والتعليم الكلاسيكي، بينما أولئك الذين يخدمون في الرئاسة كانوا يقومون بنفس المهام ولكن بنسبة خمسة أو عشرة أضعاف. لقد ولّى ذلك الزمان، ولكن الجديد، يجري بناؤه الآن على قواعد وضعت على هذا النمط. وقد يكون من المفيد أن ما سطره أحد أولئك الإداريين المبدعين يوماً بعد يوم دون تفكير في الأجيال القادمة، لزم أن يجمعه أحد زملائه وأن تحرره إحدى صديقاته. ويصدر هذا السجل بعد سنوات قليلة من وفاته وفي ذات الوقت الذي يتولى فيه صديق آخر منصبه ويحل بما تضمنته سياساته والتي تبدو أنها على وشك التحقيق في نشوء سلمي لسودان مستقل.

مارجري برهام

كلية نيفيلد ـ أكسفورد

يونيو ١٩٥٢

مقدمة المؤلف

إن الغرض من هذا الكتاب هو وصف التقدم نحو الحكم الذاتي خلال الربع الثاني من القرن العشرين للسودان الإنجليزي - المصري بالاستشهاد بوثائق ورسائل رجل موهوب له القِدح المعلّى في توجيه ذلك التطور. كونه موهوباً فلا شك في ذلك، فقد كتب عنه صديقه و. ب. كندي - شو يقول: «في زمن أصبحت فيه كتابة الرسائل فناً دارساً أو منقرضاً كانت خطاباته الشخصية متعة نادرة»، ولكن صورته ستظهر من خلال التقاليد المتعارف عليها لإدارة المستعمرات البريطانية. إن اختلاف إنسانيته وعلمه وبراعته عن زملائه كان في الدرجة وليس في النوع.

وبفضل التقاليد البريطانية أصبح الحكم الذاتي في جميع أرجاء العالم مقبولاً كهدف أساسي للإدارة الاستعمارية. وقد يبدو من المفارقات أن الاهتمام السياسي في المستعمرات لا ينظر أبعد من الاستقلال في وقت تدرس فيه الدول القائمة تقليص سيادتها من أجل أمنها، ولكن البشر مجبولون على التركيز على خطوة واحدة كل مرة. إن الهدف ليس صعب المنال في مجتمع متخلف، ولكن مهمة بناء دولة حديثة بحكم ذاتي لا يمكن إنجازها في عقود قليلة. إنها مهمة لا تختلف كثيراً في المبادئ حيث الخبرة المكتسبة من منطقة واحدة ستكون محدودة الفائدة. قد تختلف الأحوال ولكن تبقى المعضلات الأساسية ثابتة. الإدارة هي فن توافق السياسة مع الأحوال، وخصوصاً للحالة التي تفرضها طبيعة البشر، والتي قد تجعل أنجع الحلول غير عملية. ولذلك

فإن الحكم الاستعماري دائماً ما يكون غير منصف، وعليه لا بد من تثمين رصد الإداري للصعوبات التي تواجهه يومياً وكيف تصدى لها. جلبت الحرب مشاكل جديدة وخلقت صعوبات أخرى ولكنها لم تؤثر على المهمة الأساسية.

النقطة الأساسية في صورة نيوبولد هي الإنسانية وقد لخص كندي ـ شو شخصية نيوبولد كشخصية إنسانية مبنية على علم الإنسانيات (الثقافة) ـ وخلفية علمية عالية. وفي مقدمة العمل اليومي العناية المخلصة والعملية والرفاهية للرجل العادي، رجل الشارع، والناس الذين يأتي ذكرهم دائماً في رسائله. كان دوقلاس نيوبولد رجلاً عادياً أصبح عظيماً، بعمل مستقيم وتواضع مكّناه من التعرف على حاجة الرجل العادي مهما كان لون بشرته، وببراعة من زيادة رفاهيته بكل ما يملك من قوة».

تلك الرفاهية لا يمكن بلوغها الآن في المستعمرات، كما كان الحال في الماضي القريب تحت نظام أتوقراطي خير. كانت ثقة نيوبولد في المؤسسات الديمقراطية الغربية موضع شك للكثيرين في السودان من بريطانيين وسودانيين نسبة لسوابق مصر وسوريا وإيران، ولكن السودانيين يملكون خصالاً قد تعطي سبباً للأمل في أن يقتفوا خطوات الهند وسيرلانكا والباكستان وليس خطوات دول الشرق الأوسط الأقل استقراراً.

ك. د.د. هندرسن

الفاشر، دارفور

السودان – ١٩٥

الجزء الأول

القسم الثاني

مسطورات
MUSTORAT

الفصل التاسع

ترسانة الشرق الأوسط

١٩٤١ - ١٩٤٢

إلى لورد لوغارد — إيست قرنستد - سسكس

(غادر نيوبولد الخرطوم جواً آخر مايو) — ١٤ يونيو ١٩٤١

السودانيون، جنوداً وقرويّين ورجال قبائل، كانوا مدهشين وصبورين، وموضع ثقة، في تلك الأيام الحالكة عندما كنّا نفتقد الجنود والطائرات والمدافع، وحدودنا الطويلة بدون حماية. وقد أظهروا شجاعة وكرماً عندما بدأ القتال، فلم يبخلوا بالمال ولا بالرجال ولا بالمواد لنجدة جيش الجنرال بلات. كما نالت قوة دفاع السودان إعجاب وتقدير كل الضباط والجنود البريطانيين وفرق الكمونولث والهنود.

قُوبل تغيّب هدلستون، الحاكم العام بترحاب. هو رجل قوي وصامت مثل الجنرال ويفيل. العلاقات العسكرية والمدنية كانت جيّدة، وكذلك الحال بين الجيش وسلاح الطيران. لقد كانت فرصة عظيمة لي في معايشة تلك الفترة المثيرة ومشاهدة السودانيين يردّون الجميل أضعافاً لما قدّمه زملائي السابقون من اهتمام بهم.

كانت واقعة كرن عرضاً مذهلاً. لقد قمت بزيارة الجبال التي هاجمها رجالنا. لقد هزمنا جيشاً قوامه ٢٥٠,٠٠٠ جندي بعتاد مكتمل وبعربات مصفّحة ووقود و٣٠٠ طائرة في شرق أفريقيا في فترة تقلّ عن أربعة أشهر. بقية جيشهم يتسكع الآن في قندار وبلدة جيما ولكن بدون أمل. عندما غادرت الخرطوم يوم ٢٥ مايو لم نشاهد أي طائرة

إيطالية في الجوّ لشهر كامل. لدينا الآن ٠٠٠ , ٥٠ أسير في السودان، ومشاكل جديدة ولكنها هينة في فترة الهدوء الذي يسبق العاصفة إلى حين مواجهة هجوم من عدو أشدّ صلابة.

لقد اجتمعت كثيراً مع هيلاسيلاسي وأبنائه وموظفيه خلال الأشهر التي قضوها في الخرطوم، وقد أعجبت بهم.

أشكرك جداً على مذكرتك عن محادثتك مع (X) والتي أرجعها لك مع بعض ملاحظاتي. لا بدّ من الاعتراف أنني بالرغم من إعجابي بذكاء (X) إلا أنني لا أعتقد أنه يتحلّى بأي توجّه أخلاقي. هو يقدّم دائماً الاقتصاد أولاً، وأعتقد أنه توّاق لتحويل أفريقيا إلى مستعمرة بيضاء بدلاً من سوداء.

مارجري برهام تُحسن الظنّ به أكثر مني، أنا مُدرك لذلك، وهي طبعاً سيدة أمينة، ولكنها في رأيي غير واثقة من الحبشة. في اعتقادي أن مخاطر الاسترقاق في الماضي مُبالغ فيها. الإمبراطور يجب عليه أن يتريّث، وفي رأيي أن استقلال الحبشة يجب أن يكون هدفنا الأول، والإصلاح الداخلي يكون هدفنا الثاني.

❐❐❐

إلى لورد لوغارد | إيست قرنستد ـ سسكس

١٦ يونيو ١٩٤١

سأغادر يوم الإثنين أو الثلاثاء بدلاً من السبت غداً، وسأكتب لك حتماً من الخرطوم.

أنا مدين لك لكرمك وثقتك وصداقتك. إذا كانت لديك صورة فوتوقرافية لشخصك سأكون ممتناً إذا وقّعتها لي.

لقد أعجبت بمذكرتك عن اتحاد كينيا الفدرالي. لا أعتقد أن موين سيصرّ على تنفيذ

ذلك إذا ما اعترضت يوغندا وتنقانيكا (تنزانيا حالياً - المترجم) بشدّة - خصوصاً خلال فترة الحرب. أنا أمقت هذا الجنون الحديث لخلق مؤسسات ضخمة واتحادات وتكثيف الإنتاج. الأسباب الاقتصادية ليست غالبة، وفي هذه الحالة بالذات ليست صحيحة. إن ما نكسبه من كفاية الماكينات نخسره في التوجه السايكولوجي وضعف الروح الوطنية المحلية وفقدان الاهتمام بالأحوال المحلية وفقدان مقدرة الفرد على الاتصال بحاكمه، وفي هذه الحالة كل شيء سيخضع لتصرّفات اتحاد البيض في نيروبي.

مع أجمل تمنياتي وإلى اللقاء.

❐❐❐

وقد ردّ عليه اللورد لوغارد يوم ١٨ يوليو ١٩٤١ بما يلي:

أعتبرها رمزاً لصداقتك الأصيلة أن تجد الوقت لتكتب لي بإسهاب قبل يوم واحد من سفرك - الوقت الذي ستكون منهمكاً فيه بمشاغل عديدة.

أرفق لك مع هذا الصورة الفوتوقرافية التي طلبتها وأنا سعيد بطلبك. لقد امتنعت عن كتابة أي شيء فوق توقيعي، لإعجابي الشديد بمجهوداتك وبسياساتك، الشيء الذي أراه غير مناسب على ظهر صورة فوتوقرافية.

أنا لم أعرض مذكرتي عن اتحاد كينيا الفدرالي على موين. لقد كانت مذكرة خاصة سجّلت فيها رأيي بأنه من الخطأ أن ننادي بحكومة واحدة لكل منطقة شرق أفريقيا، والأمثلة التي سقتها عن توجهات المستوطنين البيض لا تمثّل ذرّة من اهتمامي. أنا سعيد جداً بمشاركتك لي في شعوري. أنا أعتقد أن كينيا هي وصمة في جبين الإمبراطورية ومعلم لفشل وزارة شئون المستعمرات وخوفها من تطبيق معاييرنا التي لا نفتأ نعلنها للعالم. إنها هي أساس سياستنا الاستعمارية.

إلى اللقاء آملاً أن تنعم برحلة آمنة وممتعة، مع تمنياتي لك بكل نجاح.

ملحوظة: كان بإمكاني أن أكتب على الصورة الفوتوقرافية: «تعهد بأن لا يخدم أي رئيس» كوصف لاستقلالك ونزاهتك.

إلى والدته الخرطوم ٦ أغسطس ١٩٤١

لقد كانت رحلتنا من فوينس (مدينة وميناء صغير في وسط غرب إيرلندا ـ المترجم) إلى لاغوس ممتعة للغاية. المركب الطائر، إحدى طائرات البوينق الأمريكية الجديدة، حمل ٤١ راكباً و١٠ طاقم ملاحين ـ الجملة ٥١ ـ إلى لشبونة: كان هناك ركاب من أمريكا ومن بيرو وراكب تركي وآخر بولندي وأعضاء من حركة فرنسا الحرّة وحوالى ١٢ ضابطاً متوجهين إلى مصر وإلى الهند. وقد علمت عند وصولنا إلى لشبونة أن أحد الأمريكان كان ريموند قرام سوينج ـ المذيع ـ لم أجد فرصة لمحادثته فقد غادر هو وحرمه الطائرة في لشبونة ليسافر عبر الأطلنطي إلى أمريكا. نزل حوالى ٢٠ من الركاب في لشبونة حيث مكثنا فقط ساعات الظهيرة، ثم طرنا مساءً في رحلة طويلة إلى باث هيرست (قامبيا). لقد استضافني حاكم قامبيا السير توماس ساوثهورن وحرمه على الغداء. كان معنا إثنان من القساوسة البولنديين في طريقهما لإنجلترا. الملك بيتر عبر من هنا وسمع أن هناك ندرة في البصل في إنجلترا ولذلك أخذ معه جوال بصل في الطائرة وقال لزوجته «ماذا سيقول لي الملك جورج يا ترى عندما يراني حاملاً هذا الجوال!».

ومن باث هيرست طرنا إلى لاغوس ـ كانت الأمطار تهطل بشدّة طوال الرحلة وكان الساحل الغربي يلفّه الضباب والغابات. تواصل هطول الأمطار طوال الوقت في لاغوس والتي تعطّلت فيها الطائرة مرة أخرى ولكن فقط ليومين بدلاً من ستة أيام كالمرّة السابقة. كانت هناك ضجّة في لاغوس حيث ضُربت ناقلة بترول بالطوربيد خارج الميناء، ولا أحد يدري من أين جاءت الغواصة (يحتمل من غينيا الإسبانية التي يكره حاكمها بريطانيا). قمت بزيارة بوردوليون حاكم نيجيريا مرّة أخرى، وأخذنا طائرة مدنية وكنّا ثمانية، وقضينا الليلة في كانو حيث أخذني المندوب المقيم باترسن،

وهو رجل لطيف، أخذني في جولة حول المدينة الأهلية والسوق ودعاني للعشاء. ثم قضينا ليلة ٢٩ في الفاشر في غرب السودان ووصلنا الخرطوم يوم ٣٠ صباحاً. لقد كانت رحلة مريحة برفقة طيّبة أغلبهم ضباط. كانت معنا سيّدتان في طريقهما للقاهرة، وقد أثار سفرهما مع الرجال لغطاً كثيراً في ساحل غرب أفريقيا. كانتا مترجمتين.

الحاكم العام وحرمه بخير، وغالباً يسافران جوّاً في عطلة قصيرة إلى جنوب أفريقيا في ضيافة سمتس. (هناك العديد من الطائرات التي تطير فوق مكتبي وتمنعني من التركيز).

الخطوط الإمبريالية تركت كل صوري الفوتوقرافية عن قصف لندن في إيرلندا ولكنهم أبرقوا لي وأنا في لشبونة أنهم عثروا عليها وسيرسلونها لي. أنا في حاجة إليها لأطلع الناس عليها. أتركك في حفظ الله. الحرب سائرة بطريقة جيدة وسنلتقي مرة أخرى عندما يحلّ السلام.

❐❐❐

إلى يوان كامبل الخرطوم ١٥ أغسطس ١٩٤١

لقد استمتعت برحلتي إلى الوطن، كانت مثمرة ومبهجة. والدتي كانت ضعيفة ولكنها كانت تقف على رجليها عندما وصلت. ولكن حالتها انتكست حوالى منتصف يونيو وكادت أن تموت. ولكن بعد المكوث ثلاثة أسابيع في السرير أصيبت خلالها بعدة نوبات قلبية، تحسّنت صحتها ونهضت من السرير والآن هي بخير. وإذا ما أمّنا لها العلاج الجيّد ولم ترهق نفسها فلا أرى سبباً لعدم بقائها على قيد الحياة لسنتين أو ثلاث سنوات قادمات.

إنجلترا كانت في أجمل أحوالها وقد تمكّنت من إنجاز الكثير من الأعمال في الحديقة وكذلك في المصالح المختلفة في لندن.

❐❐❐

إلى والدته الخرطوم ٣ سبتمبر ١٩٤١

أنا متأسف لانقطاع مراسلاتي. لقد كتبت لك خطاباً مطوّلاً بعد أيام من عودتي إلى الخرطوم. ثم تراكم علينا العمل حيث لدينا عجز كبير في المكتب ـ فقط أربعة موظفين بدلاً من تسعة، والعمل يتزايد والزيارات لا تنقطع، ثم سفر الحاكم العام في عطلة يوم ١٧ أغسطس.

لقد ذهب لقضاء ثلاثة أسابيع في بريتوريا مع الجنرال سمتس وسيعود قريباً. الحاكم العام سمتس وحرمه والجنرال فان رينغولد ـ نائب سمتس، والسيدة مور حرم حاكم كينيا، جميعهم غادروا قبل أسبوعين مستقلين طائرة جنوب أفريقية ضخمة. لقد كنت في غاية الفزع خوفاً من حدوث شيء حيث إن حمولة الطائرة كانت قيّمة للغاية. سمتس وحرمه حضرا من القاهرة وسبق لهما المرور بالخرطوم في طريقهم إلى القاهرة. لقد اجتمعت مع كليهما مرّات عديدة، وكلاهما في عامه الـ٧١ وقد تقابلا أثناء دراستهما في الجامعة. لقد تحادثت معهما مطولا. حرمه قصيرة وقوية ويشتعل رأسها بالشيب وطبيعية وتَحْبك أينما كانت. أخبرتني عن أولادها وحفدتها ومزرعتهم وأبقارهم، وأن زوجها لا يتوقّف عن العمل ولا يأوي إلى فراشه باكراً أبداً. لقد أخبرتها عنك وعن أسرتك الكبيرة وقد طلبت مني أن أبلغك تحياتها وتهانيها كونك جدة لأبناء أحفادك. إنها في غاية اللُّطف وستعجبين بها جداً. وهي قد سألت الجنرال بلات إذا كان يفرض على جنوده قراءة الإنجيل قبل خوض المعارك كما يفعل البوير (سكان جنوب أفريقيا البيض من أصل هولندي ـ المترجم). علمت أنها تركت أثراً حسناً في القاهرة. وهي لم تغادر جنوب أفريقيا قط قبل هذه الرحلة. إنها ملمة بدرجة كبيرة باللغة الإغريقية وقد قرأت الإنجيل كله باللغة الإغريقية.

صوري الفوتوقرافية عن لندن بعد القصف قد وصلت أخيراً وأنا أجري عمل لمعرض لأجمع بعض المال لعمدة لندن. فرقة الخرطوم المسرحية مثّلت مسرحية «غياب المتهم من مسرح الجريمة» لمدة عشر دقائق وجمعت ٢٠٠ جنيه لصندوق عمدة لندن.

ليس عندي مخاوف الآن ما دامت الحرب في شرق أفريقيا قد انتهت. ولكن

المشكلة الآن هي في النقص الحاد في الموظفين الإداريين وليس لدينا احتياط لمواجهة أي إصابات أو تقاعد. أمس علمت أن جاك ولسون - أحد مفتشي المراكز الشبّان في مديرية أعالي النيل - قد أصيب بطعنة حربة من أحد أفراد قبيلة الدينكا في المستنقعات في منطقة نائية. لقد تمكّنا من توصيله إلى ملكال وطلبت من سلاح الطيران الملكي أن ينقلوه بالطائرة إلى الخرطوم. أعتقد أنه سيعيش. لقد كان جرحه غائراً، حوالى أربع بوصات، وقد أخطأ الكلية لحسن الحظ. لقد تنفّسنا الصعداء لأننا حسبناه في عداد الموتى. إنه شاب لطيف، ولا يمكنني فقدان أي مفتّش مركز آخر.

بالنسبة للفرقة السودانية التي ذهبت إلى المكسيك في عهد مكسمليان، لقد بحثت في كتب عربية وغيرها وعلمت أنها كانت كتيبة مكوّنة من ٤٥٣ ضابطاً وجندياً وأغلبهم من كردفان وتابعين للفرقة (١٩) مشاة.

لقد مكثوا في المكسيك من فبراير ١٨٦٣ إلى فبراير ١٨٦٧ في أو بالقرب من مدينة فيراكروز أغلب الوقت. وفي تلك الفترة خاضوا ٤٨ معركة ضد المكسيكيين ويبدو أنهم أبلوا بلاءً حسناً. وقد أنعم المارشال فوري على بعضهم بنياشين في استعراض عسكري ضخم في مدينة مكسيكو يوم ٢١ يونيو ١٨٦٣ عندما شكّلوا حرس الشرف بعد احتلال المدينة. وفي ٣٠ ديسمبر ١٨٦٥ رافق ثلاثون منهم حاكم فيراكروز لمقابلة الإمبراطورة في طريقها إلى يوكتان وأطلقوا نيران بنادقهم تحية لها في فيراكروز. وقد أبلغت الإمبراطورة ماكسمليان عن حُسن تنظيمهم وقام ماكسمليان بزيادة أجرهم اليومي بـ٥ ,٣٣ سنتيم (ما يعادل ثلاثة قروش).

الكونتسا باولا كولنيتز، إحدى وصيفات الإمبراطورة، (هذا من كتاب فوقل الصادر عام ١٩٣٥ بعنوان «منشورات مكتب الصحة العامة الدولي») سافرت في نوفمبر ١٨٦٤ من فيراكروز الى مدلين (لا أدري أين تقع هذه المدينة؟) - [أستغرب لعدم معرفة نيوبولد لمدينة مدلين بالرغم من معرفته الموسوعية، حيث هي عاصمة إقليم في دولة كولمبيا في أمريكا الجنوبية وتبعد ١٥٠ ميلاً من العاصمة بوقوتا]. وفي الزمن الذي حرّر نيوبولد خطابه هذا كان عدد سكانها يربو على ربع مليون نسمة،

وكانت مشهورة بمناجم الذهب والفضّة التي كانت تصدّر منها كميات ضخمة، كما كانت أيضاً مشهورة بتصدير البن والجلود. أما في النصف الثاني من القرن العشرين فأصبحت مشهورة بزراعة الخشخاش الذي يصنّع منه الأفيون وأصبحت أكبر مركز لتصدير الأفيون - المترجم]. تقول إنها سافرت بحراسة جنود سودانيين. وقد ذكرت هي بأنهم كانوا طوالاً في قاماتهم وتغلب عليهم النحافة ويلبسون العمامة والزي الأبيض - كما تقول إن أولئك السُمر من أبناء أفريقيا تحمّلوا طقس ساحل المكسيك المشبع بالأوبئة بدون مشاكل. هل سمعتِ قبلاً عن هذه السيدة؟

لقد أبرقتك بخصوص التواريخ التي كان فيها الوالد في المكسيك لأنه من الجائز جداً أن يكون قد شاهد أولئك السودانيين. يا ليتنا استطعنا سؤاله متى سافر إلى المكسيك؟ لقد أرسلت خطاباً بالبريد الجوي إلى قنصل بريطانيا في المكسيك مستفسراً إذا كانت هناك أي مقابر أو أثر للسودانيين في فيراكروز. يقال إن أحدهم كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» على عتبة الكنيسة في «قومز بلاسيو». الكتاب العربي لا يفيد أين يوجد ذلك المكان، هل تعلمين؟ يحتمل أن يكون في فيراكروز... كذلك كتبت للقنصل أن يحاول مقابلة الكولونيل العجوز خافيير لاناس وعمره الآن ٩٧ سنة وصورته كانت في مجلة «لايف» وكان قد حارب في بويبلا ليسأله إذا كان قابل السودانيين.

أرفق لك صورة لزوجة سمتس مع ظبي صغير من جنوب أفريقيا، إذا لم تشاهدي صورتها من قبل ويطلق عليها اسم «أوما» ويعني بلغة البوير الجَدّة. من الغريب أن خلفية الصورة تظهر بعض الضباط البريطانيين الذين أسروا في سوريا ثم أرسلوا إلى فرنسا ثم ألمانيا. وقد استرجعناهم بموجب اتفاقية تبادل الأسرى حيث كنا نحتجز الجنرال دنتز أسيراً. من بين أولئك الضباط تظهر صورة المقدم دنيس أور الذي كان يقود وحدة من قوة دفاع السودان في كسلا. وقد ذكر أن ضباط وموظفي حكومة الفيشي عاملوهم أسوأ معاملة، ولكن الشعب الفرنسي كان يهتف بحياتهم، وأن الألمان عاملوهم معاملة حسنة. وقد كان حرسهم الألماني في القطار يعزف لهم على

الهارمونيكا ليرفّه عنهم. لقد كان غداؤهم أثناء إقامتهم في فرنسا رديئاً للغاية وكان عبارة عن حساء الكرنب والجزر الذي لا يصلح لغذاء الجيش الفرنسي.

إلى أ. ب. ب. هاول الخرطوم ٤ سبتمبر ١٩٤١

الوزير (ليتلتون) يقوم بممارسة عمله في القاهرة. هو يرأس مجلس حرب الشرق الأوسط الذي يجتمع أسبوعياً ويتكوّن من ثلاثة قادة (جيش البر وبحرية وسلاح طيران)، والسفير وجنرال بدون أعباء، عندما يكون الاجتماع في القاهرة يكون بحضور سمتس وكورنوالس وماكمايكل وقائد جيوش شرق آسيا وحاكم مالطة وحاكم قبرص أ. ن. رِكر من وزارة الصحة والذي كان سكرتيراً خاصاً لشيمبرلين، هو مدير مكتب ليتلتون ويقوم بمهام سكرتارية المجلس. رِكر كان عبر عن طريقنا وأعتقد من المصلحة أن يكون هناك اتصال مباشر معه.

الترتيبات لمدّ خطوط السكك الحديد السودانية إلى الشلال وضعت والمرحلة الأولى حوالى ٦٠ ميلاً إلى توشكا تم التصديق عليها لتفادي المناطق الضحلة. كما تعلم فإن ازدحام ميناء السويس وقابليته للسقوط في يد الأعداء ضاعف من أعباء خط بورسودان ـ حلفا ـ القاهرة، وأدوات النقل الحربية والطائرات تصل بالبواخر بأعداد كبيرة ليتم تجميعها في بورسودان ثم ترحيلها عبر ذلك الخط. نحن في حاجة أكبر لعربات وقاطرات.

وعليه فإن مجهود السودان الحربي أصبح الآن التركيز على نقل الطائرات والعربات والذخيرة والمؤن بطريقة آمنة وسريعة. لا ندري مدى إمكانية توسيع النقل النهري، ولكننا مجتهدون لزيادة البواخر حيث هناك ازدحام في جوبا في الوقت الحاضر. لقد تسلمنا بعض البواخر البلجيكية.

مصلحة الإمدادات الحربية الجديدة تم إنشاؤها وأول اجتماع لها سيكون اليوم.

احتياجاتها من الموظفين كبيرة للغاية ولكن تلك التراخيص وخلافها تحتاج لعدد كبير من الكتبة. لا بد لهم من تعيين موظفين من بريطانيا وكذلك الحال بالنسبة لمصلحة السكك الحديد.

لقد وصلت إلينا أول دفعة من سلاح المرأة ـ عشرون من جنوب أفريقيا للخرطوم وعدد قليل من بريطانيا لبورسودان. إمكانية توفير السكن والغذاء وخلافه في بورسودان للجيش والبحرية وسلاح الطيران الملكي، وفي حلفا لأفراد الجيش الأمريكي محدودة للغاية ولا بدّ لنا من مبانٍ أخرى في المنطقتين. كانت هناك ٦٠ حالة ضربة شمس في بورسودان تسببت في عدد كبير من الوفيات.

قوة دفاع السودان عادت بأكملها تقريباً إلى السودان ما عدا الوحدات التي تحمي الكفرة وعدد قليل ما زال في شرق أفريقيا الإيطالية. قندار ما زالت تقاوم. لم تصل إليّ أي أخبار تذكر من أديس أبابا.

إلى مارجري برهام الخرطوم ٦ سبتمبر ١٩٤١

كامبل (مدير كردفان) قام بإعداد خطّة جيدة لقيام مجلس مديرية كردفان مكوّن من ٦ من كبار النظّار وبعض المثقفين والأعيان. أنا معجب بالفكرة وراء ذلك.

كما أقام جفري هكسورث مجلساً بلدياً لمدينة الدويم داخل نطاق الحكم الأهلي للمنطقة ـ أي ليس على أساس منطقة منفصلة، وأنجز ذلك بطريقة جيدة. ولكن المجلس يتضمّن جهازاً انتخابياً، وهذا سينجح في الدويم ولكنه سيكون سابقة حرجة بالنسبة لأم درمان. هل يظهرني ذلك جباناً؟ يا ليت هيلي ولوغارد وأنت هنا معي. أنا مشغول جداً بشئون الحرب وليس لدي الوقت الكافي للاهتمام بالشئون الداخلية.

تم تحويل قيادة إدارة أراضي العدو المحتلة هذا الشهر من السودان إلى قيادة شرق أفريقيا ـ أي تحت قيادة متشل سياسياً وجنرال بلات عسكرياً.

يجري ترحيل أسرى الحرب الطليان من عندنا بحراً إلى الهند رويداً رويداً، وقد انخفض عددهم من ٢٥,٠٠٠ إلى ١٦,٥٠٠. نرجو أن نرحّلهم جميعاً من السودان بنهاية ديسمبر القادم. ما زال لدينا ١٦,٠٠٠ أرتري ونحن نعمل على إزعاج إدارة المناطق الأرترية المحتلة لترحيلهم إلى قراهم مرّة أخرى. هذا بالإضافة إلى ٧,٠٠٠ أثيوبي سيتم ترحيلهم قريباً.

التحرّي عن ميزانية رجل الشارع السوداني برهنت أن الغذاء يشكل ٦٧٪ من صرفه وإن الملبس يشكّل ١٧٪. عجيب!

التعليم في تطوّر وكل ما يعوقه هو تنازلنا عن أفضل مباني مدارسنا للجيش (لم يكن هناك مفر ومع ذلك فقد أثّر ذلك سلباً). أرجو أن تذكري أننا افتتحنا أول مدرسة وسطى للبنات قبل سنة ونصف فقط، نحن نجاهد الآن لبدء حصص كورسات تمريض فيها.

إلى أ. ب. ب. هاول ١٦ سبتمبر ١٩٤١

وصل الحاكم العام وحرمه الخرطوم من بريتوريا يوم ٧ سبتمبر على متن طائرة سمتس اللوكهيد. وقد انتهزت فرصة عودتها لأستقلها إلى نيروبي في اليوم التالي لمقابلة فيليب متشل لأتباحث معه في عدد من الأمور الخاصّة بإدارة أراضي العدو المحتلة. قضيت خمسة أيام في كينيا وتجوّلت فيها بعض الشيء وقابلت عدداً من الناس وقرأت كل ملفّات أثيوبيا وأرتريا. بعض الموظّفين السياسيّين يبدو عليهم القنوط، كما أن الإمدادات يتعذّر وصولها بسبب مقاومة جيبوتي التي طال أمدها وعدم إمكانية استعمال الميناء.

الحاكم العام وأنا سمعنا أمس فقط من رئاسة الجيش في السودان أن إحدى فرق قوة دفاع السودان قد أضربت عن العمل في الكفرة يوم ٢٨ أغسطس بسبب عدم

منحهم عطلة. حقيقة كان المفروض أن يمنحوا عطلة بعد الحرب الصعبة في أثيوبيا، ولم يزوروا أسرهم منذ أوائل ١٩٤٠ حيث تم تجنيدهم في شندى وسنجة على ما أعتقد، ولكن لسبب أو لآخر لم تتمكّن الرئاسة من منحهم عطلة. وقد أعيدت الفرقة إلى أتبره وهناك تحقيق جارٍ الآن. إنه من المؤسف حقاً، حيث قوة دفاع السودان قد أبلت بلاءً حسناً، وخصوصاً هذا الفوج الذي يقوده باوستد. الضباط البريطانيون العاملون في قوة دفاع السودان قليل منهم يتحدّث العربية أو يحسن التعامل مع العرب. أما وليام بلات وسكوبي فمعظم وقتهما يقضيانه في رئاسة الجيش في أسمرا وليس لديهما قيادة مؤهلة أو كافية في الخرطوم.

جاك ولسون تماثل تماماً للشفاء من طعنة الحربة والآن يمشي بدون مشاكل.

❒❒❒

إلى أ. ب. ب. هاول — الخرطوم ٢٧ سبتمبر ١٩٤١

يزيد الضغط على الميناء وعلى السكك الحديدية يومياً، وبورسودان مكتظّة بحاويات العربات للشرق الأوسط والمؤن للجيش ولسلاح الطيران الملكي. كذلك هناك مدمّرة وغواصة أغريقية وأتوقع أن تنهال طلبات سلاح البحرية الملكية علينا. بورسودان بالكاد يمكنها تلبية احتياجات الجيش وسلاح الطيران الملكي والمشحونات المدنية، ولكنها لن تتمكّن من تلبية طلبات أخرى من سلاح البحرية. لحسن الحظّ لم تصل إلينا أي طلبات منهم بعد ولو أننا نسمع شائعات نسبة لخطورة موقف الإسكندرية.

أشير لخطابي بتاريخ ٤ سبتمبر، المسح لمدّ خط سكك حديد حلفا ـ توشكا أظهر أن مدّ الخط بمحاذاة النهر أو بمحاذاة الجروف يتطلّب عمل ميلانات وقطع مكثّف للصخور. والآن تقرر أن يمتدّ الخط رأساً من محطة نمرة ٢ عبر الصحراء إلى توشكا، وعليه فهم الآن يقومون بعمل المسح اللازم. ولكن ذلك لن يتم قبل ميعاد انحسار النيل. من المحتمل أن يوفّر الجيش المهندسين وتوفر السكك الحديدية العمال.

البان أميركان لم تصل بعد ومتوقع وصولها في منتصف أكتوبر.

إلى أ. ب. ب. هاول الخرطوم ٧ أكتوبر ١٩٤١

بلات غادر جواً إلى لندن عن طريق لاغوس يوم ٤ أكتوبر، وبرسفورد-بيرس، والذي أعجب به كثيراً، بدأ في ممارسة عمله خلفاً له. من الصعب عليه أن يبدأ قيادته بمشاكل في قوة دفاع السودان. أضربت فرقة ثانية من قوة دفاع السودان في الكفرة ويبدو لنفس الأسباب - عدم منحهم عطلة. ولم أسمع بعد عن نتيجة المحاكمة العسكرية الأولى. إنه شيء مزعج، فهو من الناحية الفنية يُعدُّ تمرّداً. هذه ثالث حالة - الأولى في أسمرا في يونيو وأخرى في الكفرة في آخر أغسطس، والأخيرة في الكفرة الأسبوع الماضي. إنه لمؤسف وغريب حيث أن قوة دفاع السودان أبلت بلاءً حسناً في أرتريا والحبشة، ولكن كما قال لورانس عن العرب: «أحياناً يبدو أن التضارب وعدم الانسجام الكلّي يتقمّصهم جميعاً - إنهم شعب متشنّج وثوري، معتقداتهم غريزية ونشاطهم حدسي». قد تتفاقم الأمور، وهي وليدة ردّة فعل حملة الحبشة، وعدم التمييز بين دورية قصيرة الأجل وحرب طويلة المدى، وحنينهم إلى أسرهم وبلداتهم. ولكن قد يقود ذلك إلى مخاطر وسيتطلّب عملاً رادعاً، الشيء الذي سيسيء إلى سمعة السودانيين ويفرح المطبلين لدول المحور.

هذا الأمر يزعجني وخصوصاً أن هناك تململاً بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة، والذي ارتفع مستواه إلى ١٣٩ نقطة (إذا أخذنا عام ١٩٣٨ بمثابة ١٠٠ نقطة) ولكنه قد ينخفض قليلاً. عمال الترام في مصر دخلوا إضراباً وقد يلحقهم عمال السكّة الحديدية، وهي تحاول إرضاء المضربين بإعطائهم ١٠٪ علاوة حرب للعمال الذين تصل رواتبهم إلى ١٠ جنيهات أو أقل في الشهر. سيكلّفهم ذلك حوالى مليون جنيه ولكن العمال طالبوا بضعف ذلك، وقد يتحصّلون عليه إلا إذا أظهر سري باشا صلابة. قد نجابه بعض المشاكل في أتبره أو في مصلحة الأشغال العامة أو مصلحة الكهرباء والطاقة.

الفوضى بدأت في غرب أثيوبيا، وهناك أحدهم يدعى الرأس ثيودور ياسو ريمو يدّعي أنه إمبراطور بالقرب من قمبيلا. في نفس الوقت فإن مسودة الاتفاقية المؤقّتة بين بريطانيا والإمبراطور والتي كان يتفاوض بشأنها متشل يبدو أنها تجاوزت كل المصاعب، وعند التوقيع عليها يجب أن يكون هناك استقرار إداري أفضل في أثيوبيا.

استسلام ولشيفيت وأسر ٧٠ ضابطاً و٣٠٠٠ جندي يوم ٢٧ سبتمبر يجب أن يسرّع في سقوط قندار.

❐❐❐

إلى أ. ب. ب. هاول　　　　الخرطوم ٢٤ أكتوبر ١٩٤١

الإمبراطور وافق أخيراً أن يرسل الرأس سيوم إلى منطقة التقراي سريعاً. الأوضاع في منطقة قور ـ سايو سيئة.

دالاس، أحد كبار الموظّفين السياسيين أرسل إلى أديس أبابا ليتصدى لثيودور ياسو بمساعدة آخر كتيبة بلجيكية كانت قد أبقيت هناك. ثيودور هو ابن غير شرعي لليج ياسو. ومن ناحية الغرب في أدولا اغتيل زعيم كبير من الجمجام خارج منزل المسؤول السياسي بسبب معارضته للأمهرا ومساندته البريطانيين.

محصول الحبوب، بخلاف ما كان متوقعاً، غير جيّد، ولكنه ليس سيئاً ـ يكفي للاحتياجات المحلية ولكنه أقلّ من أن يوفّر فائضاً للتصدير كما كان الأمل.

❐❐❐

إلى ر. س. مايال　　　　الخرطوم ١٣ نوفمبر

(خلف هاول كوكيل لحكومة السودان في لندن)

بالإشارة إلى خطابي السابق، تم تحويل بورسودان كمحطة بحرية تابعة لقيادة شرق المحيط الهندي إلى قيادة البحر الأبيض المتوسّط، وأصبح الضابط المسؤول عن قيادة

البحر الأبيض المتوسط هو العميد البحري هاليفاكس، وهو الرئيس المباشر لهوايت هاوس. وقد تم تحويل عمله الآن من عدن إلى السويس.

تم اعتقال الأمبراطور المدعو ثيودور (أثيوبيا) وأتباعه بالقرب من سايو، ولذلك نتوقع أن تهدأ الأحوال هناك. تم إحباط عملية اغتيال للأمبراطور هيلاسلاسي بواسطة اثنين من الطليان المسلحين في ٢١ أكتوبر، كما كانت هناك اضطرابات في منطقة دناكيل.

ليس هناك من جديد من قندار أو جبوتي ولكن لا بد لهما من السقوط. قندار محاصرة ولكن ناسي ومارتيني قد تقاومان، ولديهما نقاط حدود محصنة غرب شيلقا وشمال شرق قندار وشرق بحيرة تانا.

لقد قررنا، في حالة عدم رفع الحكومة البريطانية وإدارة المستعمرات لسقف التقاعد، أنه يتسنى لنا عمل ذلك هنا في الوقت الحاضر. (شخصياً أفضل أن نلغي السماح بالتقاعد في سن الـ٤٨، ولكني أمثّل الأقلية). وبما أن وزارة المستعمرات لا تضغط على الموظفين الذين يرغبون في التقاعد، في الاستمرار في العمل، فيشعر الحاكم العام أنه عاجز عن استعمال صلاحياته للإبقاء على الموظفين في سن الـ٤٨ إلى الـ٥٠ في الخدمة، خصوصاً أن عقود عملهم تسمح لهم بالتقاعد. هناك عدد كبير من الموظفين لا يدينون بالولاء لحكومة السودان كما يدينون للحكومة البريطانية، ولذلك نحن نحتاج لتصريح (يا حبذا من تشرشل، وإلاّ فمن وزير الخارجية) يناشد فيه موظفي حكومة السودان البقاء في أماكنهم لأن ذلك يخدم مصالح بريطانيا أثناء هذه الحرب، وذلك إذا رأت حكومة السودان أن تجدد لهم خدمتهم. وهذا ينطبق أيضاً على الفنيين غير الإداريين في الزراعة والمواصلات والهندسة وغيرها، لأنه ليس في استطاعتنا استبدالهم. نحن نرغب في مساعدة إدارة الأراضي تحت الاحتلال، والعراق، وسوريا، وخلافهما، ولكن كادرنا الإداري قد تقلص كثيراً، ولن يكون في مقدورنا تلبية طلبات الجيش والطيران والبحرية الباهظة في الشرق الأوسط. لا بد أنهم يعتقدون أن الحرب ما دامت قد انتهت مع أثيوبيا فإن السودان أصبح خارج الحرب.

إن مسؤوليات مكتبي الحربية قد زادت عما كانت عليه في الماضي، فنحن قاعدة للشرق الأوسط، ومستودع إمدادات ورجال إلى شرق أفريقيا الايطالية، وملتقى طرق حيوية للطائرات والعربات والإمدادات وخلافه إلى القاهرة من الغرب (أميركا عن طريق لاغوس)، ومن الشرق (بورسودان ـ الشلال)، ومن الجنوب (جوبا ـ الشلال)، ونقوم نحن بحراسة الكفرة، ونوفر مدرسة طيران وثلاثة أو أربعة مراكز تجميع وإعداد لسلاح الطيران الملكي، بالإضافة لاستضافة خطوط البان أميركان، ومضاعفة قوة دفاع السودان لأربعة أضعاف، وحماية بعض الأسطول الإغريقي. كل ذلك يزيد من أعباء الإدارة المدنية. يمكننا أن نستمر في دعم المجهود الحربي ولكن فقط إذا كان لدينا الجهاز الكافي. قيادة الشرق الأوسط تقوم بسحب كل الضباط البريطانيين والوحدات التي في مقدورها سحبها مثل سلاح الإشارة وسلاح المهندسين وسلاح المهمات (الجنود تم سحبهم منذ مدة طويلة). هذا يعني أن مصالحنا المدنية يجب أن تتحمل أعباء عسكرية أخرى: مثلاً مصلحة البريد والبرق لسلاح الإشارة والطيران الملكي، ومصلحة الأشغال العامة لسلاح المهندسين الملكي، ومصلحة المخازن والمهمات لسلاح المهمات الملكي، ومصلحة البيطرة لترحيل الحيوانات، والخطوط الجوية السودانية لترحيل وحدات الجيش.

إلى ر. س. مايال الخرطوم ٢٧ نوفمبر ١٩٤١

ما زال هناك نقص كبير في موظفي الإدارة في الشرق الأدنى خصوصاً في سوريا، كما أن عدم وضع سياسة بالنسبة للقوة البشرية في القاهرة كان شيئاً يؤسف له خصوصاً بعد أن أصبحت القاهرة مقر قيادة العمليات. ولكن بدأت محاولة للتخطيط عندما تمت الموافقة على مقترح من القيادات الثلاث على سحب ٢٠ من ضباط وحداتهم لتدريبهم على مهام سياسية أولاً في سوريا ثم في ما بعد في منطقة الشرق الأدنى، والتي قد تحتاج لهم في فترة ما بعد الحرب الحرجة. هذه فكرة عظيمة ولو أنها أتت متأخرة

سنة كاملة. لقد طُلب منا أن نعطيهم أولوية في الاختيار بعد الحرب ولكننا رفضنا أن نعطي أية ضمانات، ولكن إذا أحسن اختيارهم وتدريبهم فسيكونون مرشحين مناسبين.

المراكز الأمامية لقندار تتساقط تباعاً. الطليان ظلوا يسيطرون على مساحة واسعة غرب وجنوب غرب وجنوب قندار طوال فترة الأمطار بحوالى ٦٠ ضابطاً و١٥,٠٠٠ جندي نصفهم طليان ونصفهم أثيوبيون. وقوتنا كانت ٧٠٠٠ جندي (قوة دفاع السودان والسلاح الملكي الأفريقي) بالإضافة لحوالى ٣٠,٠٠٠ من الأحباش من ذوي الكفاءات المختلفة، وبعض المدافع وسلاح الطيران الملكي وطائرات من سلاح طيران جنوب أفريقيا. اشتدت المعارك خلال الأسبوعين الماضيين وقد مُنيت وحدة قوة دفاع السودان المكونة من ١٢٠٠ جندي بقيادة العميد قيفورد بك ونائبه جون ريدي بحوالى ٧٠ إلى ٨٠ إصابة. كما قتل البمباشي نورمان بوير يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤١ وقد كان يعمل في واو لعدة سنوات.

الاستيلاء على واحة جالو في الحملة الليبية يجب أن يزيل الخطر عن الكفرة ولكنني قلق من الخطر الجديد الألماني على شمال أفريقيا الفرنسية. إذا استسلمت مستعمرات حكومة الفيشي فستصبح مستعمرة النيجر قاعدة مهمة للعدو لمهاجمة طريق غرب أفريقيا، لأن زندر مجاورة لكانو ومايدوقري وفورتلامي. ولكني آمل أن تدخل الولايات المتحدة الحرب آنذاك. نحن على اتصال وثيق مع تشاد بواسطة مور ودي كندول، وأنقلسون سيقوم بزيارة رسمية إلى فورتلامي في ديسمبر. إن الانحياز الطبيعي من أغلب الجنود وعدد كبير من المدنيين ضد فرنسا الحرة (تعززه القلاقل في سوريا) قد حجب الفائدة العظيمة للحلفاء من قرار المسيو أبويَّ في عام ١٩٤٠ عند انحيازه إلى ديغول، ولولا ذلك لاضطر سلاح الطيران الملكي والطائرات الأميركية من عبور البحر للوصول لليبيا. يستحق أبويَّ أن يكافأ بمنحه وسام فارس من رتبة القديس مايكل والقديس جورج.

ملحوظة: ٢٨/ ١١: لقد بلغني الآن أن قندار قد استسلمت.

إلى ر.س. مايال الخرطوم ٨ يناير ١٩٤٢

أثيوبيا وأرتريا:

منذ خطابي بتاريخ ٢٧ نوفمبر، سقطت قندار (اشترك في القتال ١٠٠٠ من قوة دفاع السودان) وعليه فقد انتهت الحرب في شرق أفريقيا الايطالية بفوزنا. ولكننا خسرنا السلم في أثيوبيا. لقد فهمت من الجنرال بلات ورنل عند عودتهما من إنجلترا أن الاتفاقية بين متشل والأمبراطور والتي صيغت بجهد كبير قد تم تمزيقها واستبدلت بها أخرى لم نعلم بتفاصيلها بعد، ولكني سمعت بأن إدارة أراضي العدو المحتلة ستحل وأن وزيراً مفوضاً (ر. ج. هاو) سيعين في أديس أبابا، وأن الـ ٣٨,٠٠٠ إيطالي المقيمين في أثيوبيا سيرحلون في يونيو القادم، وأن الجيوش البريطانية ستسحب (أي جيش جنوب أفريقيا والسلاح الملكي الأفريقي وخلافهما). هذا يعني العودة إلى حالة ما قبل ١٩٣٥، وهذا بالطبع يتماشى مع وعدنا للأثيوبيين بالاستقلال. ولو أن تنفيذ الوعد تم بطريقة مباغتة وقاسية. كل الإداريين البريطانيين تم سحبهم من الحدود مما تسبب في نشوب القتال في عدة أماكن خصوصاً شرق قمبيلا التي هاجم فيها الأثيوبيون بالمدافع الرشاشة مركزاً لشرطة إدارة أراضي العدو المحتلة في قوري.

قد يجوز لاعتبارات سياسية أن لا ينتقص استقلال الأمبراطور وأن لا يبدو منتقصاً. أنا في صف الأمبراطور وإنجلترا قد خذلته عام ١٩٣٥ ولكنها الآن أنصفته وأنا من دعاة مناصرته، ولكن يجب عليه أن يكبح جماح مديري مديرية الأمهرا وغيرها حتى لا يعجلوا بحرب أهلية.

ولو أني أدرك أن الأمبراطور يستحق استقلاله وبجدارة وأن إدارة أراضي العدو

المحتلة في أثيوبيا هي وضع شاذ مؤقت يجب تصفيته سريعاً، إلا أن الوزير المفوض في أديس أبابا سيجد صعوبة قصوى في أداء عمله، وعندما تتقدم له الحكومات المجاورة (السودان وكينيا وأرتريا والصومال) بمطالب عن التجارة، أو اللاجئين، أو مشاكل الحدود وخلافه، سيكون من الأسهل له ولنا إذا كانت القنصليات الغربية (في الحبشة) قد أعيدت مرة أخرى. يجب أن لا ننسى أن الأمر لا يقتضي فقط الرجوع للوضع الذي كان عليه بعد ١٩٣٥ لأن الظروف قد تغيرت كثيراً. المناطق الخارجية أصبحت في ثورة والوطنيون أصبحوا أثرياء ومزودين بالأسلحة بما فيها الرشاشات. كما أن الخدمة المدنية الأمهرية قد أبادها الطليان. أملي أن يحتفظ الأمبراطور ببعض ضباط الشرطة البريطانيين (قوة شرطة لايدلو هي أفضل ما في إدارة أراضي العدو المحتلة) وأن يستبدل بالضباط الإداريين بعض القناصل.

ليس هناك جديد من أخبار محلية. مدرسة الدراسات فوق الثانوية لنواب المآمير والشرطة بإشراف بيرفس مرغوب فيها وقد أكملت عامها الأول بنجاح. كذلك يجري تكوين مجالس المدن، وكامبل أعدَّ مسودة لمشروع مجلس لمديرية كردفان. سيعقد مؤتمر كبير عن التعليم في الجنوب - في ملكال - بين الحكومة والإرساليات في فبراير. وقد قمنا بإعداد سجل جديد لمطاراتنا الفرعية واستغنينا عن بعضها نسبة لطول المسافات التي تقطعها الطائرات والحاجة إلى مدرجات أطول. كذلك نسعى للتعاقد مع خبير من نياسالاند (ملاوي - المترجم) لدراسة مشروع خزان في خور أربعات بالقرب من بورسودان، ولتحسين إمدادات مياه كردفان. لدينا مشروع جديد لتجفيف اللحم في التونج لإمداد سلاح الاستوائية والسجون وخلافه. وقد تم تحسين عدد من الطرق بواسطة سلاح المهندسين الملكي ومصلحة الأشغال العامة لأغراض استراتيجية.

إلى ر.س. مايال الخرطوم ٩ فبراير ١٩٤٢

الغرب وفرنسا الحرّة:

مع تقدم روميل أصبحت الكفرة، والتي تجري حمايتها كما تعلم، في دائرة الضوء مرة أخرى. قصفت طائرة ألمانية هويتها مجهولة مطار فورتلامي ولكنها لم تسبب أضراراً للمدرج ودمرت ٩٠,٠٠٠ جالون بنزين. رُحلت بعناء باللواري من نيجريا. أنقلسون وحرمه قاما برحلة رسمية إلى فورتلامي براً في الأيام الماضية لزيارة المسيو لابيه حاكم تشاد ورجعا جواً. وقد أحسنوا مقابلتهما واحتفوا بهما وشاهدا كل شيء. المسيو أبويَّ حاكم عام أفريقيا الاستوائية الفرنسية مستمر في إصدار مذكرات يومية عن الحكم الأهلي والتعليم ونشاط المصالح وخلافه، وأنا أقوم بترجمتها للإنجليزية لنشرها في مجلة السودان في رسائل ومدونات. لقد تمكن من بعث روح جديدة ضد انهزامية حكومة الفيشي وسياسة فرنسا الاستعمارية المبنية على نظريات غير قابلة للتطبيق. وقد تحولت أفريقيا الاستوائية الفرنسية من كيان عديم الجدوى إلى كيان فاعل.

التواصل بين السودان وغرب أفريقيا (سياسياً وعسكرياً) لم يكن كافياً طوال فترة الحرب. لقد أخبرت أنتوني إيدن بذلك عندما كان هنا. الوضع أفضل نوعاً ما الآن. تمثل أفريقيا الاستوائية الفرنسية أرضاً معلّقة بين قيادة غرب أفريقيا وقيادة الشرق الأوسط، وإذا ما سمح دارلان بالمزيد من سلاح الطيران الألماني ومن لجان الهدنة فقد تصبح النيجر قاعدة تشكّل خطورة. إنها مشكلة عسكرية أكثر من أن تكون مدنية، ولكننا يجب أن نتعاون جميعاً. لهذا فقد شجعت أنقلسون على الزيارة ولنتلقى معلومات أكثر من غرب أفريقيا عن أهداف ونوايا الفيشي.

غادرت آخر الجيوش البلجيكية غرب الحبشة قبل فترة قصيرة عن طريق قمبيلا وملكال إلى الكنغو. وقد تأخر رجوعهم إلى أن تجفّ الطرق الوعرة في مديرية أعالي النيل. ودعناهم باحتفال كبير وبحرارة. وقد سافر ضابط اتصالهم اللطيف إلى ليوبولدفيل.

أثيوبيا رجعت لحالتها السابقة بعد تصفية إدارة أراضي العدو المحتلة (وهذا شيء محزن ولكن في رأيي أمر لا مفر منه نسبة لوضعها الشاذ ولكراهية الإمبراطور لها). هناك الكثير من القلاقل، ولكن إذا حزم الإمبراطور أمره وكبح جماح حكام الأقاليم قد تتحسن الأحوال. ر. ج. هاو الوزير المفوض الجديد وصل هنا الأسبوع الماضي وغادر للقاهرة وسيرجع غداً. لقد أعجبت به جداً وتحادثت معه طويلاً. وبما أنه يتحلى بروح مرحة وعنده خبرة واسعة من عمله في بكين، وبوجود شيزمان الموسوعي المعرفة بجانبه في أثيوبيا، فلا بد من نجاحه في مهمته. مشكلة الإمبراطور الأساسية ستكون المال.

نحن ممتنُّون لوزارة الخارجية البريطانية لتصديقهم بفتح القنصليات، وهاو لا يتوقع مشكلة في إقناع الإمبراطور بالموافقة. سيكون في الواقع من مصلحة أثيوبيا وأيضاً من مصلحتنا، خصوصاً من الجوانب الاقتصادية وبالأخص في قوري. أتمنى أن يختار الأمبراطور من بين الإرساليات المتزاحمة للرجوع إلى أثيوبيا الإرسالية الأميركية. في رأيي هم الأهم ولن يسببوا مشاكل للكنيسة الأثيوبية... كذلك سيساعدون الإمبراطور عن طريق مدارسهم لتأهيل كادر إداري متعلم من الأمهرا خلفاً للجهاز الذي قام بتصفيته قرازياني.

بعث الحاكم العام برقية تهنئة للإمبراطور يوم ٧ فبراير بمناسبة توقيع الاتفاقية متمنياً لأثيوبيا الحرّة الازدهار ومؤكداً له استمرارية مشاعر الود من حكومة وشعب السودان.

عندما أجاز مجلس الحاكم العام ميزانية التعليم طلب من روزفير أن يقدم تقريراً عن تطوّر التعليم منذ تقرير لجنة دي لاوور. أنا لست سعيداً بموقف المدارس العليا. لدينا كل الكليات الآن: القانون والعلوم والطب والزراعة والبيطرة والهندسة والآداب متضمنة الإدارة والمدنيات والتعليم - ولكن ليس هناك إشراف حقيقي أو تنسيق أو نظام أساسي أو هيئة مشرفة أو لجنة مركزية. ليس هناك أي مظهر لكلية جامعية بعد. كلية الهندسة فشلت وقد نجّحوا الطلاب الراسبين، وهذا أمر سيئ.

في رأيي لا بد من البداية الآن ـ آخذين في الاعتبار دستور الأطلنطي. هنا كما في كل مكان بالطبع سيطالب المثقفون بمكاسب، وفي الصحافة المحلية هنا في الخرطوم وفي غرب أفريقيا هم يطالبون بذلك الآن، وكذلك في الهند. لا بد لنا أن نبدأ الآن في توضيح وتكثيف خططنا تجاه الحكم المحلي أولاً ثم سودنة بعض الوظائف بتعيين خريجي الكليات من السودانيين وتدريبهم، وثالثاً إشراك السودانيين في الحكومة المركزية. أنا أقوم بإعداد مذكرة عن كل ذلك وسأرسل لك نسخة منها. أرى من الخطأ إبطاء التعليم أو الحكم الذاتي في المستعمرات بسبب الحرب، إنها أسوأ دعاية. بالعكس علينا أن نسرع بها. الحقائق والأفعال المجردة هي ما يقنع المثقفين الذين لا يثقون في الوعود المستقبلية وغير الواضحة. نحن ما زلنا في عصرنا الذهبي في السودان بدون أي مشاكل اجتماعية (كما هو الحال في الهند)، أو مشاكل عرقية (كما هو الحال في فلسطين) أو مشاكل استيطان (كما هو الحال في كينيا)، أو مشاكل فقراء بيض (كما هو الحال في جنوب أفريقيا)، أو مشاكل أحياء فقيرة ونقابات (كما هو الحال في جزر الهند الغربية). وما دام لدينا الوقت فلا بد لنا من العمل الآن، وأن لا ننتظر حتى تحل بنا الضغوط الداخلية والخارجية.

الإدارة الأهلية تتقدم باطِّراد. زدنا عدد التجميعات القبلية والمحاكم المدمجة، والسلطات الأهلية نجحت في بسط العدالة وجمع الضرائب وحفظ الأمن وخلافه على الرغم من تخفيض الرقابة. لدينا الآن ٣٣٠ محكمة شيوخ (بالإضافة لعدد من محاكم مجالس صغرى) في شمال السودان والتي نظرت نحو ٣٣,٠٠٠ قضية عام ١٩٤١. من بين نحو أربعة ملايين مواطن تم إصدار أحكام على ٣٦,٤٠٠ شخص وتبرئة ١٢,٥٠٠ آخرين. عدد المبرئين يزداد كل عام ليس بسبب التساهل وإنما بسبب عدم إصدار الأحكام الجزافية. سجلات المحاكم والإحصاء في تحسن مستمر. ميزانيات العشر إدارات الأهلية بلغت ١٣٣,٠٠٠ جنيه مصري باحتياطي حوالى ٥٠,٠٠٠ جنيه مصري أغلبه مستثمر في صندوق توفير البريد.

إلى شقيقته، مارجري بيرتون الخرطوم ٦-٨ مارس ١٩٤٢

(بعد ٦ أسابيع من وفاة والدته)

من الصعب أن ندرك أن «بور» (والدته - المترجم) قد توفيت خصوصاً وأنا ما زلت أتلقى خطاباتها المحببة. ثلاثة منها وصلت إليّ منذ وفاتها، أحدها في ٢١ ديسمبر مكتوب بيد مرتعشة ولكن بفلسفة ما عدا أخبار بنانق التي أزعجتها، ولكن نحمد الله أن أريك لم يكن موجوداً هناك. قالت إن يدها تؤلمها من الكتابة ومع ذلك فقد كتبت أربع صفحات. لقد كانت عجيبة.

الخطاب الثاني وصلني يوم ٢٩ ديسمبر وكان من ٧ صفحات وبيد أقوى ويحتوي على أخبار كثيرة عن الكريسماس. أنا سعيد بأنها أمضت وقتاً طيباً في فترة الكريسماس. ذلك الخطاب أعطاني بعض الأمل في أن تبقى على قيد الحياة لنهاية الشتاء ولو أني كنت أخشى أن تحسّن صحتها قد يكون مؤقتاً.

آخر خطاباتها كان يوم ٢ يناير والذي وصل قبل أيام قليلة. قالت فيه إنها بخير ولكنها تتمنى لو تمكنت من القيام ببعض الواجبات! خطاباتها ساعدتني في تحمل أعبائي هنا وأتمنى أن يصل إليّ خطاباً آخر أو اثنين منها حيث أشعر كأنها ما تزال معنا.

لا تدري كم سعيد أنا لأنها توفيت بهدوء. لم أكن أطيق التفكير في تلك الآلام الموجعة لقلبها الضعيف. لو كنا كلنا نملك شجاعتها لكنا انتصرنا منذ وقت طويل في هذه الحرب.

قمت بجولة دامت عشرين يوماً لمديرية أعالي النيل والحدود الحبشية في فبراير. سافرت جواً إلى ملكال بطائرة ولزلي ثم منها إلى واو في المديرية الاستوائية (هذا قبل أن تقسم المديرية الاستوائية إلى مديريتين: الاستوائية وبحر الغزال والتي أصبحت واو عاصمة الأخيرة - المترجم)، ثم واصلت الرحلة بالباخرة والتي استغرقت ثلاثة أسابيع. هناك مصنع حكومي لنشر الخشب ومحطة قطع الأشجار... يقطعون

الفلنكات للسكك الحديدية وأعمدة التلغراف وألواح الخشب للمباني وخلافه. هناك غابات جيدة بما فيها أشجار المهوقني.

ثم اشتركت في مؤتمر عن التعليم في جنوب السودان استغرق أسبوعاً وحضره ١٢ مبشراً و٨ من موظفي الحكومة. المبشرون كانوا من ٦ جمعيات تبشيرية: الكنيسة الأنغليكانية، وثلاث جهات من الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة المعمدانية، والكنيسة الأمريكية المشيخية وخلافها، ومنهم بريطانيون وأستراليون وهولنديون وامريكان ويوغسلاف وإيرلنديون واثنان طليان. وكان عليّ أن ألقي خطبة عن التعليم لو سمعتها الآنسة هارلاند (مدرّسة نيوبولد ـ المترجم) لضحكت.

ثم أخذت السيارة حتى الحدود الحبشية بمحاذاة نهر السوباط، ثم إلى داخل الحبشة لمسافة ٨٠ ميلاً إلى نقطة تجارية تتبع لنا، وبشريط حدودي ومفتش مركز - جاك موريس - ستعجبين به. إنه شخصية عظيمة وطوله ٦ أقدام و٢ بوصة وله حكاوى كثيرة ويجيد الرماية ويعرف حدود الحبشة كظاهر يده، وهو من أسرة كبيرة وعريقة من مارلبورو.

كانت هناك حوالى ٣٠٠ ميل إلى قمبيلا، والطريق كان سيئاً للغاية واستغرقت الرحلة ثلاثة أيام. في اليوم الثاني اجتزنا ٧٢ ميلاً في تسع ساعات. حقيقة لم يكن طريقاً أبداً وعادة الناس تأخذ الباخرة عندما يرتفع مستوى النهر في فترة الفيضان وتكون قمبيلا معزولة عندما ينخفض مستوى النهر. وقد شيد جيش الكنغو البلجيكي طريقاً محاذياً للشاطئ، وقد سلك ذلك الطريق ٣٠٠٠ من جيش الكنغو في حربهم مع الطليان، وقد توفي منهم الكثيرون بسبب الدسنتاريا، والمقبرة الصغيرة في قمبيلا تحوي ١٩٣ قبراً من موتى جنودهم.

إنها منطقة مستنقعات وتربة قطنية مشققة وعشب طويل وليس بها أي شجرة أو تل لمسافة مئات الأميال، ومسطحة تماماً، إنها في غاية الرتابة ومتعبة لعدم استواء الطريق وتموّجه. ولكن في اليوم الثالث رأينا جبال الحبشة الزرقاء اللون والتي ترتفع ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم، وظهرت الأشجار والذرة الشامية والأرز المزروع على ضفاف

النهر بواسطة قبيلة الأنواك العراة والودودين. كان النهر مليئاً بالتماسيح النائمة على رمال الضفة وعندما نسبح كنا فقط نخوض في المياه الضحلة، لأن التماسيح دائماً تأخذ الناس وتسحبهم إلى الأعماق، خصوصاً النساء اللائي ينزلن لملء أوانيهن، وكذلك الأطفال السمان. وقد قمنا بقتل عدد منها (أعني التماسيح وليس الأطفال). هناك أشجار مطاط كثيرة لم أرها من قبل.

من قمبيلا ذهبنا يوماً تسلقنا فيه أحد الجبال بارتفاع ٥٠٠٠ قدم في طريق صخري عبر غابة مليئة بالقرود. لقد حارب البلجيك في هذا الطريق وتمكنوا من إجبار الطليان على التقهقر ولكن بخسائر كبيرة وكانت هناك قبور كثيرة على جانبي الطريق. رجعت للخرطوم فقط قبل أربعة أيام. وقد وصلنا بطائرة من طراز يونكرز تابعة لشركة سابينا الكنغو - بلجيكية. كانت درجة الحرارة داخلها عالية جداً وبدون تهوية، وبها ١٢ مقعداً وتبدو كأنها مصنوعة من الحديد المموج. كان عدد من المطارنة البولنديين في طريقهم من لندن إلى كيوبتشيف في روسيا ليباركوا الجيش البولندي هناك. كانوا يرتدون سراويل من الصوف الكاكي بخطوط زرقاء عمودية.

❐❐❐

إلى ر.س. مايال — الخرطوم ١٠ مارس ١٩٤٢

قوة دفاع السودان:

بالإضافة للحامية في أرتريا والمجموعة في واحة الكفرة وحماية طريق وادي النيل والمطارات في السودان من طريق غرب أفريقيا إلى رأس الرجاء الصالح الجوي، قد طلب من قوة دفاع السودان منذ أيام أن توفّر فرقة للصحراء الغربية. وقد وافق الحاكم العام نسبة لظروف الحرب الراهنة وسنرسل ما يساوي كتيبة غالباً في يونيو. قد يحرسون المطارات المتقدمة وقد يضطرون للقتال. لأسباب أمن داخلي، وإصابات وخلافه، لا بدّ من استبدالهم في السودان، والتجنيد في مراكز الكتائب الثلاث سيبدأ. لا

أظن أني أخبرتك أن قوة دفاع السودان قد تم إعادة تنظيمها على أساس كتائب محمولة بالعربات وكتائب مشاة. هناك صعوبة كبيرة في الحصول على ضباط سودانيين، كما سيكون هناك عجز في الضباط البريطانيين أيضاً مع التوسع حيث سيزيد عدد القوة عن ٢٠,٠٠٠ بما فيهم فرق المهندسين الملحقة بهم.

إذا تحصلت الفرقة المرسلة على ضباط بريطانيين وسودانيين ممتازين (القائد يرفض تعيين أي ضابط بريطاني لم ينجح في امتحان اللغة العربية)، بالإضافة إلى فترة عطلات وتعيينات مناسبة، فسيكون ذلك من مصلحة السودان سياسياً. هذا يعني بالطبع التوسع في نشاطنا الخارجي، ولكني أرجو أن لا يطلب منا أيضاً تقوية دفاعات تشاد ضد غارة من حكومة الفيشي تُشن من مستعمرة النيجر. تشاد تبدو في روح معنوية عالية والغارة التي شنتها حركة فرنسا الحرّة على مرزوق قبل أيام ستوقف عدم الاكتراث.

❒❒❒

إلى مكاوي سليمان الخرطوم ١٤ مارس ١٩٤٢

مأمور في الكرمك، وفيما بعد (١٩٤٨) وكيل وزارة المالية

أشكرك جداً على خطابك بتاريخ ٦ مارس. أنا سعيد أن لديك الوقت للقراءة والاطلاع. المستر هانكوك وهو حالياً هنا، أفادني أن الأحوال هادئة في الكرمك الآن، ولذلك قد يكون لديك وقت فراغ أكبر مما كان في الماضي.

هانكوك وأنا اتفقنا على جدوى نقلك من الكرمك هذا العام، وسأجتهد لنقلك إلى منطقة يمكن تكوين مجالس بلدية فيها. أنا أرغب في أن تكون هناك مجالس بلدية في كل من مدني وحلفا وكوستي وشندي والنهود وخلافهما، ولدينا مسوّدة مشروع لمجلس مديرية كردفان أعده المستر كامبل.

المجالس البلدية التنفيذية والاستشارية أصبحت ضرورة ملحة لشمال السودان،

وللأسف فإن الحرب قد منعت تطوراً أسرع في هذا الاتجاه.

ليس لدي ترجمة لكتاب ثيوكيديدس هنا، فقط الأصل بالإغريقي، ولكني مرسل لك كتاب «مهرجان اليونان» لمؤلفه ر.و. ليفنغستون والذي استمعت أنا لمحاضراته في أكسفورد. هناك فصل ممتاز في الكتاب عن ثيوكيديدس، صفحات ١٩٩ - ٢٤١ مع مقتطفات كاملة بما فيها خطبة بريكليس. الفصل عن سقراط يستحق القراءة أيضاً.

كما أرسل إليك أيضاً كتاب ألدوس هكسلي «الغايات والوسائل»، وهو كتاب ممتاز ولكنك قد تكون قرأته. أرجو أن تعيد لي الكتابين في الوقت المناسب حيث أحتاج إليهما وليس لدينا نسخ خلافهما.

ليست لدي نسخة من مقالات مونتاني إيسايس (مكاوي سليمان فقد مكتبته عندما احتل الطليان الكرمك)، ولكني سأبحث لك في المكتبات عنه. إن قراءتها صعبة لأن ترجمة فلوريو وكوتون باللغة الإنجليزية القديمة. ليس لدي نسخة من كتاب توينبي «دراسة التاريخ». السيد قورمان كانت لديه نسخة أعارني مجلدين (أعتقد هناك ثلاثة مجلدات). إنها دراسة عويصة ومكثّفة وتحتاج لبحث معمّق، ولكنها تستحق القراءة.

لقد تسلّمت للتو هدية من أختي: كتاب جديد لألدوس هكسلي اسمه «السمو الرمادي» - سيرة الأب جوريف، الراهب الكبوشي المشهور الذي ألهم الكاردينال ريشيلو. لم اقرأه بعد. هكسلي كتبه في كاليفورنيا.

هل تصلك صحف إنجليزية مثل النيو ستيتسمان (New Statesman) أو المانشستر قارديان (Manchester Guardian)؟ وإلا فيمكنني إرسال بعضها من هنا. للأسف هي تأخذ ٣ أشهر لتصل إلينا من إنجلترا الآن.

ما هي الأخبار التي تصل إليك من فيتوراري فانتا (Fitaurari Fanta)؟

لقد قمت بزيارة واو جواً قبل شهر تقريباً، ثم انتقلنا بالعربات إلى ملكال ثم قمبيلا استغرقت ثلاثة أيام متعبة ذهاباً وإياباً، كما زرت الهضبة بالقرب من سايو.

أتمنى لك حظاً سعيداً، وأشكرك على تعزيتك لنا في وفاة والدتي. لقد تجاوزت الثمانين ووهنت صحتها ولكني كنت أتوقع لها أن تعيش أطول. إنه شيء محزن حيث إني أدين لها بكل شيء، ولكنها مشيئة الله، وسترتاح الآن.

❐❐❐

إلى جبرائيل كفوري الخرطوم ١٨ مارس ١٩٤٢

مزرعة ألبان بلقرافيا - الخرطوم بحري

لقد علمت للتو بوفاة والدكم. لا أدري إن كنتم تتوقعونه، ولكن حتى إذا كنتم تتوقعونه فإنه فقد عظيم. والدي توفي قبل خمسة وأربعين عاماً ولكن والدتي كانت كل شيء في حياتي، وعندما توفيت في عامها الثمانين قبل ستة أسابيع، شعرت بفراغ لا يمكن ملؤه، ولو أنها كانت على شفا الموت عدة مرات، وأنا كنت أتوقع وفاتها كل أسبوع.

لقد كان والدك رجلاً عظيماً، ليتني عرفته. ولكنك تحتفظ بأحاديثه وحكمه التي ستذكرك به. دائماً ما نفكر بأن أولئك الرجال والنساء الكبار والحكماء سيخلّدون، وفعلاً هم خالدون في ذاكرتنا إن لم يخلّدوا بأجسادهم. ما زلت أتسلّم رسائل من والدتي وأشعر بأنها ما زالت بالقرب مني.

تعازي الحارة لك ولأخوتك. لا بد أنكم كنتم أسرة سعيدة وهو لا بد كان سعيداً بكم، شقيقتي كتبت لي عن جنازة والدتي تقول: كان يجب أن تزف، ليس بالعويل والنحيب، وإنما بالأبواق وبالاستعراض مثل منتصر في نهاية سباق. كذلك والدكم. أحب أن أتخيّله حياً ويقظاً، أينما كان، مجتمعاً مع رصفائه المحترمين وربما في تبادل التحيات والروايات مع أمثال هوقارث وهيرودوتس.

❐❐❐

إلى مديري المديريات ١٠ إبريل ١٩٤٢

وجهت الدوائر العسكرية بعض الانتقادات في الشهور الأولى من هذا العام للسلطات المدنية على أداء حكومة السودان في المجهود الحربي. أغلب الانتقاد سببه الجهل بالأمور وبعضه كان مفهوماً. كما وجهت السلطات المدنية أيضاً بعض الانتقادات للمنظمة العسكرية. هذا شيء حتمي في كل الحروب. الحروب حماقة وتولد الحماقات. قليل هم الذين قرأوا أو تابعوا محاضرات الجنرال ويفيل الحكيمة عن: «الجندي ورجل الدولة» (ثالث محاضرة في سلسلة محاضرات ليز نولز - Lees Knowles - التي ألقاها في كيمبردج عام ١٩٣٩). يصعب على عقل العسكري أو المدني أن يكبح جماح مهنيته في زمن الأزمات. العادة والتحامل يلونان أفكار الناس غير المركزة. لقد ناقشت هذا الأمر مع الجنرال بيرزفورد - بيرس قبل أيام من مغادرته الفجائية ليتولى قيادة أكثر نشاطاً، وبموافقته قمت بإلقاء خطبة على ٥٠ ضابطاً من القادة وضباط بريطانيين آخرين هنا في إحدى الأمسيات، عن العلاقة بين العسكريين والمدنيين ودواعي النقد ومجهود السودان الحربي. يجب علينا تفادي النقد الهدام، ومن غير معرفة بالحقائق، وتوجيه النقد البنّاء عبر القنوات الرسمية المسئولة، وتفادي التشنجات الغاضبة عند تغيير السياسات والمشاريع بشكل فجائي والتي لا تعني بالضرورة التردد الأخرق، وإنما قد تكون بسبب تغيير أحوال الحرب والإنتاج. لا يسعنا إلا إطاعة تحذيرات جلالة الملك التي أذيعت يوم ٢٨ مارس:

«كلنا نخطئ، ولكن يجب علينا جميعاً أن نتأكد من أننا نعمل كل ما في وسعنا قبل أن نهدر الوقت والجهد في كشف أخطاء الآخرين».

مسطورات
MUSTORAT
MUSTORAT
مسطورات

الفصل العاشر

خطوط الاتصال ضد روميل
١٩٤٢

إلى ج. ب. س. دانيال الخرطوم ١٣ أبريل ١٩٤٢

مساعد مفتش مركز رومبيك -

المديرية الاستوائية في عطلة في يوغندا

كيف حالك؟ علمت بأنك مُنحت ١٨ يوماً إضافة لعطلتك المرضية وقد ترجع لجوبا يوم ٢ مايو أو نحو ذلك، ولذلك قد يصل إليك هذا في كمبالا. يا ليتني كنت معك هناك لنتجول وسط الحقول الخضراء أو نتمتع بالنظر للبحيرات الهادئة. لقد كنت منهمكاً أخيراً بمتطلبات الحرب ومشاكل الموظفين وأسراب الزوار المهمين، ولم يكن لديّ الوقت لممارسة الرياضة أو أي نوع من الترفيه خلاف زيارة السينما مرة في الأسبوع. «دود» (حصان نيوبولد - المترجم) بصحة جيدة ولو أنه أصيب بالتواء عضلي في فخذه وأصبح يعرج بعض الشيء. عيد ميلاده الرسمي الشهر القادم. وقد قللنا كمية السكر التي يتعاطاها الآن ولكن زدنا له كمية الفول السوداني الذي تعطيه له ابنة السايس طول الوقت، طولها حوالى قدمين وتتحادث معه بشكل دائم.

الغرض من هذا الخطاب هو إعلامك بأن رئاسة القوات المسلحة تستدعيك للخدمة في قوة دفاع السودان مرة أخرى، وقد وافقت أن أتخلى عنك إذا ما كانت صحتك تسمح بذلك. قوة دفاع السودان تستمر في التوسع ولديها الآن

مسئوليات جديدة لا أستطيع البوح بها الآن، وهم فعلاً في حاجة إلى ٢٠ ضابطاً يعرفون السودان واللغة العربية. لقد جلت ببصري في كل نواحي الإدارة وأعملت فكري. وأخيراً قررت أن أستغني عن ١٢ مفتش مركز و٤ من موظفي إدارة أراضي العدو المحتلة إذا تمكنت من إرجاعهم. هذا سيعطي قوة دفاع السودان ١٦ ضابطاً إضافياً. عندهم حالياً حوالى ١٠ وقد أرجعوا بعضهم. وأنا أقوم باختيارهم من جميع المديريات.

سأقوم بإعلام مديرك بنفس هذا البريد. لن يرضى بالطبع أن يتخلى عنك وقد يحزن لعدم استبدالك بشخص آخر. ولكني لن أتمكن في الوقت الحاضر من تعيين خلف لك، ولجنة شئون القوى العاملة رأت في مثل هذه الأزمة تخفيض عدد الموظفين في مركز البحيرات من ٣ إلى ٢ حيث هو، كما أعتقد، المركز الوحيد الذي به ٣ موظفين. أغلب المراكز في الشمال التي كان بها موظفان اثنان خفضت لموظف واحد.

آمل أن تكون أخبار ليتون شيني تصل إليك وأن تكون جيدة. روبن وردزورث مرَّ بتجربة مزعجة عندما سافر لأديس أبابا بالطائرة. الطيار التفت للوراء وأشار بإبهامه ناحية الأرض. الطيار الآخر مع روبن أخطأ في تفسير الإشارة وقفز بمظلته في الفضاء. روبن أرسل إشارة للطيار بأن ز ميله قد قفز. سأله الطيار «لماذا» وردّ روبن أنه لا يعلم. اضطر الطيار أن يهبط اضطرارياً ووجد الطيار الآخر قد كسر كاحليه.

سافرت أمس جواً إلى أسمرا ورجعت في نفس اليوم بطائرة بلينهايم وقابلت بعض رجالنا.

إلى مكاوي سليمان الخرطوم ٢٥ مايو ١٩٤٢

شكري الجزيل على رسالتك اللطيفة بتاريخ ٢ مايو. تقريرك عن مشاكل الحدود

والشخصيات الحبشية أثار اهتمامي. أنا آسف لموضوع الجالا، ولكن نسبة لوعدنا ولتخوّف الأمريكان من نوايا بريطانيا الاستعمارية، لم يكن في استطاعتنا الحفاظ على الأمن في كافة أرجاء الحبشة حتى لو كان لدينا الوقت والرجال والمال. الحبشة عادت مستقلة الآن ولكن للحرية ثمن. لا يسعنا إلا أن نأمل أن يتمكن الإمبراطور من الحصول على بعض القروض والخبراء البريطانيين وأن يغلّب شعوره القومي في أن يخلق جهازاً أمنياً ومشاريع إعاشة لبلاده الشاسعة. نحاول أن نرجع قناصلنا إلى دانقيلا وقوري وماجي، ولكن الإمبراطور يرفض ذلك بغباء، مع أن ذلكُ في مصلحته كما هو في مصلحتنا. آمل أن يتمكن الوزير المفوض الجديد أن يحوز موافقته قريباً، خصوصاً أني فرّغت اثنين من الموظفين كبار السن منذ شهور للذهاب إلى قوري وماجي.

ثم يجب علينا التفاوض بشأن خزان بحيرة تانا والذي نحتاج له بشدة لامتداد مشروع الجزيرة والذي سيعود بفائدة للإمبراطور أيضاً.

اتفاقية مياه النيل كانت تعمل دائماً لمصلحة مصر وضد مصلحة السودان، ولكننا التزمنا بها بإخلاص. مصر وضعها شاذ حيث لديها مياه وفيرة وأرض قليلة لأنهم تأخروا في إصلاح الأراضي نسبة لانشغالهم بالسياسة وإهمالهم لأعمال الهندسة، بينما السودان لديه مياه قليلة وأراضٍ شاسعة. على أي حال فإن وزارة الخارجية البريطانية مدركة لهذا الوضع، وبما أن جنود السودان هم الذين مكّنوا الإمبراطور من استعادة عرشه، فقد يدرك أن عليه ديناً للسودان وذلك سيكون أحد الطرق التي يسدد بها هذا الدين، خصوصاً أننا لا بد قد مسحنا العار الذي لحق بنا من جراء فرض عقوبات عام ١٩٣٥.

ما زال لدي الكثير الذي يشغلني بالنسبة لأمور الحبشة وكذلك مستقبل أرتريا والوضع الشاذ في قمبيلا.

كما كنت مشغولاً جداً بأمر الحكم المحلي - تفويض مجلس بلدي الأبيض، والميزانية، واللوائح وخلافه، كلها جهزت والانتخابات جارية. كما أدخلنا تجربة الانتخاب في

المدن الثلاث. مدير مديرية النيل الأزرق لديه مشروع مهم لتحديث نظام الإدارة الأهلية الإقطاعي، بإدخال نظام **الخط** (مناطق محلية تقليدية) في الجزيرة الذي قد يقود إلى مجلس منتخب لهذه المنطقة. وقد طلب أن نعيره مكي عباس كمحقق في هذا الموضوع.

مكي عباس ذهب أيضاً للأبيض ليطلع على مسودة مشروع كامبل لمجلس المديرية، أنا أرغب في تسريع تلك المجالس للمديريات والتي ستمكننا من اختيار مندوبين منها في المجلس الاستشاري المركزي والذي سيكون لديه ممثلون في المدن الثلاث لتستشيره الحكومة في الأمور الاجتماعية والدينية والإدارية والتعليمية. إن المؤتمر لا يغطي هذه الحاجة لأنه ليس ممثلاً حقيقياً وليست له الخبرة الإدارية، أو جهاز للاستعلام، أو التمثيل الكافي في الأقاليم ليعتبر منظمة قومية. قد تكون سمعت أو قرأت عن المشاكل بين المؤتمر والحكومة. إنه شيء مؤسف وهذا سيزيد خصومهم وسيؤخرون تطور السودان بإصرارهم على أنهم مبرأون من الخطأ، (الشيء الذي لم يدّعه حتى تشرشل لنفسه)، وباحتكارهم لترجمة الرأي العام. على أي حال لن أسهب في هذا الأمر لأنه قيد النظر القضائي. لقد أخذ الموضوع الكثير من وقتنا في ذات الوقت الذي كنا فيه نضع الخطط لمشاركة كاملة للسودانيين في إدارة المديريات والحكومة المركزية. الاهتمام بشئون الحرب بالطبع أخّر ذلك، ولكن بالعمل قبل الإفطار وليلاً بعد العشاء تمكنت من إنجاز عدد من المشاريع ودراسة ملفات التمثيل الشعبي، واستبدال الموظفين البريطانيين بسودانيين، ومساواة الرتب بالنسبة للتعليم العالي وخلافها. والآن أشعر بأن العراقيل وضعت أمام مجهودنا بدون إنذار أو استشارة ودية.

سمعت أنك قد تذهب إلى سنجة في فترة الخريف ثم إلى مدني ولكني لا أعلم إذا كان المدير قد قرر شيئاً بالنسبة إلى مدني. في خطابك بتاريخ ٦ مارس ذكرت لي بأنك تفضل أن ترسل إلى «مكان يزدهر فيه الحكم المحلي»، وفي خطابك بتاريخ ٢ مايو كنت تأمل أن «تنقل إلى الغرب البعيد».

سيكون هناك تطور كبير في الحكم المحلي وشيكاً في مدني وفي منطقة الجزيرة،

ولذلك آمل أن تذهب إلى مدني. لا أعتقد أن مؤهلاتك الشخصية ستجد الفرصة الكافية في دارفور أو غرب كردفان. هل ستكون حزيناً في مدني؟

في ما بعد أرغب أن تكون معي في مكتبي. لقد حان الوقت أن يتبوأ أحد السودانيين منصب نائب مساعد سكرتير إداري.

آمل أن تحصل على نسختك من كتاب مونتاني. لقد كان فيلسوفاً ذكياً ومعتدلاً، وقد أعجبتني كثيراً مقالاته. أتوقع أن يكون المجلدان من مطبوعات جامعة أكسفورد، هما من ترجمة فلوريو ضمن سلسلة الكلاسيكيات العالمية. مقالاته مكتوبة بلغة إنجليزية في عهد الملكة اليزابث الأولى (القرن السادس عشر - المترجم).

الكتيّب الصغير «كتاب الإيمان السليم» الذي وضعه جيرالد بوليت ونشرته مكتبة المفكر وثمنه شلن ونصف، به متنوعات جيدة لمقالات مونتاني. لقد وصلت إليّ نسخة «الغايات والوسائل» سليمة.

هل عندك جهاز راديو؟ أنا أستمع كل يوم أحد الساعة السابعة والنصف صباحاً على الموجة ٣١ متراً إلى برنامج «صندوق العقول» الذي يناقش فيه جود وجوليان هكسلي وآخرون مسائل اقتصادية واجتماعية وعلمية وخلافه ويردون على أسئلة المستمعين على الهواء مباشرة.

نعم لقد قرأت كتاب مارجري برهام «الحكم البريطاني وأفريقيا» وأعجبت به. أعارني روبن هودجكن الموظف في مصلحة المعارف كتاب «شفاء الغرب» لمؤلفه مايكل روبرتس الذي يدعو فيه إلى أن تتحلى الديموقراطية بالأخلاق والمبادئ، وهو كتاب قيم.

أرفق لك عرض جفري ڤورر عن كتاب «الأفارقة العشرة» الذي كتب عام ١٩٣٦. هو مؤلف كتاب «أفريقيا ترقص». ويشمل العرض كتاب الآنسة لوسي مير «السياسة الأهلية في أفريقيا». ڤورر محق في إبرازه الإخفاقات في نظام الإدارة الأهلية لشمال نيجريا، ولو أنه يبالغ فيها. الإمارات (النيجرية - المترجم) مثل البراد (الثلاجة

ـ المترجم) القبلي، وقد تخلينا نحن منذ سبعة أو ثمانية أعوام عن النظام القبلي المحض إلا في مناطق الرُحَّل حيث هذ النظام القبلي هو المفضّل والعملي.

لاحظت في الغازيتة الأثيوبية الثانية أن الأمبراطور قد أقام محاكم شرعية في الحبشة. أنا أجتهد لأتعرف على معاملة السوفيت للجمهوريات الشرقية والجنوبية الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وقد كتبت إلى كوتريل في القاهرة ليمدني ببعض المعلومات. المسلمون الروس لم يشاركوا في مؤتمر الخلفاء الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٢٤، ولكنهم أرسلوا ممثلين لمؤتمر مكة في نفس العام. المكتب الإسلامي رئاسته في المدينة المنقولية القديمة «يوفا»، وأنا أعتقد أن السوفيت ولو أنهم يسمحون بحرية العبادات الإسلامية وخلافها، قد حدّثوا المحاكم الشرعية وترجموا النص إلى اللغة اللاتينية.

لا جديد من أخبار هنا.

آسف لرداءة الخط. بعد قضاء الساعات الطويلة في المكتب يذوي رسغي وعقلي.

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ٦ يونيو ١٩٤٢

قوة دفاع السودان والقوة العاملة:

توسع قوة دفاع السودان غير المتوقع هذا الربيع، والحاجة الملحة لضباط يعرفون السودان ويجيدون اللغة العربية للعمل في فرق الحملات اضطرني أن أستغني عن دستة مفتشي مراكز وأن أسحب أربعة آخرين من إدارة مناطق العدو المحتلة. هناك الآن مئة سوداني مدنيين مقلدين كضباط في قوة دفاع السودان.

المجهود الحربي:

مجهود السودان الحربي في رأيي مشرّف، ولكن يجب علينا عدم الرضى عن ذاتنا، وهناك الكثير المطلوب عمله وبعض الفرص للتضحية.

كون الشرق الأوسط يقدّر جهودنا توضحه الإشارة في خطاب الجنرال أوشينلك بتاريخ ٣ أبريل ١٩٤٢ إلى الحاكم العام:

«أنا مقدر جداً للجهود العظيمة التي يقوم بها السودان تحت قيادتكم لمساعدة الشرق الأوسط والمجهود الحربي العام، كما أدرك أن مسؤولياتك ومسؤوليات ضباطك في الوقت الحاضر عظيمة جداً».

كما ذكر القائد العام أيضاً في خطاب للسفير في ١١ أبريل ١٩٤٢: «في السودان قامت لجنة القوى العاملة باستخدام الموظفين الأوربيين بما يخدم مصلحة مجهود الحلفاء الحربي».

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ٦ يونيو ١٩٤٢

السياسة المحلية والمؤتمر:

طبعاً تكون اطلعت على الخطابات المتبادلة بين المؤتمر والحكومة خلال أبريل ومايو. قد تشعر بأن رفضنا في خطابنا بتاريخ ٢٩ أبريل لطلبات المؤتمر لا يتماشى مع روح مذكرتي بتاريخ ٩ فبراير. لكن الحقيقة أن تطور السودنة والحكم الذاتي وخلافهما مطلوب، ولكن يجب أن يخطط له وينفذ بواسطة الحكومة ويكون بمقتضى دستورنا والاتفاقية، لا أن يُملى علينا من جهاز سياسي مكون من المثقفين لإرضاء غرورهم. أغلب أعضاء المؤتمر هم موظفو حكومة ولا يجب علينا السماح بنماء خدمة مدنية مسيّسة.

كنت أحث مديري المديريات الشمالية ليسرّعوا قيام المجالس البلدية، خصوصاً في مدني وكسلا وكوستي والنهود. التفويض واللوائح لمجلس الأبيض تم التصديق عليها. إنه مجلس تنفيذي بأعضاء، بعضهم منتخب وبعضهم معين، وله ميزانيته الخاصة ومبناه الخاص الجديد. الدويم مثال جديد آخر. كامبل لديه مشروع مسوّدة لمجلس مديرية في كردفان وسيكون استشارياً. أتمنى أن يكون لكل مديرية شمالية

مجلسها الاستشاري الذي يرسل ممثلين عنه مرة في العام للمجلس الاستشاري المركزي. طبعاً هناك فراغ الآن في المركز، والطبيعة تكره الفراغ، ومؤتمر الخريجين دخل فيه.

لقد أرسلت منشوراً لكل المصالح عن سودنة بعض الوظائف في يناير. كل الردود وصلت وأنا أقوم الآن بإعداد مذكرة. لدينا الآن ٣٣ وظيفة نائب مأمور: ١٠ طبية، وواحدة زراعية، و٧ تعليمية، و٤ قضائية، و٧ إدارية، وواحدة سكك حديدية، وواحدة أشغال عامة، وواحدة لمصلحة الري وواحدة لمصلحة المساحة. الصحف المحلية العامية تتهم المصالح الفنية بالتقاعس في هذا الاتجاه. لاحظت أن فيسكاونت ترنشارد قد علق في مجلس اللوردات يوم ٦ مايو على البطء في أفرقة خدمة المستعمرات أساساً بدعوى الإصرار على الكفاية. بالمناسبة المؤتمر والصحف العامية تستشهد طول الوقت بالمادة الثالثة من دستور الاطلنطي «... حق كل الشعوب في اختيار نوع الحكم الذي سيعيشون في ظله». إنه واضح من باقي الفقرة أن هذه المادة لا تنطبق على شعوب المستعمرات الذين لا يستطيعون الوقوف على أرجلهم. ولكني لم أجد تصريحاً في هذا الشأن، ولو أني اطلعت على مقالة جيدة في مجلة «الأيكونومست» بعنوان «البوتقة الاستعمارية» يوم ٧ مارس تقول: «لقد كانت خيبة أمل كبيرة لأولئك السكان في المستعمرات خصوصاً الواعين سياسياً منهم، عندما أبعد المستر تشرشل تحديداً المستعمرات من مادة السيادة في دستور الأطلنطي». هل بإمكانك أن تبحث لي عن ذلك التصريح؟ وقد نضطر أن نطلب من وزارة الخارجية أن تزودنا بتصريح رسمي، إذا كان ذلك ضرورياً، ولكن في الوقت الحاضر أنا أرغب في معرفة الحقيقة بطريقة غير رسمية.

إلى ر.س. مايال — الخرطوم ٢١ يونيو ١٩٤٢

لا بد أنك تسلّمت صورة تعقيب المؤتمر على ردنا عليهم بتاريخ ٢٩ أبريل وخطابنا

الثاني لهم. إنهم جارين دراسة الأمر الآن، ورئيس المؤتمر اجتمع لمدة ثلاث ساعات مع بني (Penny) قمندان الشرطة، بالأمس، وكان اجتماعاً لا بأس به ولكن ما زال هناك خلاف كبير بين موقفهم وموقفنا خصوصاً في ما يختص بعمل موظفي الخدمة المدنية في السياسة.

لن أتمكن من شكرك على إرسالك لي في الوقت المناسب مداولات مجلس اللوردات عن مجهود المستعمرات الحربي يوم ٢٠ مايو. لقد كانت مفيدة للغاية، خصوصاً خطبة ليتسول وهيلي وكرانبورن. هي فعلاً ما كنت أحتاجه وتجيب على سؤالي عن مادة دستور الأطلنطي في ذيل خطابي لك بتاريخ ٦ يونيو. ولكني ما زلت أرغب في الإطلاع على تصريح في مجلس العموم والذي استشهد به ليتسول.

متى كان ذلك؟ لا بد أنه فاتني.

إلى الضابط طيار باري سوليفان — الخرطوم ٢٣ يونيو ١٩٤٢

- سلاح الطيران الملكي

أنا سعيد بأنك أُلحقت بسرب، وأتمنى أن تنسجم مع زملائك. أتوقع أن تجد الفرصة للتخاطب بالعربية إذا كنت الآن في المكان الذي أظنك فيه.

الجو هنا حار، ولكني سافرت جواً إلى البحر الأحمر مع قائد سلاح الطيران لمدة ثلاثة أيام كانت نوعاً من التغيير. أخبار الصحراء الغربية غير سارة، وقد علمت بأنه سيصعب علينا الاحتفاظ بطبرق هذه المرة. يبدو أن هناك نحساً في عمليات طبرق بالنسبة للطرفين، كتدخّل قدري معاكس مثل آلهة هومر الذين كانوا ينحازون بطريقة جائرة لكلا الطرفين في حرب الإغريق وطروادة.

على أي حال سيكون لك ولزملائك الطيارين الكثير من العمل في الوقت الذي يلعق فيه الجيش جراحه ويستعدّ لمعركة أخرى. ستجدون الفرصة للاستمتاع بعملكم

ولكن داري نفسك مع تمنياتي لك بحظ سعيد في الجو وعلى الأرض.

لقد مضى وقت طويل منذ أن كنت في الصحراء الغربية. سكك الحديد الخديوية كانت تصل فقط إلى «دبع» (شتاء ١٩١٥ وربيع ١٩١٦)، وقد ذهبت مع قسم المدفعية التابع لي إلى مرسى مطروح من الإسكندرية بسفينة صيد، ودخلنا في معارك طول الطريق إلى سيدي براني والسلوم وبردية بدون عناء كبير، مع جيش السنوسي بقيادة ضباطه الأتراك. كانت مدافعهم الميدانية عتيقة ولكن كان لديهم وفرة في الرشاشات. كانت لدينا طائرتا بريستول قديمتان ومركب شراعي واحد على الشاطئ. أذكر المحطات في الطريق: العامرية، حيث كان للخديوي مزارع عنب وبساتين فاكهة. وكان الصبيان يبيعون عقود النرجس لركاب القطار. وكانت هناك سيدة إنجليزية، لا أذكر اسمها، تملك مصنعاً للسجاد به نساجات بدويات. ثم كانت هناك محطة «باهيز» والتي كانت رئاسة مركز، وجنوبها بثمانية أميال تقع مدينة القديس ميناس الذي مات حوالى ٣٠٠ سنة بعد المسيح. كان بها كنيسة رومانية شيدت حوالى ٤٠٠ سنة بعد موت المسيح، وقد اكتشفها كاوفمان في ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧. وفي أبوسيس على ساحل البحر حطام مدينة رومانية.

كل الساحل كان جميلاً ويكثر فيه الزنبق وشقائق النعمان في الربيع.

لا أتذكر أن برج العرب، والذي أعتقد الآن أنه محطة بين باهيز وغربانيات، كان قد شيد آنذاك، ولكن كان للسنوسي زاوية بالقرب من هناك. في ما بعد شيّد جنينقز براملي، الخبير بشئون العرب، منزلاً وسوقاً وأصبح مركزاً عربياً لأولاد علي، القبيلة البدوية التي تترحل على طول الساحل. أعتقد أنه كان له منزل جميل على الطراز العربي، وبيت ضيافة حيث كان يستضيف فيه الناس. لقد عمل مفتش مركز لشئون العرب الرحل من شمال كردفان عام ١٩١٥ (أنا عملت في منطقته عام ١٩٢٢)، وكان أخوه مديراً لسيناء.

قبيلة أولاد علي كانت تنقسم إلى أولاد علي الأحرار والمرابطين والعبيد؛ وإلى بطون: الهاوال، وأبو الديا، ولبان، وابراهيم، وأبو أشيقي، وصورا، وسالم وغيرها.

جماهم كانت موسومة بخطوط متوازية على القدم الأيسر فوق الكاحل، وشرطة من الأذن إلى الحنك، وأخرى من الحنك إلى الأنف وخط صغير تحت الأنف.

دبع كان شيخها يدعى هارون وكان مشكوكاً في ولائه. لقد قمنا مرة بحملة استكشافية إلى بير جروالا بين مطروح ورأس الكنايس في ديسمبر وقد انهمرت الأمطار بغزارة طول الوقت.

لم أقضِ وقتاً طويلاً في مطروح حيث كنا ننتقل إلى الغرب على مراحل. لقد أغرنا بالخيالة علِى العجاجية في فبراير ١٩١٦ ضد ٢٠٠٠ من رجال السنوسي وفقدنا ٦٠ من رجالنا من مجموع ٢٠٠ جندي، ثم أغرنا على سيدي براني وباقباق والسلوم. يقال إن من الممكن مشاهدة جزيرة كريت في يوم صحو من السلوم، ولكني لم أشاهد ذلك قط. كان هناك طريق روماني يمتد إلى السلوم. مارك أنتوني كان يأخذ كليوباترا إلى فيلا في مطروح في عطلة نهاية الأسبوع للمتعة.

كان أسطول أغريقي يبحر كل عام من بحر إيجة إلى مطروح لصيد الإسفنج وكانوا يجنون ربحاً وافراً من ذلك، وقد شيدوا الكنيسة المسيحية الوحيدة في غرب الصحراء منذ ظهور الإسلام. كنا نسبح كثيراً، ولو أن رائحة الماء كانت كبريتية. حقول الشعير كانت منتشرة بكثرة، وكنت أستكشف الآثار وأحواض المياه في أطراف المدن.

يبدو أن الرومان قاموا بشق طرق عديدة وبناء خزانات مياه كثيرة هناك، أولاد علي كانوا يعزقون بعض أراضيهم بالجمال والحمير والخيل مربوطة بعضها ببعض. كانت هناك قلعة تركية برتقالية اللون في مطروح على قمة لسان الجبل على البحيرة من الجهة الشرقية. قام جوستينيان بتحصينها ضد القبائل الغربية قبل وصول الأتراك والإسكندر الأكبر بزمن طويل في طريقهم إلى سيوة لاستخارة كاهن آمون. الأزهار لا تظهر إلا في نوفمبر، الزنبق، والفرييون (نبات ذو عصارة لبنية مريرة - المترجم)، ونعناع البحر، والنرجس الأبيض. أعتقد أن عدداً كبيراً من خفر سواحل مصر وخيالة مركز الحدود كانوا أو ما زالوا سودانيين، قد يكونون من البشاريين من تلال البحر الأحمر، وهم يتحدثون العربية بالإضافة للغتهم البيداوية. عندما تحييهم قل

لهم (ديباوا) تعني التحية، أو (أكروا) وتعني هل أنت شديد؟ يمكن أن يكونوا أيضاً من قبائل أخرى من شمال السودان مثل الشايقية. الفلاح المصري يكره الصحراء ولذلك فإن إدارة مركز الحدود في غرب وشرق الصحراء تقوم بتجنيد سودانيين لخفر السواحل.

أنا آسف أن هذا الخطاب أصبح سرداً تاريخياً، ولكن الرقابة والحذر يمنعانني من الكتابة عن الحرب، أو أن أسأل عن سلاح الطيران الملكي. أرجو أن تكون سعيداً نوعاً ما. السعادة - المتعة الذهنية الحقيقية خلاف الإحساس المتبلد وعدم المبالاة - هي سجية مراوغة، ولكن يمكن قنصها إذا كان للمرء عزيمة لعمل ذلك، أينما كان، في الصحراء أو في توتنج (Tooting) (حي سكني في جنوب غرب مدينة لندن مكتظ بالسكان - المترجم)، أو في قاعدة عسكرية، أو أسير حرب في معسكر. إنها لا تعني بالضرورة عدم الخوف أو الصحة الجسدية أو الثراء أو الصداقة. إنها ناتجة من الصفاء الداخلي والمقدرة العقلية الاستطلاعية، والتمتع بأشياء صغيرة ولكنها مبهجة مثل غروب الشمس، أو الفضاء الواسع أو أن يتصبب العرق من جبينك بعد عمل مضنٍ وما شابه. أما بالنسبة لي فإنها دائماً تعني الرفقة، لأن قليلاً من الناس يسعدونَ بالوحدة. ولكن الرفقة الطيبة يسهل الحصول عليها بخلاف ما يعتقد الناس، وليس من الضروري أن تكون من نفس الفئة الجسدية، أو الاجتماعية، أو الثقافية. ولكن لا بد لهم من رابط مشترك قد يكون أي شيء. من أعز أصدقائي هنا مهندس طيران يصغرني بعشرين سنة وتعليمه محدود، وصديق آخر شاويش بسلاح الطيران الإيرلندي، والثالث مدرّس سوداني تدرّب في أكستر.

لا أحد يدري ماذا سيحل بهذه الجبهة. قد أتمكن من زيارتك، وقد نتقابل مرة أخرى - إلا إذا كنت في خضمّ المعارك، أو القتل، أو الموت الفجائي. أرجو أن تكتب لي من وقت لآخر. هل تحتاج للكتب أو لأي شيء آخر؟

أعتقد أننا سنواجه مصاعب كثيرة في الشرق الأوسط. ولكننا متأكدون بأن الأمم

المتحدة ستنتصر في النهاية، لأننا نحارب من أجل شيء قيّم. كانت هناك وستكون أخطاء وإخفاقات وانتكاسات وما يعكر المزاج، ولكن الموت شيء تافه فعلاً ويجب علينا أن نحقق قيم وأهداف الإنسانية مهما كان الثمن. إنه لشيء فظيع أن نرى الشباب المتحمس والمتعلم هم الذين يُقتلون في سبيل تحقيق ذلك. الجيل الخطأ هو الذي يُقتل دائماً وهو الجيل الذي نعتمد عليه في إعادة بناء العالم. جيلنا نحن من سن ٤٠ إلى ٦٠ سنة هو الجيل المفروض أن يموت، ولكن نظام الحياة لا يسمح بذلك. ومع ذلك فأني أرى بعد هذه الحرب كل الناس بأعمارهم المختلفة سيبذلون جهدهم لتصفية المشاحنات العالمية، والشذوذ الطبيعي مثل الأحياء القذرة والفقر والمرض. وإذا لم ينجحوا في ذلك فيجب على من تبقى من الشباب في سن ٢٥ سنة، والذين تدربوا على استعمال المدافع الرشاشة، أن يقوموا بثورة وأن يطلقوا النار علينا حتى نذعن أو يشنقونا في أعلى أعمدة الكهرباء.

لقد كنت مشغولاً جداً بالنسبة لخطوط المواصلات، جواً وبراً ونهراً وسكك حديد، أغلبها المواصلات النهرية، مع بعض العمل في مسائل أثيوبيا المتبقية. لقد قابلت دورمان ـ سمث، حاكم عام بورما في طريقه لإنجلترا وقد حكى لي عن رانقون قصة محزنة. عندي تعامل كبير مع الأمريكان، ولكن عملي قلَّ مع فرنسا الحرة والكنغو البلجيكي مقارنة بعامي ١٩٤٠ ـ ١٩٤١.

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ٣ يوليو ١٩٤٢

قد لا تكون اطلعت على السؤال (عن المؤتمر) الذي تقدّم به فكري أباظة في مجلس النواب المصري والرد عليه بواسطة وزير التجارة. وفقاً لما ذكرته صحيفة «الأجيبشين غازيت»: «أعلن الأستاذ أباظة (في جلسة المجلس النيابي يوم ٢٢ يونيو) أن مؤتمراً عقده الخريجون حديثاً في السودان قد تقدم ببعض المطالب للحاكم العام تتضمن طلباً من حكومتي الحكم الثنائي أن السودان سيكون حراً ليقرر مصيره بعد الحرب.

وعلق «إن الحاكم العام رفض تلك المطالب ورفض الاعتراف بالمؤتمر بحجة أن مسألة السودان محكومة باتفاقية ١٨٩٩ والاتفاقية الأنجلو ـ مصرية لعام ١٩٣٦». وقد رد الأستاذ محمود سليمان غنام وزير التجارة والصناعة بالإنابة عن رئيس الوزراء قائلاً إن الحكومة المصرية كانت على علم بالمؤتمر المشار إليه، وإن رئيس الوزراء مهتم بالأمر. المصريون طبعاً استحسنوا ذكرنا للاتفاقية وللحكم الثنائي، ولكنه فوز مؤسف للمؤتمر، والذي يمقت دعاوى المصريين، فقد دفع حكومة السودان لحضن الحكومة المصرية. ولو أني أعتقد أن رفضنا لمطالب المؤتمر كانت ضرورية، لإيقافهم عند حدودهم، ولطمأنة الرأي العام غير الممثل في مؤتمر الخريجين، إلا أنه كان فاجعة حيث كنا نجتهد في وضع الخطط للمشاركة اللصيقة مع الطبقات المتعلمة والمجالس الموسعة. لم يسعفني الوقت بمشاغل الحرب أن أكمل مذكرتي عن المجالس والسودنة وخلافه.

افتتح كامبل مجلس بلدي الأبيض رسمياً عصر أمس. للمجلس صلاحيات تنفيذية وميزانية منفصلة (١١,٠٠٠ جنيه مصري سنوياً)، أغلبية أعضائه منتخبون وسيكون مثالاً يحتذى من قِبَل المدن الأخرى.

رؤساء تحرير الصحف السودانية حضروا الافتتاح كما أرسل الحاكم العام تهنئة لهم. وقد حاولت أن أطير لهم لأحضر الافتتاح ولكن طائرتي الولزلي أصابها خرق كبير فوق القطينة، ولذلك اضطررنا للرجوع فوراً للخرطوم. النهود ستكون الثانية ثم مجلس مديرية كردفان.

الأحداث في مصر تتحرك بسرعة حيث أي شيء أكتبه الآن سيكون تاريخاً عندما يصل إليك، ولكن من المحتمل أن يكون سكريفنر قد أطلعك على تقدم روميل. كان هناك بعض الذعر يوم ٣٠ يونيو وكثير من الارتجاف، ولكن الأمور هدأت بعض الشيء، ولو أن التكهن من هنا لا طائل من ورائه.

على أي حال يجب علينا الاستعداد لكل شيء، بما في ذلك وصول الملك فاروق وحكومته إلى السودان، إلا إذا اختار خلاف ذلك. زوجات الأمريكان وأطفالهم

يجري وصولهم إلى هنا، بعضهم في طريقه لأسمرا وآخرون للغرب جواً على خطوط البان أميركان الجوية.

إلى ر. س. مايال الخرطوم ١٨ يوليو ١٩٤٢

الأحداث في مصر:

الأمور هدأت نوعاً ما بعد خطابي الأخير لك، ولكن ما دام روميل وفرقه المصفحة المتقدمة تبعد فقط ٧٥ ميلاً من الإسكندرية، ستضطرب الأمور كلما حقق هو بعض النجاح، مع ما يسببه ذلك من مشاكل استقبال اللاجئين. خلصت لجنتنا للاجئين بعد إجراء مسح للخيم وغرف الفنادق، وغرف الطعام في البارات والمطاعم، والمنازل لإيواء الجنود، وسعة المطابخ في منازل الموظفين بسرادق في الحدائق، إلى أن الخرطوم قد تتمكن من استضافة ١٥,٠٠٠ لاجئ على أحسن الفروض (جنود ومدنيين وأطفال وخلافهم). قيادة الشرق الأوسط قررت عدم إرسال قيادة مساعدة لسلاح الطيران الملكي للسودان في حالة إجلاء، وإنما تقوية رئاسة سلاح الطيران في السودان.

كانت هناك تصرفات هستيرية في مجلس النواب المصري يوم ٢٩ يونيو، ليس بسبب أعمال تخريبية بل العكس. كان رئيس الوزراء حازماً وتصرف بحكمة. ولكن تصرف بعض الجهات الأمريكية والأوروبية كان سيئاً بسبب عدم التوجيه من الجهات العليا، ولمغادرة البحرية من الإسكندرية وللخطط المتسرعة في جلاء زوجات الجنود ومكتب وزير الدولة.

وصل إلينا سكرتير من البعثة الديبلوماسية الأمريكية من القاهرة، وتركناه مع مندوب خطوط البان أميركان الجوية للإهتمام برعاياهم. حوالى ٩٠ منهم تم ترحيلهم إما لأسمرا أو الجنوب أو الغرب. في احتفالات ٤ يوليو في القاهرة كانت هناك امرأة أمريكية واحدة وكانت على وشك الوضع. كل النساء الأخريات كن بريطانيات وكذلك أغلب الرجال.

ماكنتوش، نائب السكرتير الإداري والمعار لوكالة السودان في القاهرة، كتب يوم ٤ يوليو من القاهرة يقول إن الحركة في الشوارع طبيعية ولكنها مكتظة بعربات الجيش. لقد منح ٤٥٠ تأشيرة للسودان لغاية ٣ يوليو خلاف الليبيين، أغلبهم أمريكان ويهود وسوريون وإغريق. أغلب الجنسيات الثلاث الأخيرة كانوا رجالاً شهدت السفارة أن حياتهم ستتعرض للخطر إذا أقاموا في القاهرة نسبة لنشاطهم الداعم لبريطانيا. عندما بدأ كانت وكالة السودان محاصرة بالناس وقد تمكن من دراسة الطبيعة البشرية المجردة. يبدو أن الأمريكان والأوربيين فقدوا الكثير من الاحترام في تزاحمهم لمغادرة مصر. لم يعترف أي منهم بأنه خائف وإنما لديهم أعذار أخرى لمغادرة مصر. فقط أمير تركي كان صادقاً عندما اعترف بأنه خائف.

طاقم السفارة الإغريقية أبحر إلى جنوب أفريقيا، وكذلك اللاجئون الإغريق الذين وصلوا إلى مصر من الجزر الإغريقية.

السفارتان البريطانية والأمريكية قامتا بحرق كل مستنداتهما السرية. مكتب وزير الدولة ومركز إمدادات الشرق الأوسط تم نقلهما إلى فلسطين يوم ٣ يوليو. الغرفة التجارية عقدت اجتماعاً موسعاً نفس اليوم وأعلمت كل الرعايا البريطانيين أن يبقوا في أماكنهم. القنصل العام أيضاً وصّى بذلك ورفض منح تأشيرات إلى فلسطين. مكتب وكالة السودان كان هادئاً نسبياً يوم ٥ يوليو وحالة اللاجئين في الشلال تحسنت وقد سحبنا رجلي الشرطة وموظفي الجوازات، كما عاد أي. ج. إيفانس إلى القاهرة ليقدم تقريره إلى ساندرز ويرتب كل ما يمكن عمله إذا تجدّد الحال مرة أخرى، حيث كان الاضطراب الأول هذا بمثابة خبرة مفيدة لكل الناس.

كتب ساندرز يوم ١١ يوليو: «مصر بدأت تصحو وتفرك عينيها مرة أخرى»، الملك فاروق قال، كما أشيع، إن البريطانيين سمحوا لدول المحور أن تتقدم لهذا الحد حتى يتمكنوا هم (البريطانيون) من أن يحكموا قبضتهم على مصر.

قام طياران من سلاح الجو المصري بقيادة طائرتيهما من طراز قلاديتر وانضما للعدو، وعليه فقد حرم سلاح الطيران المصري من الوقود.

المؤتمر:

لم يكن لديّ الوقت الكافي للكتابة لك عن المؤتمر والموقف لم ينجل بعد. لقد اجتمعت مع رئيس المؤتمر واثنين من كبار أعضائه قبل يومين وأخبرتهم بصراحة أن المؤتمر يجب أن لا يتصرف بتهوّر، وأنهم يعادون الموظفين البريطانيين بدون ضرورة، الشيء الذي يعيقني من تسريع السودنة وتطوير التعليم العالي. وكوننا رفعنا مذكرة معينة و(كما آمل أن يكون الحال) فورة مؤقتة، لا يعني أننا ضد الطبقات المتعلمة، أو أننا سنتراجع عن سياستنا الرامية لإعطاء السودانيين مزيداً من المشاركة في الحكومة. لقد أبدوا وداً ومعقولية، ولكن كالعادة كانوا قلقين بالنسبة لتصرفات زملائهم المتعصبين. لجنة الستين اجتمعت مساء أمس ولكن لا علم لي بما تم فيها.

القصاصات التي أرسلتها لي بالبريد الجوي عن شئون المستعمرات وخلافه قيمتها لا تقدّر بثمن في هذا المنعطف. أرجو أن تداوم على إرسالها حتى نكون ملمّين بأفكار واتجاهات الصحافة والبرلمان في بريطانيا. زمن الحرب كله عمل، أما التفكير والدراسة فلا مجال لهما، وهذا هو السبب في حدوث الأزمات السياسية.

التعليم:

أنا غير سعيد إطلاقاً بموقف المدارس العليا، ويشاركني الرأي روقمان وبرايدي. مجلس إدارة مدرسة الهندسة وصّى بإلغائها أو بإجراء إصلاح جذري. كان لا بد لنا من تعطيل مدرسة الزراعة موقتاً، والمدرّسون البريطانيون لمدرسة العلوم ومدرسة الهندسة يحتاجون لإعادة تأهيل. بعض المُعَيّنين حديثاً غير لائقين. وبما أن السودنة تعتمد أساساً على تلك المدارس، يمكنك تفهّم أسباب قلقي. مصاعب الحرب هي جزء من المشاكل، ولكنها ليست كل السبب. ما زلنا في حاجة لمجلس إدارة للمدارس. سنناقش ذلك في مجلس الحاكم العام هذا الصيف.

إلى شقيقتيه، الخرطوم ٧ أغسطس ١٩٤٢

أنجلا أوقلفي وكاثلين تيري

ذهبت مع جورج برايدن في زيارة للأبيض لنطمئن على أداء يوان كامبل في مديريتنا السابقة (كامبل هو مدير مديرية كردفان في ذلك التاريخ وقد خلف نيوبولد الذي خلف بدوره جورج برايدن - المترجم). الأمطار كانت تهطل منذ أسابيع بمنسوب متواضع في البداية، إلا أنها زادت بمناسيب عالية والمنطقة الآن مخضّرة جداً والأبقار تشرب من مياه البرك، والعرب سعداء ويتوقعون محصولاً وفيراً، الشيء الذي نحتاجه فهناك نقص في الحبوب. هناك أيضاً خطر من الجراد، ولدينا منظمة في الشرق الأوسط موزعة على مناطق من إيران إلى الصومال الإيطالية، فيها خبراء حشرات من نيجريا والسودان والملايو وكينيا موزعين على طهران ودمشق والقدس والخرطوم وأديس أبابا وغيرها لمطاردة أسراب الجراد وإرسال تقارير عن تكاثرها وحجم أسرابها.

لم أفارق مكتبي صباح مساء لنحو خمسة أشهر، وكنت في غاية المشغولية ولم أتمكن من تحرير خطاب مناسب لكما، ولكني طلبت من مايال أن يمدكما بكل الأخبار حيث أقوم بكتابة رسالة إخبارية له بصورة منتظمة. لا أذكر آخر مرة كتبت لكما ولكني أرسلت لكما خطاباً مقتضباً منذ فترة وجيزة أفيدكما فيه أنني بخير. حقيقة أنا بصحة جيدة ولم يصبني أي مرض منذ بداية الحرب سوى أربعة أيام أصبت فيها باليرقان. ولكن من المضجر أن لا يجد الإنسان يوماً واحداً للراحة بمفرده حيث المنزل يعج دائماً بالناس والزوار من جنرالات جيش وطيران، وسفراء وضباط حركة فرنسا الحرة، وقناصل، وآخرين، إما زائرين أو عابرين. في واقع الأمر لم يزد العمل في الفترة الأخيرة، ولكن كل شيء يجب أن ينجز بسرعة والبرقيات المستعجلة تنهمر علينا، وأغلب الزوار يهبطون علينا من الطائرات دون إنذار - من لاغوس والقاهرة ورأس الرجاء الصالح وعدن. وبما أنهم عادة لا يقضون أكثر من نصف يوم في الخرطوم فيتوجب علي أن أجمع الناس للقاء عاجل لمناقشة مواضيعهم. أحياناً تصل مجموعة

منهم من اتجاهات مختلفة في نفس الوقت - مثال ذلك، وصلت في أحد الأيام أربع طائرات (الخطوط البريطانية، والبان أميركان، وطائرة من الكنغو، وأخرى من جنوب أفريقيا) حضر في واحدة منها سفير العراق إلى واشنطن وزوجته، وماكمايكل (المندوب السامي في فلسطين)، وراندولف تشرشل، والجنرال أندرز (قائد ا لجيش البولندي في روسيا)، والأمير بول الإغريقي، وجنرال بحري إغريقي، وعقيد في حركة فرنسا الحرة وآخرون يتحدثون لغات مختلفة. لا بد من الترحيب بهم جميعاً واستضافتهم وحل مشاكلهم أو مشاورتهم أو مناقشتهم في مواضيع مختلفة وبلغات مختلفة. وغالباً تصل طائراتهم حوالى الساعة الخامسة عصراً عندما يكون الإنسان قضى يوماً طويلاً في اجتماعات ومقابلات عسكرية وقد رجع من المكتب حوالى الساعة السابعة مساء ليتحمم وينعم بعشاء هادئ، ليجد عقيداً بلجيكياً وإدارياً من الصومال الإيطالية ومهندساً من شركة بان أميركان وضابطاً بحرياً يونانياً من بورسودان يجلسون في حديقته ينتظرون عودته ليستفسروا عن أشياء عدة تتطلب اتصالات تلفونية كثيرة، واستهلاك لكميات من مخزوني من الويسكي المحدودة، والعرق يتصبب من جبيني، وأنا أكابد بالفرنسية لمعرفة مواعيد الطائرات، أو قوانين تجنيد الرعايا الإغريق في السودان، ومحطات الاتصال في تشاد، والازدحام الذي يؤخّر وصول صادرات الكنغو البلجيكي إلى مديرية أعالي النيل. البولنديون دائماً مهذبون وهم أفضل حلفائنا ولهم هدف واحد فقط - قتل أكبر عدد من الألمان. الإغريق أيضاً لا بأس بهم، ولو أنهم يعملون بواسطة أجهزة مختلفة ومربكة - مثال؛ التجنيد لرعاياهم في أفريقيا بالنسبة للسودان، قد تم بين قنصل اليونان العام في القاهرة ومكتبي، ثم عن طريق بعثة عسكرية صغيرة وصلت إلى هنا وأعادت العمل، ثم بعثة بريطانية - إغريقية مشتركة كبيرة وصلت دون إنذار وغيرت كل الخطط، وأخيراً وصل جنرال بحري إغريقي من بورسودان التي نستضيف فيها جزءاً من البحرية الإغريقية ونقوم بصيانة بعض سفنها من وقت لآخر، وحاول أن يجند بعض الإغريق الذين تمّ تجنيدهم في الجيش الإغريقي ويقومون بالتدريب في القدس لينضموا لسلاح بحريته.

لقد جلست بجانب ملك اليونان أثناء مأدبة غداء في القصر. هو رجل ودود وقد عاش في المنفى مدة طويلة في فندق براونز في لندن (ملتقى مجموعة أكسفورد المفضّل). ذكر لي أن التقتير في الأكل في قصر بكنغهام فظيع - بيضة واحدة في الأسبوع. وقد همس لي متسائلاً إذا كان في مقدوره أن يتناول قطعة أخرى من زبدة الحاكم! في الواقع نحن هنا محظوظون بدرجة استثنائية في ما يختص بمواد الأكل الأولية، خصوصاً في الخرطوم. اللحوم متوافرة، الضان والبقر، رغم أننا نصدر ١٥٠,٠٠٠ رأس من الضان و٥٠,٠٠٠ رأس من الأبقار لجيوش أوشينلك. البيرة غير متوافرة ولكن هذا غير مهم في الوقت الحاضر. البن متوافر بكميات غير محددة من الكنغو وأثيوبيا، والشاي ما زال متوافراً من كينيا، ولكن إدارة الشرق الأوسط تهدّدنا بتخفيض حصتنا إلى الثلث. كنّا نستورد الدقيق من أستراليا ولكن نسبة لقلة السفن التجارية نقوم الآن بزراعة القمح محلياً ونأمل أن ننتج حوالى ١٦,٠٠٠ طن هذا الشتاء (القمح محصول شتوي) ولدينا مخزون يكفي لذلك الوقت على ما أعتقد. لقد ناقشنا خلط دقيق القمح مع دقيق الذرة أو دقيق الأرز أو دقيق الذرة الشامية أو دقيق اللوبيا، ولكنّنا لم نضطر لعمل ذلك إلى الآن.

الويسكي كمياته محددة ولكنه يكفي إلاَّ للمدمنين، ولو أننا اضطررنا لرفع سعر الزجاجة إلى ١٢ شلناً، إلا أنه ما زال رخيصاً جداً مقارنة بأسعار إنجلترا. كنّا نتخوف من نقص في الأقمشة حيث كنّا نستورد أغلب القماش الرخيص لاستعمال الأهالي من اليابان، ولكنّنا بدأنا حملة لزيادة نسيج القطن المحلي، والآن أصبحت المصانع ومدارس الأولاد والبنات يغزلون وينسجون خصوصاً في المديرية الشمالية ومديرية النيل الأزرق. لقد وصلت إلينا كميات من الهند ولا أعتقد أن الشعب سيضطر أن يتعرى مرة أخرى، ولكننا رفعنا الشعارات التي تقول «قصّر ملابسك والبسها طويلاً». السكر هو العنصر الرئيسي لغذاء السودانيين، وخصوصاً عند المتعلمين والحرفيين، يقلقنا طول الوقت. الأسعار في مصر وسوريا أغلى مما عندنا، ومشحوناتنا الشهرية تم حجزها.

كما مررنا بتجربة محرجة بسبب تحويل البواخر التي استأجرناها لنقل الحجيج السودانيين وحجيج نيجريا من سواكن إلى جدة الشتاء الماضي. لقد زاد عدد الحجيج بآلاف عديدة عن تقديراتنا لزمن الحرب، وكان من الضروري لرفع روح العالم الإسلامي المعنوية أن نوصلهم لمكة سالمين، ولكن في آخر لحظة تم تحويل السفن لأغراض أخرى، واضطررنا أن نبحث بلهفة عن سفن أخرى، وبعد إرسالنا برقيات مشفرة إلى ممباي تمكّنا من تأجير سفينة تابعة للخطوط البحرية المقولية كانت موجودة في البحر الأحمر، وتمكّنا من ترحيلهم في الوقت المناسب ليصلوا إلى مكة.

ثم برزت لنا مشكلة نقص حاد في مياه بورسودان، وقد فكرت في استعمال صلاحياتي بموجب قانون دفاع السودان لإجلاء أغلب سكان بورسودان المدنيين. ولكني اصطحبت بعض المهندسين لبورسودان، وبعد ترشيد الاستهلاك، وحفر آبار جديدة، ومدّ خطوط أنابيب مياه، وتحويل السفن إلى عدن لتأمين مياهها، تغلبنا على الأزمة. كما شيّدنا خزانات ضخمة، وتعاقدنا مع خبير جيولوجيا ومهندس مياه من شمال روديسيا وضاعفنا الكميات والمخزون لثلاثة أضعاف الحجم السابق.

لقد أخبرتكما بأننا أصبحنا مثل كلافام جنقشن (Clapham Junction)، (حي في جنوب لندن تتقاطع فيه خطوط السكك الحديدية من الجنوب والشرق والشمال - المترجم) بالنسبة لخطوط الطيران العابرة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً من الكنغو وفرنسا الإستوائية، ورأس الرجاء الصالح، والهند، وروسيا، والصين، وإيران وخلافها. الديبلوماسيون وكبار الضباط والقادة الجدد يعبرون من شنقكنج إلى واشنطن، ومن موسكو إلى لندن، ومن لاغوس إلى القاهرة، ومنها إلى طهران وبغداد ودمشق وليوبولدفيل وديربان ودلهي. الجنسيات الوحيدة التي لم نشاهدها هي الأسكيمو وسكان التبت.

الرائد في سلاح الطيران الأمريكي أحضر معه طيار أمريكي شاب ليتناول الشاي معي وقد كان الشاب في ألاسكا منذ أسبوعين. قابلت مطراناً من بولندا في طائرة كنغولية عندما أخذتها من ملكال في مديرية أعالي النيل في فبراير الماضي، وكان يرافقه

بعض القساوسة البولنديين. سألته من أين أتى؟ رد بأنه غادر أبردين متوجهاً إلى كوبيشف ليحمي أسرى الحرب الذين أفرج عنهم في روسيا، من دعاية السوفيات الإلحادية. وهذه الرحلة أغرب من سابقتها في نهاية عام ١٩٤٠ التي تخص قائد بحري زارني في منزلي وذكر لي أنه مسلم وهو في طريقه من نارفيك «Narvik» (في الاتحاد السوفييتي - المترجم) إلى عدن ويرغب في مقابلة أمبراطور أثيوبيا (الذي كان بالخرطوم آنذاك) لأنه كان يبيعه الخيول عندما كان يعمل مع سلطان زنزبار.

لم أتمكن من مقابلة الوفد الصيني إلى واشنطن حيث هبطوا فقط في المطار هنا ثم واصلوا طيرانهم إلى غرب أفريقيا، ولكن قابلت الوفد السوفيتي والذي تكوّن من أدميرال بحري يتحدث قليلاً من الفرنسية ولا يتحدث الإنجليزية، وجنرال صغير السن يعرف حوالى عشر كلمات إنجليزية، ومسؤول في الحزب الشيوعي الروسي يلبس بدلة زرقاء وربطة عنق مدرسية غالباً لاسترضاء البرجوازيين الإنجليز، (كان يتحدث الإنجليزية بلهجة أمريكية جيدة، وكان ودوداً). وعندما ذكر الحاكم العام أنه حارب مع الروس في إيران، علق هذا الشاب «لعل ذلك كان في الحرب الإمبريالية الأخيرة»، لكنه قام بتصحيح خطئه. كان هنا في المستشفى جنرال تشيكي اسمه أنفرس وضابط اتصال تشيكي أيضاً من طبرق (التي حاز فيها على وسام الصليب العسكري) اسمه الأمير لودكوفيتش، وهو صياد وحوش ماهر ويملك قلعة على مشارف براغ وكان في طريقه إلى واشنطن للقاء زوجته الأمريكية وأطفاله الذين لم يلتقهم من خمس سنوات. معنا عدد كبير من الصيادين البولنديين يقودون الطائرات الحربية عبر طريقنا الجوي من غرب أفريقيا للخرطوم ينقلون الإمدادات. لدي عمل شائق في المحافظة على هذا الخط الجوي، كما أن منظر أسراب الطائرات الأمريكية والبريطانية، الكبيرة والصغيرة، مبهج. كان لا بدّ لنا من زيادة عدد مطاراتنا وتوسيعها، وكذلك زيادة وسائل نقل آلاف الأطنان من الوقود من مسافات تبعد أكثر من ٥٠٠ ميل من الخرطوم، بالإضافة لإنشاء مراكز بحث وإنقاذ لطاقم الطائرات، واسترداد وإصلاح الطائرات التي تسقط في المناطق الصحراوية.

للأسف إن عدداً من أطقم الطائرات ماتوا من العطش وبعضهم أطلقوا النار على أنفسهم، ولكننا تمكّنا من إنقاذ أغلبهم واسترداد وإصلاح المحركات. وأحياناً عندما تهبط الطائرة بدون أضرار نقوم بتنظيف المكان من العشب والأشجار لعمل مدرج لتمكين الطائرة من الإقلاع مرة أخرى. هذا الجانب من العمل يقوم به مفتشو مراكز دارفور، بالإضافة للتعاقد مع العمال لعمل المطارات وبناء المعسكرات لسلاح الطيران الملكي ولموظفي طيران البان أميركان.

ذهبت للأبيض لمعاينة مدرسة قيادة السيارات لقوّة دفاع السودان، قوّة دفاع السودان تضاعفت قوّتها عدّة مرات وتعتبر جيشاً الآن بعرباتها المصفحة ومدفعيتها، ومهندسيها، وجهاز اتصالاتها اللاسلكية وخلافه. وهي أكبر بكثير من كل نظيراتها في أفريقيا مثل سلاح الملك الأفريقي، أو قوة حدود غرب أفريقيا، أو سلاح تشاد السنقالي، أو قوة الكنغو الشعبية. ربما تكونان قرأتما عن الأسئلة المقدّمة في مجلس العموم عن السماح بإلحاق الأفارقة ببراءات في جيوش المستعمرات. وزير المستعمرات ذكر أن هناك فقط واحداً أو إثنين من الأفارقة مؤهلين بسبب تدني مستوى التعليم. في الواقع لدينا حوالى ٤٠٠ ضابط سوداني، أغلبهم يتحدّثون الإنجليزية وبتعليم للمرحلة الثانوية. كذلك لدينا ١٠٠ ضابط بريطاني في قوة دفاع السودان أصلاً مدنيين ومن بينهم ٣٠ من مفتشي المراكز. مدرسة الأبيض لقيادة السيارات خرّجت ٧٠٠٠ سائق حربي وميكانيكي. أصبحت القوة الآن تعتمد على الآليات حيث بها فرق الرشاشات المحمولة على العربات والمشاة المحمولين على اللواري وخلافه.

كما زرت في الأبيض معسكر المعتقلين الطليان، أغلبهم (حوالى ٨٠) تجار من الخرطوم، وقد مكثوا هناك سنتين. لديهم أجهزة مذياع وميدان لكرة المضرب وكانتين وإضاءة كهربائية، وقد قاموا بزراعة حديقة. تفقّد المعسكر طبيب سويسري من منظمة الصليب الأحمر وكتب تقريراً جيداً. أغلب أسرى حربنا الطليان قد أرسلناهم بحراً إلى جنوب أفريقيا أو الهند، ولكن ما زال لدينا ١٠٠٠ منهم. المعتقلون المحليون تم

ترحيلهم إلى أرتريا والحبشة.

لقد قمت في الأيام القليلة الماضية برحلة إلى أسمرا ولكن لم يتسنَّ لي الوصول إلى أديس أبابا بعد. يجب أن أجد ثلاثة قناصل من جهازنا الإداري، الشيء الذي سيرهقنا كثيراً حيث الجهاز أصلاً يعمل بأقل بكثير من حجمه الطبيعي. مارتن بار، مدير الاستوائية اضطررنا لإخلاء سبيله بسبب العجز نسبة لمرضه المتواصل بالملاريا وضعف القلب، وسيرجع بعد حوالى شهر من ممباسا. جورج برايدن ما زال مديراً لمديرية النيل الأزرق، ويوان كامبل مديراً لمديرية كردفان التي تدار جيداً وقد مدّتنا بعدة آلاف من الجنود خصوصاً من قبيلة النوبة التي تجيد الحرب.

مديرية مارتن - الاستوائية - أنتجت كميّات كبيرة من الأخشاب لفلنكات السكك الحديدية الحربية في الشرق الأوسط، ولأكواخ معسكرات الجيش وسلاح الطيران الملكي. لقد أنشأنا مناشر خشب جديدة في جبال الأماتونج على حدود يوغندا، وأخريات للاستفادة من الغابات المدرّجة على حدود الكنغو. كذلك توسّعنا في قطع خشب الوقود في مديرية النيل الأزرق لنقلل من استيراد الفحم، واختصرنا استعماله فقط للسكة الحديدية، وحتى هناك نقوم بحرق بذرة القطن للقاطرات. لقد جربنا حرق الدوم ولكننا لم ننجح. المديرية الشمالية ومديرية النيل الأزرق تمدان الجيش وسلاح الطيران الملكي بمئات الأطنان من الخضروات، وجارين شحن إنتاج القطن من الجزيرة لإنجلترا لصناعة بالونات الحواجز وقماش الطائرات والإطارات وخلافه.

عودة للزوار، لقد قابلت ستافورد قربس (المحامي العام ورئيس مجلس العموم في الحكومة الوطنية برئاسة تشرشل - سياسي ومحام بارز في حزب العمال - المترجم)، وتحادثت معه عدة مرات في طريقه للهند وعند عودته منها. أخبرني أن غاندي غير مدرك لما يجري ويشغل نفسه بالأفكار التجريدية، أما محمد علي جناح، رئيس التجمّع الاسلامي فهو محام قدير ولكنه عنيد، وهو أحب البانديت نهرو جداً، ويعتقد أن قادة حزب المؤتمر الهندي كلهم كبار في السن.

سمتس مرّ حتى تاريخه عن طريقنا أربع مرّات وزوجته مرّتين. لقد اجتمعت به كثيراً. إنه رجل عظيم جداً، لا يكلّ ولا يملّ رغماً عن عمره البالغ السبعين عاماً. زوجته امرأة قوية من البوير، وأستاذة كلاسيكيات، وليست ضد البريطانيين كما كانت من قبل، ولا تلبس قبعة رأس أبداً. هي ربة منزل عادية ومزارعة ملتزمة ومناها أن تصبح جدّة كبرى وتشاهد أولاد أحفادها. سير بيرفان رينفلد، رئيس أركان سمتس كان من أوائل الطيارين الذين سافروا جوّاً إلى الصحراء الغربية عام ١٩١٥. أنا معجب به جداً وهو يعبد سمتس.

سير ريجنالد دورمان سمث، حاكم عام بورما، وصل من الهند، أخبرني عن جلاء رانقون والتراجع إلى ماندالي وميتكينا. قابلت الأدميرال سير أندرو كننقهام، قائد عام البحر الأبيض المتوسط في طريق عودته إلى بريطانيا، وكذلك خلفه الأدميرال هاروود - بطل حرب الريفر بليت (الأرجنتين - المترجم) وقد سألني إذا كان هناك بطّ في الإسكندرية يُصطاد، كما تمنى أن يكون كننقهام قد ترك له بعض السفن ليقودها.

السير أرثر سمث، رئيس أركان أوشنليك، أيضاً مرّ من هنا في طريقه لإنجلترا. إنه رجل دين عظيم وعنده محاضرة قيّمة عن التأديب والتي يحفظها أغلب ضباط الشرق الأوسط. أنا أيضاً معجب به جداً.

السير ويلفرد ليندسل، والذي أعتقد كان مندوباً عسكرياً في وزارة الإمدادات، وصل ليخلف ردل وبستر كجنرال للإدارة مساعداً لأوشنليك، (الوظيفة التي يشغلها الجنرال هيننق تحت الجنرال ويفيل) وأخبرنا عن موقع المطاط، والحرس الملكي وخلافه، وهي أخبار مفيدة لنا حيث تصل إلينا أخبار كثيرة عن أفريقيا وآسيا وخلافهما ولكننا لا نسمع الكثير أو الصحيح أو الجديد عن إنجلترا. الخطوط الجوية البريطانية أحياناً تحمل لنا نسخاً من «التايمز» الأسبوعية بعد عشرة أيام من إصدارها في الوقت الذي تحمل لنا البان أميركان مجلات «تايم» و«لايف» و«كولير» أيضاً بعد عشرة أيام من إصدارها. أما بالبريد العادي فتصل إلينا صحف لندن بعد شهرين ونصف، ويؤلمنا أن نقرأ عن تحصين سنغافورة ووضع روميل الميئوس منه (وهي

أخبار غير صحيحة ـ المترجم).

كنا نتوقع وصول رتشارد كيسي ولكنه غادر إلى القاهرة جوّاً عن طريق الجزء الأعلى من الغلاف الجوي (هذا يتطلب أخذ أوكسيجين) وليس عن طريق لاغوس، ولكن زوجته وصلت هنا وكانت في غاية اللطافة والثقافة وأعطتنا وصفاً ممتعاً عن مجتمع واشنطن الدبلوماسي. أخبرتها عن الوالدة وأسرة آدمز. وليام بوليت، موفد روزفلت الخاص للشرق الأوسط رجع إلى الولايات المتحدة عن طريقنا، (وأعتقد هو الآن حاكم لولاية بنسلفنيا)، وسألته عمّا إذا كان الإنتاج الذي تحقّق بالنسبة لظرف الحرب يمكن الاعتماد عليه مستقبلاً، قال «نعم، وخصوصاً بناء السفن بحمولة ٦ـ٨ مليون طن في عام ١٩٤٢». وأضاف: «اذا عدت مرة أخرى إلى الشرق الأوسط فسوف أنقل مكتبي للخرطوم». سألته لماذا؟ أجاب: «سأجاوبك بكلمتين: القاهرة نتنة».

الأمريكيون الآخرون الذين التقيتهم هم الجنرال ماكسويل، مهندس ورئيس البعثة العسكرية في القاهرة، رجل وديع، والرائد شرودر، مندوب سلاح الطيران هنا، ويحفظ أمثالا جميلة ويهاجم بشدّة مركزية الحكم في واشنطن. نعمل سوياً في تسريع تسفير الطائرات إلى الصحراء الغربية. كذلك العقيد شيكرينق في أسمرا التي بها ورشة صيانة كبيرة. أرتريا الآن تسمى ترسانة الديموقراطية. السودان للآن به ١٠٠ أو ٢٠٠ أمريكي، بينما أرتريا بها عدة آلاف بالإضافة إلى ٧٠٠٠ إيطالي. نحن نشارك في حمايتها، ولكن جنودنا السودانيين لا يحبّون المرتفعات (٨٠٠٠ قدم) ويصابون بالالتهابات الرئوية.

الفايكاونت صمويل عبر عن طريقنا إلى فلسطين حيث كان مندوباً سامياً في السابق والآن له علاقات تجارية هناك. عمره الآن يربو على السبعين عاماً، تعشّى معي وأخبرني عن أيام اسكويث (رئيس وزراء بريطانيا سابقاً ـ المترجم). لم نتطرق للصهيونية. هو مثقّف جدّاً.

قابلت سير والتر مونكتن في طريق عودته لإنجلترا. كان نائباً لليتلتون في القاهرة، وأدار مكتب الإعلام والدعاية. لقد زار مالطا منذ فترة قصيرة ـ ربما قد سمعتما حديثه

في الإذاعة عنها. قال إن الشعب عجيب ودفاع سلاح الطيران الملكي كان أسطورياً. لقد شاهدت فيلماً حربياً ممتازاً عن غارة جوية على مالطة منذ فترة قصيرة.

أعجبت بالسفيرين التركيين إلى لندن: توفيق رشدي أراس (السابق) ورؤوف أوربي (الجديد). رشدي أراس كان يتحدّث فقط الفرنسية وقال إن إنجليزيته «مقززة»، ولكنه مسلٍّ جداً. قال «إيدن وأنا كنّا السبب في هذه الحرب، لأننا الذين فرضنا العقوبات على إيطاليا. وبما أن العقوبات فشلت انتهز الدكتاتور الفرصة لشن الحرب». بيتر فلمنج، الروائي، كان مقيماً معي في المنزل، تذكران أنه اصطحبني في العودة لإنجلترا في يونيو الماضي. هو الآن رائد في سلاح القنابل اليدوية وكذلك له نشاط في المخابرات. إنه انطوائي ومسالم بعض الشيء ولكنه شخص لطيف وككل المستكشفين لديه حالات ينعزل فيها وأخرى يشارك الآخرين هرجهم ومرجهم. حاول استفزاز السفير التركي الذي يشبه (لوب) في مسرحية «عزيزي بروتس» ليدافع عن موقف تركيا تجاه بريطانيا. وقد ردّ السفير بالفرنساوي ما معناه «لا يمكن لي أن أحبكم كثيراً لأني أحب الحياة أكثر». ولكنه أقسم أنهم سيقاومون اعتداء الألمان ويعتقد أن الألمان بربريون.

خَلَفُه، السفير رؤوف أوربي كان في البحرية سابقاً وهو مرح ويتحدّث الإنجليزية بطلاقة وما زال يتذكّر أنور وطلعت وكل الحكّام الجدد عام ١٩٠٨. جلست بجانبه على طاولة العشاء، وخطب فينا موضحاً كيف جدّدت تركيا شبابها عندما خسرت إمبراطوريتها المتداعية (اليمن والحجاز وبلاد الرافدين وخلافها) وأصبحت تركّز على اقتصادها الوطني. سألت إذا كانت تركيا ترغب في استرداد أرتريا وطبرق، لكنه ردّ: «أبداً لا شيء سيغرينا لتكون لنا إمبراطورية مرة أخرى». هو يعشق البحرية وقد حارب جنودنا في الحرب الماضية.

لقد تناولت طعام العشاء مع عقيد يوناني الأسبوع الماضي - طويل وبعراو حمراء ونظارات. كان ملحقاً عسكرياً في بوخارست واسمه كوزوموبولس. وقد أعطاني وصفاً تقشعر له الأبدان عن المجاعة والبؤس في اليونان، وهروب الضباط بالزوارق،

والذي كان محفوفاً بالخطر، إلى تركيا حيث تم اعتقالهم، ولو أن بعضهم تمكّن من الوصول إلى قبرص وآخرين إلى سوريا. التقارير عن الأحوال في أثينا تمزق نياط القلوب، الأطفال مصابون بالكساح والوهن، والكبار يتضوّرون جوعاً، والبلاد نُهبت من المحور من كل شيء كما يفعل الجراد، والبلقار يبيدون السكان. ومع ذلك فإن روحهم المعنوية عالية وبحريتهم وجزء من سلاح طيرانهم يحاربون معنا وكذلك سفنهم التجارية.

لم أشاهد أي هولندي منذ مقابلتي لضابطين من بحرية هولندا وصلا إلينا جوّاً في طريقهما إلى سورابايا العام الماضي. كانا طويلين وبسراويل سوداء وبزّات زرقاء وكانا معجبين جداً بويلهلمينا (ملكة هولندا - المترجم). دعوتهما على العشاء مع ضابطي الاتصال الفرنسي والبلجيكي وقضينا أمسية (حُلفاء) نشرب نخب اللعنة على هتلر. أتساءل دائماً عن مكانهما.

مهندسو الجيش الأمريكي الذين بدأوا في الوصول إلى الخرطوم، تدفع لهم مرتبات مُبالغ فيها، وقد أفرغوا سوق أم درمان من الهدايا (مشغولات العاج والفضّة والأبنوس والهبابات وجلد النمر وخلافها). الجندي البريطاني المسكين لا يمكنه منافسة هؤلاء، مثل الحال في القاهرة عام ١٩١٦ عندما كان الجندي الأسترالي يتقاضى ثلاثة أضعاف مرتب الجندي البريطاني، وكانت المقاهي تعلق على أبوابها لافتات تقول: «الضباط والأستراليين فقط». وهذا يذكّرني بإحدى اللافتات في أحد المعسكرات الحربية التي تقول: «المراحيض للحمالين والمدنيين فقط».

الأمير بول - ولي العرش اليوناني - عبر عن طريقنا مرّتين. زوجته من جنوب أفريقيا وقد رزقا طفلاً منذ فترة قصيرة. هي جميلة وقد استضافتها لويس روغمان هنا. أخوه كان صديقاً لدوق أوستا، وأخته متزوجة من أخ الدوق - دوق سبوليتو - والذي عُيّن ملكاً (ألعوبة) على كرواتيا في نفس اليوم الذي استسلم فيه أخوه، دوق أوستا للجيش السوداني بقيادة الجنرال بلات في إمبا ألاجي في شمال الحبشة.

سمعت وصفاً دقيقاً عن جوزف ستالين الشتاء الماضي من المسيو قافريلوفتش

الوزير المفوّض اليوغسلافي في موسكو التي كان فيها إلى أكتوبر ١٩٤١. قال إن موسكو لم تتأثر كثيراً من القصف. الكرملين لم يصب بأي أذى ولو أن قنبلة سقطت في حديقته، وأن المدافع المضادة للطائرات كانت استحكاماتها ممتازة. كان من الصعب مقابلة ستالين، ولكنه كان ملمّاً بكل صغيرة وكبيرة ويتمتع بذاكرة جيدة.

روبرت هاو الوزير المفوّض الجديد إلى أديس أبابا، كان في بكين وذكر أنه مهما كانت صعوبة التعامل مع كبار الموظفين الأحباش فإنهم لا يرتقون لدرجة مراوغة كبار الموظفين الصينيين الذين كانوا يتحلّون بأخلاق عظيمة مستمدّين تحضّرهم من قرون من الفلسفة، وكان يشعر أمامهم كطفل غير متحضّر. كان يعرف شيانغ كاي شيك معرفة جيدة وقال إنه رجل عظيم ولا يعاني من ضعف الصينيين الذي يجنح إلى التسوية والحل الوسط. وعندما حاول اليابانيون مدّ قنوات مع الصينيين قال لهم إنه سيوافق على السلام بعد أن يغادر آخر جندي ياباني سواحل الصين وكوريا. قابلت الوزير المفوّض الصيني إلى تركيا لمدة نصف ساعة ولكن كما يحلو للعقيد ربنقتون (الذي كان يعرف في الحرب الأولى باسم المجالد الأكول) أن يقول: «لم أجد في مدوّناتي أنه ذكر أي شيء مفيد». أخشى أن يكون هذا الخطاب من طراز ربقتون، ولكن ليس لديّ الوقت للتسجيل في مدوّناتي ولذلك رأيت أن أسجّل تلك الاجتماعات في هذا الخطاب قبل أن أنساها.

لا تحسباني أقضي وقتي في الحفلات مع القناصل أو تبادل القيل والقال مع الجنرالات. تلك الاجتماعات في حقيقتها دبلوماسية ودائماً بعد ساعات العمل الممل والبطيء وغالباً تُعنى بالمسائل الأبدية الخاصة بالإمدادات والترحيل والحبوب والمواشي والوقود والنفط واللواري والبناطين والقطارات والبواخر النيلية والأخشاب، والمشاكل الأزلية عن كيفية ترحيل حمولة ثقيلة على عربة غير ملائمة لمسافة خمسمائة ميل من الطرق الرملية أو الطينية أو الأنهر الضحلة المتعرّجة. سير ويلفرد ليندسل ألّف كتاباً لضباطه عن الإدارة العسكرية والذي فاقت بيوعاته كتب إدغار ولاس، والكتاب الآن في طبعته الرابعة والعشرين، ربما لأنه مفروض على

الضباط مشتراه كما هو الحال مع كتاب هتلر «ما ين كامف» ولكن الكتاب لا يوضح كيف تلبّي طلب الرائد شرودر من سلاح الطيران الأمريكي عندما يقول: «نرجو أن ترحل لنا مليون جالون جازولين عبر ذلك الطريق الغربي اللعين بنهاية الشهر القادم». بينما الجيش قد صادر ٤٠٠ لوري تجاري، ولا بدّ من إرسال الجازولين بالجمال وأصحاب الجمال منتشرون في الصحراء الشمالية في مساحة في حجم فرنسا ولا يملكون ساعات منبهة ولا تلفونات. كما لا يفيدك الكتاب عندما يطلب منك الجيش ١٠٠ عامل إشارة وترد عليك مصلحة البريد والبرق أن بإمكانهم الاستغناء عن أربعة من عمالهم ولكن ثلاثة منهم مرافقهم تؤلمهم والرابع لا يقرأ أو يلم باللغة الإنجليزية. أو عندما يطلب منك العميد المسؤول أن تمده بـ٩,٠٠٠ عامل ليحملوا مواد عسكرية على النيل من منطقة قرب خط الاستواء، بينما يطلب زميل له من فرقة أخرى أنه يحتاج لـ٩,٠٠٠ مجند إضافي لقوة دفاع السودان، في الوقت الذي يشتكي فيه مدير المديرية بأسى: «هل مديريتي هي مزرعة قمح أو مصنع مجندين أو بركة عمال؟ لأنني لا أستطيع تلبية الثلاثة مطالب وخصوصاً أنكم سحبتم ثلاثة من مفتشي مراكزي للجيش، كما يهددنا الجراد وطاعون الماشية، وأنا أعاني من عدم أخذ عطلة ومن بُعدي عن أسرتي».

في الواقع الزملاء متقبلين الأمور بجَلَد مع أن تخفيض العطلات، وقلة فرص السفر، والانفصال القسري عن زوجاتهم وأسرهم لمدة سنتين أو أكثر يثير أعصابهم خصوصاً أولئك الذين يخدمون في المناطق النائية الموبوءة بالملاريا. ولكن بوجه العموم أعتقد أنهم عملوا المستحيل في توفير الرجال من بيض وسود للجيش ولسلاح الطيران الملكي. لقد استغنينا عن ٢٠٠ موظف إداري وغير إداري بريطاني للمجهود الحربي، وآلاف السودانيين تم تجنيدهم لقوة دفاع السودان بعد تلقيهم بعض التدريب من مفتشي المراكز، وآلاف الأطنان من القطن، والأخشاب، والحبوب، والخضروات. كما أنتجنا آلاف الأبقار والأغنام وتم ترحيلها إلى القوات في المملكة المتحدة. كما تبرع البريطانيون والسودانيون بـ١٠٠,٠٠٠ جنيه مصري لصندوق الحرب والهيئات

الخيرية، و٣٠٠,٠٠٠ جنيه مصري من حكومة السودان لوزارة الحربية ووزارة الطيران وللحكومة الهندية اعترافاً بجميلهم في الدفاع عن السودان. كل هذا قد تم بواسطة حوالى ٧٠٠ موظف إداري بريطاني و١٠٠ من غير الإداريين بالإضافة لمساعديهم من السودانيين في مساحة تبلغ مليون ميل مربع.

في ذات الوقت فإن إدارة البلاد المدنية تتباطأ بسبب تخفيض الموظفين والذين لن نتمكن من استبدالهم إلا في حالات استثنائية. عندي نقص لـ٣٥ مفتش مركز، وهذا يمثل ربع حجم الجهاز الإداري تقريباً. لقد خفضت عدد مفتشي المراكز في المديريات التي كان بها ثلاثة إلى اثنين والتي كان فيها اثنان إلى واحد، واستبدلت صغار المفتشين في رئاسة المديريات بالزوجات اللواتي يجدن الطباعة على الآلة الكاتبة وحفظ الملفات، ولكن لا أدري ماذا سيكون الوضع عندما ينجبن أطفالاً. لا أعتقد أن في إمكانهن وضعهم في أدراج طاولة المراسلات الصادرة!

أثيوبيا قد هدأت بعض الشيء في ما يخصنا، وقد أرجعت أربعة من مفتشي مراكزنا من هناك لينضموا لقوة دفاع السودان. لقد كانت هناك حرب أهلية محدودة، والغارات الحدودية رجعت كما كانت، مع الفارق، أنها أصبحت الآن تقوم بها جماعات منظمة ولديهم الآن بنادق أتوماتيكية ورشاشات. إرسال الشكاوى للمسئولين الأثيوبيين لا يجدي حيث هم أنفسهم إما مشاركون في تلك الغارات أو يبتزون تلك العصابات. لا توجد حكومة تذكر خارج أديس أبابا وكل ما يمكننا عمله هو أن نحرس حدودنا ونضغط على الإمبراطور ليضع بعض دعائم القانون والنظام. وإلى أن يقوم الإمبراطور بدفع رواتب موظفيه ويتفرغ لقوة شرطته بدلاً من تعيين السفراء لواشنطن والقناصل للقدس وعدن ونيروبي، وتصميم مدارس البنات ومصانع الألبان النموذجية، لن يكون هناك خلاف اللصوصية والفساد بمجرد أن يتخطى الإنسان حدود أديس أبابا. ومع ذلك فلا بد أن نمهله بعض الوقت وهناك بعض الإشارات عن تحسن في الأوضاع، هناك الكثير من البنادق والذخيرة والقنابل اليدوية في أرتريا وأثيوبيا تكفي لجيوش من قطاع الطرق لعشرات السنين، وليس لديه أكثر من ٢٠٠ شخص

من شعبه ممن تحصلوا على تعليم فوق المرحلة الوسطى. ولديه عدد قليل من شيوخ القبائل المحترمين ممن لديهم بعض الولاء والنظام، وإذا ما أحسن معاملتهم وأحسنوا هم معاملته فقد يبرز هناك نوع من الإدارة الإقليمية. وفي الشمال عنده رجل مناسب في ما «راس سيوم» (ملك التقراي) والذي شارك مع آلاف من محاربيه في واقعة إمبا ألاجي الختامية. وهو من سلالة أمبراطور سابق، ولكن عندما قدّمه أحد مفتشي مراكزنا إلى عميد من جنوب أفريقيا قال الأخير: «عمري لم أصافح زنجياً ولا أنوي أن أبدأ الآن».

انتصارات رومل في طبرق وتقدمه لبعد ٧٥ ميلاً من الاسكندرية كان ضربة موجعة لنا جميعاً. لقد حصل، كما كان متوقعاً، اضطراب وفزع في مصر، وقد وضعت خطط لإجلاء بعض المسئولين ووحدات الحلفاء. وقد أخطرونا في وقت غير كافٍ لنستقبل اللاجئين وخلافه، وكان من الصعب علينا تدبر الأمر. إنكما تعلمان الأحوال في شمال السودان. كان مثل أن تُخطر سذرلاند Sutherland (مقاطعة في شمال غرب اسكتلندا تعتبر الأقل كثافة سكانية في بريطانيا وعدد سكانها في عام ١٩٣٨ كان ١٥,٣٩٢ نسمة ـ المترجم) بأن تستضيف مكاتب الحكومة وبعض سكان أدنبرة وغلاسقو. لم نكن ندري مَن سيصل إلينا إذا ما تقدّم رومل. كان علينا أن نتوقع ملك مصر وحكومته والوحدات العسكرية والجوية، وطوفان من الأغريق ورعايا فرنسا الحرّة واليهود والسنوسي والأمريكان وخلافهم، في الواقع كل من لم يتيسر له الذهاب إلى فلسطين وسوريا. جهزنا خططاً مبدئية لما لا يزيد عن ١٥,٠٠٠ لاجئ بين عسكري ومدني. في نهاية الأمر وصل إلينا فقط ١,٥٠٠ بينهم عدد كبير من الأمريكان وجماعة السنوسي واليهود وآخرين كانت حياتهم معرّضة للخطر. من بين جماعة السنوسي كان هناك عمدة بنغازي وعمدة درنا. إنه من المفارقات كوني حاربت السنوسي عام ١٩١٦ وكان الطليان حلفاءنا.

أثناء فترة الفزع في مصر هجم المودعون على البنوك لسحب مدخراتهم، وقد سحب بين ١٥ و٢٠ مليون جنيه مصري. كما تم ترحيل ٧٥٠ من فرقة خدمات الجيش

المساعدة النسوية الجنوب أفريقية إلى أسوان رغم استيائهن، ولكنهن لم يصلن إلينا وقد قمنا بتجهيز معسكر حريم لهن، ولكنهن عُدْن للقاهرة، كما عادت المدخرات للبنوك. استقبلنا عددا كبيراً من المبشرين الأمريكان والمدرسات بطائرات البان أميركان وقمنا بترحيل بعضهم إلى أسمرا. مكاتب وكالتنا في القاهرة كانت محاصرة من الشرقيين وخلافهم يطالبون بتأشيرات. إحدى السيدات كانت تملك سبعة جوازات سفر، وبعد تردد وهستريا قررت استعمال جواز سفرها التركي لتهرب إلى سميرنا. أخرى - أكثر شجاعة - كانت بريطانية، شوهدت تدافع بمناكبها وسط الزحام المهتاج لسحب المدخرات وتقول بصوت آمر: «من فضلكم هل لي أن أودع عشرين جنيهاً اليوم؟». السفارة اليونانية وعدد كبير من اللاجئين الإغريق أبحروا من السويس إلى جنوب أفريقيا، وقد تلقّيت برقية مستعجلة تطلب مني أن أجهز طبيباً ليصحبهم من بورسودان ليرعى صحة الأطفال ويحضر معه قطرة عيون. المصريون بوجه العموم كانوا هادئين، ولم ينزلوا للشوارع أو يهربوا للصعيد، أو ينهبوا المتاجر، ولكن قد يكون سبب ذلك أنهم تعودوا على جيوش الغزاة الكاسحة مراراً من منطقة الدلتا خلال الستة آلاف سنة الماضية ويعتبرون أي قوة محتلة جديدة لن تكون أحسن أو أسوأ من سابقتها. الأحوال في العلمين يبدو أنها استقرت، ولكني أتمنى أن نتمكن من صدهم للخلف أو قطع الطريق عليهم. إنه من الصعب علينا تصريف أمورنا الداخلية بالإضافة للأعباء الناجمة من الخطر الماثل في وادي النيل. وهذا يتطلب الاستغناء عن بعض موظفينا للقيام بذلك العمل. كان لا بد لي من إرسال ماكنتوش، نائبي، للقاهرة لمساعدة وكالتنا هناك وأيضاً ثلاثة موظفين آخرين إلى الشلال، وهي عنق الزجاجة بالنسبة للسودان، لمراجعة اللاجئين والتأشيرات. كما أن هذا موسم الأمطار واللاجئون في معسكراتهم الموحلة تتقمّصهم عقلية سكان المناطق المهمشة ويصعب التعامل معهم.

السودانيون آزرونا جداً في هذه الحرب. لقد قرأوا دستور الأطلنطي وبالطبع سيضغطون لمزيد من الحكم الذاتي بعد الحرب. في الواقع فإن مجموعة من المتعلمين،

مؤتمر الخريجين، قد طالبوا بذلك منذ فترة قصيرة في مذكرة متهورة بعض الشيء. يجب علينا أن نستعد لذلك الآن حتى لا نضطر للانكسار كما حصل في الهند وإيرلندا، ولوضع خطط معقولة لتسريع انتقال السلطة لهم الآن حتى نتفادى الاضطرار لعمل تنازلات غير حكيمة مستقبلاً. كان ذلك أحد الأسباب التي سافرت للأبيض من أجلها، للمشاورة مع يوان كامبل وجورج بريدن. كانت هناك مساجلات مهمة في مجلس العموم واللوردات هذا الصيف ومقالات في «التايمز» و«الإيكونومست» و«النايشن» عن السياسة الاستعمارية ويرسل لي مايال مقتطفات بالبريد الجوي.

إلى ر. س. مايال الخرطوم ١٤ أغسطس ١٩٤٢

خطوط المواصلات:

خط الإمدادات الغربي الجوي، والذي يمثل الآن شريان الحياة الأهم للعلمين بالنسبة للطائرات الحربية، والذي يكون أهم خدمة يقدمها السودان لقوات الشرق الأوسط، يواصل نجاحه بتفوق. الضغط على وسائل نقل البترول وعلى الموظفين والمطارات شديد للغاية. مطار حلفا مدرجه غير مسفلت وإنما مفروش بالحصى القاسي، استقبل ٤٠٠ طائرة الشهر الماضي، أي ٨٠٠ حالة هبوط وإقلاع، وأصبح متداعياً ولا بد من ترميم مدارجه. مطار عطبرة غطته أمطار عابرة بارتفاع ست بوصات هذا الأسبوع، ولكنه جفّ في اليوم التالي. الطائرات تواصل هبوطها في دارفور اضطرارياً. وبالإضافة للسبع طائرات الأمريكية التي هبطت جميعها في نفس الوقت شمال كتم وتم إنقاذ ملاحيها بواسطة ناظر الزغاوة، تحطمت طائرة هاريكان بالقرب من الشريف كباشي ولكن تم إنقاذ الطيار، كما اضطرت طائرة ليبراتور من الهبوط بضوء القمر في قوز بينا وكان على متنها لورد فوربس (الملحق الجوي للجنرال كيسي) وجنرال أمريكي، ولكنهم تمكنوا، بقدرة قادر، من التحليق مرة أخرى. كما

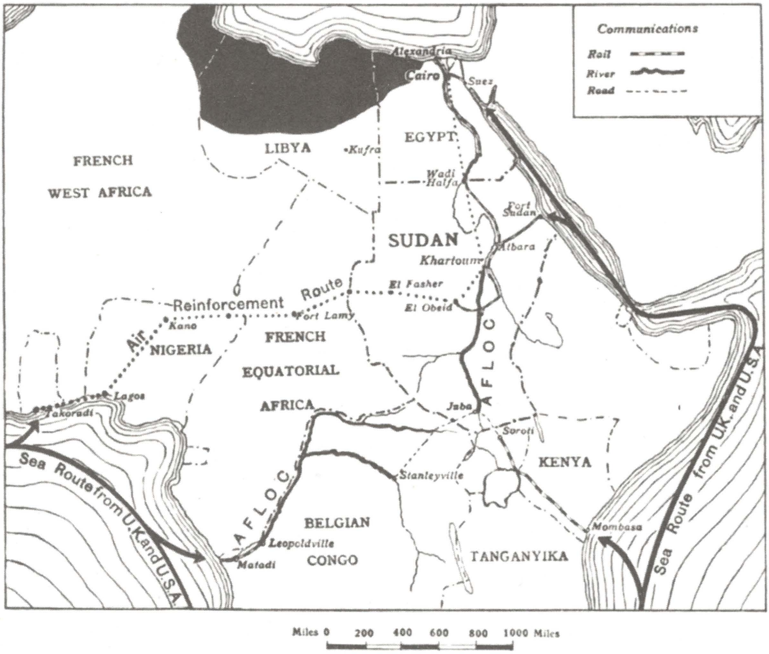

خطوط المواصلات ضد روميل

هبطت طائرة هاريكان أخرى على طريق زاليجي، ولكن عمل لها مدرج وعاودت طيرانها.

طريق القوافل الجنوبي لم يفتتح بعد ولكن العمل جارٍ في نقاط تفتيش ومساكن في جوبا وملكال، ومعسكرات الترانزيت ووحدات الإنقاذ. استرداد وإنقاذ الطائرات التي تقع في منطقة السدود ستشكل كابوساً، وأقوم بتجهيز مطار للطوارىء في أبودا على بعد ١٠٠ ميل جنوب ملكال. إذا تمكنا من تحقيق رقعة صغيرة أو اثنتين في هذه المنطقة الموحشة قد نتمكن من إنقاذ طائرة او اثنتين.

مشروع خط اتصالات غرب أفريقيا يتطور بطيئاً. مراكب نقل البضائع «يوركا» تجري تجربتها في نهر دجلة وأول شحنة منها في الواقع في عرض البحار في طريقها من أمريكا و٤٠٠ من اللواري قد وصلت بالفعل أو أوشكت على الوصول إلى ماتادي. لا يمكننا تمرير أكثر من ٤٠٠ لوري في الشهر لمدة من الزمان ولكن هدفنا ٨٠٠

لوري. المؤن ستبدأ في الوصول قريباً، ٢٥٠٠ طن شهرياً (لترتفع إلى ٣٠,٠٠٠) جوبا ستصبح حاضرة مهمة.

أرتريا:

لا جديد عن أرتريا سوى أنني أدرس على مهل إمكانية استيلاء السودان على المناطق شمال وغرب أسمرا بعد الحرب، إذا ما طلب منا ذلك. بالمناسبة المستر لي، المسؤول عن الشئون المدنية في كرن، قد انتهى من مسألة الدين بالنسبة للبني عامر. الدلائل المؤكدة تشير بعدم وجود أي مسيحي من أبناء البني عامر، إلا في مخيلة إرساليات الطليان الكاثوليكية.

غارت عصابة مسلحة من بني عامر أرتريا على الهدندوة قبل أيام وقتلوا ١٥ شخصاً وسرقوا ٢٥٠ محلاً. أرسلت إدارة مناطق العدو المحتلة ٨٠ من رجال الشرطة وبعض الجنود لتعقبهم. العصابة كانت مسلحة بمدافع رشاشة ويقال إنهم تفرقوا. أتمنى أن نحظى بتعويض.

المؤتمر والسياسة المحلية:

لا بد أنكم تسلّمتم خطابيّ المؤتمر للحكومة وخطابيّ رد الحكومة عليها. بعد خطاب الحكومة الثاني كانت هناك فترة هدوء لأن لجنة الخمسة عشر أحست بالخطر ولم تطلع لجنة الستين على الخطاب خوفاً من أن تتهور الأخيرة وتقوم بتحدي الحكومة (وحكومتيّ الحكم الثنائي) ـ القزم ضد ثلاثة عمالقة ـ مما سيقودها للانتحار. لقد أخبروني بطريق غير مباشر أن وفداً من المعتدلين يرغب في مقابلتي لتفادي الدخول في طريق مسدود. وافقت وقابلت رئيس المؤتمر واثنين آخرين يوم ١٦ يوليو. وخلال مقابلة دامت ثلاث ساعات تحادثنا ودياً وصراحة وشرحت لهم أهدافنا وهي أن نيتنا ما زالت معقودة لمنح السودانيين وظائف عليا، وتوسيع المجالس البلدية التنفيذية، وإنشاء مجالس مديريات استشارية، ودراسة إمكانات إشراك السودانيين في الحكومة المركزية ـ وأطلعتهم على ما تم حتى تاريخه وعن الخطط المستقبلية، وشرحت لهم

ضرورة هزيمة رومل أولاً، وناشدتهم أن يثقوا في صدقنا، وحذرتهم من الهياج السياسي الانشقاقي المكشوف، كما أخبرتهم أن يكفوا عن الطواف غير المجدي على مشايعيهم في الأرياف، وأن يتخيروا الكيف قبل الكمّ، وودعتهم بخطاب إلى رئيس المؤتمر كذخيرة في جيوبهم لمساعدتهم ضد زملائهم المتعصبين. تبع ذلك عدد من الإجتماعات الصاخبة بينهم وبين زملائهم في اللجنتين، ولكن في النهاية علمت بأن المعتدلين نجحوا وأنا في انتظار رسالة نهائية تنهي الأمر ويوافقون فيها على خطاب الحكومة ببعض التحفظات «عن الحقوق غير القابلة للتغيير والتبديل». التأخير لا مبرر له وقد يكون سببه أحداث الهند. لقد عملت كل ما في وسعي لإرضائهم.

في ذات الوقت، وللوفاء بوعدنا بعدم نيّتنا في أن يتأثر نشاط المؤتمر في تسريع أو تأخير خططنا لإشراك السودانيين في الحكومة، فأني أقوم بصياغة مذكرتين لأقدمهما للمجلس: (١) عن مجالس المدن ومجالس المديريات وتأسيس مجلس استشاري سوداني لشمال السودان (أشعر بأنه يجب علينا استبعاد مديريتي الجنوب حيث لا يوجد تمثيل محلي ولن يكون لفترة طويلة)؛ و(٢) عن استبدال موظفين بريطانيين بسودانيين. في ما يختص بالأخيرة أقترح إلغاء رتبة نائب مأمور والسماح للسودانيين برتب بريطانية بألقاب (مفتش صحة، مساعد مفتش مركز، مفتش زراعي، مفتش مساحة وخلافها) وبنفس مرتبات الدرجة (S) الحالية التي توازي تقريباً ثلثي مرتبات البريطانيين والتي لم يعترض عليها السودانيون أبداً. وقد ضمنت موافقة كامبل وبيرفس وجيمس روبرتسون، وبريدن على ذلك، ولا أتوقع صعوبة كبيرة في إجازتها.

تعيين ساحل العاج لوطنيين لمنصب مساعد مفتش مركز كان مشجعاً في الوقت المناسب ولو أن: (أ) مشروعهم كان مختلفاً، مثلاً هم يعينون خريجي أكسفورد وكيمبردج كمتدربين، بينما مشروعنا ما زال هو الترقية من الوظائف الوسيطة؛ و(ب) ما زلت أرغب في معرفة ما تقوم به المستعمرات الأخرى أو على ما تحثهم عليه وزارة المستعمرات من عمل.

قمت بزيارة مجلس بلدي مدينة الأبيض الأسبوع الماضي. إنه يدعو للإعجاب.

قدمت «السودان هيرالد» في عدديها يوم ٤ يوليو و١١ يوليو تغطية كاملة للافتتاح وخطبة ممتازة من كامبل عن إدارة السودان والتي أعتقد ستعجب مارجري برهام.

سيفرحك أن تعلم أن مديرية النيل الأزرق ستحذو حذو كردفان، ليس فقط في المدن وإنما في ترشيد الحكومة المحلية في الجزيرة، متضمناً التقاعد الاختياري لشيوخ الخط والعمد. بريدن أيضاً يحث على أيلولة السلطة المالية بطريقة أوسع والتي هي بالطبع حجر الزاوية في قنطرة الحكم المحلي.

ليس من السهل استيعاب كل ذلك في خضم العمل العسكري وسلاح الطيران وبقوة إدارية مستنزفة، ولا بد من التجاوز عن بعض التأخير، ولكني آمل أن يصادق على الخطوط العريضة وتنشرها الحكومة قبل نهاية هذا العام.

كل شيء يعتمد في المستقبل، طبعاً، على المدارس العليا التي قد كتبت لك عنها. كوكس قد أرسل لي خطاباً طويلا ومفيداً وأعتقد، إذا ما سمح لنا رومل، أننا سنتمكن من وضع الأساس التعليمي والسياسي لمشاركة حقيقية سودانية في السنة ونصف القادمة، والتي ستلبي كل الطموحات المعقولة هنا وأيضاً في الدوائر المستنيرة في إنجلترا التي ظهر بها توجه جديد رائع ومشجع عن الفكر الاستعماري.

إلى مارجري برهام — الخرطوم ١٩ أغسطس ١٩٤٢

... أنا لا أستطيع تحمل فقد ولفرد (إبن أخت مارجري برهام الذي قتل في مالطة. كان يسكن مع نيوبولد عندما كان جندياً مقيماً في الخرطوم وكان نيوبولد يعطف عليه كثيراً)، ولكن لا تسمحي للأسرة أن تستسلم لليأس بسبب الإصابات مهما كانت موجعة. عندما توفيت والدتي ـ وكانت قد فقدت خمسة من أولادها وبنتاً قبل ذلك ـ كتبت أختي كاثلين «يجب علينا الآن أن نلتصق ببعض أكثر». الإسبارطيون تكاتفوا في ثيرمو بايلاي، ستكون هناك عدة ثيرموبايلايات بعد هذه الحرب، الأعداء

فيها سيكونون: الجوع والإرهاق والأعصاب التالفة، والفوارق الطبقية والأنانية الاقتصادية، ولكن يجب علينا أن نهزمهم. فقط حينذاك سيكون لموت روبرت ووُلفرد وكل زملائه مبرراً.

وصول القوافل إلى مالطة هو من أعظم البطولات في هذه الحرب، ما من أحد كان يعتقد أن مالطة يمكنها الصمود بعد دخول إيطاليا للحرب، ولكنها صمدت لأكثر من عامين. وقد تمكنت قافلة أخرى للتو من الوصول ولكن بخسائر فادحة، ولكن البترول نجا. أنا أطلع على تقارير المخابرات ولكنهم لا يعطون الإصابات، ولم أجد أي شيء عما حدث أول مارس سوى الأخبار التي تبثها أو تكتبها الصحف.

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ١١ سبتمبر ١٩٤٢

قوة دفاع السودان:

لقد سافرت للكفرة جواً على متن طائرة هادسن يوم ٢١ أغسطس. استغرقت الرحلة ثلاث ساعات ونصف من حلفا فوق أغلب الصحراء التي كابدت فيها بالعربات مع بانيولد عام ١٩٣٠. وجدنا الجنود السودانيين بروح عالية كتيبة محمولة بالعربات، ومدفعية مضادة للدبابات مختلفة، ومدفعية عادية بفرقة من فوج ويلز، ووحدة صغيرة رمزية من حركة فرنسا الحرة، مع طبيب بريطاني وآخر يهودي وثالث إغريقي، وموظف بريطاني من إدارة مناطق العدو المحتلة. إنها مجموعة واحات مهمة، بطقس جميل وبحيرة زرقاء مالحة لطيفة، وقرى صغيرة بحيطان ومنازل من بلكات الطين المالح. وعندهم ذرة وذرة شامية، وتين وخوخ وزيتون وحتى تفاح. الطليان شيدوا ساريتين ضخمتين للاسلكي عبر الصحراء. السكان هم من عرب زوايا (من الشمال) والتبو (من الجنوب)، وسيماهم توحي بالكسل الفطري لسكان

الواحات. قوة دفاع السودان تسكن في قطاطي مفروشة بسعف النخيل يصل إليهم من حلفا بالعربات في رحلات تستغرق بين ٧ و١٢ يوماً. وهم يطلعون في دوريات استكشافية للواحات البعيدة في تيزربو وربيانا وزيغين وبوسيما. الوحدات الحالية غالباً ما تستبدل في أكتوبر. وقد منحوا علاوة خدمة استثنائية أسوة بوحدات قوة دفاع السودان في مصر.

قصفت طائرة وحيدة من طراز سافوي ٨٤ الكفرة يوم ١٢ أغسطس وكانت تحلق على ارتفاع منخفض فوق أشجار النخيل. كل مدافع قوة دفاع السودان أطلقت عليها النيران ولكنها تمكنت من الهرب بعد أن أسقطت ١٢ قنبلة على واحة ريبيانا في طريق عودتها، ولكنها تسببت في جرح اثنين من السكان فقط.

كذلك سافرت لأسمرا يوم ٢٩ أغسطس لمعاينة قوة دفاع السودان هناك وفي مصوع. كانوا من كتيبة هيوبوستد (التي يقود فيها كوريات وأكلاند فرقتين)، ومجموعة الحراسة، ومعهم عدد من مفتشي غيرد (شركة أقطان السودان) كضباط. كل الكتائب معها بطاريات مدفعية مضادة للدبابات. العلاقة بين الضباط البريطانيين الجدد والضباط السودانيين تحسنت كثيراً. البمباشي نصر الزبير اصطحبني في الكفرة وعبد الرزاق في أسمرا.

الفوج في مصر ما زال معسكراً في بني سويف، ولكن بعض الوحدات في أماكن متفرقة، بعضهم في الواحات البحرية. أليوت سمث وآخرون يقولون إن معنوياتهم عالية، ويبدو أنهم محبوبون في مصر. وهم مرتاحون إلى الوجبات التي تقدم لهم، وكل ما يفتقدونه هو التمباك والمساويك التي تقطع من فروع أشجار الشاو. ولقد ألقوا القبض على أول مجموعة من السجناء الألمان حديثاً عندما أجبرت طائرة جو. ٨٨ على الهبوط بالقرب من الأهرامات وقبضوا على أربعة من الملاحين وقتل الخامس. ستسعد لسماع خبر منح جوني قيفورد ميدالية الخدمة الممتازة، من المفترض لبلائه في قندار.

خطوط المواصلات:

مشروع خط المواصلات الإفريقية العظيم ما زال متوقفاً بعدم وصول زوارق السحب وزوارق شحن البضائع التي وُعدنا بها من أمريكا. اللواء برانسكيل (قائد الخط ورئاسته في كمبالا) سيسافر هذا الشهر لأمريكا ليستعجل الشحن. في ذات الوقت فإن إمدادات تصل إلى (مثادي) وتأتي أيضاً من جوبا والتي علينا أن نرحلها شمالاً بالأسطول المدني، حيث توقيت الجيش لم يتزامن مع وصولها. نأمل أن نرحل ٢,٥٠٠ طن شهرياً بما فيها ١,٥٠٠ طن من الضروريات المدنية (بعضها مثلاً معدات للسكك الحديدية لأغراض عسكرية، والباقي بن وشاي وسكر وخلافها) من جوبا. مئات من اللواري قد وصلت ونتوقع وصول ٤٠٠ لوري شهرياً ثم تزداد إلى ٨٠٠. يمكننا الآن ترحيل ٩٠ لورياً عبر النهر شهرياً، أما البقية فسوف تتكدّس في جوبا إلى أن تصل الزوارق أو تجف الطرق. لقد وجدنا السائقين. أنا غير مرتاح لأداء موظفي المشروع ولا على تنسيق كل المشروع. الميناء الجديد في الجبلين يتقدم ولكن امتداد الخط الحديدي المفترض بناؤه في نوفمبر وديسمبر قد يتأخر بسبب تأخير شحن ١٦ ميلاً من السكك من أستراليا، ولذلك نحن نقوم باستعمال بعض الخطوط الجانبية لتمدنا ببعضها. عدم تسلّمنا المتواصل للعربات والزوارق والسكك الحديدية وخلافه دائماً يتطلب تخفيض مواردنا الشحيحة أصلاً. كوبري جوبا سيكتمل في فبراير.

طرق فرنسا الإستوائية الأفريقية - السودان:

وصل إلينا بدون إنذار، مهندس طرق من قبل حركة فرنسا الحرة يدعى لازارد، بتعليمات من الجنرال ديغول ليدرس إمكانية تشييد طريق مواصلات بين فرنسا الأفريقية الإستوائية وجيرانها (نيجريا والكنغو والسودان). اجتمع مع مصلحة الأشغال العامة العسكرية ومعي هنا. غرضه الأساس، بالنسبة للسودان، أن يربط ديوالا بالأبيض بطريق بري للعربات. يبدو المشروع خيالياً لأني أشك

أنه سيتحصل على أولوية من مادة القار (الزفت)، أو المعدات، ويعلم الله كيف ستكون حالة العربات بعد قطعها ٢٠٠٠ ميل.

المؤتمر والسياسة المحلية:

لا بد أنك تسلّمت خطاب المؤتمر بتاريخ ٢٣ يوليو والذي أخر الرئيس تسليمه لنا لغاية ٢٤ أغسطس لأنه كان يعلم عدم رضانا عنه. هم يفترضون أن الحكومة (وليس المؤتمر) هي المخطئة متجاهلين كل تحذيراتنا. ردّنا النهائي الذي يتضمّن إعادة توضيح موقفنا ونصائحنا والتزامهم وإنهائنا للمراسلات ما زال مسودة.

التعليم العالي:

طالب مجلس الحاكم العام في جلسته رقم ٤٩٤ يوم ٢١/ ١/ ١٩٤٢ بتقرير عما تم بشأن تقرير دي لاوور حتى تاريخه حيث انقضت نصف الفترة التي حددها التقرير بعشر سنوات لتحقيق التوسع. روزفير لم يتمكن من تقديم تقرير مكتمل خلال السبعة شهور الماضية (ولو أني أعتقد أنه على وشك الانتهاء منه) ولكنه قدم للمجلس في جلسته رقم ٥٠١ بتاريخ ٥ سبتمبر تقريراً عن الدراسات العليا التي كان المجلس يعنى بمعرفتها تحديداً. أرفق لك صورة من هذا التقرير الذي يوضح أن ترتيب المدارس ما زال في مراحله الأولى، وأن التقدم لم يكن متوازناً، وأن المستويات والدبلومات غير منسقة أو محددة، وليس هناك توحد حقيقي أو هيكل عام. دار نقاش صريح لعدة ساعات وتم الاتفاق على تكوين مجلس استشاري لمساعدته في إصلاح الخلل وتوحيد الإدارة، ووضع دستور، وقيام هيئة حاكمة ولكن ليست بالهيئة الحاكمة النهائية وإنما لجنة صغيرة عليا تضم بعض الموظفين البريطانيين والسودانيين وغير الموظفين لمعرفة رأيهم.

أرجو أن ترسل صورة من التقرير ومن الفقرة هذه إلى كوكس لأني أعلم أنه حريص على الاطلاع عليهما.

هناك ١٦٩ طالباً على ما أعتقد في المدارس الست وهي الطب والآداب (تشمل

المعلمين والقانون والإدارة) والزراعة والهندسة والعلوم والبيطرة. المصروفات المتكررة تبلغ ٣٨,٦٨٩ جنيهاً إسترلينياً ولذلك لا بد من الاستفادة منهم بنفس القدر.

إلى مارجري بيرتون (شقيقته) الخرطوم ١٢ سبتمبر ١٩٤٢

سافرت جواً الأسبوع الماضي لأسمرا للاطمئنان على الجنود السودانيين هناك... أسمرا كانت في غاية البرودة وهي على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم، ثم ذهبت بالسيارة منحدراً إلى مصوع. ينحدر الطريق حوالى ٧٠٠٠ قدم في مسافة ٣٠ ميلاً بتعرجات ضيقة جداً، وبهاوية على جانبي الطريق. آخر مرة كنت هناك قبل عام. مصوع عبارة عن فرن في البحر الأحمر: أغلب السفن التي أغرقت تم استردادها وإصلاحها، والأمريكيون هناك مع ورش كثيرة وخلافه في كل المرتفعات.

وندل ولكي حضر الأسبوع الماضي وجلست بجانبه على العشاء. هو رجل ضخم وكثير الكلام ويحب الأفلام والسياسة والأعمال التجارية، أمريكي ١٠٠٪. واضح أنه مغامر وممن يكسبون الحروب، ولكنه لا يرتقي لمرتبة روزفلت في رأيي.

رومل خسر الكثير من دباباته في المعارك الأخيرة ولا بد أن قوتنا قد زادت، وفي رأيي أن الخطر على مصر قد تم تفاديه تماماً، ولكنه جنرال شجاع ولن أطمئن حتى يرغم على التراجع إلى طبرق.

إلى مكاوي سليمان أكرت الخرطوم ٢٤ سبتمبر ١٩٤٢

لا تعتذر أبداً عن أي تأخير في الرد على الرسائل. الخطابات مثل النبيذ والكتب

تتعتق بالتقادم، وكتابة الخطابات الجيدة بين الأصدقاء ليس لها جدول زمني. معلوماتك عن بني شنقول وخلافه كانت ممتعة. سياسة حكومة السودان لا تطالب بمساحات في تلك الجهة، وإنما ترك الحدود كما هي ـ سأطلعك على الملف لاحقاً ـ وأملي أن نتوصل إلى حل وُدِّي مع ممثلي الأمبراطور من الجهة الأخرى. حقيقة لا نرغب في حيازة منطقة بني شنقول، وحتى إذا حزناها ستظل مشاكل الحدود من الجهة الشرقية، إلا إذا عملنا كما عمل هتلر وادعينا أن أي منطقة هي «مجال حيوي» لنا إلى أن نصل إلى البحر الأحمر.

بحيرة تانا أمرها أكثر تعقيداً، ولحسن الحظ لدينا اتفاقيات من قبل الحرب، ويمكننا أن نبرهن للإمبراطور إنه من مصلحة الطرفين أن يُشيد خزان هناك. بناء سد على مخرج البحيرة سيكون أقل كلفة من خزان جبل أولياء أو خزان أسوان.

أوافقك الرأي بالنسبة لختان النساء، ولن نتأخر في التطبيق حتى يتقبلها الرأي العام. أما بالنسبة لتفشي الممارسة في جنوب الفونج وجبال النوبة ومنطقة الشلك وخلافها، فيجب أن نشجع المحاكم القبلية لمعاقبة المذنبين ويمكنهم عمل ذلك قانونياً بموجب تفويضهم. سأراجع اللوائح الصحية أو التعليمات للقابلات.

الطقس هنا زائد في الحرارة، وبعد ١٤ شهراً من العمل المتواصل بدون أخذ عطلة فإني أرغب في الذهاب في جولة تفقدية لتغيير الأجواء حيث لن أتمكن من أخذ عطلة هذا العام. آمل أن أسافر للقضارف وكسلا لمدة أسبوع ثم في ما بعد أطير لجوبا وأرجع بالباخرة.

كنت مشغولاً جداً في الفترة الأخيرة بالتحري عن المجالس المحلية ـ بلدية ومديرية ـ وعن استبدال الموظفين البريطانيين بسودانيين خصوصاً في المصالح، وعن التعليم فوق الثانوي، وعن إلحاق عدد أكبر من السودانيين باللجان المختلفة.

أرسل لك مع هذا الخطاب بعض المقتطفات من صحيفة «التايمز» قد تعجبك. عندي الكثير ولكني أحتاج لها في الوقت الحاضر. هناك محاولة لعمل دستور استعماري كملحق لدستور الأطلنطي.

أنا أفكر في تعيين موظف إداري سوداني في مكتبي ليعمل في مجال الحكم المحلي من الناحية التنفيذية. ستكون الوظيفة مبدئياً من درجة (ج). وإذا ما أكملت دراسة الموضوع وتحصلت على الموافقة المالية، من رأيي أن أختارك لهذه الوظيفة. لقد أخطرت بريدن عن احتمال عمل ذلك. من المهم أن يمر نواب المآمير والمآمير على هذا المكتب لاكتساب خبرة ولمعرفة عمل الجهاز المركزي أسوة بمساعدي مفتشي المراكز ونوابهم، ما دامت مؤهلاتهم العلمية ومعرفتهم باللغة الإنجليزية تؤهلهم لذلك. ومن الضروري أيضاً أن أطبق على نفسي ذات الشيء الذي أطالب به الآخرين في ما يختص بالبدل. إذا تمت الموافقة على هذه الوظيفة وتم اختيارك لها فلن يكون عملك للأبد في المكاتب، ولكن فقط لفترة وستطوف على المديريات لتتعرف على عمل الحكومات المحلية.

هذا الموضوع سري في الوقت الحاضر وأرجو أن لا تخبر أحداً به، ولكني رأيت أن أفيدك بما أفكر فيه، حتى إذا سمعت أنك منقول للخرطوم إلى مكتب السكرتير الإداري، تعرف الغرض من ذلك.

إلى ر. س. مايال   الخرطوم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٢

أشكرك على خطابك بتاريخ ٢ سبتمبر عن المتدربين الأفارقة في ساحل الذهب. إذا كان في مقدور جامعة أشيموتا تأهيل أولئك الرجال لساحل الذهب لماذا لا تفعل ذلك جامعة ماكرري ليوغندا؟ سأسأل جورج تيرنر. هل يا ترى سيتمكنون من الترقي لدرجة محافظي ولايات؟ أعتقد أنهم لن ينقلوا خارج المستعمرة.

جون باورز وصل للتو جواً من الكفرة مصاباً بجروح بالغة ولكنها ليست خطيرة، في الكتف والأرداف، من شظايا قنبلة في العمليات التي تمت مؤخراً غرب طبرق. قام رتل من قوة دفاع السودان بعربات حاملة جنود ومدفعية بالزحف لمسافة ٣٥٠ ميلاً من الكفرة وهاجموا واحة جالو واستولوا على أغلبها لعدة أيام (ولكنهم لم يتمكنوا من

زحزحة الحامية من القلعة) لتوفير الحماية لبعض غارات تشنها جيوشنا شمال بنغازي وبريس وخلافهما. لقد هوجموا من الجو وأعتقد تمكنوا من إصابة اثنتين من حاملات القنابل الطليانية. وقد أصيب اثنين من الضباط البريطانيين وهما مفقودان ويعتقد أنهما قتلا - بروميتش (من سلاح أفريقيا الملكي)، وباردل (من سلاح المهمات) - كما كانت هناك بعض إصابات للجنود السودانيين ولكن لم يبلغني عددهم. وقد انسحب الرتل بعد ذلك إلى الكفرة. إذا ظهرت أي تقارير عن تلك العمليات في الصحف البريطانية تذكر جالو أو قوة دفاع السودان، أرجو أن ترسلها لي بالبريد الجوي. لقد قمت بإرسال برقيات إلى والدي باوزر في شلتنهام وزوجته في جنوب أفريقيا وهي قد رزقت مولوداً جديداً.

❑❑❑

إلى ر.س. مايال الخرطوم ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢

وصل الحاكم العام أمس مع أسرته على متن طائرة سمتس اللوكهيد في رحلة استغرقت يومين قادماً من أفريقيا الجنوبية. صحته جيدة ويبدو أن عطلة الخمسة أسابيع أراحته. عندما حضر سمتس هنا في مطلع هذا الشهر. رحلته استغرقت يوماً واحداً من بريتوريا إلى الخرطوم قاطعة ٣٤٠٠ ميل في ١٧ ساعة وبدأت الساعة الواحدة صباحاً. شيء مدهش لرجل في سن الاثنين والسبعين.

قوة دفاع السودان:

كانت هناك تغطية جيدة عن قوة دفاع السودان والحملة الحبشية في مجلة الجمعية الملكية الأفريقية بعددها بتاريخ يوليو ١٩٤٢ . وقد سررنا بذلك. الخطأ الوحيد كان في الصفحة ١٦٨ عندما ذكرت أن الطليان احتلوا أكوبو. نحن لم نخسر أبداً أي من منطقتي أكوبو أو الناصر، فقد وصل الطليان فقط عبر نهر السوباط إلى نقطة شرطة جالو. في الواقع نعتقد أن أول احتلال لمناطق المحور تم بواسطة مفتش

مركز أكوبو وقوة شرطته عندما هاجم نقطة شرطة تيرقول عبر الحدود في يونيو ١٩٤٠.

لقد وصلت إلينا تفاصيل أكثر عن العمليات في جالو. كانت هي جزءاً من عمليات المجموعة على طبرق وبنغازي وبارس (والتي أسفرت عن فشل في العمليتين الأوليين ونجاح في الثالثة). الهجوم على جالو كان في الأساس هجوماً مفتعلاً ولذلك كان ناجحاً حيث تسبّب في تحويل فرقتين من جيش العدو و٦ أسراب طائرات. قوة دفاع السودان وصلت إلى جالو بدون إنذار والهجوم على الحصن كاد ينجح. الضباط البريطانيون وبعض أفراد النوبة تمكنوا من دخول الحصن وتمكنوا من رمي العديد من القنابل اليدوية في الغرف وعلى السطوح، ثم استولوا على الواحة وقصفوا الحصن كما تم قصفهم هم أيضاً بشدة (ولكنهم أسقطوا طائرتين) وشنوا غارة أخرى الساعة الثانية صباح اليومين الثالث والرابع، ولكن القاهرة أمرتهم بالانسحاب حيث احتلال الحصن لا يساوي عدد الضحايا وهم قد أنجزوا المهمة على أي حال. لقد تسببوا في إصابات بالغة للعدو، والمحور ذكر في إذاعته أن مدفعية قوة دفاع السودان كانت مكثفة.

بعد رجوع الرتل إلى الكفرة قامت ثماني طائرات ألمانية (جو. ٨٨ وهنكل ١١١) بقصف الكفرة في غارتين يوم ٢٦ سبتمبر وأسقطوا ثماني قنابل عبوة ٥٠٠ رطل و٢٠ قنبلة عبوة ٢٥٠ رطلاً وعدداً من القنابل صغيرة الحجم. وقد قتلوا ٥ أو ٦ من فوج سلاح ويلز، وأصابوا مخزن الطائرات ومستودع الذخيرة وحطموا ثلاث طائرات بومباي وطائرتي بلينهايم وواحدة هادسون كانت على الأرض. وقد أسقطت الحامية طائرتين وربما ثلاث.

الطريق العابر لأفريقيا:

ما زال الأمريكان تراودهم فكرة إنشاء طريق من لاغوس للخرطوم أو تعبيد طريق من الأبيض للفاشر أو نيالا.

أثيوبيا:

حسب إفادة قيادة شرق أفريقيا فإن الأمبراطور قد أصدر مرسوماً يقضي بأن يكون لكل إقليم حاكم عام، ولكل حاكم عام مدير وسكرتير أول. الأقاليم تقسم إلى مراكز بمدير والمراكز إلى مراكز صغرى بإدارة مآمير، وأن تنشأ مجالس للأقاليم وأن لا يكون للموظفين أي مصدر دخل سوى مرتباتهم من الدولة، وأن تكون القوات المسلحة في الأقاليم تحت أمرة ضباط الأمبراطور، وأن يكون جهاز الخدمة المدنية محايداً بوجه العموم، هذا للحد من نظام البارونات التقليدي. المشكلة هي في ندرة الكادر المتعلم.

أول اجتماع للبرلمان الأثيوبي كان مقرراً له يوم ٩ أكتوبر، وقد تم اختيار ٦٠ عضواً بواسطة حكام عموم الأقاليم.

جاك موريس رجع للتو من أديس أبابا وأفادنا أن الامبراطور رجل ودود جداً ولكنه مرهق. وقد أصبح أكثر ملوكية وأغلب موظفيه يبدو أنهم بالفعل ضد البريطانيين، أو لا يبدون تعاطفاً معهم باستثناء وزيري الداخلية والمالية اللذين يبديان وداً ظاهرياً للبريطانيين. الرشوة متفشية في ما يتعلق بالوصول للمسؤولين، والفقر منتشر بشكل واضح. هناك مشاكل بالنسبة للوفد العسكري وقد سافر الجنرال بتلر والعميد كوتام إلى نيروبي وقد لا يرجعان إلى أثيوبيا. الجيش الأثيوبي بارع ولكن الإمبراطور يفضل جيشه الإقليمي الخاص بقيادة ضباطه الأثيوبيين. رفضت زيارة جاك موريس للأميرين اللذين كانا صديقين له في الخرطوم.

إلى ر.س. مايال — الخرطوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٢

إن فتح جبهة ثانية قد أثلج قلوبنا جميعاً وخاصة بالنسبة لي حيث: (أ) أنها تريحني من التهديد لوادي النيل؛ و(ب) لأني كنت أتنبأ أن ذلك سيبدأ في شمال غرب أفريقيا.

داكار وجيبوتي لا بد أنهما ترتعدان خوفاً. لا تصل إلينا أخبار كثيرة من قيادة غرب أفريقيا ولكن يبدو أنهم تماسكوا وزادت قوتهم منذ أن شاهدت عرضهم المتداعي قبل تسعة عشر شهراً. وقد التحقت بهم فرقة من جيش بلجيكا الكنغو، كما أن تعيين لورد سوينتون سيساعد على حشد الإمكانات المدنية بطريقة أفضل إلى الجنرال ڤيغارد. كما نسمع عن تقارير عظيمة عن سير ألان بيرنز حاكم ساحل الذهب.

خطوط المواصلات:

من الصعب التكهن بمدى تأثير الجبهة الجديدة في شمال غرب أفريقيا على خط مواصلات أفريقيا. كل مشاريع خطوط المواصلات الجوية والبرية تخضع للدراسة كمشروع متكامل بدلاً من كل مشروع على حدة، وقد يتحول طريق مواصلات أفريقيا، إذا ما خصص طريق البحر الأبيض المتوسط للقوافل من طريق رئيسي للإمدادات الأنجلو ـ أميركية للشرق الأوسط، إلى طريق إمدادات مركزي لأفريقيا فقط، أي لمدّ مصر والسودان باحتياجاتهم من الكنغو وشرق أفريقيا، على أية حال فقد صدرت لنا التعليمات للمواصلة وقد وصلت إلينا بعض زوارق القطر أوريكا ومراكب نقل البضائع الهيقنز (التي يعتمد عليها المشروع بأكمله في ما يختص بالطريق النهري تحديداً). زوارق القطر شحنت كما هي ولكن المراكب وصلت مفككة وتحتاج لتجميع، وهناك خبير أميركي يباشر ذلك العمل.

تجميع العمال والرواد والسكن الإضافي وخلافه في جوبا مستمر وسأفيدك بمزيد من المعلومات بعد زيارتي لجوبا الأسبوع القادم. سأسافر جواً يوم ١٣ وأرجع بالباخرة. العمال الشماليون (٤٠٠٠) تقعدهم الملاريا عن العمل وكذلك الحمى الراجعة متفشية. توجب علينا أن ندفع لهم ٧ قروش في اليوم بالإضافة للوجبات (ومئات منهم دائماً مرضى)، بينما ندفع للعامل الجنوبي (عددهم ٥٠٠٠) قرشاً واحداً بالإضافة للوجبات، ولكن العدد محدود حيث لا نرغب في تعيين عدد كبير من المزارعين. لدينا بعض المشاكل مع سائقي العربات الكنغوليين وخلافهم، وكذلك

مشاكل الكشف الطبي في الحدود، ولكننا سنتغلب عليها. نحن على تفاهم تام مع البلجيكيين بالنسبة لمرض النوم وهم حكومة متحضرة ومتعاونة. (بالمناسبة نحن نعمل على وضع نُصب تذكارية للجنود الكنغوليين في ملكال وجوبا وقمبيلا، مصلحة الأشغال العامة صممت عدداً من القوالب البرونزية لأسد برابانت (حقيقة هو أسد بلجيكا، شعار الجيش البلجيكي) لتوضع على أعمدة حجرية أو خرسانية. ذلك سيسعد ليوبولدفيل.

أثيوبيا:

تعيين الكابتن ألبان في قنصلية قوري مرّ على كل المراحل وقد سافر إلى هناك عن طريق قمبيلا حاملاً معه أوراق اعتماده ومذكرة بتعليمات من هاو وخطاب تعريف رسمي بالأمهرا من الإمبراطور إلى حاكم الإقليم.

حدود السودان يسودها الهدوء حالياً: جاك موريس عاد للتو لقمبيلا، والاهتمام يبدو متركزاً على تطوير إنتاج المطاط والأخشاب في غرب الحبشة.

أريك هاسي يكتب يوم ٢ نوفمبر أن المركزية مسيطرة على وزارته كما هو الحال في باقي الوزارات. لا يمكن لأي شخص أن يطالب بإصلاح صنبور مياه بدون موافقة وزير التعليم. (للمعلومية الجنرال بتلر أخبرني أن الإمبراطور كتب له شخصياً محتجاً على تحويل بعض ألواح الزنك!) هاسي سيسافر للقاهرة للتعاقد مع بعض الموظفين المصريين. هو يقول إن الفراولة بالكريمة متوافرة في أديس أبابا طوال العام.

مجلس الحاكم العام في جلسته رقم ٥٠٣ بتاريخ ٩ نوفمبر اتخذ قراراً سياسياً عاماً يقضي بأن يتولى القطاع الخاص إدارة كل المشاريع التي تروى بطلمبات قوتها أقل من عشر بوصات، ولكن مشاريع الطلمبات بقوة عشر بوصات وأعلى يجب أن تدار بواسطة الحكومة. وفي مشاريع الحكومة يجب تشجيع لجان المزارعين على تكوين إدارات سودانية مشتركة. الهدف الاجتماعي لمشاريع طلمبات النيل كما أعلن عنه هو

أن يتمخض عن بروز مجتمع ريفي مؤهل ونشط ومثابر يدير شئونه بنفسه وموفراً لأعضائه العناية الصحية اللازمة وفرص التسويق والماء النظيف والغذاء (خصوصاً اللحوم والخضروات والفواكه) والسكن الملائم.

الاعتبار الأهم في كل مشاريع الطلمبات هو خلق ظروف مواتية لكافة السودانيين.

إلى ر. س. مايال الخرطوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٢

خطوط المواصلات:

خطوط المواصلات الأفريقية تراوح مكانها ولكن خفضت سعتها لحسن الحظ، بتعليمات من قيادة الشرق الأوسط، إلى ٥٠٠٠ طن زيادة عن الترحيل الحالي والذي يبلغ تقريباً ٣٠٠٠ طن شهرياً، أي ٨٠٠٠ طن شهرياً بدلاً من الـ٣٠,٠٠٠ طن التي اقترحت أوّلاً. وصلت إلى بور سودان عشرون يوريكا وعشرة هيقنز يوم ١ نوفمبر. يمكن تجميع أربعة مراكب قطر شهرياً، ثم يتبع ذلك رحلة تجريبية.

لا أعتقد أن اليوريكا ستتحمل (في الواقع لم تتحمل) العمل المرهق. هي أساساً زوارق خشبية صغيرة بقوة ٢٢٠ حصاناً وبماكنات بترول بمحرك لولبي. إنها تصلح لزوارق سباق (لغاية ٢٣ ميلاً بحرياً في الساعة) أو مراكب تحمل الجنود الغازين، ولكنها لا تصلح لقطر الحمولات الثقيلة.

قمت بزيارة ورشة خط المواصلات الأفريقي والكبري الخشبي بجوبا الذي يجري بناؤه الآن والمرافىء الجديدة وتحسين طريق جوبا ـ آبا، ومعسكرات سلاح الطيران الملكي والرواد الجديد في جوبا. عمل مكثف يقوم به حوالى ٨,٠٠٠ عامل.

إلى يوان كامبل الخرطوم ٣٠ ديسمبر ١٩٤٢

الحاكم العام أرسل خطاباً إلى والدة قوردون رامزي (الذي اغتيل في كابويتا على يد مجهول). أنا أدرك أنه مجرد فرد في مجموعة الشبان الممتازين الذين قتلوا، ولكني كنت أعجب به إعجاباً استثنائياً ولا أستطيع أن أنسى فظاعة موته. لقد ارتاح هو الآن ولكني لا أستطيع مواجهة هذه الصدمات بروح المتدين الملتزم، وأحياناً أتوق إلى أن أكون بجانبهم مع أمي وبقية أخوتي وكولن ماكدونالد، حيث لا يوجد ملل أو سأم أو فشل أو مصاعب لا تجد حلاً. مع ذلك فإني شخصياً محظوظ وعليّ أن أحمد الله على صحتي وصحبة أصدقائي الخلص والمقدرة على عمل الخير. كما أنني أرغب في المساعدة في تحقيق النصر للسودان والعالم الشجاع الجديد، ليبقوا على أرجلهم محققين مستقبلاً قوياً ومزدهراً.

الحكم المحلي بالفعل يخطو خطوات واسعة والكل مهتم بذلك. أنا أتمنى أن يكون ذلك شراكة حقيقية مع السودانيين في ما هو أهم من البرلمانات والدساتير - أي - رفاهية وازدهار الفرد الضعيف والمزارع والحرفي والتاجر الصغير.

الفصل الحادي عشر

آفاق جديدة

١٩٤٣

إلى ر.س. مايال   الخرطوم ٢ يناير ١٩٤٣

قوة دفاع السودان

دور قوة دفاع السودان بعد إجلاء المحور من ليبيا لم نُبلغ به رسمياً ولكن يبدو أن الفرقة سيطلب منها أن تبقى جزءاً من حامية ليبيا. من المحتمل أن لا نعترض على ذلك ما دام سيساعد في تحويل الجيوش البريطانية إلى جبهات حرب أخرى. أعتقد قد يطلبون منا تزويد الفرقة بكتيبة محمولة بالعربات والتي سيسهل توفيرها عند تصفية الكفرة، بالإضافة للأربع كتائب الخاصة بالمواصلات العامة التي ذكرتها سابقاً.

وعليه يبدو أنه سيطلب منا أن نحتفظ بحامية في كل من ليبيا وأرتريا، ولكن ذلك ليس رسمياً بعد، وأنت تعلم كيف تتغير الأمور. سنعلم أكثر عندما يصل القائد العام (ألكساندر) إلى هنا - نتوقعه خلال أيام.

الروح المعنوية للفرقة ما زالت عالية كما يبدو، ومفتشو مراكزنا الذين يقودونهم يكتبون لنا أن السودانيين زادت أوزانهم من الغذاء الجيد ومحبوبين جداً من زملائهم الجنود البريطانيين.

خطوط المواصلات:

بعد تعليمات متعددة متضاربة بُلِّغنا بأن خطوط مواصلات غرب أفريقيا ستستمر بهدف مبدئي لحمولة ٢٠,٠٠٠ طن شهرياً، ويحتمل ارتفاعه إلى ٣٤,٠٠٠ طن.

خط غرب أفريقيا الجوي لتعزيز الإمدادات لم يتأثر بعد باحتلال شمال غرب أفريقيا وما زلنا نعمل على تمرير مئات من الطائرات وحاملات القنابل.

الاقتصاد والتموين:

مصلحة التموين الحربية، بعد بداية صعبة قد نجحت بالتأكيد في الحد من التضخم وممارسات السوق السوداء وفي وضع نظام تمويني عادل لتوزيع السكر والبترول والويسكي والزبدة وخلافها بطريقة أفضل من أي بلد آخر في الشرق الأوسط.

مشكلة السكر قد يحلها تهديد حكومة بريطانيا بتموين منطقة الشرق الأوسط والسودان من مصادر خارجية. المفاوضات مع مصر لتحديد سعر معقول ما زالت متعثرة.

الحبوب أيضاً تسبب مشاكل. لقد جنينا محصولاً وفيراً والحبوب متوافرة ولكننا لا نستطيع جلبها للأسواق بسبب عدم رغبة المزارعين في البيع، وبسبب عدم وجود وسائل نقل. عطاءاتنا لا تجد مساهمين والآن نقترح أن نصادر الحبوب مقابل الأسعار المحددة. تأخر الترحيل لعدم وجود اللواري والإطارات، والترحيل بالجمال أعيق بفقدان ١٣,٠٠٠ جمل في حملة الحبشة وتصدير حوالى ١٥٠,٠٠٠ جمل لمصر للذبح في عامي ١٩٤١ و١٩٤٢ حيث كل صادراتنا من الأبقار والضان حجزت للتصدير للجيوش في الشرق الأوسط.

القماش المستورد ارتفعت أسعاره للغاية، هنا ما يكفي الحاجة الآن ولكن قد يكون هناك عجز. أنا أخشى أن تكون مشكلتنا الرئيسية في عام ١٩٤٣ اقتصادية.

مشروع القمح الكبير في أوج نشاطه وقد زرت مشروع عبد الماجد أمس لمعاينة

الـ ٦,٠٠٠ فدان هناك، ووجدت القمح ينمو بطريقة جيدة ومتوقع إنتاج ٤,٠٠٠ طن من الـ ٢٠,٠٠٠ طن التي نهدف إليها.

نحن في بحبوحة مقارنة بإنجلترا في ما يخص اللحم واللبن والخضار والفواكه والبيض والأجبان. الحياة في الخرطوم ما زالت بعيدة من حالة ربط الأحزمة، وهو شيء مؤسف من زاوية تبلد الإحساس ولكنه مفيد بالنسبة للنساء والأطفال.

الحاكم العام صدق على توصية من رقهان لتشكيل لجنة لدراسة تعرية التربة، وإعادة تشجير الغابات، وتوفير المياه في الريف، ورسم خطة برنامج تنموي ليبدأ تنفيذه بعد نهاية الحرب. رقهان مستعد لتمويل مشروع بكلفة تبلغ ٢٥٠,٠٠٠ جنيه لمدة خمس أو ست سنوات. المناطق المعنية غالباً ما تكون القضارف وشمال الفونج ومركز كوستي ووسط كردفان واجزاء من المديرية الشمالية. المشروع سيحقق فائدتين: (أ) يوفر فرص العمل بعد الحرب ويخفف حدة السيولة؛ و(ب) تنمية الموارد المائية ويصون التربة والثروة الخشبية في مناطق هي في أشد الحاجة للتنمية.

السياسة المحلية:

انتخابات المؤتمر في ديسمبر أسفرت عن نصر باهظ الثمن للعناصر المتهورة. تقريباً كل المعتدلين فقدوا مقاعدهم واستقالوا: لجان المديريات انزعجت وأرسلت برقيات احتجاج. رب ضارة نافعة، حيث أفضلهم كان يلوح في الهواء ولم يكن لهم منبر بناء. يمكننا إدخال المعتدلين في أعمال خلاقة في اللجان الحكومية والمجالس البلدية ومجالس المديريات، ونترك الآخرين لشعاراتهم العقيمة في أندية ومقاهي أم درمان.

متفرقات:

إذاعة أمدرمان في ازدهار مطّرد والآن لدينا بث ليلي بالإنجليزية (ما عدا أيام الأحد) بالإضافة للبث العربي. البرنامج الإنجليزي يذيع الأخبار المحلية، وأخبار المصالح، والمقابلات، وبعض البث المتخصص من وقت لآخر. كذلك برنامج لنصف

ساعة للقوات المسلحة. هناك الآن ٣,٠٣٤ حامل رخصة جهاز راديو في السودان وهذه زيادة كبيرة جداً.

عندنا وباء ذباب صغير (النمتي - المترجم) يتوالد في الأساس في المنازل والحدائق الواقعة على ضفاف النيل. وبين ديسمبر ومارس، بعد الغروب، يتعذر العمل أو القراءة إلا في غرف محكمة الإغلاق. يدخل في العيون وفي الأذنين وفي المحبرة وفي الشراب (إن وجد) وخلافه.

أشكرك على إرسالك مقتطفات «التايمز» عن إدارة المستعمرات وغيرها. آخر عدد من صحيفة «التايمز» وصل إليّ بعد ثلاثة أشهر ونصف من تاريخ إصداره. ولك أن تتخيل مدى سروري بتسلُّم تلك القصاصات. للأسف هناك تعديل وزاري جديد لوزير المستعمرات ووكيله، خصوصاً وأن كرانبورن وماكميلان كانا تيماً مجداً. أرفق لك خطاب تهنئة للورد لوغار بمناسبة بلوغه سن الخامسة والثمانين (يوم ٢٢ يناير) نيابة عن حكومة السودان.

الـ٧,٧٠٠ حاج من السودان وصلوا إلى جدة بسلام بواسطة خطوط الموغل والخديوية وبأقل مشاكل من العام الماضي، ولو أن عددهم فاق تقديراتنا مرة أخرى. رحلة العودة ستكون أصعب. وصلتنا الدفعة الأولى (٨٠٠ حاج) و٦ دفعات أخرى كل منها ٨٠٠ حاج، وقد تم حجز أماكنهم ولكن قد يتأخر الباقون.

❐❐❐

إلى اللورد لوغارد الخرطوم ٣ يناير ١٩٤٣

البريد لإنجلترا غير منتظم، حتى الحقيبة الديبلوماسية بالبريد الجوي، ولذلك قد يتأخر وصول هذا الخطاب في الميعاد الذي من أجله أرسل، وهو أني أتمنى لك كل خير عاماً بعد عام بمناسبة عيد ميلادك الخامس والثمانين يوم ٢٢ يناير، آملاً أن تنعم بالصحة والرفاهية في ١٩٤٣ . ليست هذه التهنئة فقط من شخصي ولكن من كافة من يعملون في حكومة السودان.

لا أدري إن كنت تعلم مدى امتناننا لك على كتاباتك الملهمة والمرشدة عن الإدارة الاستعمارية، إن كانت عن السودان أو نيجريا أو مستعمرات أفريقية أخرى. ما زال مفتشو المراكز يستشهدون بكتاباتك في مقترحاتهم الرسمية وفي الملفات. ولا نحتاج لتسمية شارع باسمك في لاغوس أو لسماع الإطناب الرسمي لشخصك لتنعش ذاكرتنا، يكفي فقط قراءة «التفويض المزدوج».

أذكر أن لانسلوت فلبس مدير كلية أوريل بأكسفورد كتب لي بمناسبة عيد ميلاده الثمانين قائلاً: «كثمانيني أنا أتجول الآن في بلد قليلة السكان». طبعاً لم يكن ذلك صحيحاً، حيث كان مصحوباً بظلال مئات من الطلبة الجامعيين الذين تتلمذوا على يديه. كذلك فإنك لا تمشي وحيداً ولكن وسط فرقة عظيمة لا تقهر من مفتشي المراكز الشباب ومتوسطي الأعمار الذين كنت أنت لهم راعياً في مسيرتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ربما كنت كمن يتحدث في منطقة قفر في مجلس اللوردات - لا أدري ذلك - ولكن هنا في أفريقيا على ضفاف النيل، وفي كانو ومرتفعات باوشي، وسهول تنقانيقا (تنزانيا حالياً - المترجم) ومجلس الكباكا في يوغندا، فإن صوتك ما زال كالصرخة الداوية منادياً بالإدارة الحكيمة، والعدالة الأهلية، وتسليم السلطة المنظم، وكل الإجراءات التي تمكّن الرجل الأفريقي من الوقوف على رجليه، معافىً ومستنيراً وسعيداً كمواطن في مجتمعه. وكلاء ووزراء المستعمرات يجيئون ويذهبون مثل طائر القرنوق المهاجر، ولكن أفريقيا والأفارقة يبقون، ونحن نتطلع للعصبة الصغيرة في بريطانيا مثلك واللورد هيلي ومارجري برهام لنستمد منهم الإلهام.

نحن في السودان نتقدم بخطى حثيثة في تركيز دعائم الحكم المحلي في الريف وفي الحضر، وأتمنى أن تتحقق الزمالة بين السودانيين المستنيرين من زعماء القبائل ورجال المدن، والأطباء والمزارعين والمهندسين الوطنيين مع الحكومة لتصبح واقعاً حقيقياً. إحدى المسائل الأساسية هي مسألة التفويض المالي والذي كنت أنت دوماً تحرص عليه، وقد تمكنا من قطع شوط فيه، والآن هناك عدد من ميزانيات المدن والمديريات

التي برزت في كل مكان، وعليه فإن الجوزة التي غرستها قد أنبتت العديد من أشجار البلوط.

السودانيون بالتأكيد يستحقون الكثير منا بعد الحرب. فقد مدّنا شيوخ القبائل بالرجال والمال والمواشي وبرسائل الولاء المتكررة. وأينما اتجهنا في السودان يقول لنا الفرد منهم «الله ينصركم».

أتمنى لك حظاً سعيداً وأرجو أن تهتم بنفسك.

وقد رد عليه لورد لوغارد يوم ١ فبراير بالآتي:

«إنه من فضلك وكرمك أن تتذكر عيد ميلادي وتتحفني بخطاب أدخل السرور إلى قلبي أكثر من أي خطاب آخر تسلّمته في هذه المناسبة. أنا مدرك أن مديحك لي مبالغ فيه جداً رغم طبيعتك المجبولة على الكرم. ومع ذلك فإني ممتنّ لك لكتابة الخطاب بنفسك مع علمي بسجلك الحافل بالإنجاز.

لقد أشرت لـ «التفويض المزدوج» ـ لا أذكر إن كنت أخبرتك أنني كنت منهمكاً في مراجعة شاملة للكتاب خلال العشرين سنة الماضية دون توقف على الرغم من المعوقات الكثيرة. وبمجرد الانتهاء من ذلك اكتشفت أن المستجدات قد تجاوزها الزمن. بعض المقترحات التي قدمتها وبدت أنها مطبقة بالفعل، أو تغيرت الظروف مما تحتم تعديلها. ولذلك بدأت من جديد دون أدنى تردد في كتابة الفصل تلو الآخر، وأعتقد ربما أعدت كتابة النص أربع أو خمس مرات. يبشر تقرير هيلي العظيم وخطبه ودستور الأطلنطي بـ«إدارة حكم جديدة»، ان لم تكن «المدينة الفاضلة». وقد اتضح لي أن المستجدات قد تجاوزت المراجعة أيضاً. وكان عليّ أن أضيف فصلاً جديداً عن احتمالات المستقبل وعدم فاعلية بعض مشاريع

«مجالس الحكماء» لأن ذلك مهمٌ في رأيي، وقد بلغت صفحات الكتاب المراجع ١٢٠٠ صفحة (بما فيها الفهرست وخلافه) تقريباً وفي سمك كتاب هيلي. وقد أفادني الناشرون أنهم لن يتمكنوا من طباعته نسبة لظروف الحرب، وأنا في سن تناهز السادسة والثمانين. وبعد عشرين عاماً، أدركت أن «الأفضل هو عدو الجدي» وبشعوري بالإحباط قررت أن أودع الكتاب المراجع سلة المهملات ليستفاد من ورقه في المجهود الحربي، وأنه من المفيد الآن أن أنتهز أي فرصة تطرأ للاستفادة من خبرة العشرين سنة الماضية. وقد سنحت بعض الفرص. قد تكون اطلعت على تقرير فلبس - ستوكس الذي يزعم أنه بيان رسمي عن موقف أمريكا. وكرأي مجموعة إنسانية فيتوقع أن يجد اهتماماً كبيراً من المستمعين والقراء. وقد طلبوا مني التعليق على التقرير وكان من رأيي أن وصفهم للسياسة البريطانية قد أغفل الأساسيات. وعن مصلحة العلاقات البريطانية - الأمريكية أوضحت لهم رأيي كما أراه.

أرسلت لي جمعية محاربة الرق مسودة من مقترح لميثاق عن السياسة الاستعمارية، وقد قدّمت لهم مقترحاتي البديلة ولم أقبل أيّاً من مقترحاتهم.

كما سنحت لي الفرصة للحديث المطول مع كل من وزراء المستعمرات الثلاثة - موين وكرانبورن وستانلي.

كذلك أحاول إعادة كتابة الفصول عن «الإدارة الأهلية»، ولكني اضطررت لترك ذلك لشهر أو أكثر عدة مرات نسبة لتلك الملهيات.

الـ«.B.B.C» تذيع «سير شبه درامية» عن بعض الشخصيات المرتبطة بالإمبراطورية الخارجية. وقد بدأوا بسمتس واقترحوني ثانياً. وكما قد تتصور فقد كان ذلك كابوساً رهيباً، ولكن مارجري

برهام تلحّ عليّ أن من واجبي أن أستجيب. وقد جاوبتهم، بما أن البرنامج هو أساساً للمستمعين الأمريكان، فقد أوافق إذا كان التركيز على الطريقة التي تم بها الاستحواذ على المستعمرات في نصف القرن الماضي، والنتيجة التي توصلنا إليها اليوم. هذا هو ما يرغب الأمريكان في سماعه ـ، وليس سيرة ذاتية، سمتس ليتحدث عن آخر دولة مستقلة من دول الكمونولث البريطاني ـ وأنا كحجة في الشئون الأفريقية، وقد اقترحت عليهم ونجايت ليتحدث عن الحكم الثنائي ـ أي التعاون مع دولة أجنبية تحت إدارة بريطانية.

السودان حقيقة، أبلى بلاءً حسناً في الحرب وحكمه الذاتي يتطوّر بجهودكم وبرعايتكم.

مع تحياتي لك بموفور النجاح».

إلى شقيقته كاثلين تيري — الخرطوم ٣ يناير ١٩٤٣

لقد كنت مقلاً في الكتابة عام ١٩٤٢ وسأجتهد أكثر عام ١٩٤٣. من الأسباب أولاً المشغولية المتواصلة التي اضطرتني أن أرجئ الخطابات الخاصة لما بعد كتابة الخطابات الرسمية، وثانياً لأن وفاة الوالدة دمرتني بعض الشيء ولم أتمكن من أن أقرر لمن أكتب إلا بعد فوات ميعاد البريد، أو أكون قد انشغلت بموضوع هام. ودائماً ما أجد نفسي أسابق الزمن في الكتابة إما لمكتب لندن أو لوكالتنا في القاهرة أو لأحد مفتشي مراكزنا البالغ عددهم مئة والذين يتحتم عليّ مراسلتهم باستمرار لأنهم مجهدون من العمل المتواصل، ومن تخفيض عطلهم، ومن بُعدهم عن أسرهم. ومن الصعب عليهم مواصلة العمل الدؤوب للسنة الرابعة من الحرب والصحف لا تصل إليهم إلاّ بعد ثلاثة شهور وخطاباتهم لأسرهم تستغرق ستة أو سبعة أسابيع، وفي أغلب الأحيان لم يشاهدوا أزواجهم أو أطفالهم في الثلاث سنوات الماضية. كما

زاد تعرضهم للأمراض (ثلاثة أضعاف خلال فترة الحرب) ويتأثرون بسماع وفاة زملائهم أو أخذهم أسرى. لقد أعرنا خمسين من موظفينا الإداريين للمجهود الحربي. ولكن بوسائل مختلفة تمكنت من تقليص العجز إلى ٣٥ وظيفة معطلة. الباقون فيهم من طعن في السن وعندنا ١٢ موظفاً فوق الـ٥٠ سنة، ولكنهم لا يتذمرون. وقد ابتعثنا موظفين إداريين إلى مدغشقر والحبشة وأرتريا وشرق الأردن وسوريا والقاهرة وطبرق وعدد قليل ينتظر الذهاب إلى طرابلس. بالإضافة لذلك فلدينا ٢٧ مفتش مركز ملحقين بالجيش كضباط في قوة دفاع السودان. لقد فقدنا فقط خمسة بسبب العجز منذ سبتمبر ١٩٣٩، ولكن توفي لنا خمسة في المعارك الحربية وتم أسر واحد. فقدنا الشهر الماضي باني رامزي أحد ألطف وأكفأ مفتشي مراكزنا الشبان الذي اغتاله، كما يبدو، طباخه في المديرية الاستوائية. ويُقال إن طباخه كان مدمناً للمخدرات.

كذلك منينا بكارثة أخرى فقدنا فيها ثلاثة من المتدربين الجدد للخدمة السياسية تم اختيارهم بواسطة مايال وجيلان وآخرين عام ١٩٤٢، وكانوا جميعهم في طريقهم لنا عندما نسف باخرتهم طوربيد أو لغم لا أدري أين. لقد كانوا جميعهم في سن العشرين (هيكسن وديفز وكنج - اثنان من خريجي أكسفورد والثالث خريج سانت أندروز)، وقد تم اختيارهم بعناية. كان المفروض أن نلحقهم بقوة دفاع السودان لحين انتهاء الحرب ثم لاحقاً الخدمة الإدارية. لا بد أن مايال المسكين يتضور حسرة عليهم لأنه كان يعرفهم شخصياً.

الجنرال ليقنتلهوم مرّ علينا في طريقه ليتبوأ منصبه مندوباً سامياً لمدغشقر. هو رجل عظيم وقصير وودود جداً ومُسلٍّ. في كلامه عن شمال أفريقيا أخبرنا أن أحدهم أطلق النار على جيرو مرتين ولكن الطلقات أخطأته. اغتيال دارلان يبدو أنه قام به أحد الفاشيين من أتباع حكومة الفيشي أحد رجال دوريوت. جيبوتي أخيراً انحازت لنا ويمكننا الآن فتح الخط الحديدي إلى أديس أبابا. ضم جزيرة ريونيوت والتي هي جزء من مجموعة جزر مدغشقر مفيد حيث نأمل أن نتحصل على ما نحتاجه من سكر من هناك.

زارنا، لحسن الحظ اثنان من قادة جيوش الشرق الأوسط العظام: المارشال الجوي شولتو دوغلاس والذي كان قائداً لسلاح الطيران في بريطانيا وقد حضر ليتسلم من تدر (Tedder) القائد لسلاح الطيران الملكي في الشرق الأوسط. كنت أعرفه جيداً عندما كان قائد سرب في الخرطوم ومسؤولاً عن سلاح الطيران الملكي قبل أكثر من ١٢ سنة وقد كان معي في أكسفورد. لقد زاد وزنه ولكنه شخص ديناميكي. القائد العام الثاني هو هارولد ألكساندر، القائد العام للجيش الثاني والجيش التاسع في الشرق الأوسط. وهو ورئيس أركان حربه الجنرال مكريري زارانا ليومين وقد تناولت العشاء معهما مساء أمس ولكني لن أتمكن من أن أفصح عمّا قالا لي. شولتو دوغلاس أخبرني أن ونستون تشرشل عندما ودعه قال له «تذكّر، عندما تتسلّم شمال أفريقيا إجعلها منصة انطلاق وليس أريكة للاتكاء».

***

إحدى نساء الأشولي (قبيلة نيلية تقطن المديرية الاستوائية) شكاها زوجها الغاضب لمحكمة أهلية لأنها نقشت اسم عشيقها على عضلتي ذراعيها بالسكين. حاجب المحكمة معتد بلغته الإنجليزية سجل التهمة «كتبت حبيبي على ذراعيها». التوائم الأربعة الذين وضعتهم امرأة من كردفان كلهم ماتوا، وكذلك الطفل الذي ولد بوزن ١٥ رطلاً في الاستوائية. الأمطار كانت وفيرة والحصاد جيد ولم يكن هناك جراد، والأبقار سمينة والناس جيوبهم مثقلة بالنقود وفي حالة رضى تام.

إلى س. ر. دنكان — الخرطوم ٥ يناير ١٩٤٣

بمباشي بقوة دفاع السودان

إذاً فعلاً انتقلت إلى الفاشر. ستجدها مدينة ريفية وهادئة ومضيافة، جزءاً من السودان الحقيقي. لا تقلق كون أنك في قوة دفاع السودان ولست مساعداً لمفتش

مركز. هناك وقت كاف لتتبوأ المنصب الثاني، وستتمكن من تعلم اللغة العربية، والتعرف على السودانيين، ورؤية البلاد في خدمتك في قوة دفاع السودان، الشيء الذي سيفيدك مستقبلاً.

إننا نعتمد على الشباب في عمرك وجيلك لإعادة بناء السودان بعد الحرب، وستسنح لك الفرصة والمسئولية قريباً. إلى حين ذلك عليك بمواجهة الملل والكدح والمهام الشاقة وخلافه، ولكن عليك أن تتمسك بمبادئك ورباطة جأشك. لقد قضيت أنا الساعات الطويلة في هذه الحرب في التفاهات، ولكن الحروب هي حماقة، والحماقة تولد الحماقات، والحياة العسكرية هي بالضرورة خليط عجيب - البطولة، والفجاجة، والعمل النشط، والجلبة الفارغة، والعمل المرهق، والتبطل، والرعب والضجر. وإذا ما التحقت بوحدة وليس بمكتب فستكون وسط رجالك، والبشر هم من أمتع المخلوقات للدراسة وللخدمة.

كل ما ترى وتسمع في هذه البلاد، ومهما يقول لك الناس، تذكر أن إدارة السودان تعتمد في نجاحها أخيراً - ليس على الكفاءة أو العلم أو حتى الميزانيات المتوازنة - ولكن على أساس ثلاثة مبادئ أبدية: الثقة والأمل والإحسان: الثقة في مقدرة وطيبة السودانيين، والأمل في التغلب على مشاكل الفقر والمرض وبُعد المسافات والطقس والجهل، والإحسان في معاملة الزملاء وسكان منطقتك (والتمتع بروح الفكاهة يساعد كثيراً جداً أيضاً).

إلى ك. د. د. هندرسون — الخرطوم ٦ يناير ١٩٤٣

نائب مساعد السكرتير الإداري

[هذه المذكرة كتبت كرد على تعليقات مذكرة حررها قلوب باشا يقترح فيها ضمن أشياء أخرى تأسيس مكتب للشرق الأوسط وجهاز إداري شرقي لتفادي الوضع الشاذ المزدوج لوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات].

مذكرة قلوب باشا كانت ممتعة ولو أنها كانت مُسهبة. أفكاره عن الوحدة العربية كانت متقدمة عن الآخرين، وحتى تشرشل نفسه اقترح على الحكومة آنذاك قيام مصلحة لشئون الشرق الأوسط. جهاز إداري لشئون الشرق الأوسط كان ممكناً ولكنه كان سيشكّل صعوبة. إنشاء مصلحة لشئون الشرق الأوسط ما زالت ممكنة وأعتقد مرغوب فيها بالنسبة للسودان ومصر وفلسطين وشرق الأردن وسوريا والعراق والجزيرة العربية. الدساتير الداخلية والإدارة لتلك الدول السبع غير مطلوب تغييرها أبداً بخلق مثل تلك المصلحة، وسترتاح وزارتا الخارجية والمستعمرات من أعمال يجدانها حرجة.

من جهة أخرى فإن قلوب باشا في مقترحاته، المهمة بعض الشيء بالنسبة للفيديرالية، يموِّه أو يتجاهل أربع عقبات صعبة: اليهود والفرنسيين والمصريين وسلالة ملوك العراق. إنه من المؤسف حقاً وفاة السيدة قيرترود بل، لأنها كانت الخبيرة الوحيدة بشئون العرب التي لم تُسحر بالعرب أو بالصحراء مثل فيلبي وقلوب وخلافهما. ومع ذلك فإن رأي قلوب المنادي بإعادة توحيد سوريا وفلسطين أراه صائباً جداً.

❐❐❐

إلى عبدالله أفندي مسعود - السكك الحديدية الخرطوم ١٨ يناير ١٩٤٣

(في ما بعد وكيل وزارة المواصلات، ١٩٤٨)

شكر الله سعيك في تعزيتي برقياً في وفاة ابن أختي مايكل لا كرين (مدير حركة في مصلحة السكك الحديدية في السودان). كان مايكل دائماً يحدثني عنك، وكان دائماً يقدرك كزميل له، وكان أملي أن ترتقيا أنت وهو في سلم السكة الحديدية. لقد كان شخصاً وديعاً جداً وكفؤاً، وموته المفاجئ من الشلل كان صدمة لنا جميعاً. لقد عرفته جيداً منذ ولادته. هو ابن أختي البكر. كان مبرزاً في المدرسة وفي كيمبردج وكان شغوفاً بالعلوم والإنسانيات.

لقد تحادثت معه قبل شهرين فقط عن مستقبل السكة الحديدية السودانية، وقد زودني بمعلومات مفيدة وآراء تتسم بالعطف.

إلى باري سوليفان الخرطوم ٢٥ يناير ١٩٤٣

أنا آسف لعدم الكتابة لك من قبل، والسبب هو عدم حصولي على أي زمن للراحة أو يوم عطلة لأجد الوقت لكتابة خطابات لأهلي أو لأصدقائي الموظفين في الحكومة هنا والمنتشرين في المديريات. ولكني أرجوك أن لا تقطع الكتابة أنت، فأنا أرحب بكل خطاباتك. لا أذكر آخر مرة كتبت لك، ولكني أعتقد كان ذلك في آخر نوفمبر، ولربما لم يكن خطاباً شاملاً.

ليتني علمت بمكانك. أظن أنك ستكون عبر البحر الأبيض المتوسط في الربيع. أرجو أن تحافظ على نفسك ولا تعرضها للخطر. أرجو أن تكون قد وجدت بعض الأصدقاء الذين يتحدثون معك عن السياسة الاجتماعية والكتب والأسفار. من السيىء أن يكون الإنسان انعزالياً لأن ذلك يجعله يستبطن أفكاره وآراءه ومشاعره، ولا يجوز لأي إنسان أن يفعل ذلك قبل أن يبلغ الثمانين من العمر.

ألا تزال في شمال أفريقيا، والتصفية النهائية لمستعمرات حكومة الفيشي في أفريقيا كان انقلاباً عظيماً. وتقدم الجيش الثامن كان أسرع وأشمل مما كنت أعتقد. تونس تبدو صعبة المراس، وطبيعتها وعرة وتحتاج لجيش مقتدر لهزيمتها، بأمطارها الغزيرة ومطاراتها السيئة. ولكنها ستُهزم لا محالة عاجلاً أم آجلاً. معنويات الروس ونصرهم يثير العجب، وهم الأبطال خلال ١٩٤٢ و١٩٤٣. أرجو أن يواصلوا نصرهم. أعتقد أن خطبة سير ستافورد كريبس المذاعة عن روسيا في فبراير ١٩٤٢ كانت أفضل ما سمعت. للأسف يبدو الآن أن ذهنه قد انصرف لأمور أخرى. أتمنى أن نداوم على صداقتنا للروس.

هنا الطقس بارد وهذا شيء جميل، ولكن لا جديد يذكر. ما زال لدي الكثير من المشاغل، أساعد في خطوط المواصلات النيلية والبرية والسكك الحديدية، والإمدادات الحربية من لحوم وقمح وأخشاب ومطاط وكافور، وأيضاً بعض المهام الخاصة بطريقكم الجوي عبر غرب أفريقيا لترحيل المؤن. في السنتين الماضيتين تمكنا من تسفير عدة آلاف من الطائرات، مقاتلات وحاملات قنابل أمريكية وبريطانية عبر السودان للشرق الأوسط، وما فقدناه لا يتجاوز ١,٥ ٪ من سقوط أو انحراف أو خلافه، ونحو ١٢ حالة وفاة. المسافات كبيرة للغاية. للحصول على بترول من الميناء إلى المطارات في غرب السودان حوالى ٩٠٠ ميل بالسكك الحديدية ثم حوالى ٦٠٠ ميل بأكثر طريق رملي في أفريقيا، لا يصلح للواري التي تحمل جالونات البترول. كذلك الحال لمطاراتنا في الجنوب على حدود يوغندا حوالى ٧٢٠ ميلاً بالسكك الحديدية ثم ١١٠٠ ميل عبر النهر. طائرات الليبراتور وخلافها تنزل وتحمل الطائرة الواحدة ٤٥٠ جالوناً من المستودع لتطير بها للقاهرة، ذلك يمثل زنة ٢ طن الشيء الذي يستغرق أسبوعاً باللواري إلى أفريقيا الاستوائية الفرنسية. على أي حال فإن المستودعات مليئة بالبترول، وطائرات الهريكان والإسبتفاير والبوستون تواصل رحلاتها، والنتيجة أن روممل يتقهقر إلى تونس، ولذلك مجهودنا لم يضع سدىً.

قوة دفاع السودان تساعد في تحرير الجيوش البريطانية للمرحلة القادمة بحماية أرتريا والمشاركة في حماية ليبيا، وما زلنا ندرب ونجند. ماذا سنعمل تجاه الآلاف من المدفعجية وحاملي الرشاشات السودانيين بعد الحرب؟ أتوقع أن يعود أغلبهم للزراعة في مناطقهم بعد الإفاقة من صدمة خفيفة كما فعل جنودي من فرقة دورست عام ١٩١٨ بعدما طاردوا الأتراك والسنوسي من السلوم إلى سوريا. المزارعون من السهل إعادة استيعابهم. نداء الأرض الطيبة يدوم للأبد. إنما سكان المدن الذين لا جذور لهم والميكانيكية هم الذين سيحار بهم الدليل بعد حلول السلام.

هل لديك الزمن للمطالعة؟ أنا لا أجد أي وقت إلا في فراشي قبل النوم. لقد أعجبت بديوان «التنبؤ» (Augury)، وتنوعات من النثر والشعر من أكسفورد،

ورواية كورنين «مفاتيح المملكة» (١٩٤٢)، وكتاب جيمس بريدي «طريقة المعيشة» (الجامعات الاسكتلندية والصحافة) (١٩٣٩)، وكتاب سيقفريد ساسون «التأمل المقفى» (١٩٤٠)، وبالنسبة لإعادة التعمير كتاب مايكل روبرتس «استعادة الغرب» (١٩٤١). لا أذكر إذا أخبرتك عن الكتاب الأخير. إنه أكاديمي نوعاً ما، ولكنه رائع، تحليل ذكي للإحباط الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، والأسباب والفلسفة الأخلاقية والاجتماعية لما بعد هذه الحرب. كذلك كنت أقرأ كلمات رؤساء التحرير ومقالات وخلافه عن الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي لما بعد الحرب. أنا على يقين أنها تحتاج لترتكز على مبادئ أخلاقية، ولا يمكن تحقيقها بما يقترحه ولز «في مجلس الحكماء»، مهما كانت خبرته. وإنما بالأحرى لمجلس ثقة وإيمان أغلبية المجتمع بآداب المسيحية. لن يجدي إعادة تخصيص الأموال أو الديون، ولا إعادة توزيع ممتلكات حقيقي أو مزعوم، ولا تعليم جماعي في إزالة المساوئ الاقتصادية أو الاجتماعية ما لم يؤمن المواطن - الذي بواسطته ومن أجله نحقق ذلك - بالمبادئ المسيحية (ليس بالضرورة الإيمان بكل العقيدة المسيحية، أو سور الإنجيل الـ٣٩ (الإنجيل القديم والحديث يحتويان على ٣٩ سورة تسمى «كتب» - المترجم)، أو عقيدة أثاناسيوس، Athanasius - مطران الاسكندرية في مطلع القرن الرابع بعد الميلاد - (التي تؤمن بوحدة الإله وقداسة المسيح - المترجم)، أو المعجزات، أو الهداية أو خلافه)، وإنما بالمحبة، والرحمة، والإحسان، ونكران الذات، والإيمان بالآخرة. ولن نتمكن من تحقيق عالم جديد رائع مؤسس على الحقوق وعلى الواجبات. أنا أنزعج بعض الشيء من التركيز المستمر على «حقوق» كل رجل وكل امرأة في الانتخاب وفي الدخل الذي يكفي للإعاشة وفي التعليم المجاني لأولاده. ما من مخلوق ولد «بحق»، أو سيتحصل تلقائياً على «حق». يجب على الفرد أن يكتسب «الحق». لا يحق لأي فرد أن يطالب المجتمع بأي شيء «بوجه حق» إلاّ إذا كان مستعداً لإعطاء شيء للمجتمع، الشيء الذي لا يفعله الكثيرون. ماركوس أوريليوس الحكيم لخص الموضوع بإيجاز كلي: «لماذا تطالب بمقابل

عندما تقدم خدمة لإنسان؟ ألست قانعاً بأنك قمت بعمل مريح لضميرك؟ وهل تسعى لأن تتحصل على أجر عليه تماماً كما لو طالبت العين بمكافأة لأنها تُبصر أو القدمين كونهما تمشيان؟». وقارن ذلك بما قاله روبرت لويس ستيفنسن: «يجب على العالم أن يرجع يوماً لكلمة «واجب»، ويترك كلمة «مكافأة». ليس هناك مكافآت ولكن الكثير من الواجبات، وكلما سارع الإنسان بإدراك ذلك والعمل به كشخص، متحضراً كان أو همجياً، كان ذلك أفضل له».

هذا لا يعني أن من الأفضل أن نكون فقراء وجياع. هناك ما يكفي من الغذاء والمال والسلع في بريطانيا لكل كبار السن وللأطفال الذين لا يقدرون على العمل، لتوفير غذائهم وملبسهم وسكنهم، ولكني على قناعة أنه يجب علينا أن نتخلص من الأرباح المفرطة، ومن التنافس الوظيفي، ومن التكسب من السياسة، ومن النفاق الدبلوماسي، ومن منح الامتيازات، ومن التكبّر وخلافه. يجب علينا أولاً معرفة ما هو مفيد ولائق للإنسان أن يتملكه أو يصبو إليه، ثم نوفر ذلك للكل. مجرد زيادة الممتلكات الموجودة والامتيازات والمدارس الخاصة ليس حلاً وربما زاد الشرور.

تجدني آسفاً لهذه الخطبة الرنانة، ولكني قد قرأت كثيراً في الفترة الأخيرة، وقد شاركت في عدد من المناقشات مع الجماعات والدوائر الكنسية هنا في الكاتدرائية وفي سلاح الطيران.

❒❒❒

إلى ر. س. مايال الخرطوم ٣٠ يناير ١٩٤٣

المسيو أبويَّ، حاكم عام أفريقيا الإستوائية الفرنسية، والذي قبل دعوتنا لزيارة الخرطوم في مطلع فبراير، أجّل رحلته بسبب الأوضاع في شمال أفريقيا الفرنسي. كان ينوي اصطحاب زوجته وابنته وبعض المساعدين. وقد أعددنا له احتفالاً تشريفياً مع عدد من الدعوات الرسمية وزيارة إلى مديرية النيل الأزرق وإلى

الأبيض، لنقوم بواجب الحفاوة والتكريم الذي يستحقه كحليف باسل وإداري مقتدر.

لعلك تذكر مذكرتي إلى المجلس بتاريخ ١٠/ ٩/ ١٩٤٢ التي أوصيت فيها بتشكيل لجنة خاصة لتدرس مسألة مجلس استشاري لشمال السودان. وافق الحاكم العام على لجنة تتكون من السكرتيرين الثلاثة (الإداري والمالي والقضائي - المترجم) بالإضافة إلى برايدي (مدير مصلحة الصحة)، وتوتهيل (مدير مصلحة الزراعة)، وبنِت (المدعي العام)، وكامبل (مدير كردفان)، وبريدن (مدير النيل الأزرق)، وبيرفس (المسؤول عن العلاقات السودانية). إنها موسعة بعض الشيء ولكني أرغب في إشراك مندوبين من المديريات، كما سيقدم بيرفس وجهة نظر السودانيين، وسيساعد توتهيل في مقارنة المجالس الموازية في المستعمرات، ولا بد لنا من مستشارَين قانونيّين في حالة مرض أو سفر أحدهما حيث المسائل الدستورية متضمنة.

خطوط المواصلات:

لقد تعبنا جميعاً من مشاكل خط مواصلات غرب أفريقيا. لقد استنفد منذ ابتدائه في مارس ١٩٤٢ وحتى تاريخه، ورقاً وإدارة ولجاناً أكثر من أي مشروع آخر تقريباً، وبعد ثلاثة أشهر من الحِمل ليس هناك دلائل تبشرَ بوضوع وشيك. التكاليف فاقت المليون جنيه. من ناحية أخرى متوقع إجراء رحلة تجريبية لليوريكا وللهيقنز قريباً، وستعلم حينها إذا كان بإمكانها سحب الأثقال عبر المستنقعات. كنت دائماً أشك في مقدرتها والآن علمت أنها تعطلت في الكنغو. لقد تمت الموافقة على تعيين خمسة وعشرين مهندساً أمريكياً لهذه المراكب وتعيين الملاحين المحليين يجري على قدم وساق.

الاقتصاد والتموين:

تكاليف المعيشة ولو أنها الأدنى في الشرق الأوسط، ستشكل مشكلة هذا العام حيث أن أغلب العوامل خارج سيطرتنا.

شهد هذا الأسبوع بعض الاضطرابات الخفيفة للحرفيين ورجال المطافئ وخلافهم في عطبرة. وقد تم إقناعهم بالعودة للعمل، ولكن قد تكون هناك حجة لزيادة علاوة الحرب أو تحسين شروط الخدمة. إنها قيد البحث.

المحاضرة عن «المسيحية والمواطن» والمطبوعة في الجزء الثالث ألقاها نيوبولد يوم ١٢ فبراير ١٩٤٣. المقتطف التالي من رسالة يعطي وصفاً دقيقاً لحياة نيوبولد اليومية في ذلك الوقت:

«كنت مقيماً مع نيوبولد في منزله عند مروري على الخرطوم. كان مرهقاً جداً من العمل كالعادة. أذكر تحديداً ذلك اليوم جيداً. كان يعمل في مكتب منزله في الساعة السادسة والنصف صباحاً عندما نزلت بملابس نومي إلى مكتبه لأختار كتاباً من مكتبته الغنية. ثم علمت بعد ذلك أنه قضى يومه في مكتبه بإجراء مقابلات متواصلة مع كبار زوار حضروا لزيارته، ثم عاد لمنزله لتناول طعام الغداء وكان يبدو عليه الإرهاق، وكان يقرأ نشرات رويتر الإخبارية طوال تناوله طعام الغداء. ثم صعد إلى غرفة نومه في الطابق الأعلى يحمل معه كومة كبيرة من الملفات لمواصلة العمل كما أعتقد. ثم صحبته في جولة قصيرة في غابة السُّنط عدنا بعدها إلى منزله حيث واصل العمل للساعة الثامنة مساءً. ثم زاره عدد من صغار الموظفين البريطانيين من أمثالي لتناول العشاء. وكان طوال تناوله الوجبة يسلينا بفكاهته البارعة وتعليقاته عن أحوال السودان والعالم بأسلوبه الهزلي اللاذع. ثم ذهبنا بعد ذلك لمشاهدة العرض الثاني لفيلم سينمائي كان سخيفاً جداً لولا تعليقاته الذكية والحاذقة المتواصلة والتي لم نكف عن الضحك عند سماعها.

وبعد منتصف الليل أويت أنا إلى فراشي ولكن نيوبولد جلس على مكتبه وقال إنه سيقوم ببعض الأعمال قبل أن يذهب لفراشه. وفي صباح اليوم التالي نزلت لتناول شاي الصباح وإذا بنيوبولد يسلمني عدداً من أوراق الفلسكاب ويطلب مني أن أقرأها وأن أعلّق على ما كتبه بصراحة. قرأتها ذلك الصباح وكانت هي محاضرته المثيرة للإعجاب التي ألقاها في نادي العشاء، وعنوانها على ما أعتقد «المسيحية والمواطن». لقد قام بكتابتها بأكملها الليلة الماضية بعد أن أويت أنا لفراشي في الوقت الذي يعجز فيه الفرد العادي حتى عن توقيع اسمه نسبة للإرهاق الذهني. وقد علمت لاحقاً أنه لم يدخل أي تعديلات عما كتبه عند إلقائها. ومع ذلك يكتب في الخطاب المرسل لك: «لا يهم أبداً إذا قتل أي شخص تجاوز عمره الأربعين، على الأقل في العادة، لأنه بدأ الانحدار إلى أسفل». الشيء العظيم، أو أحد الأشياء العظيمة عند نيوبولد أن منحدراته كانت دائماً إلى أعلى.

قائد سرب سلاح الطيران الملكي
و. س. ماكدونالد».

❒❒❒

إلى ك. د. د. هندرسون الخرطوم ١٦ فبراير ١٩٤٣

[معلقاً على اقتراح يوصي بأن آراء السكرتيرين الثلاثة (الإداري والمالي والقضائي) عن مستقبل العالم العربي قد تكون ذات نفع للحكومة البريطانية، وأن المنظمة العالمية يجب عليها تشكيل مفوضية إقليمية مقرها لبنان، ومزودة بجيش مقره تدمر وقنال السويس، ويتم اختياره بموجب نظام الجامعة العربية، مع قوة بحرية، وسلاح طيران توفّره في أول الأمر القوى الغربية].

أشكرك على مذكرتك. أنا لن أتمكن من الحديث نيابة عن السكرتيرين الآخرين، ولكني أشك أن أي رأي لدي عن فلسطين، أو شرق الأردن، أو سوريا، أو العراق لا يقارن البتة، مثلاً بآراء ماكمايكل أو بيك، أو هاملتون أو كورنواليس أو بولارد أو خلافهم. يبدو لي أن لا جدوى أن نتكهن بمستقبل الشرق الأدنى حتى نعلم أن شعبي أمريكا وبريطانيا - أي دافعي الضرائب والبرلمان سيكونون على استعداد لتمويل المفوضية والمحافظة عليها بالصلاحيات التي توصفها. مثل هذه المفوضية حتماً تكون فاعلة (مسيطرة على المالية والتجارة والأمن والجمارك) بالضرورة، ستنتقص من سيادة، مثلاً، سوريا والعراق ومصر وكل الدول التي كفلنا لها استقلالها. قد يكون من المرغوب فيه وجود مثل تلك السيطرة، ولكن الدول المعنية ستحتج وستستند على دستور الأطلنطي. والقوة المطلوبة يجب أن تكون ضخمة إذا اضطرت، على سبيل المثال، لردع تركيا أو مصر.

نحن نقوم بتقديم تعهدات (مثلاً للفرنسيين والسيد إدريس السنوسي، وإمبراطور الحبشة والسوريين) ستتعارض مع مثل تلك السيطرة.

أنا أفضّل أن نستمر في نظام المعاهدات التي يدفع بها لورانس (بموجب المقتطف المرفق) ونسمح للدول الإسلامية أن تتحرك نحو اتحاد فدرالي، إذا رغبوا في ذلك. لورانس متشائم من تحقيق مثل هذه الفدرالية، ولكن رأي لورانس السياسي عام ١٩٢٨ في رأيي لم يكن صائباً، (جورج أنطونيوس يعطي أسباباً قوية في كتابه «صحوة العرب» لماذا لم يكن لورانس صائباً)، كما يكتب رتشارد كوك (مؤلف «موقع العربي تحت الشمس»): «الغريب والفريد في وحدة العرب أنها حافظت على بقائها رغم فساد وعدم كفاية حكامهم، ورغم الحروب الصليبية وحروب الإسبان وسوء الحكم التركي، وقد تتمكن من البقاء أيضاً رغم طموحات أوروبا الحديثة».

هناك بالتأكيد حركة واضحة نحو الوحدة، باستثناء ابن سعود الذي ينزع للشك. هو يرى أن كل الشرق يجب أن يكون تحت الوصاية البريطانية. شعوري الخاص أن لجنة أنجلو - أمريكية (مثل لجنة كنج - كرين الممتازة ولو أنها فشلت، عام ١٩١٩)

مكونة من عناصر مقتدرة بإمكانها بعد سنة من السفر والدراسة أن توصي بحلول، ولكن الحل في رأيي سيستثني فرنسا وتركيا من أي حق أو سلطة قضائية (تركيا لا تطالب بأي شيء)، إلا إذا صادقت فرنسا فوراً ونفذت الاتفاقية الفرنسية - السورية المعلّقة. إن العداء السوري لفرنسا مستحكم.

أنا أقترح أن نستثني قبرص من تلك الفدرالية وأن تستفتى عما إذا كانت تفضل الوحدة مع اليونان أم الوصاية البريطانية.

يجب أن نضع حداً للمأزق العربي - الإسرائيلي بتجميد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ونوضح لليهود أنهم الآن أقلية ولا بد أن يبقوا أقلية بضمانات. يجب علينا مطالبة أمبراطور أثيوبيا باستيعاب نصف مليون يهودي، إذا وافقوا، لتنمية أمبراطوريته المفلسة، والتي تحتاج لرجال لهم مثابرة العمل مثل اليهود.

أقترح أن تصبح حيفا قاعدة حربية أنجلو - أمريكية، وبغداد وعمان وأسمرا قواعد جوية، أو الخرطوم في حالة ضم أسمرا لأثيوبيا. ولكني لا أرى أي مبرر أن يتقدم غير المعنيين بمذكرات الى أن تصل حكومة بريطانيا مع الولايات المتحدة إلى سياسة تعاون عريضة لما ستكون عليه خارطة العالم في فترة ما بعد انتهاء الحرب.

عندما أذهب الى فلسطين وسوريا في مارس سأتحادث مع مكمايكل وآخرين. أما الآن فلا بد لي من التركيز على السياسة الداخلية للسودان.

أنا أوافق أن إنشاء مصلحة في وزارة الخارجية تعنى بشئون مصر والسودان وليبيا وشرق الأردن والجزيرة العربية وسوريا والعراق مع تبادل الموظفين البريطانيين سيكون تطوراً هاماً. يجب أن ننصح مصر بتخفيض جيشها إلى ٥٠٠٠ جندي بالإضافة لأفراد الخدمات الملحقة، وأن تنفق الوفورات على جهاز الشرطة وعلى استصلاح الأراضي. كذلك الحال بالنسبة للعراق. يجب على سوريا وفلسطين وشرق الأردن تكوين حكومة واحدة أو اتحاد فدرالي متين. الخرطوم يجب أن تكون البؤرة الثقافية لتشاد وأرتريا واليمن وعدن والصومال. إذا ما منحنا السلام، وإذا ما حددت

الرسوم بنسبة منخفضة، فليس هناك ما يمنع الوحدات الصغيرة من أن تنال نوعاً من الاستقلال معتمدة على بريطانيا والولايات المتحدة، في القروض والدفاع والخبرة الفنية.

مرفق مع المذكرة أعلاه المقتطف التالي من خطاب رقم ١٥٦ إلى د. ج. بيرمان مضمّن في كتاب تي. إيز لورانس «رسائل ممتازة» قام بتحريرها ديفيد قارنت:

«عندما يتحدث الناس عن الفدراليات أو الأمبراطوريات العربية فهم ينسجون الخيال. أتوقع أن تتعاقب أجيال - إلا إذا زادت وتيرة التطور في الشرق - قبل أن تتحد دولتان عربيتان اختيارياً. أنا أوافق على أن أملهم الوحيد يكمن في توحدهم، ولكن يجب أن تكون نتيجة نمو طبيعي. الوحدة القسرية مصيرها الزوال. والسياسة في مثل هذه الأمور يجب أن تتبع الجغرافيا والاقتصاد. المواصلات والتجارة لا بد من تحسنها قبل أن تتمكن الأقاليم من التوحد.

أقرب محاولة لتشكيل أمبراطورية عربية في الوقت الحاضر هي محاولة بن سعود، ولكن ذلك سراب مبني على رمال. لا يمكن إقامة شيء ثابت في الصحراء التي شهدت مئات من الأنظمة الاستبدادية مثل نظامه وثبّته (ربما بغير سخاء) بالدماء؛ ولكنها حتماً ستزول.

الأماكن الوحيدة التي تحاول تشكيل حكومات عربية اليوم هي الحجاز، واليمن، والعراق ومصر. من بين تلك الأماكن الحجاز هي أفضل حالاً تحت ابن سعود مما كانت عليه تحت السلطان حسين. حسين كان وليد الحرب. كنا ندين له بما قدمه لنا من مساعدة مسلحة، وما كان بوسعنا أن نجاهر بتبنّيه، لسوء حكمه. لقد سعدت كثيراً عندما

ولّى ابنه علي، كان شاباً مهذباً لا يستحق إرث والده الذي كان يكره ابن سعود. لكنه قضى. أنا لا أعتقد أن الحجاز في مقدورها أن تصبح مكاناً عظيماً أبداً، ولو أنها لا تخلو من إثارة.

العراق هي أكثر الأماكن التي تدعو للتفاؤل. لقد فعلت العجائب منذ عام ١٩٢١ عندما أنشأها تشرشل: أو بالأحرى أعاد اكتشافها. لم تكن إدارة دفة الحرب هناك من مصلحتنا أو من مصلحة العراقيين.

كان من المفترض أن تكون سوريا أحسن حالاً، كما كان الحال سابقاً، في العراق، حيث شعبها كان أكثر تقدماً وخبرة. ولكن الفرنسيين بعد إخراج فيصل رفضوا إقامة دولة مركزية واحدة للكل ما عدا لبنان، وقسموها لأربع إدارات. إن منطقة صغيرة بهذا الحجم لا تحتمل خمس إدارات. في آخر الأمر سيجدون حلاً آخر شبيهاً بالعراق. ولك أن تقدّر حسن حظ إنجلترا عندما تولّى ونستون تشرشل وزارة المستعمرات. قارن سعادة العراق ببؤس سوريا. كبرياء فرنسا يسيطر عليها وترفض هي أن تتعلم من أخطائها. نحن تمكنا من فتح صفحة جديدة بعد ذهاب كورزون.

أرجو أن توضح لموظفيك، أياً كانوا، أن غرضي كان إنقاذ إنجلترا، وفرنسا أيضاً، من حماقات الإمبرياليين الذين يتوقعون، في عام ١٩٢٠، أن نكرر بطولات كلايف وردوس. العالم قد تغيّر منذ ذلك الزمن. أنا أعتقد، مع ذلك، أن الإمبراطورية البريطانية سيكون لها مستقبل زاهر كاتحاد اختياري، وأنا أرغب في ضم أكبر عدد من الولايات التي تحكمها معاهدات لذلك الاتحاد. لدينا عدد كبير من تلك الولايات الآن تنتشر من نيبال إلى الجنوب؛ فلنضم مصر والعراق على الأقل إليها. نحن نمثّل شركة ضخمة يمكنها أن تقدم فوائد لا

نظير لها للأعمال التجارية الصغيرة لتتحد معنا، إذا ما تمكنا من طرح شروط انضمام مغرية».

إلى ر.س. مايال الخرطوم ١٩ فبراير ١٩٤٣

الحكم المحلي:

سبق أن وعدتك بأن أقدم لك تفاصيل مالية عن الحكم المحلي. تذكر في ديباجة المنشور المالي بتاريخ ١ يوليو ١٩٣٨ عن التفويض المالي للسلطات المحلية الذي ينص على: «المسؤلية المالية عندهم للحكم المحلي الذاتي، وتفويض السلطة تدريجياً جزء مكمل لسياسة حكومة السودان». أثارت الدوائر الإدارية بعض الشكوك في ما إذا كانت الحكومة المركزية تنوي فعلاً أن تمنح صلاحيات مالية كافية للسلطات المحلية. أعتقد أن في إمكاننا الآن أن نبرهن أن الوعد الذي قطعناه قد تمّ تنفيذه.

كانت هناك ١١ ميزانية ريفية في عام ١٩٤٢ و١٢ في عام ١٩٤٣، (الميزانية الجديدة كانت لقسم الفونج، بمثابة إعادة بعث تاريخي!) السلطات القبلية الآن تبدي رغبة أكيدة: إدارة الجوامعة على سبيل المثال، وضعوا تقديراتهم (٢١,٥٠٠ جنيه مصري) بأنفسهم وبدون مساعدة من مفتش المركز. كما أدلوا بملاحظاتهم، بل اقترحوا تخفيض عدد الموظفين.

هنا ٧ ميزانيات مجالس مدن ومجالس بلديات: الخرطوم، الخرطوم بحري، أم درمان، الأبيض، كسلا، كوستي، ومدني (الثلاثه الأخيرة جديدة). مدينتان أخريان: أم روابة وشندي يعتقد أنهما ستنضمان، أسوة بالدويم، في ميزانية منطقتها الريفية. نحن نرغب في أن تكون كل مجالس المدن تنفيذية وعدد منهم في الواقع هو كذلك، بترخيص رسمي. مدني تجري الآن انتخاباتها دائرة بدائرة.

السكرتير المالي في مذكرته عن ميزانية ١٩٤٣ يقول عن الإدارة الأهلية:

«لقد وضعت الحرب على السلطات المحلية مسئوليات أجسم، ولهم الحق في الشعور بالفخر لاستمرار كفايتهم في إداء خدماتهم. إن نجاح أدائهم يشكل مساهمة مهمة في استقرار السودان».

وعن الميزانيات الحضرية يقول:

«ميزانية الأبيض قد أعدت بطريقة مشرفة جداً بواسطة المجلس البلدي... سيتم التشريع لتمكين السلطات المحلية من جباية العوائد وعموماً لإدارة شئونهم المالية الخاصة بكامل صلاحياتهم وبأقل قدر من التدخل والسيطرة المركزية».

فكما ترى نحن في تقدم مطّرد. كما تفصّل مذكرة الميزانية كل المبادئ الموجهة للخط الفاصل بين الصرف المركزي والصرف المحلي والذي كان حتى تاريخه مبهماً وخاصاً.

إلى باري سوليفان الخرطوم ١ مارس ١٩٤٣

لقد كنت مشغولاً جداً بشئون إدارة السودان المحلية وشئون السياسة ـ أساساً التخطيط لبناء الهيئات الخاصة بالحكم الذاتي لما بعد الحرب، وإنشاء جامعة، ومجالس مديريات ووحدات حكومات محلية أخرى، وربط السودانيين بالحكومة المركزية، بالإضافة لأعمال خطوط المواصلات ومهام حربية أخرى.

أوافقك الرأي أن الإنسانية والفلسفة تحتاجان لبلورة وتقوية أكثر للتغلب على مشاكل ما بعد الحرب الاجتماعية والاقتصادية. أنا لا أعتقد أن الحلول المبنية على أي واحد من العوامل التاريخية، أو الأخلاقية، أو العلمية، أو الاقتصادية بمفرده كاف، وخصوصاً العامل العلمي. يجب أن نتعلم من التاريخ، ولا بد أن يكون لخططنا أساس أخلاقي، وبعد ذلك يمكننا الاستفادة من العلم والتكنولوجيا. الناس لا يتعمقون في

قراءة التاريخ هذه الأيام. البعض يقول «أنا عندي ما يشغلني عن قراءة التاريخ»، كأنهم يقولون «نحن عندنا ما يشغلنا عن الاستحمام والنوم».

لدينا هنا عدد كبير من الطيارين أغلبهم ضباط صف، وهم مجموعة محترمة. نجتمع في حلقات نقاش ومحاضرات. مداخلاتهم عميقة ومفيدة وأعمارهم بين العشرين والثلاثين.

اهتمّ بنفسك. إذا لم أكتب لك مطولاً فهذا لا يعني أن صداقتي لك عابرة. حقيقة أنا في غاية المشغولية ومسئولياتي يجب أن يكون لها السبق من وقتي. الصداقات عزيزة عندما يدخل المرء منتصف العمر. قال أحد الفلاسفة: «دائماً ما نعتبر الصداقات استخفافاً، إنها مجرد شيء ثانوي للحياة، مصادفة سعيدة إذا عثرنا عليها. ليس هناك خطأ أفدح من ذلك. إنها ليست كما قال أمرسن خطوط زجاجية أو صقيعية، ولكنها من أمتن الأشياء في العالم». كذلك كنت أشعر قبل عدة شهور أن العالم سيتحسن، عندما لاحت بوادر النصر. إن العالم الذي نعيش فيه اليوم مثير جداً.

حظاً سعيداً لك مع دوام الصحة والشجاعة.

ملحوظة: ٢ مارس ١٩٤٣:

بمجرد انتهائي لخطابي أعلاه وصلني خطابك المؤرخ ١٦ فبراير. أنا سعيد بحصولك على وظيفة أكثر إثارة. من السخف أن أكرر لك نصيحتي بالمحافظة على نفسك، ولكنك تعلم ماذا أقصد.

مع تمنياتي الطيبة لك يا باري. مالطة هي ساحة البطولات. لقد فقدت أعز أصدقائي في إحدى الحملات هناك (ولفرد رين، ابن أخت مارجري برهام). روني سكوبي القائد العام، رجل محترم جداً وصديق لي وللسودان ـ مهذب وذكي، قد تصادفه وقد لا تصادفه، على أي حال هو ليس مخيفاً.

لقد تجولت في فاليتا (عاصمة مالطا ـ المترجم) يوم ٢٤ أكتوبر ١٩١٥ عندما وصلنا إلى المرفأ بالباخرة مع ٢,٠٠٠ من الجنود الساعة السادسة صباحاً ـ وكان

شروق الشمس رائعاً. قضينا ساعتين تحت حرارة الشمس. شقيقتي الكبرى كانت تمارض البحارة اليابانيين هناك - يا للغرابة! ثم زرتها مرة واحدة بعد ذلك قبل ست سنوات في طريقي لإنجلترا. الجزيرة ذات تاريخ رومانسي، الفينيقيون، والقرطاجيون (القرن السادس قبل الميلاد)، والرومان والبيزنطيون والعرب (ثلاث غزوات)، والكاونت روجر النورماني (١٠٩٠ م)، وكبير أدميرالات صقلية (١٢٠٠ بعد الميلاد)، وشارلز أنيو، والأتراك (١٤٢٧ م)، والأرقونيون وفرسان القديس جون من رودس والذين هزموا العرب أخيراً في الحصار العظيم عام ١٥٦٥م بقيادة جيهان دو لا فاليتا الذي شيد مدينة فاليتا، ونابليون بونابارت (١٧٩٨) - كلهم احتلوا مالطة قبل أن نستولي عليها نحن. أرجو أن لا تكون قد دمرت كثيراً.

أرجو أن تكتب لي من وقت لآخر، وأرجو أن تتمكن من عقد صداقات مع المالطيين فهم شجعان ومحبوبون جداً وكانوا مخلصين لنا.

❒❒❒

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ٤ مارس ١٩٤٣

قوة دفاع السودان:

وصلت إلينا الآن تفاصيل عمليات الكتيبة الرابعة بالقرب من مصراتة. وقد ضمت سرية لفرقة المرتفعات رقم ٥١ والتحموا مع قوة عسكرية ألمانية في قرية كرسبي بالقرب من مصراتة. لقد كانت معركة حامية هُزم فيها الألمان هزيمة نكراء واستولى السودانيون على القرية بخسارة عشرين من القتلى والجرحى. ولقد رفع ذلك من معنويات السودانيين، كما تصرف الضباط والجنود السودانيون، الذين لم يسبق لهم خوض معارك، بهدوء وبجدارة. وقد وصلت إلينا تقارير أخرى تفيد أن الوحدات في ليبيا محبوبة وذات كفاءة.

أرتريا:

أرتريا بلد تعيس وتكثر فيه بذور الشقاق. لحسن الحظ فإن المدنيين الطليان أصبحوا ضد الفاشية بعد التحرر من الوهم وخيبة الأمل، أما الفاشيون المتعصبون فقد أصبحوا قلة. أن تفشي الرشوة بين الموظفين الطليان هو أمر مخزٍ، وخطابات الطلاينة المسنسرة مليئة بها وبارتفاع الأسعار وبالمطالبة بإعادتهم إلى الوطن. أسمرا مدينة غير طبيعية وغريبة جداً ومتمددة، وإذا ما أمكن دكّها وترحيل كل الطليان ما عدا ٥٠٠ أو ١٠٠٠ منهم فسيكون مستقبل أرتريا أسهل.

أثيوبيا:

التقارير من أديس أبابا ومن جهات أخرى لا تسر. وبعد استبعاد التحيز العام ضد أثيوبيا من قبل نيروبي وأسمرا وجهات أخرى، تبقى الحقيقة بلا ريب التي تؤكد أن حكومة أثيوبيا هي مجرد واجهة، وأن المستشارين (وخصوصاً العسكري والقضائي والمالي) وصلت بهم الأمور إلى حد الاستسلام، وأن الامبراطور عنيد جداً ومرتاب وغير متعاون. وهناك حالة سيئة من انعدام الأمن في منطقة تقاطع كينيا وأثيوبيا والصومال الإيطالي. كما وصلت الأمور إلى طريق مسدود بين السلطات الأثيوبية ونيروبي وإدارة أراضي العدو المحتلة الصومالية. أما حدودنا فلحسن الحظ هادئة نوعاً ما.

في جيبوتي يعمل الحاكم العام الجديد المستر بير بيارديل بهمة لترتيب الأوضاع. وقد قام بطرد أغلب موظفي حكومة الفيشي. لقد سبب الحصار معاناة شديدة وأغرق المكان في خمول وعدم مبالاة.

الاقتصاد والتموين:

اجتمعت لجنة خاصة لتدرس تكاليف المعيشة وعلاوة الحرب وخلافه، وقد أوصت، من بين أشياء أخرى، بزيادة علاوة الحرب. وقد أجاز المجلس أمس الزيادة

من أول يناير ١٩٤٣، والتي ستدفع في الوقت الحاضر نقداً، ولكن قد تدفع عيناً لاحقاً (خصوصاً الملابس والتي بها ندرة وأسعارها باهظة للغاية) إذا كان ذلك عملياً. لم أجد الوقت لأرسل لك كل التفاصيل حيث تبدو معقدة نوعاً ما، ولكن مصروفاتنا لتغطية علاوة الحرب ستزيد عن الضعف.

السودنة والحكم المحلي:

في ما يختص بالمجلس الاستشاري لشمال السودان، فقد عقدت اللجنة الخاصة لتحري قيام مجلس استشاري ثلاثة اجتماعات في نهاية الأسبوع الماضي، وقد قررنا وبالإجماع تأسيس مجلس لشمال السودان قوامه نحو ثلاثين عضواً، أي ثلاثة أعضاء من الست مديريات الشمالية، وتعيين عشرة بواسطة الحاكم العام قد يكون اثنان منهم ممثلين للغرفة التجارية وآخر يمثل رجال الدين (قد يكون مفتياً متقاعداً)، و٢ زراعيين وواحد تربوي، وواحد من مصلحة الصحة، وثلاثة آخرين. وسوف يطلب من السيدين (علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي) أن يبديا رغبتهما أو عدمها في الانضمام للمجلس. سيجتمع المجلس مرتين في العام أو أكثر في القصر. يجوز لغير السودانيين الانضمام للمجلس ولكن من غير المحتمل أن يكون هناك أكثر من واحد أو اثنين. سيكون المجلس استشارياً فقط ولن يكون به أعضاء بحكم المنصب أو موظفون بريطانيون. الحاكم العام سيكون الرئيس والسكرتير الإداري سيكون نائباً له.

كل ذلك سيقدم لمجلس الحاكم العام للتصديق عليه. والموضوع بالطبع في غاية السرية في الوقت الحاضر.

مجالس المديريات:

بما أن تشكيل وصلاحيات مجالس المديريات تؤثر على المجلس الاستشاري المركزي، فقد اتفقنا أن تدرس اللجنة، المشار إليها أعلاه، الموضوعين، وقد تم ذلك بمقتضى مشروع قرار كردفان، وقد وصلنا إلى اتفاق جماعي عليه، وأرجو أن أتمكن من تجهيز

المعالم الرئيسة بمساعدة السكرتير القضائي قبل انعقاد المجلس في يوم ١٧ مارس.

وقد اتخذ نقاشنا مساراً واسعاً: لقد شعرنا أنه يتوجب علينا أن ننظر للمستقبل ونخطط لتطوير لبرالي ومرن. في ذات الوقت فإن إصلاح الحكم المحلي في الجزيرة يسير بخطى حثيثة.

* * *

كتب إيوان كامبل مدير مديرية كردفان الخطاب التالي إلى نيوبولد بعد عودته للأبيض، وقد كان عضواً في اللجنة التي اتخذت القرارات أعلاه:

«أرجو أن تسمح لي أن أهنئك على الطريقة البارعة التي أدرت بها اللجنة الخاصة. لقد كان من حسن حظي وسروري أن أشارك في اللجنة، وقد رجعت وأنا مقدر جداً للإنسانية ـ أي الحكمة والتفهم ـ التي تتحلى بها الحكومة المركزية. إنه في مثل ذلك الجو الحميمي الذي ساد في تلك اللجنة الممثلة لكل الأطراف يمكننا أن نحس بتلاحم التقاليد والتطور والذي هو إرثنا الوطني. لقد تم تكوين دستور لهذا البلد (حالياً في طور الجنين)، ليس قسراً ولا نتيجة حيلة أو تسوية، ولا بالتزلف للوطنية غير الشرعية. لقد أجمعنا في بحثنا على حل دستوري لكل السودانيين. إن تمثيل رجل الريف في غاية الأهمية، ولكني على قناعة تامة أن ذلك ليس بخافٍ عليك».

إلى ر. س. مايال الخرطوم ١٧ مارس ١٩٤٣

المجالس:

لقد قدمت مقترحات اللجنة الخاصة لمجلس الحاكم العام أمس وقد صادق المجلس عليها من حيث المبدأ وناقش ووافق على الشكل التشريعي الذي يجب أن يتبع

- غالباً ما يكون أمراً يخول للحاكم العام إنشاء مجالس استشارية في كل أو في جزء من السودان، ونظام متفرع من ذلك الأمر ينشىء مجلساً استشارياً للمديريات الشمالية الست وقد ناقش مجلس الحاكم العام أمس أيضاً ووافق على أمر حكم محلي بتكوين مجالس مديريات.

السودنة:

لم أتمكن من إعداد وتقديم تقرير مستوفى عن السودنة إلى لجنة الخدمة أو لمجلس الحاكم العام قبل أن أغادر للعطلة، ولكني تقدمت بمقترح لمجلس الحاكم العام أمس لإلغاء رتبة نائب مأمور من درجة (S) وهي بين ٢٠ إلى ٤٥ وظيفة تقريباً. وقد وافق المجلس على ذلك. وقد تم تفويض لجنة الخدمة بأن توافق على الألقاب المناسبة. أغلب المناصب المعينة هي إما مساعد مفتش صحة، أو نائب مأمور إداري، والذين ستصبح ألقابهم على التوالي: مفتشي صحة أو مساعدي مفتشي مراكز. هذا يعني دخول نحو عشرة سودانيين كمساعدي مفتشي مراكز من جملة ١٥٠، على أن يكونوا حاصلين على الشهادة الثانوية أو ما فوقها، وأعمارهم في حدود الأربعين عاماً وبخدمة إدارية لا تقل عن ١٥ سنة. أعتقد أنّ جيلان سيكون راغباً في معرفة ذلك.

إلى ج. و. روبرتسون　　　　القاهرة ٢٥ مارس ١٩٤٣

نائب السكرتير الإداري

لقد تحادثت طويلاً مع جون هاملتون (موظف حكومة السودان ومعار إلى مكتب وزير الدولة بالخارجية البريطانية)، ومع سمارت (السكرتير بالسفارة البريطانية بالقاهرة والمسئول عن شئون الشرق) عن مستقبل الشرق الأدنى. الكل بدأ يقول إن على تشرشل أن يتراجع عن موقفه الرافض مناقشة ما يجب أن تصير عليه الأمور بعد الحرب. وقد علمت أن ماكمايكل وكورنوالس وبولارد سيصلون إلى القاهرة يوم

٩ مايو لحضور مؤتمر برئاسة كاسي يناقش مستقبل البلاد العربية في محاولة لإقناع الحكومة البريطانية أن تعلن عن سياسة أو خط مختلف عن النازية وعن الفرنسيين في سوريا، وعن الوحدة الاقتصادية وخلافه. أعتقد أنه من الضروري أن يطالب السودان بالمشاركة في هذا المؤتمر ولو بمراقب. لم أذكر ذلك إلا إلى هاملتون شخصياً. أنا أرغب جداً أن أحضر ذلك المؤتمر لأن شمال السودان لحد ما سيتأثر بذلك، كما وأن متعلمي السودان يهمهم الأمر. لا أدري ما هو رأي الحاكم العام أو رأي السكرتير القضائي.

كانت محادثتي مع لورد موين (وزير الدولة بوزارة الخارجية البريطانية) عابرة وتركزت على التضخم والمالية وخلافه، وقد أحضر معه مساعد مالي أو للتموين ولكني لا أذكر اسمه. أخبرت موين قليلاً عن السودنة وعن أثيوبيا. هو يعتقد أن وظيفته ستلغى.

لقد أعجبت كثيراً بـ ريد (Reed) عميد كلية فكتوريا بالإسكندرية والتي يرأس طلبتها ابن الدكتور معلوف. في المدرسة عدد من الطلبة السودانيين وهم مثابرون ويجيدون الألعاب الرياضية. الطلبة السوريون هم الأنجح والعراقيون هم الأشرس. وفيها مغاربة وقبارصة ومالطيون. كان يبدو على ريد المرض وكان يتحدث عن التمصير في مصر وذكر أن تجربة السكك الحديدية مرت بسلام.

صمويل عطية أسمعنا قصصاً عجيبة عن الثراء وزيادة الأسعار في مصر، بعض السلع تضاعفت أسعارها ٢٠ أو ٢٥ ضعفاً خصوصاً الورق، والحديد، ولمبات الكهرباء، ومسابك الزجاج، والعطور وخلافه. اليهود والأغاريق بالذات أثروا ثراء فاحشاً من التخزين للمواد قبل الحرب.

الفصل الثاني عشر

استراحة في فلسطين

إلى ج. و. روبرتسون | نزل كوهين
السكرتير المدني | نهاريا، فلسطين، ٦ أبريل ١٩٤٣

لقد حررت لك خطاباً من القاهرة يوم ٢٥ مارس، ولم أمسك قلماً بعد ذلك إلى اليوم. اليوم بارد وممطر وقد أفقت من الصدمة التي انتابتني عندما أدركت أنني في عطلة. عندما وصلنا أنا وفليمنج ـ ساندز (ساندي) (قاضي محكمة عليا في السودان) كان الطقس بارداً وغائماً. ولكن الشمس بزغت وتحسن الطقس ووجدنا نزلاً يهودياً صغيراً ونظيفاً ومزوداً بأسرّة مريحة ووجبات جيدة وبيرة ونبيذ وفراولة وبرتقال وخلافه. وهناك سينما صغيرة ومكتبة بها بعض كتب إدقار والاس وكراسٍ مريحة في الحديقة. وقد قضينا أسبوعاً ممتعاً برفقة توني نوبل وعروسه الخجولة، قضينا يوماً في رحلة إلى الجبال المرصعة بالزهور الجميلة: بخور مريم (نبات عشبي جميل الزهر ـ المترجم)، وزهرة الترمس، وزهرة السوسن، وزهرة الخشخاش (الأفيون ـ المترجم)، وأصناف عديدة أخرى لا أعرفها. لقد سبحنا مرتين ولعبنا على الشاطئ مع أطفال بتي بول، وقرأنا الروايات وتمشينا وخلدنا للنوم والراحة.

وبقليل من الضغط أقنعت ساندي أن يلبس شورت وأن يشاركني في شرب زجاجة نبيذ معتّق لم يستسغها أولاً، ولكن بعد عدة كؤوس تجرعها بشراهة، كما ينبغي للقضاة، وقد احمرّ وجهه إلى أن أوقفه جورج (ج. بريدن مدير مديرية النيل الأزرق ـ المترجم) عن شرب النبيذ واستعاض عنه بعصير البرتقال. جورج مثال السائح

الذي لا يكل ولا يمل، وكل صباح يرغمنا بترك مقاعدنا الوثيرة وغليوناتنا ويزج بنا في الباصات والعربات للطواف في الجبال لاكتشاف حصون الصليبيين وسور الملك هيرود (٤٠ـ٤٤ ق.م.). أنا الآن أفضّل أن أزاول اكتشافاتي من على مقعدي الوثير وأتصفح الكتب المصورة، ولكن جورج لا يرحم، ولكن قد يساعد الجهد في تخفيف كرشي. أمس توجهنا لنتسلق جبلاً بالقرب من الجليل لنشاهد بعض الأسوار المتداعية التي قال إنها أسوار قصر الملك هيرود. وقد أطلعته على برقية ند مايال المرسلة إليّ والتي يقول فيها: «أتمنى لكم عطلة ممتعة ولكن أخبر جورج أن يكف عن السياحة». ولكن جورج لم يأبه لذلك واضطررنا أن نتسلق بعناء شديد ـ ساندي (بزيّ رسمي وبالطو)، وبتي بول في خفة الغزال، والآنسة بيرناي كبيرة الممرضات في الناصرة (والتي سبق أن كانت في وادي سيدنا)، وأنا في المؤخرة حاملاً لحقيبة يد بتي بول وأنا أئن وأتأوه. أخذنا من هنا عربة أجرة وعرجنا على الناصرة لأخذ الآنسة بيرناي معنا، وقد حذرنا السائق بأن رجال الشرطة قد يوقفوننا لأنه يحمل خمسة ركاب وهو مرخّص له فقط بأربعة ركاب، وفعلاً هذا ما حصل. اعترض رجل شرطة بريطاني شاب سيارتنا بدراجته البخارية في شارع الناصرة الرئيسي، تماماً كما يحدث في الأفلام. وأمام تجمع من المتطفلين حرّر لنا مخالفة وأخذ أسماء السكرتير الإداري ومدير مديرية النيل الأزرق وقاضي المحكمة العليا، دون أن يبدي أي وجل. للأسف لم يستدعِ الأمر مثولنا أمام القاضي. كان سيكون حدثاً عظيماً إذا ما اضطر ساندي أن يقف أمام القاضي الذي سيوبخه «إنه من المحزن أن نعلم أن شخصاً في رتبتك القضائية عمداً يشجع سائق مركبة عامة لخرق القانون». سيقدم السائق غداً للمحكمة لمخالفته مادتين: (١) لحمل خمسة ركاب في سيارة في حين أن رخصته تحدد عدد الركاب بأربعة، و(٢) لسماحه براكبين في المقعد الأمامي بدلاً من واحد. بالطبع هو يطالبنا بدفع الغرامة وتعويضه لضياع فرصة عمله لليوم الذي سيقضيه في المحكمة. تخيّل ماذا سيكون العنوان الرئيسي في صحيفة «البوست الفلسطينية»: «قاضٍ سوداني يمثل أمام محكمة الناصرة ويوبخ».

نهاريا مكان مدهش. هي مستوطنة يهودية شبه جديدة، فيها حوالى ٢٠٠ منزل صغير وحوانيت، وحقول صغيرة، بالإضافة لجمعية تعاونية، ودار سينما، ومغسلة ملابس، وحوالى ٦ بقالات، ومقاهٍ، وبنسيون صغير، ومكتبة، ومحل باتا للأحذية، ومحل كوداك للتصوير، ومحل لبيع الأواني الحديد والمعدن، ومكتب بريد ومحل لبيع التبغ. كلهم يتحدثون الألمانية، وأصحاب نزلنا من وستفاليا (مقاطعة في شمال غرب ألمانيا - المترجم)، وعندهم [مدرسة] كتاب وعمدة ويشعر المرء كأنه في بافاريا (مقاطعة جنوب شرق ألمانيا - المترجم)، وكلهم يكدحون مثل النحل، يغسلون، ويعزقون، ويبنون ويغزلون ويزرعون أشجار الفواكه. وعلى بعد ميل أو ميلين في سفوح الجبال نشاهد تجمعات خيم العرب وقراهم والتي لم يطرأ عليها تغيير منذ فجر التاريخ. وقد تحادثت مع أحد الصبيان العرب وهو يرعى بغنمه، واسمه درويش حاج موسى، وقال لي «اليهود أسوأ من الأتراك». مشكلة العرب واليهود هذه تبدو عن قرب أنها لن تحل بالرغم من القوانين التي تسنّ، إلاّ إذا حدثت مذبحة، إذ لا شيء سيمنع اليهود من مزاولة نشاطهم الذي يشبه نشاط قفير النحل. هم يتسربون من كل مكان، المستوطنات الجماعية، وبساتين الفواكه والحوانيت وأماكن الري وخلافها. والعربي لا يسعه إلاّ الفرجة، والتذمر، والتقهقر إلى رؤوس الجبال بقطعان معيزه.

حيفا مدينة جميلة بها حوالى ١٥٠,٠٠٠ نسمة (٦٥,٠٠٠ يهودي) تشبه إلى حد كبير المدن الألمانية. لم نجد في أي مصرف، أو حانوت، أو مطعم من يتحدث الإنجليزية بطريقة جيدة. كل الناس تتنقل بالبصات وهي رخيصة ولكنها مزدحمة. كل اللافتات مكتوبة بالعبرية وقليل منها بالإنجليزية أو العربية.

أمس استقللنا السيارة إلى طبرية عن طريق الناصرة. أخذنا المرشد إلى ثلاث مناطق مختلفة يزعمون أنها الأماكن التي ظهر فيها الملاك جبريل على مريم العذراء، وفي كل مرة دفعنا رسوماً واشترينا بطاقات. مفتش المركز يسكن في منزل فخم على قمة تل. بحيرة الجليل كانت غامضة وغائمة للأسف واليوم المطر يتساقط، ولكن الشمس أسفرت أثناء عودتنا وتمتعنا بمناظر خلابة خلال مرورنا بصفد، التي ترتفع ٣٠٠٠

قدم فوق سطح البحر، وبالمرتفعات الشمالية غرب الجليل. منظر قرى العرب من قمم التلال، وحقول القمح، والأبقار بلونها الأبيض والأسود، وبساتين الزيتون يسرّ الناظرين. الطرق ممتازة، والمعسكرات الحربية وقوافل عربات الجيش في كل مكان. كانت هناك صفارات إنذار في حيّنا الأسبوع الماضي ولكننا لم نشاهد طائرات للعدو.

يوجد عدد كبير من رواد بوتسوانا والذين سعدوا جداً عندما أخبرتهم أنني قابلت زعيمهم تشكيدي في الخرطوم.

ذهبنا إلى طبرية يوم ٨ لنمكث فيها ٥ أو ٦ أيام وننزل في فندق طبرية، وقد نقضي ليلتي ١١ و١٢ في القدس. ماكفيرسون، السكرتير الأول والذي ينوب عن ماكمايكل، الذي سافر مع زوجته إلى بغداد وطهران لغاية يوم ٢٨ في عطلة، دعاني وجورج لقضاء ليلتين معه. ستكلفنا الرحلة ذهاباً وإياباً عشر جنيهات بالسيارة، ولا يبدو أن هناك وسيلة مواصلات أخرى. هذه بلدة يصعب السفر فيها، إلا إذا انتظرت البصات. لا أحد يملك قائمة بمواعيد البصات أو القطارات، ودليل التلفون قديم وقد تغيرت الأرقام. وكل العلامات مرمية على الأرض ولا أسماء في المحطات. يجد المرء صعوبة في كل شيء، ولكنها مكان جيد لأخذ عطلة إذا لم يتحرك الإنسان في أي اتجاه، ومع أنها غالية التكاليف لكنها ليست باهظة. سأقترح علاوة عطلة ٥٠ قرشاً في اليوم لشخص واحد، أو جنيهاً لزوج وزوجة و١٢٥ قرشاً لزوج وزوجته وطفل. لقد أرسلت إلى بوب كولدري (مدير الإمدادات الحربية) بعض المذكرات عن تكاليف المعيشة، وتقرير حكومة فلسطين الذي لخص في الصحف الأسبوع الماضي. تكاليف المعيشة هنا أعلى بكثير مما هو في السودان.

أما عن الطقس، فقد كان شتاؤهم أشد برودة ومطراً من المعتاد، ويبدو أننا بكرنا بثلاثة أسابيع لمجيئنا إلى هنا، ولكننا مستمتعون به. نحاول أن نذهب لسوريا لمدة عشرة أيام ثم نعود إلى القدس حيث نأمل أن يستضيفنا ماكمايكل لمدة أربعة أو خمسة أيام. أرجو إفادتي إذا ما دعت الحاجة لعودتي، كما أرجو أن تكون أنت بخير. آمل أن لا يكون الطقس لديكم شديد الحرارة وأن لا تكون هناك أي أزمات. آسف لتركي

لعدد من المواضيع المعلقة. يبدو لي السودان بعيداً جداً وينتابني شعور السجين الذي يقفز ليتخلص من قيده.

إلى ج. ب. س. دانيال، إداري فندق طبرية، الجليل، فلسطين
بحكومة السودان معار لقوة دفاع السودان ١٠ أبريل ١٩٤٣

أشكرك على خطابك بتاريخ ٦ أبريل الذي وصلني اليوم. خدمة البريد في هذا البلد ليست سريعة. وصلنا إلى هنا أمس. كان الطقس بارداً نوعاً ما في نهاريا وكنا نتوقع أن يكون الطقس أدفأ حيث إننا تحت سطح البحر ولأن جورج بريدن صحته ليست على ما يرام - لا أعتقد أنه تعافى من الملاريا. ولكننا وجدناها أيضاً على درجة من البرودة، ولو أن اليوم أدفأ، والضباب يغطي ويحجب رؤية الجبال مما يدل على أن الصيف وشيك الإنقضاء.

ذهبنا إلى كابرنوم (capernaum) (المدينة الثانية للمسيح عليه السلام وبها معبد كان المسيح يعظ فيه ويجتمع مع حوارييه - المترجم)، وأعجبت بالمعبد. الزهور تملأ المكان وتدخل السرور على النفوس. مدينة طبرية مقرفة بقاذوراتها وانعدام تخطيطها. ولكن الجبال التي تكسوها الخضرة دائماً ولا تبعد أكثر من ميل من الأحياء العربية الفقيرة والقذرة ومن صراخ وتذمر اليهود الذي لا ينقطع. اللافتات اليهودية، وعدم مقدرة أي إنسان ليدلك على أي مكان، وعدم معرفة مواعيد البصات أو الجهة التي تذهب إليها، أو حتى عدم المقدرة للتفاهم باللغة الإنجليزية أو العربية هي أشياء مضنية ومرهقة تماماً مثل اجتماعات هيئة الإمدادات الحربية.

هذا النزل مثل معسكر أسرى متعددي اللغات، ولكنه على الأقل مزود بالبيرة وبالمياه الساخنة في الحمامات ليعوض عن صراخ اللاجئين من لاتفيا وعواء الكلاب تحت نوافذ غرفنا والذي يستمر للساعة الثانية صباحاً.

جورج يشعر بتحسن اليوم وقد تمشينا على ضفاف البحيرة وشاهدنا عظمة غروب الشمس البطيء من صفحة تل. كان منظراً جميلاً وهادئاً، وقد شعرت بالانتعاش، ولكني حتى تاريخه لم أتمكن من التكيف مع التغيير السريع من القرن الأول حتى القرن العشرين.

أوافقك مئة في المئة على امتعاضك لما يجري في الأندية العسكرية من سُكر ولغو. لماذا لا يصدر القائد العام أمراً بتحديد استهلاك المشروبات كما هو الحال في إنجلترا، وكما ينبغي لنا أن نفعل في الفندق الكبير؟ ثم على الضابط المسؤول أن يوجه الحديث لمواضيع مفيدة ومثمرة. في الواقع لقد قادني رئيسي المباشر عام ١٩١٦ لشرب الويسكي، والذي لا استسيغ طعمه. وكان يقول لي: «هراء، اشرب، ما خطبك؟ يا نادل أحضر لنا كأسين آخرين ولا تكثر من الماء، اشرب، هذا ما يجب أن يشربه الجندي، أحضر لنا كأسين مرة أخرى أيها النادل، يا إلهي ألم ترتشف كأسك بعد؟ هل أنت مريض؟ أنا أذكر بستول السمين الذي كان يقود بطارية مدفعية، كان يشرب ربع قنينة الويسكي من حذاء الميدان دون أن ترمش له عين، كان من عباد الله المتفردين، لقد قام بركل أحد الحمالين ركلة ارتفعت به فوق الأرض وعبر مدفع تزن قذائفه ١٨ رطلاً. كان ذلك في روالبندي (الباكستان ـ المترجم) ليلة التمرد، كما أنه يكون فارساً ممتازاً عندما يكون غير ثمل، الشيء الذي كان نادراً ما يحدث. أيها النادل، أحضر لنا كأسين، دوبل هذه المرة وأعطي الصودا للقطة».

إذا تمكنا من قضاء عطلة عيد الفصح سوياً في القدس ستكون لي ذكرى عظيمة عندما أجلس أمام مدفأة كوخي في قريتي في دورست عندما أتقاعد، وأنا عجوز ومنعزل ومنكمش، أتحسس بأصابعي المعروقة منشة الذباب المصنوعة من شعر دوبل دود (حصانه ـ المترجم)، أحدّق بعيون دامعة في خارطة ممزقة لكردفان.

غداً سوف أسحب بنطالي الجميل الوحيد من تحت مرتبتي لأذهب وأنا وجل لمقابلة ذوي الشأن في القدس. ستكون مقابلتي هذه الثالثة لثلاثة سكرتيرين أوائل خلال سنتين.

بالطبع يجب عليك عدم ترك قوة دفاع السودان حتى ولو عرضوا عليك قيادة لواء الحرس الملكي. قوة دفاع السودان هي فوجك، وقد ترك عدد كبير من الناس لتاريخه.

لم أقرأ الصحف العربية هنا. وبما أني أشعر بقوة ونشاط سأحاول قراءتها، ولكني: (١) على وشك أن أفقد بصري، حيث أصبحت الحروف الصغيرة صعبة القراءة؛ و(٢) إنني لم أكن يوماً من المتضلعين في اللغة العربية، وحتى عندما كنت في أحسن مراحلي الدراسية (قبل مدة طويلة) لم أكن أستطيع القراءة إلاّ إذا أخرجت لساني، وتصبب العرق من جبيني، وقلبت وجهي مثل صراف قبطي قدم له أمر دفع، ومررت سبابتي فوق الحروف همزة همزة.

❒❒❒

فندق طبرية، الجليل

إلى ج. ب. س. دانيال ١٣ أبريل ١٩٤٣

لقد رجعت للتو من رحلتي إلى القدس. لقد أكرمنا السكرتير الأول وحرمه بضيافتهما لنا ليومين كاملين. قابلنا عدداً من موظفي السكرتارية، وتحادثنا عن الإدارة، وعن مجالس المدن، والشرطة، وتكاليف المعيشة، وخلافه - ثم ذهبت إلى مقر الحاكم العام بحديقته الغناء وزرت غرفة نوم ماكمايكل وحتى مخزن مواد أكله كلها بصحبة ياوره الخاص اللطيف.

وقد حضرت حفلة استقبال في القنصلية الأمريكية وقابلت عدداً من الناس من بينهم رئيس تحرير صحيفة «البوست» الفلسطينية، وهو يهودي نشط من شرق لندن. أتوقعك يوم ٢٤ عصراً في القدس، وسنذهب للقداس وصلاة الفجر يوم الأحد. لم أحجز غرفة لك أولاً لأنني لم أجد غرفة وثانياً لأنني لا أدري إذا كانت الكنيسة أو الجيش وفّرا لك سكناً. على أي حال أعلمني عن طريق فندقي في نهاريا حيث سأهاتفك منها لأعلم إذا كنت ستصل يوم ٢٤.

طقس أبريل هذا العام بارد وممطر أكثر من المعتاد، وقد نزل البَرَد في القدس وكان البرد قارساً مع عاصفة شديدة وأمطار غزيرة. حتى في منخفض الجليل هنا البرودة شديدة ولو أنها محتملة. عواجيز الرجال اليهود وعواجيز العرب النساء يخبرونني بأن هذا أسوأ شتاء وأبطأ ربيع منذ فجر التاريخ. جورج وساندي أخذا السيارة لبعض النواحي ولكن السيارة توحلت في الرمال واضطرا للرجوع مشياً ثم ركوباً على حصان وحمار. لقد رجعت خلال ثلاث ساعات وكلفتني الرحلة أربعة جنيهات هذه المرة بسيارة عن طريق نابلس. وقد اصطحبت معي مندوب شل اليهودي والذي قضى سنين طويلة في الكنغو وفي كمبالا.

وقد تشاركت السيارة إلى القدس مع السيد فاهوم الذي اتضح أنه موظف قسم عكا (درس في بيروت وجامعة لندن، وتحصّل على شهادة في الرياضيات وعلم النفس) وقد كان حديثه عن الضرائب وإدارة المحاكم وعمل القرى ممتعاً، أما حديثه عن تكاليف الحياة فكان محزناً.

منزل السكرتير الأول في القدس، أشبه بالقصر وكانت أرضياته وأثاثه وإنارته جميلة للغاية. بالمقارنة، منزلي أشبه بالزريبة. لا بد أن أدهن غرفتك (دانيال كانت له غرفة في منزل نيوبولد) لتصبح أقل قبحاً من سجن ورموود سكربص (أحد السجون الكبرى في إنجلترا لعتاة المجرمين - المترجم).

لا يحتمل السكن في مثل تلك الغرفة إلاّ من يجد لذة في العذاب مثلك.

سنرجع إلى نهاريا يوم الجمعة ونسأل الله أن تطلع الشمس وأن نتمكن من السباحة.

آمل أن تتمكن الآن من تحريك كتيبة مكوَّنة من كل الأسلحة عبر منطقة جبلية ليلاً بواسطة نظارة ومنقلة فقط.

نزل كوهين

إلى ج. ب. س. دانيال نهاريا ١٩ أبريل ١٩٤٣

من لطفك أنك توجت بهجة عطلتي بإرسالك لي تلك المقتطفات الشيقة التي تماثل أقوال القديس بول، ولورد شسترفيلد، ودامون رانيون (القديس بول (بولص) هو الحواري الأول للسيد المسيح عليه السلام، واللورد شسترفيلد هو سياسي وأديب بريطاني في القرن الثامن عشر اشتهر بفن أدب الرسائل، ودامون رنيون روائي أمريكي ذو أسلوب أدبي ساخر، من أشهر كتبه: Keys of the Kingdom و Guys + Dolls - المترجم). وخصوصاً فإن كتابتك لها كانت في خضم التمرينات المكثفة والمحاضرات والإرشادات وخلافه مع قوة دفاع السودان.

لا بد أنك الآن في غاية اللياقة البدنية بعد تدريباتك مع فرقة السارفاند هاريرز، وقريباً ستتمكن من العدو مثلما جرى فيديبديس (Pheidippides) من تل القاضي إلى بير السبع.

اليوم الشمس ساطعة والبحر أزرق، وهيئة الإمدادات الحربية مجرد حلم يحجبه الضباب. لقد أفطرنا اليوم بيض مقلي بالسمن وبعصيدة حنطة (بعدما نمنا لثماني ساعات مثل الأطفال)، ثم استحممنا وقرأنا بعض الكتب. وفي الغداء تناولنا السجق وزجاجة بيرة... «المعدة الشبعى أفضل من ذهب أوفير (Ophir)» (منطقة مشهورة بوفرة ذهبها وجودته وهي الجنة التي جلب منها الملك سليمان الذهب لمملكته. هناك خلاف أين تقع هذه المنطقة، بعض الدراسات تقول إنها جنوب السويس، وأخرى تقول في الجزيرة العربية، وثالثة تقول في أثيوبيا ورابعة تقول في الشرق الأقصى - المترجم)، نعم وحتى أهم من توباز (Topaz - حجر كريم أصفر اللون - المترجم) شورازين (منطقة في فلسطين - المترجم).

وقد تلاحظ أنني لم أقضِ عطلتي في غيبوبة النوم أو السُكر أو مداعبة إستر وراشيل (أسماء فتاتين يهوديتين - المترجم) وإنما في تكريس وقتي بصرامة في التنقيب التاريخي.

هذه البلدة غارقة حتى أذنيها في التاريخ، ولذلك فضلنا أن نركز على الإنجيل الجديد بدلاً من التوراة، وأيضاً على الحروب الصليبية بالذات.

(هنا يعدّد صاحب الرسالة عدة أشخاص وأماكن من ما قبل المسيح وغير مذكورة في أغلب المراجع، ولا أعتقد لها أهمية تذكر للقارئ - المترجم).

إلى كاثلين تيري نزل كوهين، نهاريا - فلسطين

شقيقة نيوبولد ٢٠ أبريل ١٩٤٣

أعتقد أني كتبت لكم عن هذه المستعمرة اليهودية الصغيرة. بعدما قضينا بعض الوقت، حيث الطقس ما زال بارداً للسباحة في البحر، انتقلنا إلى بحر الجليل لمدة أسبوع وأقمنا في فندق طبرية. المدينة قذرة وحانتها بائسة، ولكن المناظر حولها خلابة. بحيرة الجليل تحفة مثل بحيرة وندرمير تحتضنها الجبال الخضراء ومشبعة بالتاريخ. المعبد الروماني يقف على أعمدة جميلة وحروف استهلالية منحوتة ونقوش لأشجار السنط والزيتون والنخيل، وسفينة نوح تقف على عجلات، وخاتم سليمان وحزام داوود، وشمعدان بسبعة فروع. القائد الروماني كان واضحاً أنه شخص ذو ذوق رفيع، ويستحق أن يبعث خدمه من المهات، كما يقولون. ثم قمنا بزيارة الناصرة ورأينا عدداً من السراديب التي ظهر فيها الملاك جبريل ليخبر مريم بأنها ستحمل بالمسيح. القدس تذخر بالسراديب، ربما لأن المسيحيين الأول كانوا يحتاجون للتخفّي تحت الأرض.

ثم استأجرنا عربة أجرة بمبلغ باهظ لتقلّنا ١٥٠ ميلاً، من الساعة التاسعة صباحاً إلى الساعة الخامسة عصراً، ومررنا بجهات عديدة حتى عبرنا الحدود السورية، وكان علينا أن نبرهن أننا لسنا جبناء هاربين من فلسطين. لحسن الحظ كنا قد أعطينا موظف الهجرة في طبرية زجاجة بيرة، وقد اتصل بكل النقاط الحدودية، وقد سهل ذلك دخولنا. هناك هجرة غير قانونية وتهريب في تلك المنطقة.

بعد حوالى خمسة أميال داخل الحدود السورية شاهدنا أجمل قلعة صليبية - بلفورت. لم نتمكن من اعتلاء القلعة لأننا كنا في الناحية الأخرى من الخدر وأيضاً كانت السماء ملبدة بالسحب وعلى وشك أن تمطر، كما وأني كنت أعاني من الألم من التهاب المفاصل. ولكننا أطلنا النظر اليها وأخذنا السيارة لنرى الناحية الأخرى، ثم واصلنا المسير لنشاهد منبع نهر الأردن وقرية ينيباس التي توجد فيها نافورة إله الغابات، وضريح للقديس جورج وجدران الملك هيرود وبوابات تايتوس، كلها للأسف متداعية. ثم رأينا قلعة صليبية أخرى عجيبة يسميها العرب قلعة نمرود تقف على صخرة وجرف شديد الانحدار بجدران ضخمة وأبراج. فلسطين تذخر بالتاريخ، فترة الإنجيل الجديد، وفترة البيزنطيين وفترة المسلمين وخلافهم، ولذلك لا بد للإنسان أن يختار الفترة التي يرغب فيها وإلاّ سيضطر للوقوف كل آونة وأخرى في كل قرية صغيرة لمشاهدة آثار كل الغابرين.

أعتقد أنني أخبرتكما عن اليومين اللذين قضيتهما في القدس، التي تعج باليهود من كل أصقاع البلاد. أنا أتعاطف مع اليهود وأيضاً مع العرب. ولكن لا بد من إرغامهما على الاتفاق وأن يعتبروا بالمسيحيين. كل شيء هنا إما يهودي أو عربي، ناطق بالعبرية أو بالعربية، إما معبد يهودي أو مسجد إسلامي. القدس مدينة مقدسة للمسيحيين أسوة باليهود أو العرب، ومع ذلك فهناك القليل من الكنائس، وليس هناك ما يدل على أن البلد مستعمرة بريطانية حرّرت بدماء البريطانيين (من بينهم دمي الذي سال من حنكي). لقد فشل اليهود في إخراج العرب من فلسطين لأكثر من ١٢٠٠ عام بالحرب أو بالرشوة وكانوا دائماً (راجع صفحة ١٥٥ وما بعدها) لا بد من الاعتراف أنهم مثابرون كالنحل، وقد أحضروا معهم أموالاً بالملايين، واستصلحوا الأراضي، وأسسوا مستعمرات مغرضة، وتوالدوا وحرثوا وأشادوا البناء المسلح، والمصفح بالزجاج، ولكنهم رفضوا الاختلاط بالعرب، أو بتخديمهم أو بالتحادث معهم. هم والعرب ساميون، ولغتيهما متشابهتان وببعض التنازلات من كلا الطرفين سوف تحل كل المشاكل. أطفال اليهود ممتلئو الأجسام وسعداء وهم في مأمن هنا من شرطة

النازيين. وقد زاد عددهم من عدة مئات قبل قرن إلى نصف مليون، بمدن (تل أبيب أكبر من القدس)، وجامعات، ومزارع، ومستشفيات وخلافها. أصبح لديهم وطن في فلسطين، ولكنهم يصرون أن يجعلوا من كل فلسطين وطناً. وبالطبع فإن المليون عربي لا يستسيغون تلك العجرفة.

لقد أخذونا لمشاهدة مستوطنتين تعاونيتين يهوديتين جنوب البحر الميت: إحداهما بها ٤٠٠ مستوطن يهودي والأخرى ١٠٠٠ مستوطن. كنت دائماً تواقاً لأن أشاهد الشيوعية الحقيقية على الطبيعة. لا يوجد أي استعمال للنقود من قبل الأفراد، فقط هناك صندوق مركزي من أرباح الزراعة ومصانع عصير الفواكه الذي يعود إلى المجالس الحكومية لبناء المنازل والمدارس والشفخانات ومشترى اللوازم من أثاثات وكتب ولعب وملبوسات للمجموعة. حتى الأطفال مجمّعون في منازل صغيرة، من طابق واحد، كل طابق منها فيه إثنا عشر طفلاً تحت رعاية ممرضات ومدبّرات. يُسمح للأطفال بالذهاب إلى والديهم للعب كل عصر ولكن لا بد لهم من الرجوع للنوم في مدرسة الأطفال. رأيتهم في صحة جيدة وتعلو وجوههم الابتسامة، ولكني أعتقد، وكذلك يعتقد السكرتير إن هذا النظام مبالغ فيه. الواقع هناك بعض التنازلات بالنسبة للفردانية ـ فمثلاً لا يسمح بالتجمعات، خصوصاً حفلات الزواج وحفلات الموسيقى أو الأبحاث. كل شيء كان نشطاً ومنظماً يشبه معسكرات الشباب الألمان قبل الحرب ولكن بدون حرية فردية. قد يناسب ذلك الشباب ذوو النزعة الاجتماعية، ولكنه لا يناسب خصوصية مَن هم في منتصف العمر. بالنسبة لهؤلاء اللاجئين المعدمين فتلك المستوطنات، حيث لا حاجة فيها للنقود تعتبر نعمة إلهية.

في إحدى المستوطنات وجدنا متحفاً علمياً ممتازاً ومعهد أبحاث زراعي تحت إدارة أحد اللاجئين الروس، البروفسير بالومي، مع مكتبة فخمة لعلوم الأحياء والنبات، بها حشرات مائية وأسماك في الكحول ورسومات طيور ومجموعات من الفراشات والحشرات والخنافس والعشب الناشف والمحاصيل، أفضل بكثير من معاملنا في السودان، وصار اليهود من أولاد وبنات بسراويلهم القصيرة ينهلون العلوم بنهم

بني جلدتهم. كل الشباب اليهودي، الذكور والإناث يلبسون السراويل القصيرة، وأول انطباع عن مستوطناتهم كأنها غابة سيقان برونزية وعيون سوداء. لقد وجدت، وكذلك جورج أنه من الصعب علينا فهم منطق تلك المستوطنات الغريبة والمثيرة للإعجاب - لم أستوعب تماماً لا المصطلحات ولا الدعاية التي سلطت علينا بدون توقف، ولكن بطريقة غير مباشرة وبتنويه فقط - الأسلوب الفني، التعايش التعاوني، الإعاشة الجماعية، الزراعة المشتركة، اللجان التوافقية، وتذويب الممتلكات الفردية في المجتمع (إذا كنت موسيقاراً أو رساماً، أو خبير آثار يمكنك أن تطلب مزماراً أو مزّاجة للألوان أو كتاب عن العصر الحجري). التأديب غريب - ليست هناك عقوبات سوى الفصل في الحالات الاستثنائية. إذا احتج أحدهم أو رفض أن يعمل يُشكى إلى لجنة إما أن تحاول إقناعه أو توبيخه. الحياة الأسرية محدودة ولكن هناك بعض التنازلات. لم تكن هناك أي معابد أو رجال دين أو مظاهر دينية، وفي رأيي أن الدين لا يلعب أي دور، رغم أن ناظر المدرسة أخبرنا أن مادة الدين هي من بين المقررات الدراسية. عندما يذهب بعض أفراد المستوطنة إلى المدينة أو لزيارة أسرهم تُصرف لهم بعض النثريات.

مستوطنة داقانيا في الجليل لها أكثر من ثلاثين سنة وتشمل حوالى ٨٠ - ٩٠ سريراً، وتعمل في الزراعة المكثفة (تروى من نهر الأردن واليرموك) من حمضيات، وتمور، وموز وخلافها؛ كما يربون الأسماك في أحواض. وقد أخذنا الوكيل اليهودي في جولة.

المستوطنة الثانية، أشدوت ياعكوف - أكبر وفيها صالات أكل وصالات جماعية جميلة، وصالات ترفيه، ومدرسة ثانوية ومصنع عصير للبرتقال والقريب فروت، وكان يعمل بطاقة كاملة، يقطّع ويعصر ويعبئ العصير ويغلي المربيات ويعلّبها ويعبئها في كراتين وخلافه. أخذنا جنايني المستوطنة في جولة، رجل لطيف يهودي في منتصف العمر من كييف وكان مهتماً أكثر من التعاونيات بالحمضيات. لا بد من الاعتراف أن كل الناس كانوا في حالة جيدة، ومنازل الأطفال جميلة بنظافتها وتنسيقها ولوحاتها المائية على الجدران. مرة أخرى كانت المشكلة الوحيدة هي عدم الخصوصية والخلود

للراحة الفردية، وإنما الثرثرة التي لا تنقطع وغسيل الملابس وجداول الواجبات. أغلب سكان المستوطنة كانوا من الألمان، ولذلك كانت المستوطنة منظمة بدون رتابة وقد يكونون سعداء. لا أحد يمكن أن يفسر معنى السعادة، ولكن في عرفي فإن السعادة لا توجد في خلية نحل. وعلى أي حال، الحياة في حي يهودي راقٍ مزود بالكهرباء والأكل الوفير والملابس والآلات الموسيقية واللوحات الفنية، أفضل من المذابح وحشد الناس في عربات الحيوانات وإرغامهم على تنظيف المراحيض بأيديهم العارية ومنظر جنود العاصفة الألمان وهم يغتصبون صغار فتيات اليهود.

في مستوطنة داقانيا شاهدنا بعض الأطفال اليتامى من يهود بولندا الذين وصلوا لتوّهم من إيران بعد هروب أسطوري من بولندا وروسيا وخلافهما، وقد اختفى والديهم وقتل أخوتهم كما أرسلت أخواتهم الكبار إلى مواخير الجستابو. لقد كانوا يلاعبون بعضهم بعضاً بحماس الشباب ويقذفون بالحجارة في قاع نهر الأردن. ولكنهم سرعان ما يُخضعون لدعاية المدرسة الجماعية وسيتحول ابتهاجهم الصاخب إلى المنافسة الحياتية التي تتميز بها النقابات الصهيونية وسيتطبعون بها.

كنت أتحادث إلى هنان هوفمان ابن صاحبة النزل اليهودية الألمانية وعمره أربع عشرة سنة. لقد غادروا وستفاليا عام ١٩٣٦ - قبل سبع سنوات. لقد تعلم اللغة الإنجليزية في مدرسة القدس الثانوية والآن هو ناشط تعاوني. سألته إذا كان سيصبح مزارعاً أم مهندساً اليوم. رد بأن المزارع أفضل، ليزرع المحاصيل للمجموعة. تخيل طالب مدرسة إنجليزي يرد بهذا الشكل! ومع ذلك فهو ولد لطيف ولكنه جاد أكثر مما يجب. الشوارع تعج برحلات شباب لتوانيين، والكشافة البولنديين والمتطوعات الألمان كلهم بسراويلهم القصيرة وشنط الظهر.

هذه المستوطنة أغلبها من وستفاليا وعمرها سبع سنوات، ليست جماعية إنما أغلبهم فردانيون، ولكنهم يتمتعون بجمعية تعاونية وعمدة ومستوطنتهم مكتفية ذاتياً بطبيب وطبيب أسنان، ودار حضانة، وسينما ومغسلة، وبقالة ودكان أحذية، ومكتبة ومقهى وخلافه. كل العلامات باللغة العبرية لكن التخاطب بالألمانية.

أمس كان يوماً جميلاً، استلقيت على الشاطئ وأفطرت بقريب فروت وعصير وبيض مقلي ومربّى. الغداء كان شوربة خضار وسجق وفراولة وزجاجة بيرة. جبال الجليل من ناحية الشرق، خضراء ومكسوة بسجادة من الزهور تظللها السحب الخفيفة وتعلوها قرى العرب المبنية من الحجر الأبيض. كان هناك عدد من المراكب ذات الأشرعة الطويلة تدخل إلى ميناء حيفا. يبدو السودان وملفاتي بعيدة جداً.

كنت أطالع الإنجيل لمدة طويلة لأتعرف على أسماء الأماكن، خصوصاً في سور القضاة والملوك والكتب. أغلب القرى لم تتغير أسماؤها، وحتى حياة القرى لم تتغير - صيد الأسماك ورعي الأغنام وجلب النساء للماء من الآبار. الإنجيل الذي أهدتني له الوالدة كان مفيداً جداً وحجمه مناسب للغاية، لا هو إنجيل جيب ولا كبير جداً، وحروفه واضحة وبه خرائط ممتازة في النهاية. لقد سألتموني العام الماضي عما نكتب على شاهد قبر الوالدة، ولم أتمكن من التفكير في أي شيء مناسب. أوليف ذكرت أن ما ذكر في سورة جيمس ١٧:٣ «الحكمة المنزلة تبدأ صافية ثم مسالمة ونبيلة ويسهل التوسل لها، وهي حبلى بالرحمة وبالتحسرات دون تحيز أو نفاق». هي فعلاً مقولة جميلة لكنها طويلة لتنقش على الشاهد إلا إذا نقشنا فقط رقم الآية. الشيء الآخر الذي خطر ببالي هو «ذريتها سينهضون ويقولون إنها مباركة»، لا أدري من أي جهة أخذت هذه المقولة وقد بحثت عن مصدرها ولكني لم أعثر على دليل، وليس لديّ فهرس أبجدي. سأجتهد لمعرفة مصدرها وأبحث عن مقولة أخرى.

لا تجهدوا أنفسكم أكثر مما يجب، نحن على وشك كسب الحرب، وهناك الكثير الذي يجب عمله، والتفكير في طريقة العمل بخلاف ما تمّ في الحرب الماضية: هذه الأيام التي نعيشها مثيرة فعلاً. المهم هو أن نتحلى بالبشاشة، وأن نأخذ القسط الكافي من النوم، وأن نهضم ما نأكل، وأن نحيط أنفسنا ببعض الأصدقاء الأوفياء، وأن نحافظ على تفكيرنا السوي وعلى روح الفكاهة وأن نداوم على الاطلاع ونتفاءل.

مقتبسات من يومياته:

٢٧ أبريل ١٩٤٣. ذهبت إلى عمان لتناول الغداء مع فيليب بروكلهيرش وهيد بوستد. وقد استغرقت رحلتنا ثلاث ساعات مررنا خلالها على فندق السامرائي الطبيب في أريحا (وقد تم ترميمه وأُضيفت له حدائق جميلة)، وجسر النبي، والقرى التي تقبع على جنبات الجبال مثل أعشاش الطيور. المنحدرات خضراء وجميلة ومرصعة بالزهور. ثم زرنا قلوب باشا وتحادثنا معه لمدة ساعة ونصف ثم رجعنا لتناول العشاء مع قوين بل في منتداه، ثم ذهبنا بعد ذلك إلى منزل بيك باشا. كان المفروض أن نرجع الساعة الثامنة مساءً ولكنهم أخبروني بأنه يجب عليّ أن أقابل الأمير (الملك عبدالله ملك الأردن) وقد كان مشغولاً مع فيصل الصغير والوصي على عرش العراق، وقد دعاني للعشاء ولذلك اضطررت للبقاء ليلة أخرى.

٢٨ أبريل ١٩٤٣. تمشيت لوقت طويل بعد الإفطار على مرتفع مكسو بالأزهار والقمح والرعاة العرب بغنمهم. لقد توسعت عمان كثيراً، ومبانيها جيدة وأصبحت مدينة جميلة بضواحيها. الساعة الثامنة مساء ذهبت لعشاء عند الأمير ووصي عرش العراق وبعض الوزراء وقلوب باشا. جلست بين رئيس الوزراء (توفيق الهدى) ووزير الصحة. العشاء كان أوروبياً. لم تقدّم فيه مشروبات كحولية. كان الأمير يرتدي العباءة ويربط وسطه بخنجر مذهّب، وكان وصي العرش يلبس بدلة وقبعة عراقية. وكان الابن الثاني نايف يلبس السترة العسكرية. استلفت بدلة وملحقاتها، تحادثت قليلاً مع الأمير ولم تكن لُغتي العربية تليق بالمقام.

٢٩ أبريل ١٩٤٣. بعد الإفطار قرأت مقتطفات عن الحروب الصليبية وتحادثت لمدة ساعة مع ألتونيان الأب، وهو موظف سياسي وابن عم ألتونيان الضابط بالفيلق العربي. زوجته إيرلندية وأمه اسكتلندية وجده أرمني، وتعلم في مدرسة رقبي وجامعة أكسفورد. وقد تناقشنا في مشروع المكتب العربي برئاسة كليتون وعن شؤون عربية. كان مع لورنس ولكنه غير معقد بالنسبة للصحراء. ولكنه حريص لتقديم القضية العربية للحكومة البريطانية ولحكومة الولايات المتحدة. وافق على وحدةٍ، لكن على

فترات. وقد رجعت إلى القدس مساء وشاهدت فيلماً عن «نصر الصحراء».

للعلم: أدريس يقول إنه في عام ١١٥٤، جهز الصليبيون سفينة صغيرة في البحر الميت من شرق الأردن إلى فلسطين، وقد حمّلوها بالقمح والبلح... وقد تعاون البدو مع الصليبيين.

إلى ج. و. روبرتسون المقر الحكومي، القدس

٦ مايو ١٩٤٣

أنا بخير ما عدا رطوبة المفاصل اللعينة التي لازمتني طوال عطلتي، وقد اشتد عليّ الألم بعد تسلق الجبال وأبراج الكنائس مما اضطرني أن أذهب للمستشفى اليهودي في تل الزيتون اليوم لعمل صور أشعة. المشكلة في المفصل الوركي الأيمن والمخروقة - صورة الصدر تحتاج إلى ماكنة تصوير جيدة ولا أعتقد أن ماكنة الأشعة في الخرطوم جيدة، ولم أتمكن من إقناع الأطباء في الخرطوم في طلب ماكنة جديدة رغماً عن إصابتي منذ سنوات طويلة. لقد وجدت شاباً ألمانياً لطيفاً أخذ لي عدة صور أظهرت أنواعاً مختلفة من رطوبة المفاصل، ليست خطرة. وأخبرني الطبيب أنها رطوبة مفاصل ثانوية ولكنها تعني أن أوقف أي رياضة عنيفة مثل لعبة الإسكواش وركوب الخيل. خلاف ذلك فأنا بخير وأرجو أن أتفادى العرج.

مكاتب الحكومة جميلة ومبنية من الحجر الأبيض وبها حدائق جميلة تذخر بأزهار إكليل الجبل والخُزَامَى، وزهرة الكتان، والورود، والسوسن، وزهرة الترمس وزهور أخرى، ومناظر جميلة نحو بيت لحم وتل الزيتون والمدينة القديمة. لقد شاهدت فيلم «نصر الصحراء» مرتين وكذلك «السيدة جنيفر».

يا جيمي، عندما تأخذ عطلتك، مهما عملت، فأفضل لك أن تبقى في مكان واحد - الاسكندرية أو أركويت أو لبنان. هذا التجوال من مكان لآخر مزعج وفي نفس

الوقت السكن في فلسطين ومصر وسوريا غير ميسور، ولذلك أفضّل أن تختار مكاناً وتقضي فيه كل عطلتك. هذا سيحافظ على الملابس، ومشاكل المواصلات، وحرق الأعصاب. ماكمايكل ذكر أنهم حزموا حقائبهم إحدى عشرة مرة في إيران والعراق. وما زال يبدو عليه الإرهاق. لقد عمل الكثير هنا، الجميع يقرون بذلك. لقد فقد الكثير من توقده الذهني، ولكن من وقت لآخر تلمع ومضات ذكائه.

لقد زرت مصر وفلسطين وسمعت عن سوريا والعراق وإيران، ويبدو لي أن السودان هو أفضل بلد يدار في الشرق الأوسط واهتماماتنا تتضاءل بمشاكلهم. لديّ الكثير المثير لأخبرك عنه.

أنت تقول إن الطقس عندكم جميل، يا للأسف، جورج وأنا كنّا توقعنا أن تكون وصلت درجة الحرارة إلى ١١٥ درجة مع رياح رملية. لا بد أن الجو قد تغيّر إلى أسوأ الآن.

هناك حفلة شاي هذا العصر وعشاء للمجلس التنفيذي، ولذلك أحتاج أن أذهب الآن. ملابسي غير مكوية، والسكن في منزل الحكومة غير مريح للأعصاب، ولو أنهم في غاية اللطف. الياوران لواء متقاعد وفي سن والدي، ولذلك من الصعب عليّ أن أقول له «أطلب لي عربة أجرة يا ابني».

السودان والعالم العربي

إلى ج. و. روبرتسون　　　القاهرة، ١١ مايو ١٩٤٣

هذه رسالة سريعة لتلحق ببريد هذا الصباح. وصلت القاهرة من القدس يوم ٩. المجلس الحربي للشرق الأوسط افتتح جلساته الساعة العاشرة صباح اليوم. لقد كان حضوراً معتبراً. ترأس الاجتماع كايسي وكان هناك ستة من قادة الجيوش: جامبو ولسون وباونال، وبلات، وقورت، وشولتو دوغلاس، والأدميرال ليثام، كذلك الحاكم لندسل، ولامبسون، وماكمايكل، وسبيرس، وكورنواليس، وبولارد، وهاثبورن هول، وولي، ووكلي من جدة، وهاو، وليبر (السفير لحكومة اليونان)، وموين، وكلايتون، وعدد من السكرتيرين المساعدين لركر. ألقى كايسي خطبة افتتاحية، وقدم القادة العسكريون الموقف العسكري للجيوش والطيران والبحرية، وهذا استغرق ساعة ونصف. ثم نوقشت قضية فلسطين، وتحدث فيها ماكمايكل، وكورنواليس، وسبيرس، ولامبسون، والجنرال ولسون وموين. كل ذلك كان مهماً جداً.

ثم توزّع الاجتماع إلى لجان فرعية. وقد وضعوني ضمن لجنة أثيوبيا التي ترأسها موين، ولجنة التعاون الثقافي العربي التي ترأسها بولارد. وبما أن اجتماعات اللجنتين كانت في نفس الزمن فقد قللت من حضور اللجنة الثانية وحضرت اجتماعات اللجنة الأولى أكثر. ويا حبذا لو كنت اطلعت على الأوراق المقدمة بالنسبة للجنة الأولى

مسبقاً، حيث كانوا يقدمون لنا الأوراق في آخر لحظة، ولكني أخبرتهم بأنني سأدلي برأيي بالنسبة لترسيم الحدود ولكن لا يجب عليهم أخذ رأيي بالنسبة لبحيرة تانا. وبالنسبة لمستقبل أرتريا كأنه الرأي الرسمي لحكومة السودان. على أي حال ففي رأيي أن الغرض من هذا الاجتماع هو تقديم معلومات للحكومة البريطانية عن فلسطين وسوريا، وقد طلبت أن يترك موضوع بحيرة تانا إلى وزارة الخارجية وحكومة السودان، وقد أيدني هاو في ذلك، واتفقنا أن نترك للسفارة تحديد الوقت الملائم للتفاوض. (أعتقد ما نحتاجه حقيقة هو أن نفتح الموضوع سريعاً مع الأمبراطور لنعلم ردة فعله). بالنسبة لمستقبل أرتريا، قلت لهم بدون التزام أن السودان ليست له مطامع في أرتريا، ولا رغبة كبيرة في مصوع، وإذا ما اضطررنا لضم أي من الأراضي الأرترية، فنحن نفضل ضم «نكفا» ومنطقة «أغوردات ـ بارنتو» (أي شمال، وشمال غرب، وغرب) وليس مرتفعات أسمرا بما فيها مدينة أسمرا المكتظة بالطلاينة (وهؤلاء سيتم ترحيلهم على أي حال).

اجتماع المجلس الحربي أمس كان تاريخياً إذا ما اعتبرنا الحضور والأخبار من تونس. أحسن الخطب كانت من جامبو ولسون وبلات وماكمايكل. قورت كلمته كانت مهمة ولو أنه ركز على التاريخ، كلمة شولتو دوغلاس ركزت على الحقائق، وكلمة ولسون كانت مسلية، وكلمة بلات دامت فقط خمس دقائق وكانت محددة. لقد أخذوا لنا صورة تذكارية في النهاية وقد كنت مضطرباً بعض الشيء، ولكن بما أنني كنت أعرف وليام بلات وشولتو ولندسيل وبولارد وهاو فقد شعرت بأنني وسط أصدقاء. لقد تناولت الغداء مع شوت وزوجته والذين أرتاح لهم، وغداً سأتناول العشاء مع كيوان بويد والذي كان يقطن معي في استراحة الحكومة في القدس عندما كنت هناك.

هذا المكان فظيع. بين الساعة التاسعة والعاشرة من صباح اليوم قبل اجتماعي الأول، وبينما كنت أكتب في شقة تد، اتصلوا بي تلفونياً، خمس مرات. لا أدري كيف يمكن للناس أن يركزوا على أعمالهم.

هناك مكتب تحت التأسيس «مكتب عربي» في مكتب وزير الدولة برئاسة كلينتون، وسمعت بأنه ستكون هناك مدرسة لموظفي الخدمة المدنية في مينا. لقد طلب من رئاسة قوة دفاع السودان أن تتخلى عن بول دانيال ليديرها ولكنه رفض.

كلمة ماكمايكل في رأيي كانت ممتازة عن فلسطين والصهيونية في مجلس الحرب. كانت هناك أوراق مهمة عن سوريا وعن فلسطين قدّمها ماكمايكل وسبيرس وآخرون، ولكن يجب عليّ أن أراجعها كلها. الصهاينة والفرنسيون هم أسباب المشاكل في الشرق الأدنى.

جامبو ولسون قدّم تقريراً قصيراً عن محادثاته في أنقرة وذكر أنها كانت إيجابية في ما يختص بدفاع تركيا، ولكنه ذكر بأنهم قلقون من أن يطلب منهم المشاركة قبل أن يكونوا جاهزين أو غير راغبين. كل القادة أشاروا للاختلاسات خصوصاً في إيران.

العمالة تظل مشكلة عويصة - للأسف لم تكن ضمن الأجندة. ما زال هناك اختلاف بين العسكريين والمدنيين في الأغراض بدون مبرر. وقد أُمر بلات أن يعيد ٤٠٠ من الموظفين المعارين للجيش (في خمس أو ست جهات). سأحاول معرفة التفاصيل.

آسف لعدم ترتيب هذا الخطاب - لا بد أن أتوقف. لقد سمعت للتو أن هناك اجتماعاً الساعة الرابعة لسماع تقارير اللجان.

❐❐❐

إلى قلوب باشا الخرطوم، ٢٧ يونيو ١٩٤٣

أشكرك على إرسالك إليّ مذكرتك الإضافية عن «شروط السلام في الشرق الأوسط». لقد أعجبتني جداً. مستقبل مناطق الشرق الأوسط وخصوصاً العراق وسوريا وفلسطين وشرق الأردن ومصر يهمّ السودان جداً - لا أحد يعرف بوجه التحديد إذا كان السودان يعتبر من بين دول الشرق الأوسط أم لا.

رسمياً - لعوامل عسكرية واقتصادية - نحن جزء من الشرق الأوسط، والحاكم

العام هو عضو في المجلس الحربي للشرق الأوسط. أضف لذلك فإن السودان قد ساهم بأكبر عدد من المحاربين للحلفاء من أي قطر في الشرق الأوسط. وقد حارب السودان في أرتريا وشمال أثيوبيا، وطبرق، وطرابلس، وثلاثة أرباع جيشه من أصول عربية وثلاثماية من ضباطه عرب، بالإضافة لمدفعيته وعرباته المصفحة وخلافه. وهذا الجيش السوداني كان يشارك في العمليات منذ يونيو ١٩٤٠ واستمر يقاتل لغاية معركة مصراتة بالقرب من طرابلس في فبراير ١٩٤٣، وعادة ضد جيوش أوروبية أكفأ منه رجالاً وعتاداً، وقد أبلى بلاءً حسناً وسبب أضراراً جسيمة وأسر العديد من جنود العدو. لقد رجموا بالقنابل عام ١٩٤٠ ومرة أخرى في جالو عام ١٩٤٢ ولكن المدفعية السودانية تمكنت من إسقاط ست أو ثماني طائرات ألمانية وإيطالية، وأنا أملك بيجاما جميلة مصنوعة من قماش حرير لمظلة طائرة هنكل تم إسقاطها في الكفرة.

قوة دفاع السودان تعمل الآن في حماية ليبيا وأرتريا بفرق ومدافع وعربات مصفحة عددهم حوالى ١٠,٠٠٠ رجل. أنا أذكر ذلك فقط لأنك تقول في صفحة ١٩ «شرق الأردن هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي حارب جنودها إلى جانب الجيوش البريطانية في هذه الحرب». طبعاً السودان ليس بدولة، والبعض سيقول إن السودان ليس في الشرق الأوسط. ولكن السودان فيه نحو أربعة ملايين من الناطقين بالعربية وكلهم مسلمون، من بين ستة ملايين من السكان، ويتمتعون بالرجولة وألوانهم تتراوح بين اللون الفاتح والبني الغامق، وبالرغم من اسمهم القديم «السود» فهم فخورون بديانتهم وبلسانهم العربي وأصولهم العربية. أغلبهم يملكون الإبل ونحو ١٠٠,٠٠٠ منهم يسكنون الصحراء. المتعلمون من السودانيين فيهم نسبة كبيرة من الغيورين على القومية العربية، بعضهم زار بريطانيا وعدد أكبر زار مصر وفلسطين وسوريا. لقد كان في السودان تعليم ثانوي قبل أربعين عاماً والآن لدينا نواة جامعة لتمنح دبلومات في العلوم والطب والقانون والزراعة والهندسة والإدارة.

أم درمان، العاصمة الوطنية سكانها نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة كلهم تقريباً من الأهالي وفيها مجلس بلدي. القبائل الكبرى غالباً ما تشرف على شئونها الإدارية بنفسها، ولدى

السكان محاكمهم القبلية والإقليمية بصلاحيات لفرض عقوبة السجن والغرامة، وحوالى اثني عشرة منها لديها ميزانياتها المنفصلة بعضها يربو على الـ٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني. المدن لها مجالسها الخاصة بأعضاء ممثلين للموظفين والتجار والشيوخ وبميزانيات منفصلة. وهناك تحت التأسيس مجالس مديريات ومجلس استشاري مركزي مكوّنة من السودانيين، ولكن تحت رئاسة بريطاني. هناك ثلاث صحف عربية ومؤتمر للخريجين السودانيين.

ولذلك، فنحن نهتم بكل المسائل الوطنية والفدرالية والإسلامية والحركات الثقافية في الشرق الأوسط، ومذكرتك هي من ضمن الأشياء التي نرحب بها. هناك القليل من التبادل الفكري ومقارنة الآراء في الشرق الأوسط، وكلنا نميل لأن نكون محدودين كأصدقائنا العرب.

وإذا ركزنا على مقترحات مذكرتك، فأنا زرت سوريا فقط مرتين، وفلسطين أربع مرات، وشرق الأردن ثلاث مرات، ولم أزر العراق قط، ولكني قرأت الكثير عن فترة السبعة وعشرين عاماً الماضية عن كل البلاد العربية، وقد بدأت في مقابلة العرب مذ كنت في سن الحادية والعشرين من عمري (وإن كان ذلك في مواجهة مع جيش السنوسي).

أنا متأكد أن مقترحاتك عن سوريا جيدة، رغم أن إتفاقية ليتلتون - ديجول قد تسبب مشاكل إذا قرّر الفرنسيون البقاء.

بالنسبة لفلسطين فقط شاهدت وسمعت الكثير عند زياراتي لها في أبريل ومايو هذه السنة لأدرك أن الصهيونية تشكل خطورة، وأنا أوافقك بدون تحفظ بالنسبة لوقف الهجرة اليهودية (باستثناء ما تصادق عليه حكومة فلسطين لمصلحة فلسطين). لقد زرت فلسطين عامي ١٩١٧ - ١٩١٨ و١٩٣٨ - ١٩٣٩. التوسع الصهيوني غير معقول والوعد بوطن قومي يوجد في تل أبيب وحيفا وخلافهما. الوكالة اليهودية تشكل سلطة داخل السلطة.

بالنسبة للعراق فأنا غير مؤهل للتعليق، ولكني علمت من كورنوالس في القاهرة أنها في حاجة ملحّة لمدرسة ثانوية عربية ـ إنجليزية.

أنا أشاركك الرأي بالنسبة للبعثات العسكرية. وأقوم بمراقبة عمل البعثة العسكرية البريطانية في أثيوبيا باهتمام. للمعلومية هناك الكثير الذي يدعم تجهيز فرقة من قوة دفاع السودان، بعد الحرب، على نمط الفرقة العربية بمشاركة ضباط إنجليز بصفة مستديمة.

السير هيوبرت هدلستون (الحاكم العام)، والذي أطلعته على مذكرتك بصفة خاصة (أرجو أن لا تمانع في ذلك حيث هو مهتم بكل المواضيع وخصوصاً بالنسبة للجيوش الأهلية) كتب لي يقول «بالنسبة لخلق جيوش جديدة»: «أنا لا أوافق على أن ذلك شيئاً جديداً ـ إنما هو تجديد لنظام قديم. كانت هذه هي الطريقة التي سيطرت فيها فرقة جون على أغلب أجزاء الهند، بمقيم في لوكناو بالنسبة لمملكة آودي، وأخرى في دلهي بالنسبة لشرذمات الإمبراطورية المنقولية وخلافه». لقد أعجب كثيراً بآرائك عن الجيوش الشرقية.

بالنسبة لنظريتك التي تقول إذا ما حاز العربي المساواة الاجتماعية فهو لن يقلق لهذه الناحية، فهي جاذبة جداً، ونحن نعلم حساسية العرب بالنسبة للإساءة إذا كانوا من البدو أو من سكان المدن الأفندية، وبالطبع فإن محاولة تذويب العلائق الاجتماعية وتشجيع الاختلاط العربي ـ الإنجليزي الصريح سيكون مفيداً، وسيقلل الاحتكاك. ولكن هل سيكون ذلك بديلاً للمساواة السياسية؟ بالطبع لا ـ أنت شخصياً قد ذكرت أن الأمير عبدالله، والذي على حسب رأيك يتمتع بمساواة اجتماعية (ربما أكثر من مساواة) يطالب بإلحاح بالاستقلال الكامل.

وكلما تحصّل العربي على المساواة الاجتماعية، زادت مطالبه بالمساواة السياسية. أليس هذا هو الشيء الطبيعي والجدير بالثناء؟ ومؤكد لا بد أن يتم ذلك إن كان هناك سيطرة عالمية أم لا.

بالنسبة للموضوع الأهم، أوافقك على أنه من الأولويات بناء كادر من الموظفين والمستشارين والإداريين البريطانيين الناطقين باللغة العربية، بتدريب في العلوم الإسلامية والتاريخ العربي والعادات والأفكار. ما زلنا نرزح تحت عقدة كبلنج التي تقول إن الشباب الإنجلو - سكسوني من خريجي المدارس الخاصة هم الأنسب لقيادة وحكم شعوب الشرق بما أتاهم الله من ميزات.

ولكني لا أعتقد أن خدمة مدنية للشرق الأوسط يمكن خلقها قبل أن تكون هناك دائرة للشرق الأوسط في لندن وشرق أوسط متجانس في فدرالية اقتصادية وسياسية لتلقي تلك الخدمة. مثلاً أنا لن أقبل أن أزج بالخدمة المدنية السودانية المتجانسة بأعرافها وتقاليدها في ذلك الاضطراب العظيم حالياً. ولكن يمكننا الاستمرار في الإعارة وتبادل الموظفين بين البلاد العربية من بنغازي إلى بغداد ومن حلب الى الخرطوم. أنا في الواقع أعرت حوالى خمسين موظفاً إدارياً في خلال الثلاث سنوات ونصف الماضية إلى مصر، وفلسطين، وسوريا، وشرق الأردن، ومدغشقر، والحبشة وأرتريا، والصومال، وطبرق، وليبيا، وقوة دفاع السودان، بدون خطة مدروسة وإنما بمطالبة ملحة من أفراد أو جهات في أوقات مختلفة. لقد توسلت للقاهرة في أكتوبر ١٩٤٠ بأن تنشئ كادراً إدارياً لإدارة المناطق الأرترية المحتلة وخلافها، لم يتم أي شيء حتى نهاية ١٩٤١ عندما قدموا مشروعاً غير مدروس. وقد ساندناه أنا وماكمايكل ولكن الجهات المدنية لم توافق عليه، وأخيراً انسحب أيضاً مكتب وزير الدولة. وحاولت مرة أخرى عام ١٩٤٢ ولكنهم لم يبدوا أي حماس وفضلوا الاستمرار على حالهم ولم يحصل أي شيء. ثم أعربت عن رأيي في اجتماعات مجلس الحرب الذي ضم عدداً من القادة العسكريين والسفراء والوزراء في اجتماع القاهرة الشهر الماضي، وقد تم الآن تكوين لجنة قوى عاملة لتنسيق الطلبات، ولكنها لن تجدي بدون سياسة. آسف لهذه الشكوى، ولكني كنت ألاحق باستمرار خلال السنوات الثلاث الماضية لأن أمدّ الشرق الأوسط بإداريين وضباط شرطة، وموظفي زراعة وخلافهم، وللأسف أسيء معاملة الكثير منهم.

أتمنى أن يرسل لي مكتب الوزير القرار الخاص باتحاد الثقافة العربي والذي صاغته لجنة فرعية في مجلس الحرب والتي كنت أنا وكليتون من بين أعضائها، وكان يرأسها بولارد، لأني أرغب في معرفة رأيك عنها. لا بد لنا من التأثير على جيل شباب العرب، حيث الكبار منهم لن يغيروا طباعهم. كلما اتسعت دائرة الصداقات الشخصية بين الأفراد من الأفندية العرب وصغار الإنجليز كان أفضل، حيث الاحترام يجب أن يستبدل بصداقة وود.

أرجو أن ترسل لي أي من مذكراتك التي تكتبها، أو أي أخبار أو معلومات عن وحدة العرب أو الحركات الثقافية.

سأرسل لك بعض الأوراق عن أفندية السودان وعن الوطنية السودانية قريباً. أنا الآن متورط في شئون أرتريا والحبشة.

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ١٦ يونيو ١٩٤٣

المجلس الحربي للشرق الأوسط:

بدعوة من وزير الدولة وموافقة السفارة شاركت في اجتماعات المجلس الحربي للشرق الأوسط الذي عقد في القاهرة في ١٠ـ١٣ مايو ممثلاً للسودان، وقد تكون قرأت نبذة عنه في صحيفة «التايمز». المواضيع التي نوقشت والقرارات التي اتخذت كانت في غاية السرية، ولم يتم تداول القرارات. ولكن كانت هناك العديد من اللجان الفرعية، وقد شاركت في اثنتين منها: (١) أثيوبيا و(٢) مشاكل العرب الثقافية.

اللجنة الخاصة بأثيوبيا ناقشت في الأساس تقويم الحدود، وهذا أثار موضوع أرتريا وإمكانية ضم السودان لشمال وغرب أرتريا (أي المناطق التي يقطنها البجا والمسلمون). أعتقد ستشاهد صورة عن القرار في وزارة الخارجية. أنا غير مفوض بإرسال نسخة لك من هنا.

اللجنة الخاصة بالثقافة العربية ناقشت المشكلة بالنسبة لمتعلمي بلاد الشرق الأوسط واقترحت عدداً من الروابط التعليمية والإصلاحات بالتركيز لتقوية المجلس البريطاني بعد الحرب في تلك الناحية. لقد استفدت من محادثات ماكمايكل وكورنوالس وقلوب وفاريل (مدير التعليم في فلسطين) قبل الاجتماع. إنها مشكلة طويلة الأمد، ولكن لا بد من الإصلاح الاقتصادي والتعليم قبل التفكير في وحدة سياسية (إذا كان ذلك مما سيتيسر أبداً) في الدول العربية. جزء كبير من أجندة المجلس كانت خاصة بالشئون المالية ولكنني لم أكن مشاركاً في ذلك.

مكتب وزير الدولة اتخذ الآن دوراً أكبر في إدارة وتنسيق الأمور بين حكومات وإدارات دول الشرق الأوسط المختلفة. يبدو لي أنهم كانوا يفتقدون القرار والمعرفة بالنسبة للخلفيات المحلية إلى ذلك الوقت. أعتقد أن اجتماع مايو كان جيداً للغاية لأنه نجح أولاً في جمع مسؤولين من طهران إلى عدن، وثانياً لتقوية مركز كايسي بمساعدة مسئولين بالنسبة للمشاكل العاجلة خصوصاً في سوريا وفلسطين وفي تزويد مكتبه بمعلومات عن الخلفيات المحلية، وثالثاً للاستعداد لمشاكل ما بعد الحرب في منطقة الشرق الأوسط حيث من الواضح أن مكتبه في القاهرة يمكن أن يختفي ويترك فراغاً في نهاية الحرب.

واحدة من المستجدات في مكتب وزير الدولة قد تسرّك - إنشاء لجنة تعيينات للشرق الأوسط، بعد لأي، لتنسيق الطلبات للموظفين الذين تحتاج لهم المنظمات شبه العسكرية، مثلاً إدارة مناطق العدو المحتلة، والمصالح المدنية والتجارية والمؤسسات الأخرى التي تساهم في المجهود الحربي، بالإضافة لمندوبي الحكومة البريطانية والجهات الحكومية المختلفة في الشرق الأوسط، لتقديم المشورة والمساعدة في الحصول على أولئك الموظفين، ستساعد في تحديد الأولويات، وستقوم لجنة فرعية بتسجيل الموظفين المؤهلين للخدمة في الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب، وهذه اللجنة الفرعية ستتكون من مندوبين من وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات وحكومة السودان وشئون الشرق الأوسط التجارية.

مثل تلك اللجنة كانت ستكون مفيدة للغاية قبل ثلاث سنوات عندما طالبنا بها منذ أكتوبر ١٩٤٠، ولكن كان نداؤنا لا يستمع له.

طريق عفى عليه الدهر، ولا يجب ذكر مساوئ الموتى. لنشات اليوريكا ومراكب الهيقنز التي جلبت بتكاليف باهظة وأخذت وقتاً طويلاً وتم تركيبها في حوض بناء السفن بالخرطوم بحري برهنت على عدم جدواها وإن ماكناتها غير مناسبة وهي تحتاج لفنيين أوروبيين. في ذات الوقت فإن البواخر والمراكب السودانية تواصل نقل ما يصل لجوبا من معدات عسكرية. هذا كله نتيجة عدم بُعد النظر الذي أضاع سنة من التعب دون فائدة. والقدر تسبب أيضاً في خاتمة مريرة بتكسير الجسور الخشبية في جوبا من جراء الفيضانات.

أرتريا:

قمت بزيارة جواً إلى جوبا في يونيو لجمع معلومات عن المناطق المتاخمة لحدودنا تحسباً لما قد يطلب منا رسمياً إن كان السودان مستعداً لضم أي جزء منها بعد الحرب. اللجنة الفرعية لمجلس الحرب للشرق الأوسط ناقشت باستفاضة احتمال تقسيم أرتريا بين السودان وأثيوبيا (كان هناك اقتراح بغيض لحكم ثنائي سوداني أثيوبي) ولكن بما أنه لم يعرف أي من أعضاء اللجنة جغرافية الموضوع أو سبق له دراسته، فقد أصررنا أنا وبلات على عدم رسم أي حدود ولكن فقط أن يبدي كل عضو رأيه عموماً.

في رحلتي لأرتريا ذهبت بالسيارة ألى نكفة (خمس ساعات من كرن) مع تريغاسكيس، من أفضل مفتشي المراكز التابعين لإدارة أراضي العدو المحتلة، وقضيت الليلة هناك، وجمعت معلومات كثيرة عن القبائل وطبيعة الأرض، منه ومن نادال الذي يُعنى بشئون الأهالي في إدارة أراضي العدو المحتلة.

يبدو من الواضح أن بإمكاننا بسهولة ضم نكفة وأقوردات وبارنتو للسودان لأنها أشبه بالسودان، وإذا ضممنا نقفة لا بد لنا من ضم كرن والمنطقة المتاخمة لها بسبب الطريق البري.

سافرت جواً لعصب مع باكستون قائد سلاح الطيران هناك فوق منخفضات الدناكيل والتي بها حفائر وبحيرات كبيرة وملاحات. عصب منطقة كئيبة. كانت بها بعض السفن التي تم إغراقها وأضرار نتيجة القنابل. كانت هناك فرقة من جبال النوبة تابعة لقوة دفاع السودان لمدة أربعة شهور ولكن الآن ليس بها جنود.

لقد تم تغيير اسم إدارة أراضي العدو المحتلة إلى دائرة الشئون المدنية.

ترحيل النساء والأطفال وكبار السن من الطلاينة والمرضى من أرتريا يستمر، وهناك أربع سفن في طريقها من إيطاليا لأخذ ٧٨٠٠ شخص. الشتاء الماضي تم ترحيل ٣٠٠٠. والعدد الباقي الآن من الطليان حوالى ٥٠,٠٠٠ فرد.

التموين:

جون هيلارد، مفتش مركز أمدرمان، قد دحض زعمنا السابق بأننا لن نستطيع توزيع الأكل والملابس وخلافه للأفراد. وقد نجح بمجهود خارق وصبر وروح دعابة، وتقريباً بدون زيادة موظفين ما عدا بعض المياومين المؤقتين، في فرض تموين شخصي للحبوب والدقيق والبن والقماش، والسكر، وغاز الوقود للجميع بين سبتمبر ١٩٤٢ ويوليو ١٩٤٣ على الـ١٠٠,٠٠٠ من سكان أمدرمان. لقد تم ذلك على أحسن ما يكون وقوبل بترحاب وخصوصاً بالنسبة للفقراء. لقد تم ذلك بتطويف بعض تجار القطاعي واستعمال البطاقات الملونة. ولحظت فعاليتها ونجاحها المنقطع النظير. وسيرسل تقريراً إلى مركز الشرق الأوسط للتموين.

التموين المباشر ضروري بالنسبة للبساطة والعدل، وأي نظام آخر سيكون غير مفهوم للعموم. في الواقع فإن الأغنياء يتحصلون على كمية أقل ولكن بقدر كافٍ، والفقراء أكثر، ولذلك فإن هناك قلة من المطالبين بزيادة.

المجلس الاستشاري والحكومة المحلية:

لقد عقدنا اجتماعاً آخر للمجلس الاستشاري، وتناقشنا في كل الأمور التي نحتاج لتقديمها للمجلس الاستشاري.

تعديل الحكم المحلي في مديرية النيل الأزرق، العمودية والحدود أصبحت ملائمة. لم تكن هناك اعتراضات، بل بعض الموافقة المحلية. مجالس الخطوط بدأت ممارستها في مايو وكذلك الأعضاء المنتخبين للأقسام الذين سيجتمعون في يونيو لمناقشة ميزانيات الإدارة.

مجلس مدينة مدني عقد اجتماعه الثالث في مايو وناقش موضوع البزارات وصالات القمار. ومجلس المناقل ناقش في اجتماعه الأول موضوع رهن المحاصيل للتجار.

إلى ر. س. مايال　　　　　　　　　　الخرطوم ٢ أغسطس ١٩٤٣

ألاحظ أن المفوضية الأثيوبية تُصدر المذكرات تباعاً في دحض التقارير الصادرة من نيروبي عن القلاقل بين الجالا والأمهرا وبين المسيحيين والمسلمين في أثيوبيا. قد يكون من الصحيح أن نفوذ الأمبراطور وأمنه خصوصاً بالنسبة للأجانب هو أقوى مما كان متوقعاً، والواقع أن علاقات القالا والأمهرا، والمسيحيين والمسلمين لا بأس بها، ولكن من المؤكد أن الإدارة الداخلية ضعيفة جداً.

أشكرك على خطاباتك وتقرير ضابط البرلمان عن النقاش الذي دار يوم ١٣/ ٧/ ١٩٤٣ عن شئون المستعمرات والذي كان ممتعاً ومفيداً. لقد اجتمعت مرتين في الأيام القليلة الماضية مع هـ. ل. قيرني السكرتير الأول لمؤتمر حكام شرق أفريقيا (وهو موظف في كينيا)، وأ. د. قارسن مساعد مفتش مركز في نيجريا ١٩٢٨-١٩٣١.

أشعر أن السودان لا بد له من الاهتمام بما يجري في وزارة المستعمرات، بل المفروض أن يشارك بشكل ما في البحوث التعليمية.

إلى مارجري برهام الخرطوم ٨ أغسطس ١٩٤٣

أشكرك على برقيتك بتاريخ ٢٧ يوليو. لا أعتقد لدي فرصة لزيارة إنجلترا قبل نهاية الحرب، لدي الكثير لأنجزه، وليست هناك فرص كثيرة من الرحلات، والمتزوجون عندهم أولوية على العزّاب، وقد كنت في إنجلترا عام ١٩٤١ وآخرون لم يتسنَّ لهم السفر منذ ١٩٣٩ وحتى منذ ١٩٣٨.

ستكون فرصة عظيمة إذا تمكنت من الحضور في الشتاء القادم أو الربيع للتغيير ولمراجعة كتابك عن السودان. يمكنني أن أطلب لك إذناً لذلك، وأن أوفر لك سكناً ومكتباً. أرجو أن تكوني جادة.

أقوم بتقديم مشروعَي القانون للمجلس الإستشاري المركزي ولمجالس المديريات لمجلس الحاكم العام حوالى يوم ١٥ أغسطس، وسأرسل لك الغازيتة والإعلان حيث نشرهما. وقد أرسلت لك السنة الماضية مذكرتي للمجلس عن «زيادة مشاركة السودانيين في الحكومة المحلية والمركزية في السودان» بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٤٢، والتي تشرح السياسة التي تقود لتلك المجالس.

مجلة الإمبراطورية (الصادرة عن مكتب المستعمرات الفابياني) تحسنت جداً بعد بداياتها الفضائحية. من يكتب فيها؟ ما زالت تركّز على كينيا وعلى جزر الهند الغربية ومشاكل العمال، ولكن يبدو أنها تهدف إلى أن تكون موضوعية.

هناك بعض الحديث المبدئي عن مستقبل أرتريا. الإدارة العسكرية البريطانية حالياً (إنها ازدواجية مركّزة وغير فاعلة) مفروضة على كادر إيطالي كبير ونحو ٠٠٠ , ٧٠ من السكان الطليان يليهم الأرتريون الذين يبلغ تعدادهم حوالى تعداد مديرية سودانية. الشيء الشاذ بالنسبة للعملة واللغة والقوانين وخلافه في بعض مناطق إدارة مناطق العدو المحتلة فظيعة وقد تقود الأهالي لأن يقولوا «كان الوضع أفضل تحت إدارة الطليان» لأن السلطة المحتلة لم تباشر أي عمل في منطقة الأهالي. لقد زرت أسمرا مرة أخرى قبل فترة قصيرة وأيضاً عصب وأخذت السيارة الى مناطق البجا. وقد جمعت

معلومات وفيرة عن طبيعة الأرض والقبائل وعن شمال وغرب أرتريا والتي تشبه السودان في بيئتها ولغتها، ودينها وطبيعتها. سيكون من المصلحة ولهم إذا ما منحنا المنطقتين للسودان ونترك المناطق المسيحية والتقرينية لتتحد مع أثيوبيا، وآمل أن لا يطلب منا ضم أسمرا.

يوم ١٩٤٣/٨/١٠: لقد أرسلت لك أمس خطاباً عندما تسلمت من ند مايال بالبريد الجوي مقالة عن كلية نوفيلد في صحيفة «التايمز» بتاريخ ١٣ يوليو.

نرغب في معرفة شيء عن نوفيلد. أليس من المناسب الآن أن تصدر كتيباً عن نفسها؟ هل هي جزء من الجامعة؟ من هو عميدها؟ هل عندها مباني خاصة بها؟ ومن هم الطلبة الذين يلتحقون بها؟ هل هي لطلبة جامعيين أم فوق الجامعيين؟ كيف تصدر نتائج الجامعة؟ هل هي على صلة مع وزارة المستعمرات؟ إن كانت الإجابة نعم، فهل ذلك يشمل السودان مباشرة أو غير مباشرة عن طريق وزارة الخارجية؟ هل هناك مقررات أو ستكون هناك مقررات لموظفي المستعمرات؟

ما هو معهد الدراسات الاستعمارية بالتحديد؟ هل هو معهد حر؟ ما العلاقة بين أستاذ العلاقات الاستعمارية وأستاذ الإدارة في جامعة أكسفورد؟ وهل هم نفس الأساتذة؟ يبدو أن هناك بعض الازدواجية، ولكني أعتقد أنك تحيطينني بذلك.

لا أتوقعك أن تجاوبي عن كل الأسئلة، لأنك مشغولة بالكثير، ولكن بإمكانك أن تجندي طالباً ليحضّر المعلومات ويرسلها إلى ند مايال ليرسلها لنا للخرطوم.

أنا آسف لأن أبدو جاهلاً أو بليداً، ولكني لا أدري إن كان المسئولون في إنجلترا يدركون أننا نفتقد الكتب والمجلات وخلافها. آخر بريد وصل إلينا فيه صحيفة «التايمز» وتقرير وزارة المستعمرات كان عن مارس. ولكني أتسلم من ند مايال بعض مقتطفات الصحف والتقارير في خلال عشرة أيام بالبريد السريع، وبعض الكتابات وهذا كل ما تسلمته خلال الثلاث سنوات الماضية، بالإضافة لبعض المعلومات من لاغوس ونيروبي والقدس.

نحن الآن بدأنا بالتخطيط للشئون الاقتصادية والسياسية والتعليم لما بعد الحرب، ولا بد أن تكون مواكبة للنظم البحثية وليست مجرد أشياء محلية. أنا مهتم جداً بالنسبة لذلك وقد عقدت مع مايال رسمياً وآخرين غير رسميين مع برامج في وزارة الاستعمار، ولكن لم نجد أي اتصال مع برامج تعليمية مع وزارة الاستعمار أو شئون اقتصادية ما عدا في شئون الزراعة والغابات والبحث البيطري؛ مع الصحة سوياً. هل ممكن مساعدتي في هذه المسائل؟

إلى ر.س. ماريال الخرطوم ١٥ أغسطس ١٩٤٣

لا أذكر إن كان سبق وأرسلت لك نتائج شهادات كلية غردون. هم مهمة لأننا أولاً جعلنا الحصول على شهادة كيمبردج شرطاً للدخول للمدارس العليا وثانياً لأن الحصول على هذه الشهادة أصبح يشد انتباه طلبة كلية غردون (هل تذكر أن بعضهم أضربوا قبل فترة عندما لم يسمح لهم بالجلوس لها؟)

النتائج للخمس سنوات الماضية كانت كالآتي:

	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة	المجموع
عام ١٩٣٨	-	١٢	٨	٢٠
عام ١٩٣٩	١	٩	١٥	٢٥
عام ١٩٤٠	٥	٥	٩	١٩
عام ١٩٤١	٢	١٢	١٩	٣٣
عام ١٩٤٢	٥	١٤	٢٧	٤٦

من الـ٤٦ الناجحين عام ١٩٤٢ سيلتحق عشرون بمدرسة العلوم، وستة عشر بمدرسة الآداب وعشرة منهم لن يلتحقوا بالمدارس العليا.

أطلعني الحاكم العام اليوم على قصاصة من صحيفة «التايمز» الأسبوعية بتاريخ

٢٨ يوليو بها ملخص لتقرير عن المقررات والامتحانات للمدارس الثانوية (نشر يوم ٢٦ يوليو ١٩٤٣) أصدرته لجنة شكلت عام ١٩٤١ برئاسة السير سيريل نورود. إذا التقرير ليس ضخماً أرجو أن ترسله لي بالبريد الجوي. ومع اعتراف اللجنة بأهمية الشهادة بالنسبة للطلاب، إلّا أنها رأت مستقبلاً أن تكون الامتحانات داخلياً واقترحت أن تستمر في الوقت لمدة سبع سنوات ثم يعاد النظر فيها. وقد اقترحت اللجنة إلغاء امتحانات الشهادة المدرسية العليا.

وستعقد اللجنة الاستشارية للمدارس العليا هذا الأسبوع لتنظر في مسألة إشراك السودانيين في اللجنة أو في مناقشة الأمر مع بعض متعلّمي السودان عن أمر التعليم العالي.

وسيحضر لنا كرستوفر كوكس في آخر نوفمبر أو أوائل ديسمبر لمدة أسبوعين ليقدم لنا المشورة في عدد من المواضيع.

وسنعقد عدداً من المؤتمرات عن تعليم البنات في أكتوبر عند عودة روزفير. أعتقد أننا في حاجة لمدرسة وسطى أخرى في مدني ولا بد لنا من زرع نواة للتعليم الثانوي للبنات.

❑❑❑

إلى وكيل حكومة السودان — الخرطوم ١٨ أغسطس ١٩٤٣

القاهرة

لقد قرأت كل الفصل الخاص بالسودان في كتاب «الإسلام اليوم» (الواقع أني قرأت كل الكتاب وأعجبت به)، وقد تمعنت في الفقرات التي أوردها سير و. سمارت.

أول شيء استرعاني هو صحة ما كتب. خلال الثلاث سنوات الأخيرة من الحرب عومل السودان، وهكذا يجب أن يعامل، من ناحية الاستراتيجية، والاقتصاد، والمواصلات البرية والجوية والبحرية، كجزء من الشرق الأوسط، أي مجموعة الدول

العربية/ الإسلامية: مصر وليبيا وفلسطين وسوريا والعراق والجزيرة العربية.

شمال السودان يقطنه حوالى أربعة ملايين عربي من بينهم نسبة من المستعربين والناطقين بالعربية، وهم أكثر من عدد سكان سوريا وفلسطين العرب المسلمين، ومثل سكان السعودية تقريباً. ومع ذلك فأنا أستغرب أن السودان (أو على الأقل شماله) دائماً يحذف من الكتب والمقالات والمذكرات الرسمية وخلافها الخاصة بالشرق الأوسط، أو البلاد العربية. هذا الحذف له تأثير سيئ على المتعلمين السودانيين الذين يمتعضون من التلميح بأنهم ليسوا جزءاً من الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط أو البلاد العربية.

ولهذا السبب فإن الفقرة التي كتبها المستر هيللسون جاءت في الزمن المناسب، وإصراره على التواصل بين شمال السودان ودول حوض البحر الأبيض المتوسط والبلاد العربية المسلمة التي وردت في كلمته ستكون ذات فائدة في تطمين متعلمي السودان بأننا لا ننوي أن نحبسهم في قفص أفريقي، أو في النظر إليهم كأنهم أقل شأناً من المصريين أو دول الشرق الأوسط العربية. وهم أنفسهم (متعلمي السودان) لا يوافقون على أن يكون السودان ابنة أو وصيفة لأي بلد عربي، وإنما شقيقة لأي بلد عربي في شراكة وليس بوحدة مع أي منها. بمجرد أن يرتقي السودان ثقافياً وسياسياً يتوسع التعليم وزيادة المشاركة في الحكومة (كلا العاملين في طريقهما للتحقق).

ملحوظة: لقد أطلعت الحاكم العام على هذا الخطاب، وهو يوافق عليه!

إلى ر.س. مايال — الخرطوم ٢ سبتمبر ١٩٤٣

بالإشارة لمجالس السودان الاستشارية، أرفق لك نسختين من مشروع القانون والمذكرة التفسيرية الخاصة بالملحق التشريعي الخاص. آمل أن تكون المذكرة واضحة. الفقرة الخامسة (١) من الأمر كانت، كما ستستنتج، وسيلة لتغطية موقف السيد علي

والسيد عبد الرحمن الغامض. كانا يرفضان ألّا يشركا وفي نفس الوقت يرفضان معاملتهما أسوة ببقية الأعضاء الآ خرين ويكونان عرضة للمساءلة والنقد، وكذلك استنبطنا هذا الحل الوسط.

ستلاحظ أننا قمنا بنشر المشروعين، المركزي والإقليمي جنباً لجنب. أنا مهتم جداً بأمر المجالس الإقليمية وتمثيلها وحقوق رجل الشارع العادي. مرفق نسخة من صحيفة «السودان ستار»، العناوين الرئيسية وكلمة التحرير من عمل الصحيفة نفسها.

ترافرز بلاكلي (هو الآن مقدم في إدارة أراضي العدو المحتلة. ويحاضر في كلية حربية حكومية في ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة) كتب لنا بتاريخ ١٣/ ٦/ ١٩٤٣ أنه كان في حفل عشاء حضره وليام بوليت الذي كان مندوب الرئيس الخاص للشرق الأوسط أثناء الحرب وكان يتحدث عن ذكرياته عند بازار الخرطوم. و لم يكن يعلم أن بلاكلي موظف في حكومة السودان، قال إن السودان بلد عظيم وأنه قابل عدداً من موظفي السودان في عدد من البلاد الشرق أوسطية يتولون أعمالاً مهمة. إن هذه الشهادة، غير المستجداة، من شخصية أمريكية مهمة، لهو ثناء مستحب جداً، خصوصاً في الوقت الذي تنتقد فيه الولايات المتحدة بشدة سياسة بريطانيا في إدارتها الاستعمارية. بلاكلي يرجع للخرطوم قريباً.

لقد أخبرتك عن المظليين الطليان الذين أنزلوا في طبرق. كان ذلك بالقرب من بنغازي في نهاية يونيو. ولو أن القائد الطلياني كان ضد الفاشية وسلّم نفسه، لكن بعض الآخرين استمروا في القتال وتسببوا في جرح اثنين من قوة دفاع السودان (توفي أحدهما) ودمّروا مستودع طائرات وطائرة حربية. وقد اختبأ الطليان في غار ولكن جون كنريك وآخرين من الفرقة التاسعة تمكنوا من إلقاء القبض عليهم.

إلى يوان كامبل — الخرطوم ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣

(المقيم في سوريا)

الحمد لله أن رجلك في تحسّن. هذه النوبات من الآلام مزعجة، طوال عطلتي كنت أشعر بألم خفيف ومتوسط من الرطوبة في الورك، وكنت أحتاج للرياضة. لكني الحمد لله أحسن الآن. كنا نعمل هذين الشهرين الحارّين بعد الخريف بنصف طاقتنا. لا تستعجل الرجوع. أكتوبر دائماً شهر صعب. جون ويلي (روبرتسون) يتمتع بقوة غير عادية.

بيرفس يغادر في ديسمبر، وهذه مصيبة حيث هو يحتل مكاناً مرموقاً. جون باورز أيضاً الذي أعفي بمجرّد رجوعه من جنوب أفريقيا، لأن إصابته كانت أسوأ مما كنا نتوقع، ولن يتمكن من العلاج هنا، أو كما يقولون، والأطباء أيضاً نصحوا بأن ماكفايل يحتاج على الأقل لسنة في طقس بارد، الشيء الذي لن يتمكن من توفيره هنا. أتمنى أن تنتهي الحرب في ١٩٤٤ وإلا سوف نكون في موقف صعب.

ليست هناك أخبار مهمة من السودان - الأمطار جيدة وأعتقد أن المحصول سيكون جيداً. شرعنا في إبادة الجراد من شندي إلى كردفان. لقد قمت بتقسيم نظارة عموم الشكرية، لقد كانت غير عملية، المؤتمر غير راضٍ عن المجلس الاستشاري، لأنه لا يوافق هواهم. النقد ينصبّ على عدم إشراك الجنوب، وعدم استيفاء التوازن. (سأقوم بإذاعة بيان في الوقت الحاضر).

سمتس زارنا قبل يومين وقضى أمسية معي. هو شخص غير معقول، وملهم، أشاد بالسودان، وطلب منا شرب نخب اللندنر لأنها كانت عيد ميلاد موقعة بريطانيا.

إلى باري سوليفان الخرطوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٣

أنا سعيد جداً أن أيام طيرانك قد انتهت لأني كنت أقلق كلما أسمع عن العمليات الجوية في الشرق الأوسط وإيطاليا، ولكني أعتقد أن العمل المكتبي لن يناسبك، عملي المكتبي ليس رتيباً ويشمل موضوعات مختلفة مثل أعمال السفر، والطيران المدني، ومحاكم القبائل، ومجالس المديريات، واقتصاد الأقاليم، وتعليم النساء، وتكوين جامعة الخرطوم، وتحسين أوضاع الجنود، والإرساليات، والطرق والمباني، ومشاريع ري النيل، والمتاحف والآثار، والصحافة والإعلام، والتراخيص والسينما، والتعاونيات والمشاريع الزراعية، وشفخانات ما بعد الولادة، والعلاقات مع مصر وأرتريا، وأثيوبيا والكنغو البلجيكي وفرنسا الإستوائية الإفريقية، ومساعدات اليونان ومشاكل أخرى، وفي نفس الوقت مسائل لقيط القطن، والطرق، والمناشير وخلافه، وكذلك العمل المتواصل وتبادل الرسائل، وعدم المقدرة على كتابة مفيدة أو حتى كتابة قصة بلغة إنجليزية مفهومة.

ما هي روايتك، هل هي دراسة شخصية، أم سرد؟ أنا سعيد جداً أنك تحاول كتابتها، هل تعاني من كتابتها، أم أنك لا تجد مشكلة في كتابتها؟ أم هل يسيل القلم بسهولة على الورق؟ كتابة الحوار صعبة، أسهل منها الوصف.

زرت سيراكوز فقط وكنت أتمنى أن أزور تاورمينا، وأنا أحسدك على ذلك الأسبوع، لكن أكثر من ذلك فإني مشتاق إلى سسكس. لم أكن في شوق للوطن مثل الآن: للريف الإنجليزي، والتلال الجنوبية، والخيول في الحقول، والبيوت الريفية المسقوفة بالبلاط الأحمر، والأزقة الضيقة، والميادين الخضراء التي تختال داخلها طيور الأوز، ورؤية محراث تجره الثيران على سفح جبل وأشجار التفاح بزهرها الأبيض، والطيور، وصفوف الأشجار، وكل المناظر والروائح للخشب المحروق في يوم من أيام الربيع أو الخريف. لا بد أن السن قد تقدمت بي لأني أصبحت أجتر ذكريات الماضي، وأحنّ للجلوس أمام مدفأة وأنبذ المغامرة. ومع ذلك فإني سعيد بهذا العالم الجديد وأرغب في المساعدة بقدر استطاعتي وأنا في متوسط العمر في عمل أحق به الشباب.

أتمنى أن تتمكن من إكمال روايتك في مالطا. تغيير المناظر يشوّش على الذهن. ما زلت أحتفظ ببعض الصور عن مالطا أخذتها عام ١٩١٥ . لقد كنت أتصفح مذكراتي لعامي ١٩١٥ - ١٩١٦. كانت الطائرات الوحيدة في مطلع ١٩١٥ في الشرق الأوسط هي من طراز موريس فارمانز وبعض الطائرات المائية الفرنسية، وعندي صور لطائرة البريستول.

آسف، فهذا خطاب غير مسلٍ يا باري، ولكن بعد الكتابة طول اليوم من الصعب علي أن أتجلى وخصوصاً أن أخبارنا المحلية لا تجوز الكتابة عنها. حاول أن توصف الصحراء. العديد من الناس حاولوا، بعضهم وُفِّقوا وآخرون فشلوا. من الواجب أن يحاول الناس مرات أخرى، لأن الصحراء بها متغيرات عديدة والحياة الجيولوجية والطقس الخاص بها والتي تشكل نواحي عجيبة. بانيولد قد وصف بعضهم في كتابه «الرمال الليبية».

أرجو مداومة الكتابة وتهانينا على ترقيتك إلى ملازم طيار.

❏❏❏

السيد عبد الكريم محمد *MBE* الخرطوم ٢٤ أكتوبر ١٩٤٣

مصلحة المعارف (لاحقاً عضو المجلس الاستشاري)

كنت أعتقد أن أغلب الخطابات المرسلة لصحيفة «السودان ستار» من القراء عن تعليم اللغة الإنجليزية إما تخطىء الهدف، وإما تافهة - مثل كل بريد القراء في أغلب الصحف - ولكن خطابك بتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٤٣ شذّ عن الأمرين لكونه معقولاً وإيجابياً، وقد أعجبني كثيراً. أنا أوافقك على فشل المركز الثقافي الاجتماعي، وهو ما يقلق المستر واليس كثيراً. إن البعد عن أمدرمان ومشغولية وحياء الموظفين البريطانيين هي أهم الأسباب.

أنا أوافقك كلياً في ابتعاث طلبة سودانيين لبريطانيا لدراسة مكتملة، وأملي أن تسمح

ظروف الحرب في دراسة هذا المشروع. أنا أستمع لكثير من النقد من السودانيين - بعضه غير مبرر - عن المستوى المتدني للأساتذة السودانيين في كلية غردون. هذا، قد يكون من المحتمل، ناجماً عن عدم حصول الأساتذة على تعليم فوق الثانوي، ولذلك فقط الاستثنائيون من الأساتذة هم الذين يصلون للمستوى المطلوب. أرجو أيضاً أن نتمكن من الحصول على فرص اختيار لموظفين بريطانيين أفضل بعد الحرب.

أنا متأسف لعدم تمكني من حضور حفل الشاي مع روزيفير الأربعاء الماضي عندما كنت أنت هناك، ولكني أحب أن أتحادث معك قريباً لأن مستقبل كلية غردون والمدارس العليا مهم للغاية لتطور السودان.

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣

هناك فكرة لعمل فيلم عن دور قوة دفاع السودان في الحرب هنا. سيستغرق وقتاً طويلاً وسيكون مكلفاً، ولكن ساندسن وآخرين من المتحمسين يعملون فيه، وسأعرض المشروع على السكرتير المالي. كل الجيوش الأفريقية الأخرى تقريباً وجدت فرصتها للدعاية، مثلاً رويترز بتاريخ ٣ أكتوبر نشرت «بأن أكثر من ١٧,٠٠٠ جندي من باسوتولاند من بين المتطوعين من أفريقيا الذين ساهموا في نصر الحلفاء في الشرق الأوسط. وقد ذكرت أن الآخرين كانوا من بوتسوانا لاند، وسوازي لاند، ويوغندا، وكينيا، وتانقانيقا وغرب أفريقيا. لم يذكروا السودان، ولكني سعدت عندما قرأت مقالتهم بتاريخ ٥ أغسطس عن شرق أفريقيا وروسيا بعنوان «قوة دفاع السودان في لباسهم الحربي».

أثيوبيا:

وقع تمرد جزئي منذ فترة وجيزة في مناطق التقراي، يبدو أنه كان نوعاً من الاحتجاج الوطني على اعتقال راس سيوم في أديس أبابا، وعلى التسلط الإمبريالي المباشر. بعض

المناطق (عدوا وأكسيوم وأديقرات) لم تشارك. المتمردون أصابوا نجاحاً مبدئياً واعتقلوا موظفين أثيوبيين كباراً وقتلوا ضابطين بريطانيين تابعين للجيش الأثيوبي، واحتلوا مدينتي ماكال وكويها، وقطعوا الطريق الرئيسي بين أسمرا وأديس أبابا. كان هناك قتال عنيف في أمبا ألاجي. وقد طلب الأمبراطور أن نمده بطائرات. وقد قال السير وليام إن الأمن في الطريق (ولكن ليس بالضرورة خارجه) من مصلحة بريطانيا الأمبريالية، ولذلك أرسلت طائرات البلنهايم من عدن وقصفت الثوار. ذلك القصف مع التعزيزات من أديس أبابا أجهض التمرد، وأعيد احتلال ماكال وكويها قبل أسبوعين وأعيد الأمن وفتحت الطريق.

لقد استفسرونا عما إذا كان لدينا جنود، في حالة الحاجة لهم وطلبوا نصف مليون طلقة. اخبرناهم بأننا سنسلمهم الذخيرة على الحدود الأرترية - الأثيوبية فقط ولن نتقدم أبعد، وفعلاً نفذنا ذلك، ولكننا اعتذرنا عن تقديم أي فرد من قوة دفاع السودان ليخوضوا حرباً داخل أثيوبيا وربما يُقتلون. ولكن قوة دفاع السودان تطوعت للدفاع عن السودان. لقد كان هناك اعتراض من النواحي الدستورية والسياسية المحلية.

أرتريا:

ليست هناك أخبار مهمة من أرتريا ما عدا الصراع القبلي بين هدندوة السودان وبين بني عامر أرتريا، تسبب في غارات وغارات مضادة، وقتل وسرقة ماشية. وقد اضطر الجيش للتدخل من الجانبين.

ليبيا:

قابلت السير آرثر بارسونز هنا، الجنرال المسئول عن الشئون المدنية في ليبيا وطبرق وأرتريا ومقره القاهرة. يبدو أنه معني أساساً بالمحافظة على الأوضاع وتقليل الصرف بقدر الإمكان، وقد أوقف العمل أثناء العطلات وكان ٢٥ من موظفينا وموظفي شركة الأقطان قد ذهبوا في عطلهم لمساعدة دنكان كمينق في طبرق وللتغيير. كما منع لاش وكمينق من إرسال تقاريرهما لنا. قد يكون ذلك من قبيل الاقتصاد.

السيد إدريس ألغى زيارته إلى طبرق لأنه لم يكن متأكداً من وضعه الدستوري ولم يحظ باعتراف صريح بوضعه المستقبلي كتابة. وسيرسل بعض أولاد عمومته وأولاد أخوته لجس النبض واختيار منزل لأسرة السنوسي. وهو - مثل نقوس - يخشى من علاقتنا مع بادوقليو، وأنا لا ألومه على ذلك.

مصر:

قام الملك فاروق بزيارة حلايب في صحبة ثلاثين سيارة يومي ٢٥ و٢٦ أغسطس وقام بتوزيع ١٠٠ جنيه مصري. لم يكن لدينا علم مسبق (وكما تعلم فإن حلايب سياسياً مصرية ولكنها تدار بواسطة حكومة السودان) ولم نسمع بالزيارة إلا بعد مدة طويلة. لم يحصل شيء ذو بال. كان قد زار قبل ذلك بير شلاتين (في أقصى الشمال الشرقي للحدود) ولكنه لم يجد بها سوى عمدة أطرش.

تسريح الجيوش:

شكراً على إرسالك لي كتيب جمعية حزب المحافظين «النظر للأمام» والذي بكل صراحة وجدته غير محدد إلاّ على إصرارهم عن تجارة الصادر (والتي افترض أنها تملأ خزائن حزب المحافظين). لقد وزعته على أعضاء لجنة التسريح. هناك لجنتان تم تشكيلهما: إحداهما عسكرية لدراسة وسائل التسريح وبها قائمقام سوداني، والثانية، وهي الأهم، لدراسة استيعاب حوالى ٢٥,٠٠٠ من الضباط و الجنود (وبعض رجال الشرطة). أنا أترأس هذه اللجنة ومعي مدير الزراعة ومدير كردفان ومدير الخرطوم وفولي (مدير الإمدادات الحربية) وأحد العسكريين واثنين من السودانيين وهندرسون كسكرتير وينوب عنا في اللجنة العسكرية. لقد اجتمعنا مرة واحدة، ويجري جمع معلومات عن الأعمال داخل وخارج الجيش وخلافه وخلافه.

أغلب الجنود نأمل أن يرجعوا لقراهم وحقولهم وجبالهم وأبقارهم. أما الضباط والفنيين فسيصعب استيعابهم. هدفنا أن نخفض قوة دفاع السودان لحجمها لما قبل الحرب، ثم لنخفضها بتمهل عندما يتحسن أداء الشرطة ويقوى لتولي أعباء الأمن الداخلي.

المجلس الاستشاري:

أنا ممتن لك ولمارجري برهام في نقدكما البناء، بعض ما ذكرتما ذكر هنا أيضاً وبعضه أنا نفسي أذكره. سأكتب لكما مستقبلاً ولكن يكفي الآن أن أقول: (١) من الصعب جداً أن نجد طريقاً وسطاً بين أولئك الذين يطالبون بتسريع السودنة، والآخرين الذين يطالبون بالتمهل والتريث (والفئتان فيهما بريطانيون وسودانيون)، و(٢) الضمانات تبدو مبالغاً فيها على الورق (كما تبدو القوانين في بريطانيا والولايات المتحدة) ولكنها لن تكون كذلك في التطبيق، و(٣) لم توضع تلك الضمانات لكبح النقاش الحر، وإنما لمنع إفساد الاجتماعات بزحمة الأجندة أو النقاش في أمور تافهة أو فنية بحتة أو غير دستورية أو مواضيع لم يحن وقت مناقشتها، و(٤) أنه من السهل تحقيق تلك الضمانات أو تعديلها كما أرجو أن يتحقق ذلك في بدء عمل المجلس، ولكن كانت ستكون هناك صعوبة في سنها لاحقاً إذا ما احتاج لها الناس ولم تكن أصلاً هناك في البداية، وأخيراً (٥) لا يدري المرء حقيقة كيف سيفكر الناس في المولود الجديد إلى أن يولد.

وهناك بعض ردود الفعل الخارجية:

أ - لقد طلب قنصل البعثة الأميركية من وكيل حكومة السودان في مطلع سبتمبر نسخاً من صحيفة «السودان ستار» التي كتبت عن المجلس الاستشاري وطلب بعض الخلفية للمشروع.

ب - أُخَمِّن أنه إذا كان هناك رد فعل قوي في مصر عندما ينعقد البرلمان يوم ١٨ نوفمبر، سيكون ضد عدم إشراك جنوب السودان. وقد تمسك المؤتمر بهذه النقطة (ويقال إنهم اتصلوا برئيس الوزراء المصري مباشرة)، كما شاركت صحف أمدرمان في النقد ولو بنبرة متحفظة.

ج - المعارضة في مصر معروف أنها تقدّمت بسؤال مضمونه أن هناك خرقاً للاتفاقية الثنائية.

د - أذاع راديو برلين في نشرته العربية بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٤٣ تنديداً بنوايا البريطانيين لتقسيم السودان.

الحكومات المحلية:

تسير بخطى حثيثة. المفترض أن يكون لدينا مجلسان وربما ثلاثة للمديريات عند افتتاح الجلسة الأولى للمجلس الاستشاري في مارس القادم.

تجري مناقشة ميزانية مجلس بلدي بورسودان وجهازه التنفيذي، وكذلك قانون مجالس بلدية كسلا وبربر وشندي. إنها عملية بطيئة نسبة لحذرنا ولكن التقدم مستمر.

قمت بزيارة مجلس بلدية مدني قبل أسابيع في مبناه الجميل (مكاتب البريد القديمة بعد تجديدها) وخطبت فيهم. كسلا والأبيض مجالسهما تعمل بصورة جيدة. وفي كل شمال السودان تقوم هيئات إدارة التموين بعملها على أحسن وجه. عطبرة الآن لديها جهازها التمويني الخاص بها، وبورسودان في طريقها لإنشاء جهاز خاص بها. مشروع تموين السكر لمركز مدني بدأ العمل ويشمل ٤٠,٠٠٠ مواطن، ٣٠,٠٠٠ منهم في المدن يتحصلون على رطلي سكر شهرياً، و١٠,٠٠٠في الأرياف يتحصلون على رطل ونصف شهرياً.

عدوى الحكم المحلي انتشرت للجنوب. في أعالي النيل هناك بداية لحلف فدرالي للنوير لم تتضح معالمه بعد، وكذلك أول ميزانية منفصلة للجنوب كانت للشُّلك. قبيلة الأشولي في توريت وافقت على الاتحاد تحت رئاسة الرئيس جوزيف أولا في اجتماع ضم ٧٣ من الرؤساء الصغار و٢٥٠ من العامة. توريت تشمل الآن خمس مناطق محددة للحكم المحلي.

مديرية كسلا تحتاج لمجلسين أو ثلاثة (بلديات وريفيات مشتركة)، وأنا أزور أركويت يوم ٦ نوفمبر لمدى أيام لأحضر اجتماع مفتشي المراكز في هذا الخصوص وأمور أخرى تتعلق بالحكم المحلي. نحن نحتاج لتمتين العلاقة بين الإدارتين البلدية والريفية.

التعليم:

اللجنة الاستشارية للتعليم العالي رأت منذ مدة أن تعلن عن عملها، وفعلاً أصدرت إعلاناً قبل شهر وذكرت أن علينا دعوة عدد من متعلمي السودان ليستمعوا لما تم ويتقدموا بأسئلتهم ويعرضوا آراءهم. لقد عقدنا اجتماعاً مثمراً مع ستة منهم تبين لنا تطابق الأفكار بيننا وبينهم واللجنة دعت اثنين منهم لمناقشة نوع الدبلومات ودستور الكلية، الأمر الذي نحتاج له بشدة الآن هو ناظر مؤهل ومتفرغ.

وافق الحاكم العام على عقد مدرسة صيفية لمدى اثني عشر يوماً في أركويت في مارس القادم (عشرة بريطانيين و٢٠ سودانياً من المتطوعين) تحت إشراف مصلحة المعارف. سوف يمكثون في حيز مشترك ويشاركون في ألعاب مشتركة بالإضافة للندوات والمحاضرات.

عقد هذا الشهر مؤتمر في مصلحة المعارف عن تعليم البنات. نحتاج لمدرسة بنات وسطى أخرى في مدني، وأيضاً التوسع في تدريب المعلمين وفي التعليم الأولي. كل ذلك يعتمد على وجود المدرستين البريطانيتين، إلا إذا تمكّنا من الحصول على مدرّسات سوريات مؤهلات. المدرّسات المصريات مستواهن متدنٍ.

كتب الحاكم العام للسفارة في القاهرة يوم ٧ سبتمبر يقول: نحن بالطبع نرغب في الانضمام إلى لجنة التحري عن التعليم العالي وأن نحاط علماً بكل خطط وزارة المستعمرات عن التعليم في كل المراحل.

❒❒❒

إلى ج. ج. ماثيو، .O.B.E و C.M.G الخرطوم ٣٠ نوفمبر ١٩٤٣

بعثة القدس والشرق، ونشستر

لك جزيل الشكر على رسالتك بتاريخ ١٤ سبتمبر التي وصلت إليّ قبل أيام. أنا مقدّر لتشريفكما لي أنت والمطران ستيوارت المضمن في طلبكم لي أن أخلفك في سكرتارية

بعثة القدس والشرق، وأرجو أن لا تعتبروا رفضي لطلبكم هو من باب التحقير. إنها وظيفة تحتاج لشخص ممتاز بمبادىء ومؤهلات، خصوصاً في هذا الظرف المضطرب في فلسطين، وأنا أكن لفلسطين وداً خاصاً حيث اشتركت مع فرقة جيش هناك لمدة سنة (١٩١٧ و١٩١٨) كما زرتها أربع مرات لاحقاً كذلك.

ولكني لا أعتقد يا عزيزي أنني الشخص المناسب لهذه الوظيفة. قد يستهويني جانب من جوانب الوظيفة ولكن ليس كل جوانبها. من أهم الأغراض الثلاثة للبعثة، بالطبع أنا أوافق على الغرض الثاني (توفير مزايا الكنيسة لأعضاء الكنيسة الإنجليزية من الزوار إلى فلسطين، ولو أني بالطبع غير متمرس في إدارة أعمال الكنائس): بالطبع سأكون سعيداً للمشاركة في الغرض الثالث (المحافظة على الأعمال الخيرية المسيحية مع الكنائس المسيحية الأخرى في فلسطين)، ولكن بعثتكم قد تجدني غير ملتزم دينياً وحتى قد أكون هرطقي (من الخوارج أو منشق - المترجم) بالنسبة للغرض الأول (تأسيس والمحافظة على عمل البعثة بين اليهود والمسلمين في أرض الإنجيل)، ولن يكون من العدل للبعثة أو لضميري أن أقوم بعمل إداري وخصوصاً في المساعدة في اختيار موظفين أو أن أخطب في اجتماعات عن أهداف، إلا إذا كنت أنا شخصياً مؤمناً بها ومخلصاً لها. أنا لا أشك للحظة في أن المسيحية أرفع مقاماً من الإسلام أو اليهودية، وأنا أدرى من غيري عن تقصير الإسلام، كما لا أنكر نجاح المبشرين من أمثال ولسون كاش والراحل تمبل فيردنر في البلاد الإسلامية، ولكني خدمت مدة طويلة وسط العرب (ثلاثة وعشرين سنة) وقد تعرفت عن قرب على عمل المبشرين وسط قبيلة النوبة وخلافها هنا خلال العشر سنوات الماضية (من على البعد) ولذلك عندي بعض الشك في أعمال المبشرين وسط غير المسيحيين.

أضف لذلك فأنا كنت في السنوات الأخيرة مشدوداً بقوة بالنسبة «للبرنامج الجديد» في إدارة المستعمرات خصوصاً بالنسبة للتطور السياسي في الحكم الذاتي، والاتجاه الجديد بالنسبة للوصاية في المشاركة، وإزالة فوارق اللون، وخلق وسائل أهلية إدارية (مجالس تشريعية، والتعليم العالي، ومجالس أقاليم)، وأنا أفضل جداً أن أواصل مثل هذا العمل

بالنسبة للعرب أو الأفارقة عندما أتقاعد، من المحتمل في كلية نوفيلد بجامعة أكسفورد، إذا وافقوا على انضمامي إليها، أو في جمعية أو لجنة مناسبة. نحن نقوم بعمل ذلك هنا الآن (قد يكون مايال قد أخبرك شيئاً عن ذلك)، وأنا أرغب في الاستمرار في هذا العمل. أنا عندي ثقة كاملة في هذا العمل، خصوصاً في حاجتنا وفي مقدرتنا من كسب العناصر المتعلمة في الشرق الأدنى وفي أفريقيا، المثقفين الذين لم يفلح الإداري الأنجلوساكسوني حتى تاريخه في كسب صداقتهم أو في مساعدتهم. أنا أجد صعوبة في شرح كل هذه الأمور في خطاب، ولكن بالنسبة لما يجري في الشرق الأدنى، والهند وبورما وسيلان وحتى هنا، أنا أعتقد أنها الحاجة الملحة.

قد يكون من الحقيقة أن البعثة يمكنها لعب دور، ولكن كل خبرتي هي علمانية، سياسياً وإدارياً، ولو أني تمشياً مع أعراف السودان وودي للرجال أمثال المطران قوين، والعم هاربر، كنت أقوم بعمل كبير مع الكنيسة الإنجليزية هنا منذ تولّيّ لمنصب السكرتير الإداري، أكثر من ذي قبل (وبسرور)، ولكني أعتقد أنني سأنجح أكثر في المساعدة في النواحي الأخلاقية وتنمية القدرات العقلية لهؤلاء الناس (مثل الإسكافي) ركزت على ما أعرفه ـ (الرواية تقول إن إسكافياً لاحظ أن اللوحة التي رسمها إبلز، أهم رسام في القرن الرابع قبل الميلاد فيها خطأ بالنسبة لرباط حذاء الشخص المرسوم ونبّه الرسام إلى ذلك. شكره الرسام وقام بتصليح الخطأ. لم يكتف الإسكافي بذلك وأخذه الغرور، وذكر للرسام أن ساقَي الرجل المرسوم فيهما خطأ أيضاً، فرد عليه إبلز: الزم صنعتك، أنت تعلم عن الأحذية ولكن لا علم لك في علم التشريح، وأصبحت مثلاً ـ المترجم).

لا أدري متى سأتقاعد، وسأكون قد بلغت الخمسين في أغسطس ١٩٤٤. متوسط تقاعد السكرتيرين السابقين هو ٥٢ عاماً، ولكني لا أعتقد أنني سأمكث حتى ذلك الوقت، أو حتى لما بعد سن الواحدة وخمسين. كل شيء يعتمد على الظروف المختلفة هنا، وأنا ليس لدي طموح معين، كما أني أحب السودان.

إلى يوان كامبل الخرطوم ١٠ ديسمبر ١٩٤٣

لا أدري ما هي الخطط التي حضّرت لزيارة زعماء القبائل إلى الجيوش السودانية في شمال أفريقيا: كانت على بساط البحث قبل مدة، ثم ظهرت بعض المشاكل. الواقع أن أغلب جنود النوبة الآن في السودان أو أرتريا، وأعتقد أن أربع كتائب في أرتريا راغبة في زيارة، أسوة بشمال أفريقيا، إن لم يكن أكثر، لأنهم يجدون اهتماماً كبيراً من سانديسون. أرجو الاتصال بمكتبي عندما تقرروا متى تذهبون أنتم وزعماء قبائلكم.

قد تكون سمعت بأن لاش أصبح مديراً للحكومة العسكرية المتحالفة في الأراضي المحتلة في إيطاليا، وبلاكلي عين مديراً لليبيا. أكلاند ما زال حاكماً عسكرياً (منفى) لاثنتي عشرة جزيرة في بحر إيجة.

مرّ علينا سمتس أمس وقابلته لمدة عشرين دقيقة تباحثنا فيها عن مجالس الأقاليم بالنسبة لأفريقيا وأعطيته نسخة من كتيب هندرسون عن السودان (١٨٩٨ ـ ١٩٤١) ليقرأه في طريق عودته. هو في صحة جيدة. الأدميرال كنج وعدد من كبار الضباط الأمريكان اتصلوا ومروا علينا فجأة ولكنهم ذهبوا رأسا للغرب، ولم أقابلهم. سكوبي هنا في عطلة قصيرة، قبل أن يتبوأ قيادته للجيش الثالث (الآن في سوريا وسيكون مقره لاحقاً في البلقان). لقد قام بدراسة مكثفة عن حرب العصابات الإغريقية واليوغسلافية وسياستها الحكومية، وقد متعنا بمعلوماته عنها.

وصل إليّ خطاب من فرانك سيمس، والذي كنت أعجب به دائماً (الجيش العربي للشرق، وقد اعتقل في شمال غرب الكفرة في أوائل ١٩٤٢) وقد هرب مرتين ولكن ألقي عليه القبض مرة أخرى في إيطاليا، ثم تمكّن أيضاً من الهرب من هناك وعبر قبل مدة قصيرة لمنطقة الحلفاء. لقد قام بنظم قصيدة جميلة في المعتقل ونشرت في مجلة «حياة الريف» في أبريل ١٩٤٣، وقد قمت بنشرها في صحيفة «السودان ستار» عندما وجدتها في «حياة الريف».

قاي مور ذهب إلى منطقة الميدوب اليوم بعد انتهاء عطلته مع بعض الأعراب والميدوب في محلة صغيرة. أنا أوده كثيراً، ولكنه من عالم آخر، ويرغب جداً في أن يطهر روحه بالمشاركة في حروب جندياً عادياً في أي مكان. هو في صحة جيدة جسمانياً وذهنياً بعد عطلته.

إلى ج. ر. س. دونكان الخرطوم ١١ ديسمبر ١٩٤٣

مساعد مفتش مركز النهود

الإشاعات تقول إنك قفزت من لوري على ظهر جمل، وإنك خبير في التموين، وإنك على استعداد كامل لمجابهة امتحان اللغة العربية والقانون.

لقد مرت أكثر من ثلاث وعشرين سنة بقليل - بعد ثلاثة أشهر خبرة في غرب كردفان، وإصابة بالحمى، وتقرّح في مؤخرتي من ركوب جمل جخيصي، وفشلي في التحدث باللغة العربية أو في فهمها، ثم الركوب لرحلة طويلة عبر الحسكنيت إلى زرناخ وظولاتة - قررت أنني لا أطيق السودان وأعلنت للمديرية المروعة فجأة أنني أنوي الاستقالة، وأن أرجع لإنكلترا لأعمل في التدريس. وبما أن مدير المديرية كان في إنجلترا، ونائبه في عطلة، كانت هناك فترة تأخير مربك، وبما أنني اكتشفت بأنني سأضطر أن أدفع مصروفات رجوعي وأن سعر حملتي انخفض كثيراً، أخبرت حكومة السودان بكل أدب بأنني سأستمر في وظيفتي. وفي نفس الوقت وصلت برقية تقول إن استقالتي قد قبلت، ولكن بعض المحاسبين الأقباط تمكنوا من حل الإشكال وتسوية الموضوع. وقد قمت بجولة إلى فاق القاش وفريا الجلي، قريتين جميلتين في الوديان الشمالية، وتحصلت على مصروفات الرحلة، وتعلمت بعض الكلمات العربية، وأنا هنا الآن أرسل لك تهاني بعيد الميلاد المجيد بشقيه الإنجليزي والإسكتلندي.

أنا أقوم بكتابة ما يجدّ من أخبار لرتشارد أوين، وهذا فقط لتهنئتك بعيد الميلاد.

أربعة من زملائك رجعوا للخرطوم، وأملي أن يصل الأربعة الآخرون خلال ١٩٤٤.

بول دانيال ذهب في عطلته أخيراً، وأشعر بوحشة، أو المفروض أن أشعر بوحشة إذا كان لديّ الوقت لذلك. العم هاربر يرسل لك حبه، أو كان سيرسل لك حبه إذا علم بأنني أكتب إليك.

حضر أحد الضباط الإسكتلنديين إلى الكانتين العسكري وطلب شطة (Pepper)، سأله الجاويش إن كان يرغب في شطة حمراء أو بيضاء، رد عليه الضابط «لا أنا أحتاج شطة للكتابة عليها» (الاسكتلنديون ينطقون Pepper مثل Paper ـ المترجم).

يمكنك الآن أن تفهم لماذا يطلبون منا التقاعد في سن الخمسين، رغم أن من التسعة سكرتيرين الإداريين الذين تزيّن صورهم حائط مكتبي، فقط أربعة، كما أخبرني المطران، أصيبوا بالجنون قبل أن يغادروا السودان. أتمنى لك حظاً سعيداً واحتفظ بهدوئك. سنمتحنك في اللغة الإنجليزية بعد اللغة العربية.

❐❐❐

إلى يوان كامبل الخرطوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٣

لقد وصلت إليّ بعض عبارات الثناء التي تثلج الصدر عن حكومة السودان وموظفيها من بريطانيين ومن الشرق الأوسط. مع قلقنا الشخصي ومشغوليتنا، أرى أننا نميل لرسم صورة أقتم عن الواقع، لأننا أقرب للأرض ولا يمكننا من رؤية الشمس بالنسبة للسحاب. ولكن بالرغم من التوتر وخلافه إن السودان أفضل بكثير من جيرانه، ويقف على أرض صلبة في المدى البعيد، وقد تطوّر خلال السنوات الثلاث الماضية أكثر من كل المستعمرات إن كان مادياً أو أخلاقياً أو فكرياً، واسمه رفيع وخزائنه فائضة وأداؤه الحربي كان رائعاً. لنا الحق أن نتفاءل وأن ننظر للمستقبل بأمل. الجولة الأخيرة هي الأهم، ربما تسعة أشهر أخرى. أنا متأكد أننا سنتجاوزها

رغم كل مشاكلنا وملهياتنا الشخصية. أهم شيء هو أن نضحك كثيراً. كم مرة تضحك في اليوم يا يوان؟ الضحك أيضاً يساعد على الهضم.

إلى يوان كامبل　　　　　　　　　　　　الخرطوم ١٨ ديسمبر ١٩٤٣

أناقش مسألة الضابط العسكري الذي يعمل في المجلس الإقليمي غداً مع بقية السكرتيرين والحاكم العام، ولكن علمت من وليام لوس، سكرتير الحاكم العام الخاص، أن الحاكم العام يقول «إذا كنتُ القائد فسأعترض، وأعتقد أنه محق في ذلك الرأي. إنه نظام صارم في كل مكان وخصوصاً في الشرق الأوسط، لا يحق فيه لضابط عسكري عامل أن يشارك في السياسة، وحتى عدد كبير من المواضيع في مجالس المديريات لا بد أن يكون لها نكهة سياسية، فذلك قد يعرّض الضابط إلى موقف حرج. أنا أوافق أنه بعدد الجنود الضخم الذين يعملون في كردفان فإن مصالحهم قد تكون طاغية، ولكن ذلك سيكون فقط مؤقتاً، إذ أنه في ما بعد عندما تنخفض قوة دفاع السودان إلى ٢,٥٠٠، فإن الأجندة قد لا تثير فيهم أي انتباه، وأي ضابط يمكنه الانضمام إذا ما وافق قائده العام على ذلك. وقد يكون عمل ذلك سابقة مربكة.

أرغب في حضور تجمع مفتشي المراكز في أيام عيد الميلاد وأن أحدثهم عن الشرق الأوسط وعن الشئون العالمية بشكل عام، وأن أفتح أذهانهم لبعض مشاكل ما بعد الحرب المحتملة، وأنوّرهم على بعض ما نقوم به من أعمال في الحكومة المركزية - أي، لأعوض عن عجزي المؤسف عن عدم كتابة تقرير شهري لمدة سنتين ونصف.

قد يستغرق ذلك ثلاث أو أربع ساعات حيث هناك الكثير من المعلومات المتأخر إبلاغها، كما أني أرحب بالإجابة على أي أسئلة. أرغب في أن يكون ذلك الاجتماع خارجاً عن أي مناقشة لأمور خاصة بشئون المديرية أو الحكومات المحلية.

إذا رأيت إشراك بعض كبار موظفي المصالح، أو أن بعضهم يرغب في المشاركة فلا بأس. هم عادة لا يطلعون على معلومات من حقهم أن يطلعوا عليها.

إلى مكي عباس الخرطوم ٢١ ديسمبر ١٩٤٣

مفتش تعليم الكبار

أكتب لك هذا متمنياً لك كل خير في عام ١٩٤٤ وأهنئك على الترقية وعلى وظيفة مهمة ترغب فيها. أشكرك على خطابك بتاريخ ٣ ديسمبر وعلى كلماتك الطيبات. لقد سعدت بلقائك وتجدني آسفاً لعدم استضافتك في منزلي حيث كان في إمكاننا أن نجد فرصة أوسع للحديث.

أنا مسرور أنك الآن ستتمكن من مباشرة مشروع أم جر. أنت محق في تقديرك أن مشاريع الإعاشة الاختيارية كانت تجربتها ذات نفع كبير. السير فرانسيس رقمان أخبرني فقط أمس، أن تلك المشاريع ساعدت في تدريب مفتشي زراعة بريطانيين وسودانيين على مشاكل مشروع الجزيرة، والآن أصبح للحكومة كادر مؤهلٌ يفهم المشاكل وأيضاً يلمّ بأبجديات الحكم المحلي المستنير في الجزيرة. هذا سيؤهلنا أن نتولى إدارة مشروع الجزيرة زراعياً واجتماعياً عندما تنقضي فترة إدارة شركة أقطان الجزيرة.

كان اجتماعنا في أركويت مع مفتشي مراكز كسلا مفيداً جداً بالنسبة لاحتمال إنشاء مجالس مراكز لمناطق مثل القضارف (أو شرق كردفان)، كما تجري دراسة نموذج في مركز القضارف لدمج عدد من الإدارات الأهلية الصغيرة في المدينة والريف. مجلس بلدي بورسودان على وشك الانتهاء، التفويض التنفيذي والميزانية، وأشياء ومجالس أخرى في الطريق. المستر والس وأنا نشعر كأننا قابلتان لتفريخ الأطفال كل يوم. سأذهب إلى الأبيض غداً لأجتمع مع مفتشي المراكز، ويا حبذا لو كان لديك الوقت

للمشاركة. لا بد لنا من مناقشة كل الأمور هذه في الهيئة الاستشارية للحكم المحلي.

كنا مشغولين بمجلس ودستور المدارس العليا، وكلية غردون الجديدة، وقد أرسلنا مقترحاتنا إلى اللجنة التنفيذية لكلية غردون التذكارية في لندن.

أرسل لك بعض الصور عن الاستعراض العسكري من مدينة أكستر. عندما سألتني إذا كانت لهجتك أصبحت قريبة من لهجة أهل دفونشاير أجبتك لا، ولكن مؤخراً لاحظت فعلاً أنك تتكلم بتلك اللهجة. أرجو الاحتفاظ بها فإنها ترتبط بإنجلترا تاريخياً وأنا أحبها.

❒❒❒

إلى ج. ب. س. دانيال — الخرطوم ٣١ ديسمبر ١٩٤٣

أتمنى لك أوقاتاً طيبة وصحة وعطلة ممتعة في عام ١٩٤٤. برقيتك لنا في الأبيض أدخلت السرور في قلوبنا. لقد قضينا وقتاً ممتعاً أثناء عطلة أعياد الميلاد هناك، ويوان شرب بعض البيرة. كانت هناك حفلة راقصة واستعراض في حوض السباحة، وماتش بولو وآخر للكريكت (كان جاك سيمر الذي يلعب كمحترف لأكسفورد ومقاطعة سومرست، نجم فريق سلاح الطيران)، كما كانت هناك حفلة للأطفال لم يمرض فيها أي أحد. الحقيقة كلنا استمتعنا بوقت طيب. لقد عقد اجتماع لمفتشي المراكز. جوك دونكان يرسل لك تحياته.

لا يوجد الآن قائد عام. ربما لن يعينوا أحداً أبداً مستقبلاً. لا أحد يقلق لذلك. إلى هذا الدرك السحيق وصلت الأمور. ما زلت مشدوداً إلى مكتبي ومحاطاً بملفاتي، وأكابد في كتابة كلمة لأذيعها عن مستقبل السودان. وصل بات لندسي لحفلة عيد الميلاد بشوارب ضخمة ومقززة، وقد أزلناها منه. وقد مشيت مختالاً بين عدد من مجندي النوبة، وقد سأل قاي أحدهم وهو يصافحني بحرارة ويبتسم إذا كان يعرفني، أجابه: أبداً. لقد استمتعت كثيراً وامتطيت فرساً لمسافة بعيدة.

الحاكم العام يغادر إلى دارفور وكردفان لمدة ٢٥ يوماً هذا الأسبوع. يا ليتني تمكنت من عمل ذلك، لكنه يستحق الزيارة وعادة زياراته نتائجها حسنة، وهو في صحة جيدة.

المجلس الاستشاري ومشكلات التعليم
١٩٤٤

إلى يوان كامبل الخرطوم ١٨ فبراير ١٩٤٤

أنا مجهد للغاية، بدون عُطل، أو راحة، أو وقت أخلو فيه لنفسي مع متأخرات واجبات. أتمنى أن تتحسن حالتي قريباً، رغم أنني أخشى أن أنهار. لقد كانت سنة مثيرة بمشاكلها السياسية وقواها العاملة والجنوب، ستمنعني من أخذ عطلتي في ١٩٤٤، كما تسبب المؤتمر عام ١٩٤٢ في ذلك.

لم أكن أرغب في الاستمرار في العمل بعد ١٩٤٥، ولكني لا أحب أن أترك الجنوب بدون معالجة، كما أن الرطوبة تمنعني من الانضمام للحرس الوطني، أضف لذلك فنحن عندنا نقص كبير في الموظفين.

السودان فعلاً في حالة جيدة. المشكلة هي هذا التوتر المتواصل، وعدم الترفيه والراحة والعطلات هو الذي يسبب القلق والإحباط. كل الناس من الخارج يقولون إن السودان عظيم. أملي أن يكون ذلك حقيقة.

تسلّمت خطاباً آسراً من بلات بعد رجوعه من سيلان التي زار فيها جنوده.

الحاكم العام بصحة جيدة ونشط ومصدر قوة للآخرين.

لقد قررت أن أقسّم المديرية الاستوائية مرة أخرى إلى مديريتين، ربما عام ١٩٤٦.

إلى س. أ. ج. واليس ٢٢ فبراير ١٩٤٤

كسلا (في رحلة مرور)

أشكرك على تهنئتي بمنحي وسام فارس الأمبراطورية البريطانية في مطلع العام، وتجدني آسفاً لعدم الرد سريعاً.

الحاكم العام غادر في رحلة ستستغرق كل شهر يناير، وقد تضاعف العمل عليّ، ثم كان عليّ أن أحضر مؤتمر للمديرين في النصف الأول من فبراير، وقد انتهزت فرصة أسبوع لأحضر لكسلا وبورسودان.

قضيت أعياد الميلاد في الأبيض، والمجلس البلدي يزاول أعماله بنجاح. كنت أرغب في معرفة تجمعات حكمكم المحلي في توريت. لقد طلبت في اجتماع المديرين ومعهم السكرتيرين الثلاثة ومديرو المعارف والزراعة والصحة أن يناقشوا مسألة الجنوب، وكان هناك إجماع تام (حيث إن الحرب على وشك النهاية كما نأمل وستكون هناك أموال) لوضع سياسة تعليمية واقتصادية متطورة.

أوافقك جداً على عدم وجود كادر من المساعدين الإداريين الوطنيين، وأنا لا أدري لماذا لم يطالب المديرون ومفتشو المراكز في الجنوب بمدهم بمآمير للجنوب أو مفتشي محطات، عندما سحب الـ٤١ مأموراً شمالياً من الجنوب عام ١٩٢٨. وقد أثرت أنا الموضوع عندما كنت نائباً للسكرتير الإداري في أول زيارة لي لجوبا عام ١٩٣٩ (بعد ١١ سنة). أنا أوافق أن المآمير الشماليين إذا أحسن اختيارهم، لن يسببوا أضراراً، ولكن لا بد لهم أن يكونوا متعاطفين ويتحدثون الإنجليزية، وهناك قلة منهم تتحدث الإنجليزية.

قلة الآلات أمر حتمي. كل الآلات، والمصانع التي تنتجها تحتاج لها الجيوش للحرب، وكل الحديد والآلات التي يحتاج لها لأغراض مدنية لا بد من المصادقة على تصديرها من قبل وزراء الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية. لدينا نقص كبير في طلمبات ري المشاريع الزراعية. وحتى إذا تمكنا من الحصول على آلات

الحفر، فلن نتمكن من الحصول على الحفارات. هذه هي الحرب، ولا بد أن نتحلى بالصبر إلى عام ١٩٤٥ أو ١٩٤٦. كلنا في نفس الوضع، ولكن الحرب لم تضع أوزارها بعد، والمجهود الصناعي يجب أن يكرس للمجهود الحربي لحين المعركة الفاصلة.

إلى ج. أ. ريد الخرطوم ١٤ مارس ١٩٤٤

المدير السابق لمديرية النيل الأبيض

موظف الإعلام، بنغازي

كنت في انتظار طباعة كلمتي التي سأذيعها قبل أن أرسل لك نسخة منها:

أرغب في أن يتجه المجلس الاستشاري لمعالجة مواضيع مهمة بأسرع وقت ممكن، يعني بمجرد أن يتمرسوا على الأهداف وعلى النقاش الحر بالنسبة للأمور السياسية. الأعضاء الثمانية عشر من الست مديريات الشمالية أصبحوا معروفين ومتنورين أكثر مما كنت أتوقع ـ صغار النظار من بينهم ستة أكملوا التعليم الأوسط أو الثانوي، قليل من كبار السن من النظار، وبعض الموظفين، والمسؤولين السابقين وقدامى الضباط والتجار، عشرة منهم يتحدثون الإنجليزية.

المعينون من قبل الحاكم العام سيشملون ستة من كبار الأفندية واثنين أو ثلاثة من أعيان رجال الدين. ستصدر لائحة قريباً.

نصف المجلس الاستشاري سيكون من السودانيين الموظفين أو الموظفين السابقين.

نحن مهتمون بتضمين كل الأمور الهامة في الأجندة ـ الميزانية، مستقبل مشروع الجزيرة، التعليم بكل مراحله، تنمية الاقتصاد، (وإذا ما أثاروهما) مياه النيل وقانون الجنسية.

المشكلة بالنسبة للحكم الأهلي المسؤول هو أن هناك عدداً من النقاد: هيلي، لوغارد، مارجري برهام، كوبلاند، قامانز وآخرون يخبروننا:

(١) المجالس التشريعية ليست مثالية؛

(٢) النظام البرلماني غير مناسب للأفارقة أو العرب، ولا بد من ابتكار نظام جديد.

ولكن ما هو ذلك النظام الجديد؟ لا هم يعرفونه أو يعرّفوننا عليه. إنه كمثل الطبيب، الذي ينصح بعدم إجراء عملية أو بأخذ دواء ولكنه يعجز في أن يقترح بديل. في ذات الوقت يزيد توتر المريض.

ما هي الخطوة القادمة؟ هل نقوم بتسليم كل أنشطة الحكومة إلى مجلس سوداني؟ إذا ما احتفظنا بالدفاع، والعملة، والإيفاء بالديون، والسياسة، والشئون العرقية والدينية، وشئون الأقليات، والعلاقات الخارجية وخلافها لحكومة السودان (أي الحاكم العام) فقد نجابه بصدام أو بإحباط.

كيف لنا أن نحصل على أكثرية رسمية إذا كانت هذه الأكثرية من السودانيين؟ من المحتمل أن يتبع المسئولون الرسميون البريطانيون، بوداعة، حاكم كينيا أوفيجي، لكن هل نستطيع إجبار السودانيين على القيام بهذا العمل في مسألة غير شعبية؟

ما هو الجواب على هذا السؤال؟

المؤتمر دون تردد قاطع المجلس الاستشاري العام الماضي. الرئيس والأعضاء المعتدلين (بمن فيهم جميع أعضاء مجلس بلدي أمدرمان) غاضبون جداً، وقد حاولوا أن يلغوا القرار ولكنهم فشلوا بـ ١٩ صوتاً إلى ٢٩ صوتاً في اللجنة الستينية. بعضهم قد استقال من المؤتمر وهناك اتهامات متبادلة. أغلب الأعضاء العقلاء بمن فيهم منتقدو الحكومة يرغبون في التعاون. عدد من أعيان الأقاليم الذين انتخبوا للمجلس الاستشاري، وهم أعضاء اسمياً في المؤتمر، سيتجاهلون المقاطعة، وسيواجه المؤتمر مسألة الرفق وهم لا يرغبون في استعداء زعماء القبائل. إنه وضع مثير.

أعتقد أن خطابي المذاع وجد قبولاً من أغلب متعلمي السودان، خصوصاً لأننا أخذنا وقتاً في التحليل وفي مناقشة النقد، ولكن بالطبع هم يرغبون في أفعال وليس في أقوال.

لدينا الآن حوالى سبعين موظفاً سودانياً بدرجة عليا في الحكومة المركزية وفي المصالح بما فيها مجالس المدن الثلاث البلدية، وبعض منهم في مجالس ولجان المديريات. هذا تطور مهم جداً مقارنة ببعض سنوات مضت. السودنة ما زالت للأسف بطيئة في المصالح الفنية نسبة لعوامل نفسية والإصرار على الكفاية، وأيضاً لعدم وجود السودانيين المؤهلين فعلاً. التعليم الفني للأسف تأخر جداً.

كلية غردون الجديدة ستفتتح رسمياً في مبانيها (التي سيخليها الجيش) هذا الخريف، وسيكون بها ناظر ونائب ناظر إنجليز، ودستور، وسكرتير مالي سوداني، كما سيكون لها مجلس إدارة مكون من سبعة وعشرين عضواً، سبعة أساتذة منهم سودانيين وأستاذان مصريان. وتستوعب المدرسة مئة وستين طالباً.

يجري تعيين ضابط تعليم للكبار، بالنسبة لأعمال الريف، كما يجري التوسع في تعليم البنات (خمس مدارس وسطى بدلاً من واحدة وزيادة كبيرة في المدرسات البريطانيات من بينهن ضابطات تعليم للأقاليم).

إلى القائمقام ج. ساندیسون الخرطوم ٣ أبريل ١٩٤٤

ضابط العلاقات العامة لقوة دفاع السودان في شمال أفريقيا

أعذرني لعدم الرد على خطابك بتاريخ ٢٢ فبراير قبل الآن. لقد كنت في غاية المشغولية أرد على ستين خطاباً خاصاً. سيحسدني ممثلو أفلام هوليوود على حجم بريدي، إلى أن يفحصوا الخطابات ويكتشفوا أنها تحتوي على استفسارات، أو نقد، أو طلبات وخلافه بدلاً من الوله أو حتى الحب. على أي حال أشكرك على تهنئتي.

لقد كان تكريمي بمنحي وسام فارس نسبة لخدمتي وليست لشخصي، ومع ذلك فهي مقدرة جداً. الجهاز السياسي السوداني في الواقع قام بدوره خير قيام في الشرق الأوسط واستحقوا الثناء من شتى الناس أمثال قلوب، وبلات، والوصي على عرش العراق، والمونسنير أبويّ، وسمتس (الذي دائماً يخاطبني بـ«الجندي المغامر الشاب» مع أن هذا أبعد وصف نسبة لبدانتي وصلعتي وارتباطي بمكتبي)، وليام بوليت، والسير ريدر بولارد في طهران وخلافهم. آخر ثناء وصل إلينا ـ للحكومة وليس لي ـ كان من كلايتون أو برترام توماس، والذي كتب في مذكرة رسمية إلى وزارة الخارجية ووزارة الحربية عن مكتب الشرق الأوسط الجديد للتدريب السياسي للموظفين، كتب يقول: «النوع الذي نرغب فيه هو مثل الإدارة السودانية».

ذلك المديح سيسكر السكرتير الإداري لولا ظروف الحرب. الحروب تولّد مرض الأعصاب والتوتر والانتقاد، ولكن من حسن حظي أن كل ذلك المديح يقابله تذمر الموظف البريطاني عن كل شيء ـ الحرمان من العطل، غلاء المعيشة، نقصان الموظفين، عدم الاهتمام من جانب الحكومة المركزية، التزلف للسودانيين وهلم جرا ـ ومن الصحف العامية والتي مثل (يعني صحيفة إنجليزية يومية وقد تكون «الديلي تلغراف» ولكنه لم يذكرها بالاسم ـ المترجم) تعيش على النقد الهدام والمبني على عدم معرفة. لا يحتاج سكرتير إداري في زمن الحرب من خادم يركب معه في عربة النصر ليذكّره بأنه إنسان فانٍ. إن بريده والصحافة والزوار يذكرون أن الحكومة المركزية عقيمة وجبانة، ومتذبذبة، وظالمة، ومعوقة، ورجعية، وضد السودانيين لحد بعيد، ومع السودانيين لحد بعيد، ومحافظة أكثر مما يجب، ويسارية أكثر مما يجب. كل ذلك يمكن أن يربك الإنسان لولا وجود بيرة لتبعثر الشكوك والآلام. ولكن الميلوتي (نوع من البيرة الأرترية ـ المترجم) تصل الآن من أسمرا غالية الثمن (١٦ قرشاً للمدنيين و٨ قروش للجنود) ولكنها تبعث السلوى.

مشكلة الضابط الوطني أبدية وليس هناك حل أمثل لها نسبة لأخطاء الماضي، وقد فات الوقت لمعالجتها حيث لن تكون هناك قوة دفاع سودان بعد عشر سنوات،

أو بالكثير قوة صغيرة قوامها ٢٠٠٠ جندي و٣٠ ـ ٤٠ ضابط صف مقارنة بـ ٤٠٠ الآن. ولكن المعالجة للوضع الراهن مهمة من ناحية سياسية. أطلعت الحاكم العام على خطابك، وتحادثت مع القائد العام. لا أدري ماذا سيكون قرارهم؟ أنا لست بمستشار عسكري للحاكم العام وليس لديّ وضع رسمي مع قوة دفاع السودان نسبة لقوانيننا البالية التي تمنع مناقشة الأمور العسكرية في مجلس الحاكم العام (ولو أننا سنعدل تلك القوانين في اجتماع المجلس هذا الأسبوع).

لا أدري ماذا قال قادة الميادين، ولا أدري إذا اتخذ قرار بخصوص دخول ضباط الصف إلى الأندية أو واكناتيت وخلافها. ليس لديّ اطلاع على مستندات أو حق في أن أُعلم، كما ليس للقائد العام الحق في التدخل في تعيين المآمير. الحاكم العام هو وزير حربيته، ولكني رأيت أن كل الأمور العسكرية تعرض له. خطاباتك مفيدة جداً لي لأنها تطلعني على المشاكل واتجاه السياسات وخلافه، ويمكنني تحذير الحاكم العام في حالة عرض شيء غير مرغوب فيه، ولكني لا أستطيع التدخل رسمياً في شئون القائد أو في شئون قوة دفاع السودان، ولو أني أسأله أن يفيدني عن الروح المعنوية لضباط الصف، والالتزامات الخارجية وخلافه. في الواقع رامزدن، القائد العام، لصيق بي.

كان لا بد للانضباط في الحامية أن يتراخى خلال السنة الماضية، ونحن في حاجة ملحة لقرار ـ وقد طالبنا به ـ إذا ما كانوا سيستخدمون في دول البلقان أو بورما أم لا. إذاً لا يجب تخفيض القوة بشدة.

سيعقد المجلس الاستشاري جلسته يوم ١٥ مايو. ثلثا المؤتمر والسيد علي سيقاطعونه لأنهم يعتقدون أنه غير كفؤ، والسيد علي يعتقد أنه زائد عن الحاجة ويسيطر عليه السيد عبد الرحمن، عبدالله خليل عضو فيه. أفضل عشرين عضواً في المؤتمر صوتوا ضد قرار المقاطعة، ولكن الصبيان فازوا.

سوف أطلب من مجلس الحاكم العام يوم الخميس القادم أن يصادق على سياسة مكثفة أكثر عن التعليم وتطوّر الاقتصاد في الجنوب.

مجالس مديريات كردفان، والنيل الأزرق والشمالية تم إنشاؤها واجتماعاتها الأولى كانت ناجحة. مجالس كسلا ودارفور في طريقها للإنشاء. كل الأعضاء الثمانية عشر في المجلس الاستشاري ممتازون.

يجري إنشاء مدرسة ثانوية ثانية بالقرب من مدني.

كلية غردون الجديدة للدراسات العليا ستفتتح في الخريف بدستور مستقل ومجلس إدارة إنجليزي ـ سوداني. العطلات التي تؤخذ في إنجلترا لعنة، ولو أنها تنعش من يأخذها، وتستنزف الكادر بدون سبب حيث الموظفون يتغيبون نحو ٤ أشهر ونصف الشهر إلى ٥ شهور عن أعمالهم. أنا الوحيد الذي يعتبر أن عطلتنا مبالغ فيها، ولكني أعزب وكل مَن هو أعزب هو ضحية ترتيبات الموظفين.

أود أن أحضر لطرابلس ولكن بما أن نصف موظفي مكتبي متغيبون في عطلاتهم بإنجلترا، أشك إذا كنت سأتمكن، وبالتأكيد لن أتمكن، من أخذ عطلة مع كل ما يجري من إصلاحات.

❒❒❒

إلى يوان كامبل الخرطوم ٨ أبريل ١٩٤٤

أشكرك على خطابيك بتاريخ ٢٩ مارس و٥ أبريل.

للأسف لن أتمكن من الحضور لجبال النوبة. حقيقة أجندتي مزدحمة لغاية ١٠ مايو، وإذا تمكنت من السفر فأنوي السفر للجنوب، أو أترك جيمس روبرتسون يذهب لأنه لم يزر الجنوب سابقاً، ولا هو ولا أنا سنتمكن من أخذ عطلة.

أعتقد من الضروري جداً أن تجتمع مع السكرتير القضائي قبل أن تأخذ عطلتك. يبدو لي أن العلاقة بين كردفان والمصلحة القضائية، لسبب من الأسباب، قد تدهورت لدرجة مضرة بالطرفين (ليس من المريح أو من المساعد أن نعرف أو نصدق أن أحد الأطراف محق والطرف الآخر مخطئ) لا بد من معالجتها. لن تعالج بالخطابات،

ولكن قد تعالج باللقاء الشخصي. تدريبك في أكسفورد جعلك تقدّر مبادئ القانون والعدل، وخدمته هو في الجهاز السياسي، وكراهيته للقوننة، أو للتدقيق المبالغ فيه، أو للقضاة الذين لا يتحدثون اللغة العربية يجعله متفهماً لحاجتك، ويعني بالضرورة أن بإمكانكما أن تلتقيا وتناقشا الخلافات القائمة دون سوء فهم. هل يمكن ترتيب ذلك؟ أتمنى أن أقنعه للذهاب لكردفان، أو إذا لم يتمكن من ذلك، أتمنى أن تحضر أنت للخرطوم وتقضي معه بعض الوقت هنا، هل يمكن عمل ذلك؟ أنتما الاثنان تشتركان في أشياء عديدة:

حب السودان، والمبادىء النبيلة، وثقافة جامعة أكسفورد، وكراهية العيب - الشيء الذي بالتأكيد سيمكنكما من تذويب بعض الجليد والذي يبدو أنه يتجمع الآن.

أمس أثناء مباراة لكرة القدم في استاد أمدرمان (٩,٠٠٠ مشاهد)، أحد موظفي شركة أقطان السودان قال «ما أروع هؤلاء السودانيين - إنهم في غاية اللطف والنظام». هذا النظام (رغم جرائم القتل وارتفاع حوادث الإجرام أثناء الحرب) شيء ملحوظ مقارنة بمصر، والعراق، وكينيا وخلافها. القانون والنظام لا انفصام بينهما، تقريباً كلمة واحدة. إنهما نتاج الخدمة المدنية والمصلحة القضائية.

يبدو لي أن أحد أهم الأسباب لمشاكل المصلحة القضائية هو عدم وجود قاضي محكمة عليا محترم في كردفان لنناقش معه كل تلك الأمور، وعدم وجوده ليس خطأً من السكرتير القضائي وأنا خطئي في أني لم أتمكن من أن أوفر له أحداً. إنها كلها حلقة مفرغة.

لا يخطر ببالك أنني أدافع عن القضاء في أي من تلك المواضيع. أنا لا أعلم كل البينات ولم أكن جزءاً منها: كل ما أرغب فيه أن أرى انسجاماً عاماً وبعض التوافق على كل المواضيع، وسأعمل كل ما في وسعي لتحقيق ذلك، ولكني متأكد أنه سيكون من المفيد أن تتفقا وتناقشا كل نقاط الخلاف.

إلى الرائد ج. و. ج. وايلد، *O. B. E., D. C. O* الخرطوم ١٨ أبريل ١٩٤٤

M.C. مفتش مركز يامبيو - الإستوائية

يبدو أنني «سأبعث عبر الأثير لعوالم أخرى». لقد عرضوا عليّ وظيفتين: حاكم عسكري لأرتريا، بالإضافة إلى مفتش عام لإدارة أراضي العدو المحتلة (طرابلس وطبرق وأرتريا وخلافها) برتبة جنرال. لكني لم أرغب أن أكون جنرالاً زائفاً، كما وأني أكره القاهرة ولا أرغب أن أترك السودان، والذي أدين له بالكثير، في الوقت الذي يحتاج فيه للرجال.

آمل أن تكون المزارع تنمو بشكل جيد وأنها لم تتأثر بالجفاف. لقد سررت بقراءة تطور مجالس القرى بالنسبة للتعليم وخلافه في أغسطس الماضي. أرجو أن تجعلهم «يتوالدون ذاتياً» (كيف تترجم ذلك بلغة الزاندي؟) كل الأنظار مصوّبة نحو الجنوب الآن، وخصوصاً على حزام ياي - مريدي - يامبيو، التعليم والزراعة.

ستكون في دائرة الضوء وستتحصل على التمويل لكل المشا ريع التي ترغب فيها.

أرجو أن تنجح زراعة أشجار الساج بمساحتها الثلاثين فداناً. إنها تحتاج لكمية من الماء. لقد فشلت في جبال النوبة، نسبة للتبخر الناتج من حرارة الشمس، أوافقك على ضم المتنزهات العامة إلى الغابات.

أرغب في إعادة مديرية بحر الغزال لوضعها السابق قبل مغادرتي وسأبدأ في تحقيق ذلك، ولكنها تحتاج لاثنين من الموظفين ولا أعتقد ستتمكن من عمل ذلك قبل آخر ١٩٤٥ أو أوائل ١٩٤٦، وليس فقط الرجال وإنما أيضاً المباني، وهذا بعد موافقة الحكومة على المشروع.

المسيو أبويّ زارنا لمدة ٤ أو ٥ أيام في طريقه الى سوريا لقضاء عطلة، رجل ساحر، أسود مثل قبعتك، وزوجته أيضاً لطيفة جداً وتتحدث بعض الإنجليزية، كذلك ابنتهما وكلبهما. أسرة لطيفة وذكية ووديعة.

إلى فرانك كوتريل الخرطوم ٢٥ أبريل ١٩٤٤

مفتش مركز واو - الإستوائية

أشكرك على خطابك بتاريخ ٩ أبريل. ليس لديّ الوقت لكتابة خطاب مطول. أخبارك كا نت مسلية ومرحب بها، وانطباعاتك الأولية أيضاً مهمة. لن أعلق عليها إلى أن تستقر أطول هناك وتدرسها أما أن تؤكدها أو تلغي بعضها.

جوبا ميتة كما تبدو وكذلك واو وخلافهما، لعل ذلك بسبب الطقس، ومشاكل الحرب، ونقص الموظفين. ولكني أعتقد أن الحيوية ستعود مع حلول السلام، وبرجوع الموظفين من عطلاتهم وقد جددوا نشاطهم بعد رؤية أسرهم مرة أخرى. لقد غبت أنت فترة طويلة في بيئة متحضرة بعض الشيء وطقس أفضل، أملي أن يساعدك ذلك في تحفيز الآخرين وتنشيط الأعمال.

لا بد لنا من الاستفادة من الإرساليات الإيطالية ما داموا هنا وهذه هي السياسة المقرة. بعض المفتشين حاربوا معهم بطريقة غير مشروعة. لقد حزمنا أمرنا، كما تشهد ملفات الحكومة المركزية، ولكننا غير متأكدين إلى متى ستحتفظ بهذه الإرسالية هناك. القرار بإرسالهم خارج البلاد يعتمد على عوامل ليست تحت سيطرة حكومة السودان. لقد حاولنا أن نجد بديلاً أمريكياً أو إنجليزياً. لا بد لنا من الاحتفاظ بالإرساليات لأن الحكومة غير قادرة على تدبير تعليم في الغابة أو في تنصير الناس، وبدون إيمان بدين ما مرتبط بالأخلاق لن يتحضروا حيث الوثنية لا تكفي.

لقد ذكرت أعلاه أنني لن أعلق، ولكن ها أنذا أفعل! استمر في التفكير والكتابة وحضّر بعض الأفكار، ولكن لا تقلق كثيراً بالنسبة للمدى البعيد لمستقبل الجنوب لأن ذلك من المجهولات، المهم هو أن نحاول التقدم حالياً بقدر الإمكان هناك . حافظ على صحتك.

مجالس المديريات - كردفان والنيل الأزرق والشمالية اجتماعاتهم تمت بسلام خصوصاً الأول والثالث. المجلس الاستشاري سينعقد يوم ١٥ مايو. لقد كانت هناك

عقبات كثيرة والأمور في غاية الصعوبة نسبة لصعوبة ترجمة التعابير الفنية في الأجندة، واختلاف مشارب الأعضاء، ومقاطعة ثلثي المؤتمر، ولكننا نتقدم رغم الصعاب. آمل أن أذهب لجوبا حوالى ٢٨ أو ٣٠ مايو، ثم إلى يوغندا لمدة أسبوعين في مأمورية أو عطلة، أخشى أن لا أتمكن من زيارة واو، ولكني قد أسافر لها جواً مستقبلاً. الحر فظيع هنا. المواجهة الثانية أصبحت وشيكة. زيارة أعضاء لجنة أسكويث كانت مفيدة بالنسبة للتعليم العالي.

❐❐❐

إلى س. و. م. كوكس الخرطوم ٢٦ أبريل ١٩٤٤

(عند زيارته للخرطوم في طريق عودته من جولته الأفريقية من قبل وزارة المستعمرات)

كان المفروض أن أكتب لك قبل مدة، ولكني كنت أنتظر وصول لجنة اسكويث وسفرها. وكذلك فقد تركتني منهمكاً، مثل برتقالة معصورة مرمية على الشاطئ، ومنكمشاً، ومترهلاً، وخلافه. وبقدر ما تحسنت أحوالي إذا بالطقس يتحول إلى فرن. والآن أنا في غاية التعب.

أشكرك جداً على التحفة الرائعة (التقرير عن التعليم في السودان) الذي أرسلته لي من مالطا، وما كان متوقعاً ولكنه مقدر جداً. لا بد أنك أجهدت نفسك في نسخه كاملاً بنفسك عن مسوّدة أولية. إنه لطف منك أن تعذب نفسك هكذا، ولكن النتيجة كانت مدهشة، أقصى درجة للروعة. لقد صورتها بالرونيو ووزعتها على مجلس المديرين وبعض كبار التربويين. لم نوزعها لآخرين لأنها كانت تقريراً منك للحكومة، وكلنا فرحنا أن يطلع عليها أكبر عدد من المسؤولين.

أعتقد صورنا منها ٣٥ نسخة، قرأناها جميعنا بشره واستمتاع، وكنا نقلّب الصفحات بحماس كأننا نقرأ رواية لأقاثا كريستي. الحاكم العام قرأها وتحادث مع روزيفير

بشأنها ولكنني لم أكن معهما، ولم يسجل أحدهما أي تعليق، ولكن طبعاً ما كان متوقعاً أن نعلق، سيكون ذلك من باب تدنيس المقدسات، كأن نقول إن أورسا ميجور، غير متناسقة الشكل (أورسا ميجور هي مجموعة نجوم الدب الكبير - المترجم)، أو أن نقول إننا نوافق على كتاب النبي عيسى.

على أي حال لقد كانت خدمة عظيمة وستظل لفترة من الزمن يا كريستوفر. أشكرك جزيلاً على ذلك. إن المجهود الذي بذلته مهما كانت قيمته يوازي الفائدة العائدة منه.

لقد أعجبت بموات - جونز وقد كانت زيارته مفيدة جداً مع عضوي اللجنة. ذهب مع جيمسون إلى عطبرة وأيضاً إلى مدرسة الصنائع في أمدرمان وناظرها هيلير، وتحادث مع أعضاء اللجنة الاستشارية للمدارس العليا. دوف وشانون أيضاً أمضيا ساعة مع اللجنة الاستشارية للمدارس العليا، وقد كانت مقابلة مفيدة. دوف رجل ساحر وقد أعجبت به جداً. وقد تحدث في نادي العشاء وألقى كلمة جميلة عن «ما هي مكونات الجامعة؟»، وقد حضر الأمسية نحو اثني عشر من السودانيين. شانون كان ودوداً وفعلاً متمكناً.

لقد كان برنامجهم حافلاً زاروا خلاله كل المدارس العليا ما عدا مدرسة القانون، كما زاروا عدداً من السودانيين وكلية غردون الثانوية. وقد تناول دوف الشاي مع عبد الكريم حسن وآخرين. وألقى شانون كلمة أمام كل السودانيين من طلبة المدارس العليا، لم أكن حاضراً معهم ولكن علمت في ما بعد أنها كانت كلمة رائعة.

لقد تحادثت طويلاً مع شانون في مكتبي صباح اليوم الذي سافر فيه عن مساعدة الحكومة البريطانية للسودان ومواضيع أخرى أقل أهمية، واتفقنا أن نكتب التماساً نطلب فيه المساعدة، وآمل أن أتمكن من عمل ذلك الأسبوع القادم. سأضطر للسفر فجأة إلى القاهرة بعد غد لمؤتمر عن مناطق العدو السابقة، مجرد عذاب لا جدوى من ورائه.

الطقس حار بشكل فظيع، أمس كانت درجة الحرارة ١١١ وأشياء كثيرة لا تسير

بشكل جيد، كما أن هناك تعثراً ومعوقات بالنسبة للمجلس الاستشاري، ولذلك أعصابي متوترة ولكني آمل أن أسافر إلى جوبا يوم ٢٠ مايو لأقضي أسبوعاً بين جوبا - لوكا - يامبيو، ثم أسبوعاً آخر بين جوبا - توريت - ناقيشوت ثم أسبوعاً مع تيرنر في ماكرري إذا استضافني، ثم أسبوعين أو ثلاثة عطلة في كابال حيث علمت أن بها فندق الحصان الأبيض، وهو مريح بالإضافة لتوافر البيرة.

خطابك بتاريخ ٢٦ مارس من يالمبتون وصل وأشكرك عليه، لم أسمع من قبل بيالمبتون هل هناك نهر اسمه يالم؟ إذا كانت الإجابة نعم فهو اسم لطيف وسيسعد به الشعراء لزوم القافية.

هل قرأت مقالة ميلتون عن قصف ألمانيا بالقنابل؟ ستجدها في ديوان أكسفورد للشعر الإنجليزي، رقم ٣٢٣ - آخر ثمانية أبيات معبرة جداً.

هل أخبرتك أنا أو ند مايال أن المجلس أقرّ، بعد سفرك، سياسة تسريع وتكثيف التنمية الاقتصادية والتعليم في الجنوب؟ وقد حضّ المجلس الأعضاء على قراءة الفقرات ٥٧ - ٧٧ من تقريرك. وقد أجيز القرار بالإجماع، ونأمل أن تكون هذه بداية مرحلة جديدة لجنوب السودان، ولو أن التقدم سيكون بطيئاً. وفي الوقت الحاضر لن يتمكن من إنجاز الكثير نسبة لنقص الموظفين في الجهاز الحكومي وفي الإرساليات. جيمس روبرتسون الآن يقوم بزيارة لمدة ثلاثة أسابيع لجوبا ويامبيو وواو. الحاكم العام سيزور الجنوب في يونيو، والقائد في مايو، توتهيل موجود هناك الآن. في الواقع نحن نقوم بفتح جبهة ثانية هناك، ويوجد ما يستدعي تقسيم المديرية الإستوائية إلى مديريتين (مونقلا ويامبيو، وبحر الغزال إضافة إلى يرول) مرة أخرى، ولو أننا لن نتمكن من عمل ذلك مع نقص الموظفين لمدة ثمانية عشر شهراً على الأقل. أنا منفتح العقل بالنسبة لتعيين نائب حاكم عام للجنوب. الحجج المؤيدة لذلك غير مدروسة وتنحصر في خلق جهازين إداريين، والعلاقات مع المصالح، ونقل الموظفين (لا يمكن خلق خدمة مدنية دائمة من البريطانيين في الجنوب)، تخفيض اهتمام الحكومة المركزية بالجنوب من أقل من ٣ إلى أعلى من صفر، ومعارضة مصر الشديدة، والشكوك والعراقيل السياسية من

أمدرمان، وشكوك بعض متعلمي الجنوب من الموظفين (وقد تقدموا قريباً بمطالب). أنا لا أقول إن الاعتراضات أهم من الإيجابيات، ولكن يجب أن نطرحها بوضوح وعلناً ولم يطالب أي أحد من الجنوب بنائب للحاكم العام أو تقدّم بطلب لذلك، أو درس الفوائد أو الأضرار. إن تعيين نائب للحاكم العام وموظفيه سيكلف الدولة حوالى ٣٠,٠٠٠ جنيه إسترليني (مكاتب ومنازل) بالإضافة لـ١٠,٠٠٠ جنيه في العام، ليس ذلك بالمبلغ الضخم ولكنه سيكون حتماً من التعليم في الغابة وأشياء أخرى. وما زلت أنتظر إجابة عما إذا كان النظام في شمال نيجريا والمناطق الشمالية لساحل الذهب قد أثبت نجاحه. نظام نيجريا يبدو أنه ثقيل وبطيء، كل ذلك يحتاج لدراسة. ليس لديّ الوقت لذلك ولا يبدو أن غيري عنده الرغبة لعمل ذلك. على أي حال من الصعب تحقيقه قبل فترة طويلة بسبب قلة الموظفين.

نعم لقد قرأت «البراهين للإمبراطورية» لهانكوك وقد أعجبتني. لقد أعجبت النقاد ما عدا فابيانز أو سيلفيا، لقد نسيت أيهما. في رأيي كانت ممتازة.

نقلت تلميحك بضرورة ابتعاث السودانيين للجامعات البريطانية إلى روزيفير، وقد لاحظت أن غرب أو شرق أفريقيا ابتعثت أحد عشر شخصاً.

لا بد أنك استمتعت برحلتك، وقد كنت محظوظاً أن تزور طرابلس وتونس والجزائر. كنت أعتقد أن سيرا نيفادا موجودة في بيرو أو شيلي. كرسي الفرندة أصلحناه بعد مجهود خارق حتى وجدنا نجاراً. سأتذكر الأسبوع القادم أن أرسل خطاب شكر لوزارة المستعمرات بخصوص زيارتك لنا، لم تكن هناك أي انتقادات بالنسبة لتقريرك ولكني لم ألاحظ أي رد فعل جنوبي.

بالنسبة لطلبنا الذي سنقدمه للحكومة البريطانية بمبلغ مليون جنيه كمساعدة، ربما ذكرنا اسمك كشاهد على: (١) الحاجة للتعليم العالي، و(٢) حرص حكومة السودان على التعليم وعدم تبديد المبالغ في مبانٍ أو صرفها على «مرّيسة».

أنا في غاية التعب وكلامي أصبح غير مترابط، ودرجة الحرارة بلغت ١١٦ أمس.

اليوم أقل حرارة، ولكني لا أدري إذا كنت سأتمكن من احتمال الشهر القادم وكيف سنحافظ على أداء مكتب السكرتير الإداري بتخفيض متواصل للموظفين. أعتقد أنني أخطأت في عدم التقاعد خلال أغسطس أو سبتمبر الماضيين، ولكني أكره البرد وأفضل أن أصل في الربيع. على أي حال ستة شهور ليست مشكلة، ولذلك توقعني في مايو القادم. سأعمل أي شيء ما دام ذلك لا يتطلب: (١) اتخاذ أي قرارات، (٢) التزامات اجتماعية (أقصد الحفلات والشراب واللبس وخلافه)، و(٣) مقابلة الموظفين الغاضبين، و(٤) السكن في لندن أو أي مدينة أخرى ما عدا أكسفورد.

إلى سكرتير اللجنة الاستشارية للمدارس العليا الخرطوم ٦ مايو ١٩٤٤

لقد أعجبت كثيراً بإصرار بروفسير دوف القوي في اجتماع اللجنة الاستشارية للمدارس العليا، وفي محاضرته في نادي العشاء، وفي حفلة الشاي في منزلي على الأهمية القصوى لمنع الكليات المختلفة من التقوقع، وعلى أهمية دمج الدراسات العلمية مع علوم الإنسانيات، وعلى الاحتفاظ بالجوانب الاجتماعية من العلوم والقانون والإدارة والهندسة وخلافها دائماً أمام أعين الطلبة. وقد اعترف البروفسير دوف في اجتماعنا بفشل الجامعات بهذه الأيام التي تطالب بالتخصص، من تقديم الجوانب الإنسانية في أي جانب من المعرفة، ورجانا أن لا نتوقف عن محاولة عمل ذلك إما بمحاضرات تبرز الجانبين، أو بمحاضرات عامة، أو باهتمام أكثر بعلوم الاجتماع في كورسات مخصصة. أعتقد يجب أن يدوّن هذا الكلام في الوقائع (وآمل أن يطبق)، حيث كل الشهادات والدبلومات في العالم لن تجدي نفعاً إلا إذا كانت المعرفة التي بسببها حصل على تلك الشهادات والدبلومات ترجمت لأعمال تفيد المجتمع. وهناك الآن بعض المتعلمين السودانيين (وبعض البريطانيين) الذين ينظرون إلى التميز الأكاديمي من زاوية ضيقة جداً. وبدون التناول الإنساني للمقررات والبحوث فإن كلية غردون الجديدة ستصبح لعنة وليست نعمة للسودان. أنا دائماً أطنّ بذلك في آذان الطلبة الجدد

في مدرسة الإدارة، ولا أدري إن كان ذلك يحدث في المدارس الأخرى. هذه النقطة تظهر جلياً في تقرير لجنة الرابطة البريطانية عن التعليم الجامعي بعد الحرب. وقد جاء في ذكر صلاحيات اللجنة أن تنظر «في إعادة تخطيط الشُعب الدراسية والمقررات بما يجاري الأفكار الحديثة من ربط كل أفرع المعرفة وخصوصاً العلوم والإنسانيات».

إلى يوان كامبل الخرطوم ١٣ مايو ١٩٤٤

قبل افتتاح المجلس الاستشاري واجهتنا مشاكل وعقبات وشكوك لن أزعجك بها. وبما أن الحاكم العام متغيب عن الخرطوم (وجميع موظفيه) فقد كنت أتولى كل المهام، ومن بينها استقبال الزوار (هاو وبرترام توماس وسير كولن جاردين وليدي مور وخلافهم وخلافهم)، وبغياب جيمس روبرتسون في الإستوائية، وبل هندرسون في دنقلا، وبابس واليس في إنجلترا، وتاق ولسون في كينيا، وفيدلر في أركويت، نزل عليّ خبر وفاة جاك موريسون مثل الصاعقة. لقد كنت أعزّ جاك إعزازاً شديداً وقد تمكن من عمل المستحيل بعد وفاة هكتور، لقد كان بصحة جيدة ومبتهجاً عندما كان يتحادث معي في مكتبي ظهر يوم الجمعة، وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح السبت كنت أساعد في حمل نعشه مع ستة آخرين من أعضاء الحكومة. لم يكن في مقدوري تحمّل الصدمة لولا كثرة الأشغال. لقد كانت صدمة فظيعة. القدر لم يكن رحيماً مع حكومة السودان ـ لقد توفي أو قتل اثنا عشر من أعضائها خلال هذه الحرب، تقريباً ١٠٪ من قوامها.

كان جاك متعباً في الفترة الأخيرة، وأنا قلق بالنسبة للموظفين. الكل، وخصوصاً الحاكم العام، يقولون إن أخذ الموظفين لعطلاتهم في إنجلترا مهم للغاية، لأن ذلك يمنع الانهيار، ويسري عن الرجال، ويحافظ على الحياة الأسرية. كل هذا حقيقة لا مراء فيها، وعندي ما يؤكد ذلك، ولكننا بمنح العطلات للبعض نلقي على عاتق الآخرين عبئاً فوق طاقتهم. متشل آينس، مثلاً، سيغيب لمدة ستة أشهر عن أويل. ستابس في غاية الإرهاق بعد قضاء ثمانية عشر عاماً وسط الدينكا، يرغب في التقاعد، وقد أثنيته مرتين عن ذلك بمناشدته أن

يظهر ولاءه، الشيء الذي أكره أن أعمله. ومع ذلك فإن تشرشل يعلمنا أن نتوقع المزيد من الدماء والمعاناة والعرق والدموع، وهذا الاحتمال لا بد أن يكون الجبهة الثالثة للحرب.

جيوفري هاوكسورث كان على وشك أخذ القطار في عطلة محلية، استبدل عطلته ليساعدني في العمل، وقد اضطررت أن أستدعي جورج ولسون من عطلته. لقد كان عرضاً نبيلاً من جيوفري.

لا بد أن أتوقف... وأرجع للمكتب لأشحذ ذهني المنهك لأكتب التماساً للحكومة البريطانية أطالبها فيه بمنحنا مليون جنيه استرليني كمساعدة لكلية غردون للدراسات العليا الجديدة، وكمكافأة لمجهود السودان الحربي.

❒❒❒

إلى ج. أ. ريد الخرطوم ١٣ مايو ١٩٤٤

ضابط الاتصال، بنغازي

سيجتمع المجلس الاستشاري بعد ثلاثة أيام، الله يعلم كيف ستسير الأمور. سيُطلع الأعضاء في المجلس وفي اللجان على كل شيء بالنسبة للتعليم والزراعة، والتجارة وخلافه، الشيء الذي سيعطيهم خبرة في عمل المصالح ويجعلهم مسؤولين. أعتقد أن سودنة مجلس الحاكم العام التنفيذي، وسودنة المصالح هي الطريقة المثلى لدمج السودانيين في الجهاز الحكومي. قليل من الدساتير المتجذرة يبدو أنها عملية. سيلان قد عدلت وبدلت في دستورها حتى مسخته. ولكن لا بد لأحد أن يستنبط شيئاً. لن يتمكن السودانيون من عمل ذلك. لا نفهم اللهم إلا إذا أخذوا أسهل الحلول ونصبوا سلطاناً. لسنا نحن الذين نرغب في فرض أجهزة برلمانية. إنهم المثقفون الذين تعلموا أن يفكروا أنهم الدواء الناجع لكل الأمراض. ولكن لن يتم أي من ذلك خلال فترتي.

أنا لا أوافق أن المحاكم العربية لا يحق لها فرض عقوبات سجن. بالطبع السجن

ليس عقوبة تقليدية للعرب (علماً بأن الحبس كان مطبقاً من قبل الصفاة الشرقيين لقرون خلت)، ولكن الصحة العامة، والتعليم الثانوي، وصيانة التربة، والتلفونات وخلافه وخلافه لم تكن من عادات العرب أو مؤسساتهم. هل ترغب أن تستمر المحاكم الشرعية بفرض عقوبة قطع الأطراف وقطع الرؤوس، والرجم؟ لا يمكننا الاحتفاظ بالعرب في أقفاص من زجاج، كما لا يمكننا أن ننشر القضاة البريطانيين في كل مكان، كما وأن الغرامات ليست برادع كافٍ.

المحاكم الأهلية يجري ضمها للمحاكم المدنية الحكومية رويداً رويداً حتى يقوم قضاة المحاكم العليا في الأقاليم بممارسة حق الاستئناف نيابة عن الحاكم العام، ولكن ذلك لم يكن مرغوباً فيه إلى أن: (١) تتعرّف القضائية على العرب، و(٢) وتتعلم اللغة العربية، ونحن نطبق ذلك بتعيين قضاة محكمة عليا من موظفي الحكومة البريطانيين. وهناك أيضاً موضوع سرعة العدالة. في إمكان مفتش المركز أن يبت في أمر استئناف في بضعة أيام، بينما يحتاج قاضي المحكمة العليا الذي قد يكون في مكان يبعد مئات الأميال لشهور. تذكر الفقرة المشهورة في الماقناكارتا (وثيقة الحقوق البريطانية التي أكره النبلاء الإنجليز الملك جون على إمرارها عام ١٢١٥م ـ المترجم) التي تقول: «لن نبيع، أو نحرم، أو نؤجل العدالة».

بالنسبة للحكم المحلي أنت محق، ولكنك تنفخ في قربة مثقوبة، وتتحدث عن ما مضى. همنا الآن أن لا يتفوق التجار والأفندية في الحكومات المحلية على حقوق زعماء القبائل. أرجو أن تحضر لترى بنفسك التغيير الذي طرأ في السنوات القليلة الماضية في الحكم الأهلي في مجالس المديريات ومجالس المدن، ومجالس الأرياف المتنورة. لا بد أنك تفكر في الأوضاع قبل عشر سنوات. الأمور تتطوّر.

برترام توماس حضر بالجو ليقابلني لمدة ليلتين وقد أعطيته ثمانية أسماء لضباط بريطانيين يعملون في قوة دفاع السودان (الذين يرغبون في الالتحاق بحكومة السودان) لمركزه العربي. إنها فكرة صائبة رغم أنها: (١) تأخرت ثلاث سنوات ـ لقد أوصينا بها من الخرطوم في أكتوبر ١٩٤٠، و(٢) صغيرة جداً ـ كان المفروض أن

يكون العدد ٤٠ وليس ٢٠، و(٣) المقررات يغلب عليها التاريخ وشئون البدو، ولو أننا تمكنا من تغيير ذلك (كلايتون وتوماس قدّما الاقتراح لعدد من النقاد وتقريباً وافقوا على معظم ما ذكرناه، أي، أن التعليم، والاقتصاد، والإدارة قد أغرقت في محاضرات عن الدولة الأموية والخلفاء وخلافه). لا أعتقد أن مثل ذلك التعليم سيصعب على أي شاب. يا ليتني أستطيع توفير آخر ستة من المتدربين الجدد ولكني أحتاج لهم ولأكثر منهم.

سأغادر يوم ٢٥ مايو للإستوائية لمدة ثلاثة أسابيع لأنشّط تعليم واقتصاد الجنوب، ثم لزيارة ماكرري في يوغندا وآخذ عطلة قصيرة بعيداً عن سياسة الشرق الأوسط والعرب، ولن أرجع إلاّ في آخر يوليو.

اجتمع المجلس الاستشاري لأول مرة يوم ١٥ مايو (انظر مقالة صحيفة «التايمز» عن الافتتاح في الجزء الثاني، الفصل الخامس).

كان نيوبولد في اللحظات الأخيرة تنتابه الهموم بما سيحدث، وقد كتب ذلك المساء إلى القس هاربر في كاتدرائية الخرطوم:

> «لقد سهى عن بالي أن أشكرك لصلواتك للمجلس الاستشاري مساء الأحد، ولقراءتك لصلاة كردفان. كنت في الشرفة الخارجية، وكنت متعباً ومحبطاً، ومتخوفاً من ما ستتمخض عنه تجربة مجلس جديد وغير متجانس يناقش مواضيع شائكة، وكنت أقلّب تلك الأمور في رأسي بشكل مزعج إلى أن سمعت كلماتك وأعطتني الثقة والانشراح. كل شيء تم على خير هذا الصباح، وسيتم على وجه أحسن غداً. أشكرك مرة أخرى».

يومياته كانت مقتضبة:

الاثنين ١٥ مايو: اليوم الأول. المجلس الاستشاري. الاجتماع تم بصورة حسنة رغم أن صيانة التربة لم تفهم وعدم جاهزيتنا نحن أدت لبعض الصعوبات في البداية. الجميع

«الأب سالم» زعيم من قبيلة البجا.

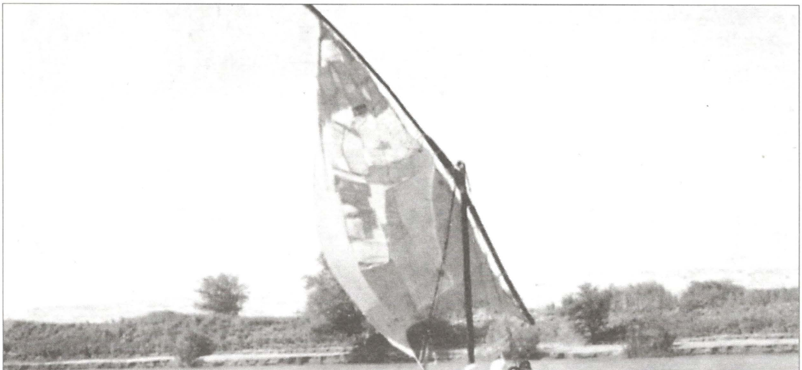

معدّية في دنقلا.

الحاكم العام، السير هيوبرت هولستون يفتتح
المجلس الاستشاري لشمال السودان، ١٩٤٤.

(من اليسار):

السيد علي الميرغني ـ السكرتير المالي، السير ي. ميلر، السكرتير الإداري، السير دوغلاس نيوبولد ـ الحاكم العام، السير هيوبرت هدلستون، السكرتير القضائي، السير توم كريد، السيد عبد الرحمن المهدي، ك. د. د. هندرسن خلف الحاكم العام ـ أدوار عطيه الواقف ببدلة بيضاء.

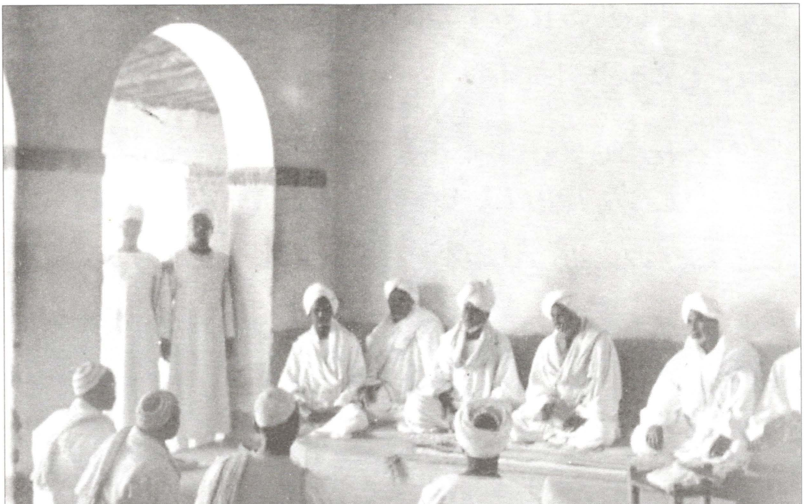

محكمة شيوخ في غرب السودان.

أكدوا على أهمية توفير المياه.

الثلاثاء ١٦ مايو: اليوم الثاني. كان الأداء أفضل. التنمية الاقتصادية. الصناعات الثانوية.

الأربعاء ١٧ مايو: التعليم، ٤ ساعات. ساعتان عن التعليم المشترك. من أفضل ما يكون.

وقد كتب بعد أسبوع إلى بول دانيال: افتتاح المجلس تم على خير، كما كنت تتنبأ، وقد كنت محقاً في أن تسخر من تخوفي. الأعضاء كانوا متحمسين، وعقلاء ومهذبين ومفعمين بالحيوية. وقد استمر الاجتماع لأربعة أيام.

مسطورات

MUSTORAT

الفصل الخامس عشر

أوغندا وماكرري
١٩٤٤

إلى جورج تيرنر　　　　　　　　　　　　الخرطوم ٢٣ مايو ١٩٤٤

عميد كلية ماكرري - يوغندا

كريستوفر كوكس وبول دانيال وعدد كبير من خريجي مارلبورو وتربويون وإداريون يخبروني أنني أضيع وقتي في السودان إذا لم أقم بزيارة ماكرري وأن أقابلك.

لم تسنح لي فرصة أخرى لزيارة الجنوب قبل الآن، وسوف أطير إلى جوبا يوم ٢٥ مايو وأتوقع أن أكون في كمبالا في فندق الأمبريال مع أحد مفتشي مراكزنا، جيوفري هاوكسورث، لمدة أسبوعين على الأقل في يونيو. لا أعرف بالتحديد الزمن الذي يتاح لي لأخذ عطلة. يعتمد ذلك على موقف الموظفين هنا، والأمور في مصر. ولكني أرغب في زيارة ماكرري وأن أتحادث معك، دون أن أثقل عليك، خصوصاً وأن الكلية ستكون مفتوحة آنذاك على ما أظن.

كانت زيارة كريستوفر منعشة، كالعادة. كان يتحدث أسرع من استماعنا، وكان يستمع أسرع من حديثنا، وكانت غرفته عبارة عن ملفات وخطابات وجوارب مثقوبة مبعثرة في طولها وعرضها. لقد كتب لنا تقريراً ممتازاً من مالطا. ثم حضر إلينا شانون ودوف وموات - جونز وكانوا خير معين لنا بالنسبة لتعليمنا العالي والفني.

نأمل أن نفتح كليتنا الجديدة رسمياً في سبتمبر أو أكتوبر.

إلى جيمس روبرتسون جوبا ٢٧ مايو ١٩٤٤

استغرقت رحلتي لملكال بالطائرة ساعتين وكانت رحلة مريحة، وهبطنا لمدة عشرين دقيقة للتزود بالوقود ثم واصلنا رحلتنا إلى جوبا التي استغرقت ساعة وثلاثة أرباع. لم أقابل بل ديفز، مدير أعالي النيل، لأنني ومكتبي سهى عن بالنا أن نخطره. كانت الرطوبة عالية جداً خلال اليومين الماضيين، ولكن اليوم أفضل. الطبيعة جميلة وخضراء على كل حال. كانت هناك أمطار غزيرة قبل مدة ولكن الآن يمرون بفترة جفاف.

أشعر بتحسن كبير وقد نمت ثماني ساعات ونصف في ليلتي الأولى وقليلاً عند الظهر. لم أعمل أي شيء في يوم وصولي مع أني وصلت الساعة الحادية عشرة صباحاً رفضت أن أذهب للمكتب كما فعلت أنت.

تحادثت مع سكيت (مدير الإستوائية) وبيلي وليامز (مدير التعليم) عن التعليم في الجنوب كجزء من إعمار الجنوب أمس، ومع سكيت وتوتهيل عن الجزء الخاص بالاقتصاد اليوم. لا نعتقد أن يركز توتهيل فقط في مشروع الزاندي كتنمية اقتصادية للجنوب. المهم أولاً أن يتم تأسيس هيئة تنمية الإستوائية (أسوة بهيئة مشروع القاش). توتهيل سيتقدم بمقترحات لهيئة الاقتصاد والتجارة عن طريق السكرتير الإداري عند عودته للخرطوم.

جهاز القيادة للوري بيلي وليامز أصابه عطب أثناء قيادة بيلي له في يامبيو وانقلب اللوري. لم يصب بيلي بأي كسور ولكن أحد مراسلات واي توفي. لقد كانت مجرد حادثة ولكنها سببت لبيلي صدمة عصبية.

أنا في تحسن مستمر ولكني غير مستعد لكتابة خطابات مطولة. أنا آسف كوني كنت مهتاجاً ومتردداً في الآونة الأخيرة. لقد كنت في غاية الإرهاق من كل تلك اللجان والملفات والمجلس الاستشاري.

أرجو أن لا تكون مشغولاً أكثر مما يجب وأن الهبوب لم تبدأ بعد. تنمية الجنوب

ستكلف مبالغ طائلة، ولكنها ستأخذ وقتاً طويلاً حتى تبدأ وستكون على مراحل وتعتمد أساساً على توافر الموظفين البريطانيين.

إذا ما استدعى الأمر لا تتردد في أن تطلب مني الرجوع، أي إذا كانت هناك أي أزمة أو مأساة، مثل وفاة جاك موريسون.

إلى س. أ. ج. واليس — توريت ٢ يونيو ١٩٤٤

مفتش مركز توريت

آسف لعدم لقائي معك، فقد وصلت بعد مغادرتك بأسبوع، ولكني كنت مرتبطاً بمواعيد، وكانت آخر فرصة لي لأزور مناطق الضفة الشرقية والتي لم أزرها من قبل. على أي حال أشكرك على من أنَبْتَ لضيافتي، حيث قضيت ثلاث ليال في غرفة ضيوفك، واحدة وأنا في طريقي لناقيشوط وليلتين عند عودتي منها، لأني قضيت يوماً في كتري.

توريت كانت في أجمل حالاتها، وريني (مساعد مفتش المركز) أخبرني كل ما يعلم عن المنطقة وقد أحضرت معي نسختك من التقرير السنوي لعام ١٩٤٣ والخرائط.

ناقيشوط وكتري جمالها لا يوصف. كنا محظوظين بالنسبة للطقس، بعض الأمطار ولكن غير غزيرة، والسحب والشمس فوق التلال. قضيت ثلاث ليال مع جيوفري كنج (مفتش مركز شرق الإستوائية) في ناقيشوط وما كنت راغباً في مغادرتها.

كنت في غاية الإرهاق عندما وصلنا بالطائرة إلى جوبا، بعد المكوث سنة كاملة صعبة خلف مكتبي وأنوي أن أقضي فترة نقاهة لمدة شهر في يوغندا، ولكني أشعر الآن بتحسن ملحوظ بسبب رؤية الجبال الخضراء والناس البسطاء في هذا الجزء من العالم. أول مرة أشاهد فيها أفراد من قبيلتي الديدنقا واللاتوكا.

غداً أرجع إلى جوبا وبعد غد أقوم بجولة لمدة أسبوع على مناطق الضفة الغربية

وللأسف لن أجدك في جوبا، ولذلك رأيت أن أكتب لك هذا الآن. كنت أرغب في التحدث معك عن المنطقة والتي تبدو لي مهمة ومثيرة. العمال، الطرق، المياه، والمجاعات المتكررة في مادي كلها تحتاج لحلول، خصوصاً المياه والمجاعات. أنت تعلم أن مجلس الحاكم العام قد صادق منذ فترة وجيزة على سياسة مكثفة للتعليم والتنمية الاقتصادية في الجنوب، وزيارة المدير العام، وتوتهيل، وبيلي وليامز وشخصي هي بمثابة فتح جبهة ثانية. أعتقد هناك إجماع عام على المسائل التعليمية والاحتياجات، ولكن لا بد لنا من استنباط خطة اقتصادية شاملة، أي برنامج زراعي خلاف المشروع التجريبي في يامبيو. يبدو لي أن أي مشروع تعليمي أو اقتصادي لن يجدي بدون أساس معيشي، أي أنواع ووفرة من الغذاء، الشيء الذي لم نحققه في كثير من المناطق.

النقص في موظفي الإدارة والزراعة البريطانيين هو العقبة الكأداء، ولن نتمكن من تغطية أي من الفجوتين ما دامت الحرب مستمرة، ولكني آمل أن نعالج جيوب المجاعات باكراً، قبل أن نبدأ في مصانع الصابون والغزل والنسيج وخلافها.

يتوقع للجنوب الآن، أن يقف على رجليه، ولكني أخشى أن تجعل مشاريع توتهيل (مع أنها مثالية) من الضفة الشرقية منطقة درجة ثانية، وهذا سيكون أسوأ لمنطقة توريت من المنطقة الشرقية التي تعتمد أكثر على رعي الأبقار. ولكني سأكتب إلى جيمس روبرتسون وجوك ميلر (السكرتير المالي الجديد) أن لا تهمل المناطق الشرقية وتوفير المياه، وزراعة الحبوب في إطار المشاريع التي ستقدم إلى هيئة الاقتصاد والتجارة إذا ما عرضت تلك المشاريع قبل رجوعي نهاية يوليو.

أتمنى لك ولمولي حظاً سعيداً، متمنياً لدواجن مولي النفيسة الازدهار وقد أعجبت بها، كذلك أعجبت بحديقة منزلكم، إلاّ أن الشمس لا تدخلها أحياناً، وقد لاحظت أنكم تقضون أغلب وقتكم على الفرندة.

أنا سعيد برؤيتي لتوريت أخيراً وهي في أحسن حالاتها، وكذلك ناقيشوط حيث وجدت جيوفري كنج بخير ومنشرح وقد قضينا الوقت نتجاذب أطراف الحديث في حديقته إلى أن غابت الشمس خلف التلال، ثم دخلنا المنزل وأرخينا الأستار وجلسنا

حول مدفأة وقودها الخشب. إنه تباين عجيب الجبال الخضراء، والهدوء العظيم، صدح طائر في الغابة أحياناً، الندى على الأغصان، ومناظر دونقوتونا والإماتونق بعد حرارة وغبار وسياسة ولجان الخرطوم، ولو أنها كانت سنة مثيرة جداً، ومنهكة، بتخطيط لما بعد الحرب، وبنجاح لا بأس به في اتجاهات مختلفة، رغم ملهيات الحرب وقلة الموظفين والكلفة الباهظة لعطل الموظفين في إنجلترا، رغم أنها لا تقدر بثمن.

إلى جيمس روبرتسون جوبا ١٥ يونيو ١٩٤٤

يبدو أني تركت الخرطوم في الوقت المناسب. جيوفري يقول إن الطقس كان رديئاً للغاية والهبوب ليل نهار. كنت أتوقع ذلك عند مغادرتي حيث مايو كان شهراً لطيفاً لحسن الحظ. أتمنى أن ينتهي ذلك سريعاً وتتنزل لكم بعض الأمطار. مع غياب أغلب موظفي الحكومة المركزية، آمل أن تخفف عملك بعض الشيء خلال يوليو وأغسطس.

وصل جيوفري أمس وأحضر لي بريدي، وجهزنا أنفسنا لنغادر غداً إلى ماسندي التي نأمل أن نصل إليها في يوم واحد، فهي تبعد نحو ٢٩٠ ميلاً، ولكن هناك نقاط جمارك وعدد من المعدّيات في الطريق وربما اضطررنا لقضاء الليلة في قولو. استمتعت بجولة على الضفتين وقابلت كل مفتشي المراكز ومجموعة من المبشرين. كما زرت مستشفيات ومدارس ومزارع وغابات وخلافه؛ والآن أنا منغمش جداً في الجنوب! مفتشي المراكز جميعهم كانوا بخير وبروح عالية والأحوال بوجه العموم على ما يرام ما عدا النقص في الموظفين.

قابلت المطران أورلر في يامبيو وكان بصحة جيدة، وقد شرب ربع جالون بيرة ودخن سيغاراً مما أدخنه في فرندة وايلد وكان مرحاً. وقد طلب مني أن أذكرك بطلبه لسبعة بنادق لإرسالياته لصيد الحيوانات أو الطيور للأكل، وأيضاً عن كتب المدارس والمجلات، كما طلب مني أن أسأل السكرتير القضائي عن زواج الفتيات المسيحيات من

«الجلابة» المسلمين في واو (قد قمت أنا بذلك). سألته إذا كان في إمكان حكومة السودان عمل شيء لمنع ذلك، أجاب بأنه لا يعتقد أن ذلك ممكناً أو مطلوباً، ولكنه طلب مني أن أستفسر. الجلابة يمكنهم دفع مهور أعلى، ويبدو أن الفتيات يقسمن أمام القاضي. لقد كان قلقاً ولكنه قال إذا لم يكن من الممكن عمل شيء فهو يتفهم. وقد تمنى، بالمناسبة، أن يجد السكرتير القضائي الوقت ليدرس موضوع زواج المسيحيين هذا الخريف.

لقد قمت بزيارة القس ملاكيك هنا، لقد كان لطيفاً وودوداً. لقد أعجب كثيراً بمذكرة أبويّ التي نشرها في مجلة «السودان» في رسائل ومدونات وطلب مني سبع أو ثماني نسخ ليوزعها على إرسالياته لأنه يعتقد أن حكومة السودان توافق على آراء أبويّ. أرجو أن ترسل له تلك النسخ حيث إنه من النادر أن يهتم الكاثوليكيون بشئون الإدارة الأهلية.

تحادثت مع رودجر بيرنت، كبير مفتشي الزراعة في هيئة تنمية الإستوائية، عن الشئون الاقتصادية والمعيشية بخلاف مشاريع يامبيو. وقد أقر مجلس الحاكم العام سياسة لتكثيف الاقتصاد لكل المديريات الجنوبية وليس فقط لمنطقة يامبيو (رغم أن منطقة يامبيو يجب أن تعطى أفضلية كما تقول). أنا أعلم أن هناك مناطق عصيّة (مثلاً أمادي ومنطقة التابوسا) يمكن أن تتحدانا، ولكن ياي، والمناطق الوسطى وتوريت يجب أخذها في الاعتبار، وكذلك بحر الغزال. قد نُجبر على زيادة أسعار المحاصيل بعض الشيء، وتخفيض العمالة مع زيادة عدد المشرفين الأكفاء، والمعدات وزيادة اللواري، كل ذلك مرغوب فيه، وكذلك استبدال قش الأسقف ببلاط لتخفيف العمالة أيضاً. (مصلحة الأشغال العامة كان المفروض أن تدرس هذا الأمر ـ الإرساليات الكاثوليكية عندها بلاط جيد وريلاي (الإرساليات الإنجليزية) يعمل على تجربة بلاط مسطح ويبدو جيداً، وهم يحتاجون لبطانة خشبية بدلاً من الخيزران ويمكن للمناشر أن توفر ذلك.

المهمة الأساسية لقمندان الشرطة هنا، إذا وجدناه، ستكون تدريب ضباط للمراكز.

ما زلت أعتقد أن تقسيم الإستوائية إلى مديريتين واجب وسأدرس هذا الأمر عند عودتي، ليس هناك عجلة إذ ليس لدينا موظفون في الوقت الحاضر.

هذا خطاب مشتت. ما زلت في حالة انعدام وزن، وهذه الجولة الطويلة مع أنها ممتعة ومنعشة إلا أنها أرهقتني بعض الشيء، ولكني تعلّمت فيها الكثير، والآن أصبحت لديّ أفكار واضحة عن الاقتصاد والتعليم هنا، وسوف أنحاز للجنوب عند عودتي. في غضون ذلك أرجو أن تهتم بتشكيل هيئة تنمية الإستوائية وفي إمكانهم دراسة المقترحات.

أنا ممتن لك يا جيمي، لكل مساعدتك وعملك ونصائحك لي طوال السنة الماضية. لقد أخجلت تواضعي وكذلك حكومة السودان وقد أنجزت الكثير. أرجو أن تتخذ أي قرار تراه مناسباً، لا تؤخر أي شيء، ولا تذهب للمكتب يوم الجمعة وحاول أن تأخذ رحلات للترفيه عندما تستطيع. سأكتب لك من يوغندا. لن أتمكن من تحديد تاريخ عودتي إلى أن أرى كيف أشعر في نهاية يوليو.

❐❐❐

إلى ج. و. روبرتسون ٢٣ يونيو ١٩٤٤

بواسطة ج. س. تيرنر

كلية ماكرري - يوغندا

لقد ذهبنا من جوبا إلى ماسندي بعربة سكيت في يوم واحد يوم ١٦ يونيو، حوالى ٣٠٠ ميل، وتزودنا بالوقود ووصلنا إلى قولو وقابلنا مفتش المركز (فوربس) بعد نصف ساعة وتناولنا المرطبات واستمعنا لنشرة الأخبار في الـB.B.C الساعة السابعة مع مفتشي المركز في ماسندي، شاب لطيف اسمه مارتن راي (لا أذكر إذا راسلتك من ماسندي أم لا - لا أعتقد)، وقضينا الليلة في حانة صغيرة هناك، فندق صغير تابع للسكك الحديدية، هل تعرفه؟

في اليوم التالي ذهبنا إلى كمبالا ١٦٠ ميلاً، في عربة تكرّم السكرتير بتوفيرها لنا. ويعني هذا أننا قطعنا ٤٦٠ ميلاً في خلال يومين بدون مشقة، الشوارع مبلطة بالحجر الأحمر، والخضرة تحيط بالمنطقة، رغم أنها تصبح رتيبة بعد مدة.

ذهبنا إلى فندق الأمبريال لمدة ثلاثة أيام. مريح جداً وأكله جيد. ويوم الاثنين تغديت مع المدير ومساعده في منزله في أعلى الجبل الذي بناه فيليب ميتشل. كانت السيدة دونداس في المستشفى بسبب الحمى - يبدو أن هناك وباء ملاريا في كمبالا وقد اضطررنا أن ننام تحت الناموسيات. تحادثنا عن التعليم، والهنود، والإدارة الأهلية، واتحاد شرق أفريقيا وخلافه.

المحلات التجارية هنا مكتظة بالبضائع، رغم أنها غير جيدة. البيرة والتبغ والأدوية متوافرة، فقط الأرز والطحين في التموين ببطاقات. التبغ ارتفع سعره، الهنود يتناسلون في كل مكان في الأكواخ المسقوفة بالزنك.

يوم الثلاثاء تركت جيوفري وذهبت لقضاء بعض الوقت مع جورج تيرنر في منزله على جبل ماكرري. هل زرت ماكرري؟ إنها مجموعة منازل جميلة رغم أنها تحتاج لتمديدات: حوالى ١٤٠ طالباً، يبدو عليهم الذكاء، ولكن أقل تطوراً من طلبة مدارسنا العليا. كانت ضيافة تيرنر ممتازة وهو في غاية الكرم. منزله جميل وهادىء، كانت غرفتي في الطابق الأرضي تطل على حديقة، ومناظر على الجبال وعلى بحيرة فكتوريا. سنذهب إلى كابالي غداً. هذه الثلاثة أيام ونصف في ماكرري كانت من أمتع ما يكون. لقد ذهبت للكلية وتحادثت طويلاً مع تيرنر وباتن، نائبه النشط (الموظف السابق في مصلحة المعارف في كاتسينا ونيجريا). هنا ثنائي ممتاز. باتن مهتم جداً بالجوانب الاجتماعية وكل المواضيع التي نرغب في أن تتبناها مدارس الإدارة والآداب وهي: الخدمة العامة، والمواطنة، والحكم المحلي، ودمج المثقفين في أعمال قرى الأقاليم. وقد ألّف كتيباً جاري طباعته الآن في مطبعة جامعة أكسفورد، وقد أطلعني عليه كذلك جيوفري هاكسورث. هو كتيب ممتاز، وقد نأخذه إلى بخت الرضا مستقبلاً ولمدرسة الإدارة. وقد جلسنا أنا وجفري في شرفة قاعة محاضرات جامعة ماكرري واستمعنا

لمحاضرته أمس عصراً عن الحكم الذاتي وكيف يُنال، إلى نحو سبعين من الطلبة، وقد حضر نحو اثني عشر منهم متأخرين وقد وبخهم توبيخاً شديداً. كانت محاضرة جيدة ومريحة عن الحقوق والواجبات. جون هيلارد كان سيعجب بها، كما أعجبنا بها نحن. وقد تحادث مع جيوفري بخصوص مشاريع النيل الأبيض الإعاشية البديلة وعن عمل مكي عباس. أرغب أن يجتمع هو ومكي عباس. باتن شخصيته قوية وسيناسب كلية غردون جداً.

أمس بعد تناولنا للشاي أخذنا تيرنر أنا وجيوفري إلى بودو، مدرسة مختلطة لثانوية تابعة للإرسالية الأنجليكانية، وعمرها ثلاثون عاماً، على ربوة جبل يبعد حوالى عشرة أميال من ماكرري وبمناظر جميلة فوق بحيرة فكتوريا. هربرت، الناظر المدني هو زميل دراسة لجيوفري، رجل لطيف وزوجته كفؤة. مساحات كبيرة، وهو مكان حي. والمدرسة هي بالإضافة لأنها ثانوية، أيضاً بها قسم ابتدائي (وهذا يشمل أولي ومتوسط، ٧ سنوات وفي رأيي سبع سنوات في مدرسة واحدة شيء متعب للأطفال والمفروض تفصيل ولكن هناك اعتراض من قبل المسؤولين على الفصل. هي تقريباً مملوكة للبقاندا (٧٠٪ من الطلبة هم من قبيلة البقاندا)، كما يبدو أن مملكة البقاندا الأهلية تبدو أنها حجر عثرة للتطور من عدة جوانب نسبة لـ:

أ - عجرفتها.

ب - عدم كفاية وزرائها.

ج - ملكيتها لحقوق الأرض.

ولكن يبدو أنه:

(أ) كسرت شوكته بسبب ماكرري عن طريق تيرنر، وبسبب الرأي العام وأيضاً بسبب الطلبة الآخرين.

(ب) يمكن إصلاحه بواسطة الكاباكا الشاب عندما يستقر له الحكم (سأكتب أدناه عن الكاباكا).

(ج) هو وضع شنيع ويشكل تحذيراً بالنسبة لاتفاقية المساليت. أنا لا أعرف كل

الحقائق ولكن مدينة كمبالا وحكومتها توسعا حول جبل الكاباكا وأرضه، والحكومة اليوغندية تبدو كأنها لا تملك قانوناً جيداً لتملك الأرض لاستغلال أراضي اليوغندا للصالح العام. مثلاً لتوسيع مباني ماكرري، ومزرعة تجريبية وخلافه. كلية ماكرري يجب أن يصل طلبتها إلى ثلاثمائة بعد الحرب مباشرة وفي المستقبل إلى ألف طالب، حيث في إمكانها خدمة كينيا (التي لا تساهم بشيء يذكر وبعد لأي) ويوغندا وتانقانيقا، والصومال، وأثيوبيا، ونيازيلاند، وشمال روديسيا، وجنوب السودان. هي مستقلة بسبب خدمتها لعدة بلاد ولكنها بين بين وتفتقد مجلس إدارة نشيطاً.

الكاباكا حضر أمس مع أساتذة جون كرابي للغداء (ابن القس مطران ممباسا، عمره حوالى ثماني عشرة سنة، ويدرس في كلية ماكرري، هو هادىء ومؤدب، يلبس قميصاً أبيض ورداء قصيراً مثل كل الأولاد، ومتصابٍ كثيراً. أنا لا أحسده على مستقبله.

كنت دائماً راغباً في الاطلاع على اتفاقية المساليت والتي لم أنظرها لفترة طويلة، وأدرسها مع السكرتير القضائي وأدرس انعكاسات ذلك على الحكم المحلي وأوجه تطور دارفور عموماً. قد يكون من المناسب أن نطلب من فيدلر أو مكاوي أن يدرساها، ثم نجتمع مع دولي لامبن (مدير دارفور) عند عودته من العطلة و نحاول أن نلغيها (إذا وجدنا أنها معيقة للتطور) دون أن نغضب السلطان. عندما يأتي كندول المسؤول عن دار مساليت للخرطوم المرة القادمة يمكنك استطلاع رأيه. حقيقة ليس هناك وجه شبه كبير بين دار مساليت ودولة الباقندا الأهلية، ولا الصعوبات متشابهة، ولكن قد يكون من المصلحة أن نبحث في الأمر بسرية.

رجوعاً إلى بودو، أنا لا أعتقد أن التعليم المشترك في المرحلة الوسطى أو الثانوية يناسب جنوب السودان، لا مانع في المرحلة الأولية، لم أقابل طلبة ماكرري لوحدهم بعد، وباتن طلب من جيوفري ومني أن نلقي عليهم محاضرة بعد رجوعنا من كابال. جيوفري هاكسورث عن تجربة أم جر الزراعية وتنمية الريف، وأنا عن علاقة السودانيين بالحكومة.

الانطباع العام الذي كوّنته إلى الآن - طبعاً من ملاحظات عابرة لمدة أسبوع - عن يوغندا هو أنها «واد سعيد» جميلة وخضراء ومنظمة بدون مشاكل سياسية أو اقتصادية أو عرقية كما هو الحال مع كينيا أو فلسطين أو السودان وغيرها. لكن ذلك الهدوء نفسه، رغم أنه من حسن الحظ، هو نفسه قد يشكل خطورة وقد يسبب رتابة وعدم رغبة أكيدة للإصلاح ومجرد القيام بأقل ما يمكن عمله، الشيء الذي وبخ عليه هانكوك النيجريين في كتابه الصادر في ١٩٤٣ صفحة ٥٦ حيث يقول: «أكثر شيء افتقدته هو الإلحاح. كان إحساسي أن البريطانيين يسيرون بتمهّل، بعدل وإنسانية وصبر - في الوقت المفروض أن يكونوا فيه في عجلة من أمرهم وفي غاية العجلة». هنا أيضاً يبدو هناك عدم عجلة بالنسبة للتطور في الاقتصاد أو السياسة، كما أظن أن الحكم المحلي متخلّف (قد يكون أيضاً سببه الاتفاقيات مع المملكة الوطنية). على أي حال أنا لم أقابل السكرتير الأول حيث هو مريض ولم أقابل كبار موظفي الحكومة في عنتبي، ولكن سأفعل ذلك عند رجوعي.

في الوقت الحاضر، وبعد زيارة ماكرري ومقابلة تيرنر وباتن، والتي كانت مهمتي الأساسية - عليّ الآن أن أذهب إلى كابال وأنعزل عن الدنيا لأقرأ وأشرب البيرة، وأتمشى قليلاً، وأنام، وأنسى المثقفين والحكم المحلي وخلافه لمدة شهر...

لقد اجتمعت الآن مع سايكس (نائب مدير التعليم) لمدة ساعة - ليس لديهم مصلحة معارف كما نعرفها نحن، لأنه ليس هناك تعليم حكومي سوى بعض المدارس للهنود وأهل جاوا وأطفال رجال الشرطة وخلافهم. وقد وضعت حكومة يوغندا برنامجاً كبيراً لتطوير التعليم يمتد من ٥ إلى ١٠ سنوات، ويتضمن طلباً لمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني من صندوق التنمية للمستعمرات للمباني وتدريب الأساتذة، والمدارس الفنية وأربعة مدارس ثانوية حكومية (٢ بنين و٢ بنات) - وهذه ستكون أول مدارس حكومية - وأيضاً بعض المدارس الثانوية للإرساليات.

حالياً حوالى ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من أولاد وبنات يوغندا تحصلوا على بعض التعليم ولكن معظم ذلك محصور في إقليم باقندا والأقاليم الشرقية. ويفتحون حوالى ماية مدرسة دون الأولية في القرى كل عام.

مثقفو يوغندا أقل تعليماً من مثقفينا أو مثقفي الساحل الغربي لأفريقيا، وليست لديهم أندية أو جمعيات أو احتكاك مع الموظفين البريطانيين خارج ماكرري، (حتى هنا ليس كثيراً جداً؟).

هناك بعض الاستبدال بموظفين يوغنديين في كادر الكتبة من الموظفين الهنود، ولكن لسيت هناك خطة أو عجلة في إجراء شرح ولم أشعر من محادثتي مع كل من قابلت أن لديهم رغبة في عمل شيء. ومع ذلك فإن العنصر الهندي يشكل عقبة لتطوّر الأفريقي في بعض المصالح (الزراعة مثلاً لا يعمل بها أي هندي) وفي التجارة، رغم أن الهنود نمّوا التجارة، وهم كانوا سابقين لنا في أفريقيا.

نظام الهيئات المشتركة لمدارس الإرساليات الثانوية للآن لا يُعرف مدى جدواه لأنه جديد، ولكن سايكس يعتقد أنه سينجح وحتى قيامه يعتبر تقدماً. هناك ٨ من هذه المدارس (٦ ثانوية و٢ مراكز تدريب). أعضاء المجلس الحكوميين أغلبهم موظفي مصلحة المعارف.

حسناً يا جيمي، هذا آخر ما عندي، وغداً أسافر إن شاء الله إلى المجهول، حيث يقولون سأجد مدافىء الأخشاب، والفراولة، والكتب، والشبورة الأسكتلندنية، (وآمل الويسكي الأسكتلندي)، والبيرة. أملي أن لا يكون الطقس عندكم سيئاً، وأنت غير منهك من كثرة العمل. أرجو أن تبلّغ تحياتي إلى الزملاء وإلى نانسي. بول دانيال يرسل لي برقيات من دورست تثير الحنين. في كابال يوجد مكتب تلغراف، وإذا احتجت لي فعلاً، أو طرأت أي مصيبة لا تتردد في استدعائي، وإلا فواصل العمل واتخذ أي قرار تراه مناسباً ولا تفقد أعصابك.

إلى لورد لوغارد ماكرري، كمبالا ٢٣ يونيو ١٩٤٤

أملي أن تذكرك الطوابع على هذا الظرف بالماضي الجميل، وأيضاً آمل أن تكون بخير وبصحة لا بأس بها. هذه أول زيارة لي ليوغندا - وهذا تقصير من جانبي - ولكني سأقضي هنا شهرين نصفها عمل لأتعرف على بعض المؤسسات الحكومية ونصفها عطلة. أنا في ضيافة جورج تيرنر لبضعة أيام، في جبله الأخضر الجميل، وقد سعدت جداً أمس عندما أخذني لنحج إلى جبل لوقارد لنرى موقع قلعتك والخنادق القديمة والنصب التذكاري باسمك. لكننا افتقدنا وجودك معنا لتحكي لنا ما حدث عام ١٨٩٠ - ١٨٩١.

أحد أصدقائي وهو مفتش مركز في مديرية النيل الأزرق وأنا، وصلنا هنا من جوبا بالسيارة عن طريق قولو وماسندي، وبعد أسبوع هنا سنذهب في عطلة لمدة شهر إلى كابال على حدود الكنغو حيث هناك فندق صغير وجميل على ارتفاع ٦٥٠٠ قدم - ثم نرجع إلى هنا مرة أخرى لمدة أسبوع قبل أن نغادر إلى الخرطوم. لقد تحادثت مع عدد من موظفي الإدارة والتعليم، وزرت ماكرري، وتناولت الغداء مع سير شارلس دنداس، وزرت مدرسة بودو الثانوية. وأيضاً قابلت الكباكا الشاب، وهو لطيف وخجول، ولكني لم أذهب الى عنتبي بعد. كل شيء هنا جميل ومنسق وأخضر وغير مصاب بمشاكل فلسطين أو كينيا أو السودان وخلافها، حقيقة واحة. الخطورة الأساسية في رأيي هي اللامبالاة والتراخي وترك الأمور تسير ببطء، ولكن الحكومة عندها برنامج تعليمي مهم يعتمد على التمويل من صندوق التنمية للمستعمرات، وقد اطلعت عليه. أليس هناك خوف من تقليل المبادرة من قبل المستعمرات في حالة إجازة صندوق التنمية للمستعمرات البرامج المقدمة دون لوائح صارمة؟ أنا لا أطالب بتخفيض المنح، وهي أصلاً غير كافية، ولكني أرى أن المساعدة الطوعية مطلوبة محلياً، وهذا يعتمد على تسريع الحكم المحلي الفاعل. كل منطقة أفريقية يجب أن يكون عندها مفتش حكومة محلية ليراقب الإدارات الأهلية، ويوجهها إلى الطريق السليم، ويعصب مجالس المدن، ويوسع الميزانيات المستقلة، ويفرض على المصالح أن يوزعوا

خدماتهم على مجالس الإدارات الأهلية وعلى مجالس المدن. جملة ميزانيات السودان (للمدن والريف) تبلغ الآن ٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني وتزداد سنوياً، ولدينا الآن ٦ مجالس مديريات ومجلس استشاري مركزي لشمال السودان.

آمل أن تكون مارجري برهام بخير، لا أدري إذا كانت رجعت من جزر الهند الغربية أم لا.

مع تحياتي لك بأسعد الأوقات.

ملحوظة:

لقد سهى عن بالي أن أذكر لك أهم شيء بالنسبة لهذا الخطاب، وهو أن أشكرك، بالرغم من التأخير، لتهنئتك الكريمة لي بتاريخ ١٣ يناير. لقد استحسنتها جداً. لقد كنت مشغولاً جداً في وقتها وكان لدينا نقص كبير من الموظفين، وقد أخرت الرد على كل الخطابات الخاصة إلى أن أذهب في عطلة، ولم يتيسر لي ذلك إلى الآن، وقد أحضرت معي حوالى ستين خطاباً بتواريخ منذ ٩ شهور لأرد عليها عندما أصل إلى فندق الحصان الأبيض في كابال.

للأسف لن أتمكن من السفر لأنجلترا هذا العام، إلا إذا طرأت مشكلة سياسية مع مصر تضطرني للذهاب هناك.

بالمناسبة هناك علامات تدل بأن الاقتراح لحكومة موحدة لشرق أفريقيا قد فُقِد الحماس له وبعض مناصريه قد غيّروا آراءهم الآن. صحافة كينيا دعت إلى المطالبة باستقلال إقليمي للمناطق الجبلية التي يقطنها البيض، وهو شيء مختلف، ولكن من أين سيتحصلون على موارد خصوصاً بعد الاعتماد الكامل لسنوات عديدة على الدعم غير المباشر؟

هناك لغط كثير جداً عن تطور سياسي لأفريقيا وقليل جداً من الحديث - إلى الآن - عن تطور اجتماعي وتعليمي واقتصادي. إن الحكم المحلي المسئول والسليم، بتمويلها، وبمساعدتها، وبتفكيك مصالحها، وبالعناية أكثر بالخدمات للأفارقة هو الشيء الذي يجب أن يهدف إليه بالتأكيد.

التجمع في المركز سيتم إذا ما تمّ بواسطة مجالس استشارية يشارك فيها بعض الأفارقة في اللجان الحكومية وفي السكرتاريات. كينيا تقترح وضع إفريقي واحد في المجلس التشريعي (ولم يخبروا يوغندا بذلك) - والأفريقي المسكين سيجد صعوبة في القيام بعمله. أعتقد أن يوغندا ستهدف لإشراك أفريقي واحد في كل إقليم. أنا لديّ شكوك نحو المجالس التشريعية على كل حال، ولكني لست خبيراً في هذا المجال، وما دامت هناك فأعتقد من المصلحة أن يشارك فيها بعض الأفارقة ولكن من الأشخاص المؤهلين. الزعماء من متوسطي الأعمار والمتعلمين والأطباء الأفارقة والزراعيين ومعلمي المدارس العليا يمكن الاستفادة منهم إذا جمعوا في مكان واحد. ولكن الأمور تتطور في أفريقيا، وهذا هو المهم على كل حال. لقد أُعجبنا بأوليفر ستانلي (وزير المستعمرات) ونأمل أن يستمر في منصبه لفترة طويلة.

◻◻◻

إلى السير دوغلاس نيوبولد من لورد لوغارد ٢٦ يوليو ١٩٤٤

إنه من لطفك أن تتكرم وترسل لنا خطاباً من يوغندا، وقد وصلني بعد التأخير المعتاد، ومارجري برهام التي كانت ضيفتي ليومين أعجبها الخطاب جداً وطلبت مني أن اصور لها نسخة.

أشكرك على كل ما قلته عني وارتباطي بيوغندا، أتمنى أن تكون إقامتك الطويلة بها قد أفادتك صحياً.

أوافقك جداً على وجهة نظرك بشأن صندوق تنمية المستعمرات وتأثيره السلبي على المحميات في اعتمادها على الإعانات بدلاً من الاعتماد على الذات، كان ذلك أول ملاحظاتي، وقد شاركت لورد قلاسقو في رأيه في مجلس اللوردات منذ مدة قصيرة في شكوكه في عدم استطاعة هذا البلد الوفاء بالتزاماته نحو نفسه ونحو المحميات

بعد الحرب، نسبة لأن وزارة المالية تحتاج لتسديد الفوائد على مبلغ حوالى ٣٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثة مليارات جنيه إسترليني) من الدين العام.

لن أحاول أن أناقش مقترحاتك الجيدة بالنسبة لتطوير وتحسين أداء الإدارات الأهلية ومجالس المدن في المناطق الأكثر وعياً مثل يوغندا، والإمارات النيجرية وشمال السودان. هذا هو التطور الطبيعي لما يسمى بالحكم غير المباشر. هناك تطور مهم آخر أيضاً في رأيي وهو تحديد الوحدة التي يمكن مستقبلاً أن يشملها الحكم المحلي وتجميع مثل تلك الوحدات الصغيرة في وحدات حكم محلي أكبر.

أنا سعيد بأن اقتراح الحكومة الموحدة لشرق أفريقيا قد فقد من يناصره، لأن الغرض الأساسي منه كان هو فرض سيطرة المستوطنين البيض. كنت طول وقتي أنادي بالاستقلال للأقاليم حيث لا يوجد إجماع بين الأهالي لحكومة موحدة.

أنا أيضاً أشاركك الرأي في عدم جدوى المجالس التشريعية، لأني أعتقد أن نظام وستمنستر لا يناسب الهند أو أفريقيا إطلاقاً، ولو أنه قد يناسب بعض المجتمعات الصغيرة مثل سيلان وجزر الهند الغربية أو ساحل الذهب التي تعودت على هذا النظام من سنوات عديدة.[١]

نرجو أن نراك في إنجلترا في المستقبل القريب.

---

(١) يبدو أن لورد لوغارد أخطأ في فهم رأي نيوبولد بالنسبة للمجالس التشريعية. كان اعتراض نيوبولد على المجالس التشريعية ليس لأنها شبيهة بالبرلمان وإنما لأنها لا تقرب من البرلمان. هو كان يفضل مجلساً موسعاً.

إلى جيمس روبرتسون كابال ١ يوليو ١٩٤٤

لقد كتبتُ لك خطاباً من منزل جورج تيرنر أعتقد يوم ٢٣ يونيو. نحن مرتاحون هنا، على ارتفاع حوالى ٦٢٠٠ قدم، والطقس أميَل للبرودة، ولكن هناك مدفأة في الصالون، وأنا لا أغادر الفندق قبل الساعة العاشرة صباحاً بعد أن تطرد الشمس الشبورة.

هذا الفندق متخلّف بعض الشيء ولكن جوّه لطيف، وبه كهرباء وغرفه أرضية مثل أركويت وتبعد كل غرفة من الأخرى ياردات قليلة. كل غرفة لها حمامها ومرحاضها ويجهزون لنا الماء الساخن للاستحمام. الأكل ممتاز للغاية خصوصاً الخضروات والفراولة والبيرة والسمك من بحيرة بنيوني على بعد خمسة أميال، والكميات أكثر من حاجتنا، ولحم الخنزير من وقت لآخر، وعندهم صندوق ضخم به السيجار الذي اشتريته بـ٣٤ شلناً من إرساليات الآباء البيض بالقرب من هنا، وهم من يصنّعه. هنا الكثير من بيرة كينيا الجيدة، وأنا لا أتناول شاي الصباح قبل الساعة السابعة والنصف، عندما أقرأ لمدة نصف ساعة، ثم أتناول إفطاري حوالى الساعة الثامنة والنصف، ثم أدخن بالقرب من المدفأة إلى أن يدفأ الطقس لأتمكن من المشي أو لعب القولف. ميدان القولف هنا جميل ومنسّق وأخضر وأمام باب الفندق وليس به لاعبون كثر، أمس أنا وجيوفري كنا الوحيدين في الملعب من الساعة العاشرة والنصف إلى الساعة الثانية عشرة. ثم نرجع للفندق لشرب كأس بيرة ثم نتغدى - الغداء يتكون من أربعة كورسات (اليوم سيكون هناك فراولة والكريمة)، ثم إما أن ننام أو أقرأ رواية لآقاتا كريستي، ثم نتناول شاي بعد الظهر، ونتمشى أو نلعب القولف مرة أخرى ونرجع للفندق عند الغروب أيضاً لشرب كأس بيرة ثم العشاء الساعة الثامنة، ونأوي إلى فراشنا باكراً وننام نحو تسع ساعات. كل هذا لأطمئنك على أنني أخلد لأخذ راحة كاملة وأتمتع بأكل جيد.

مكتب مفتش المركز، ومكتب البريد والمستشفى مع الفندق كلها على ربوة هذا الجبل الأخضر، والمكان هادئ بدون ضوضاء - وتعلوها منازل الموظفين الأربعة

البريطانيين على نفس الجبل بارتفاع حوالى ٧٠٠٠ قدم، والمنازل مزدانة بحدائق جميلة وبها ميادين خضراء وورود وبنفسج وخلافه. والمناظر لمسافات بعيدة لجبال خضراء ترتفع لأكثر من ٧٥٠٠ قدم وكلها مزروعة إلى القمم، تتخللها أودية خضراء على ارتفاع ٥٠٠٠ ـ ٥٥٠٠ قدم تزخر بالذرة والموز والفاصوليا والبازلاء مع بعض الأبقار. والأهالي يشوشون ولونهم أسمر فاتح ويعملون بنشاط. تبدو المنطقة غنية وسعيدة، بها رئيس شرطة وثمانية عشر نفراً من الشرطة، وجرائم القتل قليلة جداً.

قمت بزيارة بحيرة بنيوني بالقرب من هنا مع شاب أغريقي لطيف يعمل في المناجم، وقد سبق له العمل في الحبشة والهند الصينية وبلاد أخرى، وعنده سيارة عتيقة. إنها بحيرة جميلة متعرّجة طولها حوالى ١٥ ميلاً يسبح فيها ثعالب البحر وتكثر فيها زهور الزنبق الزرقاء. وقد أخذنا قارباً من الخشب لمدة ساعة وكنت أشعر بالخوف بسبب تأرجحه. وفي يوم آخر ذهبت مع سكينر، ضابط شرطة بريطاني من أمبرارا وتقع هذه المنطقة إلى حدود الكنغو عند كيسورو حوالى خمسين ميلاً، تحت إشرافه وبها طريق جبلي معبّد أنشىء عام ١٩٣٣ (وقد منح موظف مصلحة الأشغال العامة الذي بناه نوط الأمبراطورية البريطانية). والطريق يرتفع الى ٨١٧٠ قدماً بانحدار مريح، والمناظر خلاّبة بغابات الخيزران، والسنط، وعدد من الأشجار الضخمة والشجيرات المزهرة على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم في حقول يديرها مزارع بريطاني يدعى ستافورد وعنده موظف بارون سويدي عجوز يحضر هنا لتناول الشراب. هوة كنابا ترتفع نحو ٨٠٠٠ قدم ومنها يمكن مشاهدة مجموعة جبال موفامبيرو البركانية التي ترتفع نحو ١٥٠٠٠ قدم ـ وقد نسيت أسماءها. نحو ثمانية منها على الحدود وتسكن فيها الغوريلات، وأحدها ما زال يتطاير منه الدخان. كانت رحلة جميلة لمدة ساعتين ذهاباً وإياباً أيضاً.

لقد تعرفت على الكثير عن يوغندا من عدد من مفتشي المراكز، وضباط الشرطة، وموظفي الزراعة، وموظفي المالية والتعليم ـ ومن توتهيل، ومن كتب أخرى، وأغلبه مفيد للمقارنة مع جنوب السودان ـ لا أعتقد أني سأكون أفريقياً جيداً أبداً، ولو أني أحب هؤلاء السود ـ ولكن قلبي كان لمدة طويلة مع العرب في كردفان وفي كسلا. كما

وأني لا أحب الخضرة المبالغ فيها.

إلى جيمس روبرتسون كابال ٧ يوليو ١٩٤٤

وصلني خطابك بتاريخ ٢٩ يونيو مساء أمس، أشكرك عليه وعلى المرفقات. لقد أصابني الكسل وزاد وزني وبدأت أستعيد رجاحة عقلي. لم أعلم أنك كنت هنا وإلا لما ضيّعت وقتك ووقتي بوصف المكان لك. أنا متأكد أنك أخبرتني ولكنك تعرف إنني لا أصغي! الحمد لله أن الشغل خفّ وأنك لا تشعر بإرهاق. الواقع العمل لم يخفّ، ولكنك: (١) أسرع مني في العمل، و(٢) أنك تتخذ القرار أسرع مني ولا تتذمر كثيراً. ولذلك لن أستعجل في الرجوع. ربما كانت الأحوال قد هدأت بعض الشيء خصوصاً بعد غلبة التعليم العالي وتنمية الجنوب والمجلس الاستشاري وخلافها.

أرجو أن تفتح عينيك وتتطلع على أي برقيات حيث أن بعضها قد يتطلب اتخاذ قرار بشأنها، وأغلبها قد يكون رسائل وقحة من بنات أخواني وأخواتي، وأنا لا أمانع في قراءتك لها.

نعم، يجب علينا أن نستفيد من حملة ورثنقتون لتطوير الثروة السمكية. يمكننا أن نزود بحيرات يرول بسمك الشربوط والسلموق المرقّط، ليتمكن صيادو النوير من اصطياد السمك على نهر السوباط، كما نعلّم البشاريين تدخين الأسماك كما كان يفعل أسلافهم.

أنت محق في خفض تكاليف بناء المدارس الجديدة. يوغندا كانت عاقلة في عملها ذلك، أنه أهم بكثير أن نبني كل المدارس التي نحتاج إليها بدلاً من أن نبني قصوراً لبعض المدارس لنفاخر بها أمام الزوار. نحن نحتاج لأربع مدارس بنات إضافية وسطى، وعدد من المدارس الأولية للبنين، وإذا ما بالغنا في تكلفتها، فلن نتمكن من

بناء كل المدارس التي نحتاج إليها. المفروض أن نتحاشى أسقف الزنك ونسقف المدارس بأي مادة تتحمل الطقس. بلاط الأسقف هنا جميل ومدير الأشغال يجب عليه أن يهتم بذلك. جيري أندرو مدير الجيلوجيا سيجد التربة المناسبة وقد تكون صناعة ثانوية.

من حسن حظ ند مايال وموظفيه إنهم لم يصابوا من جراء القنبلة التي ألقتها إحدى طائرات العدو بدون طيار. هذه الطائرات مزعجة، ولكن إذا كانت نتيجة كل قنبلة تزن طناً واحداً أن تقتل فرداً واحداً فهذا لن يفيد الألمان كثيراً، يبدو أننا ضربنا كل مدرجات مطاراتهم في ساحل فرنسا. الروس سيتمكنون من أخذ شرق بروسيا في الخريف.

قرأت في صحيفة من ليوبولدفيل أن مدام أبويّ في طريقها إلى الجزائر ورباح، عندها مزرعة في آسنيرس (لا أدري أين هي). كانت هناك صلوات مكثفة لروحه في ليوبولدفيل وبرازافيل. أتمنى أن يمنحوها معاشاً مناسباً وأن ينصبوا له تمثالاً في منطقة فرنسا الحرة.

أنا فعلاً بصحة جيدة يا جيمي، ربما بسبب البيرة والنوم وعدم القلق. مشكلتي الوحيدة هي أني أحنّ للوطن، ولكني أعتقد أننا جميعاً نحنّ للوطن. سأجتهد بقدر الإمكان أن أمكّنك من السفر إلى إنجلترا هذا الخريف، من أجل نانسي.

❑❑❑

إلى باري سوليفان كابال ١٥ يوليو ١٩٤٤

أعتقد أننا سنلتقي في يوم من الأيام ولا أدري ماذا سيكون رد فعلنا. ربما ستكون أنت في مقتبل عمرك وبصحة جيدة، ومتزوجاً وكاتباً ناجحاً، بينما سأكون أنا متقاعد عجوز أتجوّل في كوخي. خطابك بتاريخ ١٢ أبريل وصل إليّ يوم ٢٣ مايو - قبل يوم من مغادرتي الخرطوم جواً في جولة طويلة في المديرية الاستوائية - حوالى ١٠٠٠

ميل جنوباً وعالم آخر محاطٍ بالغابات والجبال، مختلف جداً عن رمال صحراء شمال السودان بشمسه الدائمة.

أنا شبه مقعد بسبب آلام المفاصل، ولم أقم بأي نشاط خلاف الأكل والنوم وكتابة الخطابات، ولو أني أشعر أن هذه الحرب بملفاتها التي لا تنقطع ولجانها قد بلّدت إحساسي والآن أحتاج لكورس في القراءة وتعلّم اللغات من أستاذ في جامعة أكسفورد لأستعيد صوابي من قروح المادية.

أنا سعيد أنك قابلت أبن أخي ديفيد. هو عالمْ يحصر نفسه في موضوعه فقط وكفؤ، ومخلص وغير مدّعٍ ومحبوب، ولكني أتمنى أن يوسع معارفه وعلاقاته خارج نطاق العمل. لا أعتقد أنّ التفرغ لدراسة العلاقة الجنسية لنوع معيّن من الأسماك شيء يدعو للسرور مهما كانت أهميته لغذاء البلاد.

ورثنقتون عالم متعدّد القدرات وقد جال أفريقيا في عشرينات عمره. لقد زارنا هنا وأعطاني أخبار ديفيد جو، يزاوج بين العلم والإنسانية.

أنا لن أرغب في وظيفتك إلا إذا سمحوا لي بمصادقة أسرى الحرب. كل التعليم يتطلّب مسبقاً علاقات شخصية بين الطالب والمعلم، أو بين الداعية والحواريين. الدعاية، كسلاح ضد العدو يمكنني ان أتفهمها، قد تساعد في إنقاذ حياة الطرفين، ولو أن تأثيرها مبالغ فيه. إعادة تعليم عدو كفيف وعنيد ومهزوم لا يمكن تحقيقه إذا كان في إمكاننا، أو في مصلحتنا، إعادة تعليم الألمان، أو الشباب منهم، ولكني أرى من الواجب علينا أن نحاول: ولكن إذا ما حاولنا، فلن نحقق أهدافنا بالخداع، والتزويق، وإنما بالصداقة.

دستور الأطلنطي لا يصلح كقاعدة سياسية، لأنه غير واضح ولكنه عقيدة سليمة وليس بخطة عمل. لا أعتقد أن تشرشل صرف النظر عنه نهائياً، ولكن يبدو جلياً أنه ليس من اهتماماته الآن، وبالرغم من عظمة تشرشل - ولا أرى أعظم منه - كمهندس للنصر، يتمتع بالشجاعة والقيادة وبالبطولة، ليس مطلوباً منه أن يحوّل نفسه كمهندس

للسلام. الكمونولث غير مجدٍ الآن، ولكنه يمثّل مجموعة ضخمة من الرجال والنساء، بالرغم من رغبتهم الأكيدة في النصر ويؤيدون تشرشل بوصفه قائداً لحربهم، إلا أنهم أيضاً يتوقون لبعض الخطط والضمانات لما بعد الحرب، ليس بالضرورة سلام أبدي وسعادة (هذا لن يتحقق) وإنما عالم يتحلى بالأخلاق في السياسة والاقتصاد، وبالمساواة في الفرص، والحرب ضد الفقر والجهل والمرض، وضد الرذائل الإنسانية من الحسد والطمع والكبر، والقسوة.

العالم يحتاج لإيحاءات نبيلة، مهما كانت متباعدة وقد تبدو عديمة الفائدة، كما يحتاج العالم للرومانسيين، وخدمة المستعمرات تحديداً تحتاج للرومانسيين. الرومانسيون هم الذين وضعوا حداً لتجارة الرقيق، ومنعوا تشغيل الأطفال في المصانع، وتسلّقوا قمم إفرست واكتشفوا القطبين الشمالي والجنوبي. المرء يمكنه أن يكون رومانسياً وفي نفس الوقت كفؤاً مهنياً وفنياً، والرومانسي الكفؤ أفضل من غير الكفؤ ـ لاحظ الاختلاف الكبير في أعمال المبشرين في أفريقيا، وسهر الشعراء والموسيقيين. ليس بالضرورة أن تمنع المثابرة الإلهام، وإنما الإلهام يشرف المثابرة. غريبو الأطوار اليوم، كما تقول، هم أبطال الغد، وأغلب الإصلاحات البشرية بدأها رجال ونساء وصفوا بأنهم غريبو الأطوار، مثلاً ويلبرفورس، باستير، والطبيبات والمربيات في القرن التاسع عشر. ولكن لا بد لنا ونحن نأسى لفقدان القيم حالياً، أن نعتقد أن كل غريبي الأطوار هم على حق أو نبل. بعضهم دجال أو مدّع أو محب للذات، أو محتقر للآخرين، وليس هناك أسوأ غطرسة من ذلك، لأن احتقار الآخرين منافٍ للمسيحية، وبدون المسيحية وفضائلها، سينحدر العالم إلى مستنقع ١٩١٩ ـ ١٩٣٩، بكبارها القانعين وشبابها المحبطين. والإحباط هو من أسوأ الخصال ولا ضروة له. لا أحد، حتى لو كان مقعداً، أو فقيراً يحبط من فعل الخير، وكلما تدهور العالم كان عمل الخير مطلوباً حتى ولو بالحصول على راحة البال، والابتسام في وجوه الآخرين وهو الشيء الذي نعتقد هو من أبسط الأشياء التي يمكن عملها، إذا ما رأينا كيف يجدها الكثيرون من الصعوبة بمكان.

أتمنى أن تكمل كتابك، حتى إذا لم تتمكن من بيعه أو حتى طباعته، مع أني أعتقد أنه

سيطبع وسيباع، لأن المجهود الذي بذلته سيكون مجدياً. تعرّف على روبن هودجكن الذي هو الآن في إنجلترا، أو اكتب له - قد يكون سافر مرة أخرى. هو شخص حكيم وعاقل ولطيف - أنا أكن له كل إعزاز ومودة، لأنه شخص طبيعي، أي إنساني بكل ذكائه وشجاعته.

أنا أرغب في التقاعد من العمل هنا والرجوع لإنجلترا العام القادم. ولا أرغب في وظيفة تنفيذية عالية، ويا ليتني لم أكبل بهذا الوسام (فارس الأمبراطورية البريطانية)، أنا أكره أن يسموني السير دوغلاس، كما أعتقد أن أي وسام يمنح للعلماء العظام والأبطال وأيضاً لبائعي الأقمشة الأغنياء والسياسيين الأوفياء هو خطأ. إذا اعتبرت الحكومة البريطانية أنني قمت بعمل جيد (ولم تكافئ في الواقع وظيفة في السلم الإداري الاستعماري) كنت أفضل أن يحققوا لي ثلاثة مطالب للسودانيين، أو حتى مطلباً واحداً، أو منحي ألف جنيه لأنفقها على عمل اجتماعي هنا.

أنا أمقت قصف المدن بالقنابل، ولكني أكره الحروب، ودون سخرية، أنا لا أرى اختلافاً أخلاقياً في فرض حصار، أو ضرب سفن الغذاء بالطوربيد، أو قتل الأزواج أو الآباء والأبناء أو قتل الزوجات والأمهات والبنات، علماً بأني أكره قتل المجموعة الأخيرة إذا كان عمداً ولم تعتبر إسهاماً مباشراً في هزيمة النازية. وهل ذلك يحدث لهذا الغرض أم لا فلا أدري. كما لا أدري ما هو الغرض مما نفعله نحن أيضاً ولأي هدف. قد تعتبر النساء اللواتي تجندن لقيادة القطارات أو للعمل في المصانع الحربية هدفاً مشروعاً، الله أعلم.

أرغب عند تقاعدي، لأن حركتي ستخفّ قليلاً أو كثيراً، في ما بعد، بسبب آلام المفاصل لبقية حياتي، أن أباشر عملاً تربوياً، أو أدبياً أو عملاً يتعلق بالحكم المحلي. وأفكر، إذا ما سمحت مؤهلاتي الأكاديمية بذلك، أن أحاول أن أحظى بوظيفة في كلية نوفيلد، ربما كمحاضر عن الإدارة الاستعمارية. ولكن الحرب الأولى حرمتني من الحصول على شهادة جامعية، وقد تفضل الكلية آخر أكثر تأهيلاً. لقد كنت يوماً طالباً موهوباً أدرس بمنحة من كلية أرويل بجامعة أكسفورد، ولكن العمل التنفيذي لعدة

سنوات ربما حدّ من قدراتي التحليلية. أرغب أن أنعزل في صومعة وأن أنقطع للقراءة لمدة ستة أشهر لأتعلم مرة أخرى اللغة الإنجليزية الصحيحة.

نحن هنا في الخرطوم معزولون عن إنجلترا وعن النشاط الثقافي. أنا مشترك في صحيفة «التايمز»، وصحيفة «الغارديان» الأسبوعية، ومجلة «النيو ستيتسمان»، وعدد من المجلات النقدية، ولكن قراءتي لها على حسب الظروف ومتقطعة ولا أعتقد أن مبادئي أو مُثُلي قد بهتت أو تغيّرت.

قد يكون عزاؤك في الزواج والحب، الزواج بالطبع أفضل من العزوبية، ولكن يجب أن يكون أساسه مبنياً على شيء خلاف الإنجذاب الجسدي، أو الهروب من الإحباط؛ كما أن الزواج غير السعيد وبدون أطفال شيء شنيع. لقد كنت أحب والدتي إلى يوم وفاتها - الأغبياء هم الذين سموا ذلك عقدة أوديب - ولم أكن في حاجة إلى أي حب آخر، كما كنت وما أزال محظوظاً في كوني واحداً من أسرة كبيرة وما زال لدي ثلاث أخوات أودّهم جداً، وأخ وستة من أبناء وبنات الأخوان والأخوات، ولذلك لم ينقصني من أحب، كما وأن توزّع الحب ليس بتبديد. ولكن الناس يختلفون في تكوينهم والحل بالنسبة لك قد يكون الشيء الطبيعي. أغلب علاجات الأمراض أو المشاكل هو العلاج البسيط المعتاد، ولكن الناس عادة ما يجرون وراء الغريب مثل المشعوذين من رجال الدين أو الطب. لقد تمكنت من الاحتفاظ بحب عميق للرجال كما للنساء وقد كنت سعيداً بذلك، ولكني سأشعر بالوحدة كلّما تقدّم بي العمر. هذا شيء لا بد منه، لأن المرء يعبر بين سن الستين والسبعين في أرض سكانها متفرقون، ولكني أشك أن يضطر المرء أبداً لأن يكون بدون أصدقاء، خصوصاً إذا كان لديه أطفال، لأن الأطفال لا يبالون بالسن أو بالتصرف الغريب.

أنا لا أحب الحياة العامة، وإنما ذلك لأنني قضيت أغلب حياتي في الخدمة العامة، وأرغب الآن في خدمة مجموعة صغيرة عندما يتقدم بي العمر. ولكن الناس لا بد لهم من الخدمة العامة، وأنه من السيئ أن نسخر من السياسيين والصحافيين: نحن

نحتاج لأفضل رجالنا أن يكونوا أعضاء في البرلمان، وأن يكونوا كتّاب مقالات افتتاحية في الصحف، وحتى مخبرين. ي. هـ. كار قد عمل عملاً خيراً كثيراً وكذلك س. ب. سكوت وكروزير من صحيفة «الغارديان»، وكذلك الـ B.B.C. ولذلك لا تتردّد في أن تجرّب حظك، إذا رغبت، بتواضع صريح، ودون تأنيب ضمير، أو جلد للذات. ولكن مهما قررت أو فعلت فلا بدّ أن تتفادى الإحباط كأنه الشيطان. والإحباط هو فعلاً أداة من أدوات الشيطان لمنع المواطنين الشرفاء والأذكياء من تقديم خدمات بسبب الخجل، أو الغرور، أو التواضع المصطنع، أو التطلع الزائد للوظيفة المثلى. عندما بدأت معركة دنكرك أسرع الجميع للمساعدة وركبوا أول قارب، وأخذوا أقرب آلة ولبسوا أول حذاء صادفهم. نحن دائماً في مواجهة معارك شبيهة بدنكرك - كوارث اجتماعية، وسياسية واقتصادية - وأي مساعدة صغيرة تفيد، إن كان في أفريقيا أو في أمبلسايد. أتمنى لك حظاً سعيداً وأرجو أن تداوم الكتابة لي وأن تعذرني على كل حشو كلامي أعلاه، ولكن أحب أن أكتب لك (بالرغم من التأخير).

إلى جيمس روبرتسون كابال ١٨ يوليو ١٩٤٤

يبدو أنكم فعلاً ترزحون تحت طقس في غاية الحرارة، وأنا سعيد في أنني أكتب لك هذا وأنا أجلس بجانب مدفأة. أنا لا أمانع من قضاء وقت أطول هنا، ولكن جيوفري يفتقد أسنانه. بقيت له سنّان فقط، تكفي لشرب البيرة وأكل الفراولة، ولكن لا تصلح لأكل لحم البقر أو الخنزير. السمك هنا لذيذ للغاية، أفضل ما أكلت طول حياتي. يسمونه «تيلابيا نايلوتيكا» ولكن لا يغير ذلك الاسم الغريب من طعمه اللذيذ.

لقد لعبت لوقت قصير القولف، أرجو أن تخبر تاق إنها رياضة متعبة. الكرات صغيرة جداً والمضارب مشوهة. إذا تحسن مستواي في لعبها فسوف أتقاعد. جيوفري

يجيد اللعبة جداً والمساعدون يتحلقون حوله، بينما ينظرون لي كأني فرس بحر في سيرك. ولم أستفد من لعبها حتى بتصغير بطني حيث الأكل هنا رائع.

أنا أرغب في دفع أتعاب خبير في الدعاية في مكتب وكالة السودان بلندن إذا كنا فعلاً سنستفيد منه، وخصوصاً في توصيل ما نقوم به هنا، بريطانيين وسودانيين، إلى المجتمع البريطاني، قد يساعد كتاب مارجري برهام، إذا تمكنت من نشره يوماً ما، وقد كتبت لها أمس، لا بدّ أنها رجعت من جزر الهند الغربية.

إلى جيمس روبرتسون ماكرري ٢٤ يوليو ١٩٤٤

أشكرك على خطابك بتاريخ ٢٠ يوليو الذي وجدته في انتظاري عند عودتي مساء أمس. عدنا، جيوفري وأنا قبل يومين مما كنّا نخطط لأن مفتش المركز كان سيرسل عربته للصيانة والمواصلات صعبة بعض الشيء.

كابال كانت لطيفة - مع أنها لم تمطر طوال مكوثنا فيها - لقد استمتعت بشهري هناك، نمت طويلاً وأكلت كثيراً ولعبت بعض القولف. لم يتعبني وركي كثيراً. وقد كانت التكاليف رخيصة أيضاً، أكثر قليلاً من جنيه إسترليني في اليوم بما فيها المشروبات والقولف، وقد شربت الكثير من البيرة. جيوفري سيقوم بتركيب أسنانه الجديدة هذا الأسبوع، وقد ينتهي من ذلك في أول أغسطس. فجأة كسرت أحد أسناني في السيارة أمس، وسأضطر للذهاب لطبيب الأسنان أيضاً. باتن سيحضر لنا بعض تلامذته الممتازين لنتحادث معهم هذا المساء. سيكون من الممتع أن نتعرف عليهم وعلى مستواهم. ذهبت للقداس في كنيسة الكلية البروتستانية مساء أمس، مبانٍ بسيطة وكان هناك نحو ثلاثين من الطلبة وخمسة من الأساتذة. وقد أمّ الصلاة أحد القساوسة الأفارقة ولغته الإنجليزية لم تكن جيدة، ولم تكن هناك موسيقى من الأرغن، ولكن تراتيلهم كانت جيدة. لا أعتقد أن هناك أفضل من ماكرري إذا كان المرء تربوياً، ولو أنها معزولة في رأيي من حياة الناس ولكن ليس ذلك بخيارها.

لقد طلب من تيرنر أن يتحادث مع الإرساليات، (أو بعض المؤسسات) عن «مستقبل التعليم الديني في يوغندا» وقد أطلعني على ما كتبه، وقد كانت جيدة للغاية. سأحاول أن أنسخ صورة منها. يحاول أن يفند الكثير من شكوك الإرساليات متمشياً مع الترتيل الذي يقول:

أيها القديسون الخائفون، تحلّوا بالشجاعة مجدّداً
أن الغيوم التي تخشونها،
حبلى بالشكر وستعمّ
البركة فوق رؤوسكم.

إلى س. و. م. كوكس ماكرري ٣١ يوليو ١٩٤٤

أرسل من الخرطوم يوم ١٢ أغسطس

بالتأكيد تمكن باتن من تحفيز الطلبة عموماً، ومقرّر دراساته الاجتماعية بالتحديد كان ممتازاً. المنهج في طور التجريب بالطبع، وأودري ريتشارد، الخبيرة في علم الاجتماع في مدرسة لندن لعلم الاقتصاد، كانت لها بعض الانتقادات، وقد تحادثت معها مرتين. هي وجانسون سميث مع تيرنر في منزله الآن - جانسون ذهب من قبل إلى نابومال حيث أولادنا متفوقون - (ما عدا أحدهم تم فصله للأسف ولكن باستحقاق لأنه كتب رسائل يغوي فيها إحدى الفتيات). وكما ترى فإن السودان على صلة بالتعليم في يوغندا.

لقد قمت بزيارة بودو مع تيرنر قبل شهر وأعجبت بالناظر. لم أتمكن من الذهاب إلى نابومال. كذلك قضيت يوماً في كلية المطران تكر مع جونز - رجل عظيم - وقد طلب مني أن أخاطب الطلبة بواسطة مترجم من لوغاندا. المكان لطيف ولكني أتمنى أن تسمح المرتبات من تمكين بعض طلبة ماكرري من رفد الكنيسة. لا أحد التحق

بالكنيسة من ماكرري حتى الآن.

الأسبوع الماضي انغمست في حياة ماكرري وقابلت تيرنر وباتن عدة مرات وكذلك بعض الطلبة. جانسون وأنا ذهبنا في جولة مع اثنين من الطلبة (قساقا - خريج مدرسة التحالف العليا في نايروبي، شاب عاقل ولطيف من قبيلة الكيكويو - ويحيى، من جزر القمر وهو مسلم ووالده في خدمة سلطان زنزبار). أيضاً اجتمع معنا خمسة من الطلبة في منزل باتن في إحدى الأمسيات وقمت بالرد على أسئلتهم عن السودان والإدارة الأهلية. كذلك اجتمعت كثيراً مع الكاباكا وتحادثت معه عن حماقة ١٥ من أصحاب مزارع الموز في عدم تمكين كلية ماكرري من حيازة ٢٠٠ فدان لتوسيع كلية ماكرري. يبدو لي من الواضح أن حكومة يوغندا قد أخطأت خطأ فادحاً أولاً في الحصول على استشارة قانونية خاطئة، ثم بإطلاع الكاباكا والباقندا عنها. شكوك الباقندا واعتراضات اللوكيكو قد أثيرت، والآن هم في ورطة، ولكنك قد تعلم عن ذلك أكثر مني. هم فسروا القانون تفسيراً ضيقاً في مادة حيازة الأرض في اتفاقية الباقندا، «لغرض الأشغال العامة» بدلاً من التفسير المتعارف في بقية البلاد «الحيازة من أجل أغراض عامة».

قبل أن أذهب إلى كابال باتن طلب مني أن أستعد عند رجوعي لإلقاء كلمة غير رسمية على طلبة الآداب عن الحكم الذاتي السوداني. عند عودتي اكتشفت أنه مطلوب مني إلقاء محاضرة في القاعة الرئيسية لكل الطلبة بالإضافة لخمسين من مجتمع يوغندا من البريطانيين وأعضاء آخرين - أغلبهم موظفون وزوجاتهم، والمطران وأعيان الكنيسة الكاثوليكية، وهنود وخلافهم. على أي حال بعد بعض التوتر أنجزت المهمة، وثاني يوم طلب مني باتن أن أعد لحلقة دراسية، أسئلة وأجوبة لمدة ساعتين لـ٨٠ طالباً. وقد وجهوا لي أسئلة ذكية وبأدب ولم يتوقفوا إلاّ عندما أصابني الإرهاق. إنهم طلبة أذكياء ومتحمسون وبشوشون ومهذبون. أعتقد أن باتن قد أنجز عملاً عظيماً معهم كما حفز الأساتذة.

لا أستطيع أن أصف لك مدى سعادتي على الأسبوعين اللذين قضيتهما في ماكرري،

الجو الأكاديمي، والجبال الخضراء، وصحبة باتن وتيرنر، وأولئك الشباب الأفارقة الآسرين. شرق أفريقيا تأمل ولا بد لماكرري من الحصول على الأراضي الإضافية التي تحتاج إليها. في رأيي ليس هناك استعجال لبناء مسجد في ماكرري. هناك فقط سبعة مسلمين وأحدهم قال لي بهزل إنهم حقيقة يحتاجون لثلاثة مساجد لأن المسلمين يمثلون ثلاثة طوائف مختلفة. لا يبدو أن هناك أي شقاق ديني في ماكرري.

تناولت الغداء مع الكاباكا وقد شاهدت طبوله وأسده وخلافها. وهو شاب لطيف، ولكنه يعاني من الذهاب كل يوم من قصره على الجبل الذي يشبه الزمن السكسوني إلى جبل ماكرري الذي يشبه القرن العشرين.

الخرطوم ٩ أغسطس:

لقد قرأت للتو في صحيفة «شرق أفريقيا وروديسيا» أنك منحت وسام «صليب القديس مايكل والقديس جورج». لم تورد الخبر «رويترز». مبروك. ليتني علمت به من قبل. ولكنها مكافأة بخسة. كان يجب عليهم أن يمنحوك وسام «فارس صليب القديس مايكل والقديس جورج». ولكن ربما ترى الحكومة البريطانية أن التعليم أقل رتبة من العمل الحزبي أو الخدمة السياسية، ولو أني سعيد أنهم اعترفوا بأنك تستحق التكريم.

لقد سبق لي كتابة خطاب لك أشكرك فيه على التقرير (وطلبت من الحاكم العام أن يكتب رسمياً إلى وزارة المستعمرات يشكرهم على زيارتك) ولكني كنت مرهقاً وأنا متأكد أن خطابي ما كان لائقاً. وأنا أكرر الآن: لي عظيم الشرف أن أتقدم لك بالشكر المستحق على عمل مميز، شامل، وواضح، ومتعاطف، وهادف في نقده. لقد قرأت التقرير عدة مرات وأطلعت تيرنر وباتن عليه (أرجو أن لا تمانع) وقد تم توزيعه على كثيرين هنا. لقد كان من نبلك في نهاية جولة منهكة أن ترهق نفسك لإخراج تقرير سلس ومفيد. كلما أعدت قراءته أجد فيه الجديد، أنا حقيقة ممتن لك يا كريستوفر. هذا التقرير حقيقة هو ما كنا نصبو إليه ولكني كنت محرجاً في أن أطلب منك ذلك.

الحاكم العام بخير وعافيته تامة واهتمامه بالشئون الاجتماعية والاقتصاد والتعليم يزيد يوماً بعد يوم. سيغادر في عطلة إلى قبرص خلال سبتمبر وأكتوبر. كلية غردون الجديدة ستفتتح في أكتوبر أو أوائل نوفمبر. سأكون أنا رئيس مجلسها بالرغم من عدم رغبتي في ذلك. أنا لا أعتقد أن السكرتير الإداري يحق له تولّي مثل هذا المنصب، ولكنه ليس منصباً يمنع السياسيين من تبوئه، وسوف أخلع رداء حكومة السودان وألبس زيّ الكلية (بدون قبعة حيث لم أتحصل على شهادة جامعية). أرغب في تحضير خطبة تدشين (إذا لم يفعل الحاكم العام) عن وضع كلية غردون الجديدة في السودان (وجنوب الشرق الأوسط) ومهامها. هل لديك أية أفكار في هذا الصدد؟ لو كان دوف هنا لأفادني. كنت غاضباً حينما اعترض النحاس على تعيين عباس العقاد في مجلس الكلية. مصر تضع العراقيل وبريطانيا بعيدة جداً ومشغولة بمشاكلها، ومع ذلك فسنواصل النضال.

هذه القنابل الجوية كانت وما زالت تسبب الإزعاج، وهي مصيبة للندن وللندنيين أن يمروا بهذه المعاناة مرة أخرى ونحن على أبواب النصر. إن الإرهاق العصبي وعدم النوم والمعاناة من المنازل المهدمة لا بد أن يكون صعب التحمل. الرجال هنا لا يعلمون مدى حظهم. أشعر بالخزي وأنا أتمتع بالراحة وبمرتب عالٍ بينما القيامة تطحن الناس. أرجو أن تكتب لي قريباً وليحفظك الله من أي خطر.

إلى ج. س. تيرنر الخرطوم ٢٤ أغسطس ١٩٤٤

لقد رجعت للخرطوم يوم ٨ أغسطس ووجدت نفسي محاطاً بالمتأخرات، الآن فقط وجدت بعض الوقت لأكتب لك لأشكرك على كل مساعدتك وضيافتك (وكذلك باتن والذي كتبت له أيضاً) التي أحطتموني بها أثناء إقامتي في ماكرري. لقد فرضت نفسي عليكما لمدة أسبوعين، وأنا أخشى أن أكون قد أخذت الكثير من وقتكما، ولكنها كانت فرصة قيمة بالنسبة لي أن أتعلم الكثير، وقد استمتعت بهذه

الفترة كثيراً وشعرت بالتحفيز لمواصلة عملي. قد تشعران بالإحباط من وقت لآخر بشئون كليتكما والمشاكل المحلية والتي تفاقمت بسبب الحرب، ولكن كمراقب من الخارج بدت لي ماكرري كمؤسسة نشطة وفريدة، مصدر قوة ثقافية لشرق أفريقيا وبإمكانات عظيمة في حالة حصولكم على أرض إضافية ومبانٍ، وزيادة معلميكم وطلابكم.

أنا متأكد أن ماكرري تحتاج لدعاية أكبر، لا داعي لعدم إظهار أهميتكم. هذه الأيام لا بدّ من الظهور تحت الأضواء في التسابق على التمويل والموظفين في إنجلترا وأفريقيا، والإعلان يؤتي أكله. لا أدري إذا اطلعت على المقالة المرفقة من صحيفة «كينيا» الأسبوعية، جريدة محلية نشطة، وأعتقد تمثّل الرأي العام الأوروبي في كينيا، وقد كانت أكثر تنويراً وهدفاً في الفترة الأخيرة بالنسبة لتناولها مشاكل شرق أفريقيا.

لقد كنت كريماً معي في إتاحة الفرصة لي بمقابلة طلبتكم والتحادث معهم وقد وجدتهم أذكياء وجذابين دون أن تلزمني بحضور الفصول. كان بودي أن أرد إليك الجميل بطريقة أو بأخرى، ولكنني لم أجد المناسب المقابل، على أي حال أرفق لك شيكاً بقيمة خمسين جنيهاً لصرفه على اي شيء مفيد مثل بعض احتياجات قاعة اجتماعات الطلبة، أو الجمعيات، أو بعض الكتب للمكتبة، أو أي شيء تراه يدخل السرور أو الفائدة للطلبة حيث كانوا مهذبين معي. أتمنى أن تتحصلوا على مساحة أرض إضافية قريباً، ويصلكم رد بالموافقة على طلبكم لمنحة بموجب قانون الرفاه والتنمية الاستعماري.

نحن ندين لكم هنا بالفضل في قبول طلبة جنوب السودان الذين يجتازون الامتحانات بنجاح، وسيكون حدثاً لمديريتنا الجنوبية الفقيرة إذا تمّ قبول اثنين من طلبتنا في يابومال في الدخول لكلية ماكرري. أملي أن يزيد عددهم وأن تتمتن العلاقة مع ماكرري. سأحث بعض مفتشي مراكزنا وإرسالياتنا لزيارة ماكرري ليتعلّموا وليلهموا.

عند رجوعي وجدت أن دمج مدارسنا العليا في كلية غردون الجديدة وتعيين مجلس

لها قد تمت الموافقة عليه، كما انتهزوا فرصة غيابي في يوغندا ليعينوني رئيساً للمجلس. السكرتير الإداري ليس هو الشخص المناسب لهذا المنصب، ولكني في استطاعتي على الأقل أن أؤيد الدعم الحكومي دون تدخل حكومي غير مبرر، كما سيكون عظيماً أن أستأنس برأيك كزميل ذي خبرة (تيرنر وافق أن يكون عضو مجلس إدارة كلية غردون الجديدة).

أعجبتني كثيراً مقررات باتن عن الدراسات الاجتماعية والتي عرضتها على مجالس دراسات العلوم، والآداب، والإدارة هنا. أتمنى أن يستفيد أي موظف بريطاني من هذا المقرر.

الفصل السادس عشر

التعليم لأجل الديموقراطية
١٩٤٤

إلى مكي عباس الخرطوم ٢٦ أغسطس ١٩٤٤

عضو المجلس الاستشاري

تحياتي وأرجو أن تكون بخير. جيوفري هاوكسورث وأنا اتفقنا بعد زيارتنا إلى كلية ماكرري، أن تذهب لها في المستقبل القريب لمعاينة مقررات الدراسات الاجتماعية ومقابلة المستر باتن نائب العميد النشط، والمتحمس جداً لتنمية القرى وعلم المدنيات.

لقد أعجبتني الكلية جداً والطلبة كانوا أذكياء وودودين. وقد صادقت اثنين منهم: طالب من مدرسة الوحدة العليا بنيروبي وهو من قبيلة الكيكويو، والآخر من عرب زنزبار يدعى يحيى. الاثنان في سن التاسعة عشرة ومهذبان أكثر من طلبة مدارسنا الخاصة الثانوية في إنجلترا. أنا أقوم بطباعة مقرر الدراسات الاجتماعية وسأرسل لك نسخة.

لا أعتقد أن الإعلان عن إنهاء عقد الجزيرة كان مفاجأة لك. لقد كان من المؤسف عدم تمكننا من الإعلان عنه في جلسة المجلس الاستشاري في مايو، ولكننا كنا ملزمين لانتظار الإعلان المشترك في إنجلترا من مجلس الإدارة. على أي حال لا أعتقد أنه كان بإمكاننا إصدار المذكرة في وقت سابق، وأملنا السابق في مناقشته في اجتماع كان متفائلاً أكثر مما يجب. وقد تلاحظ أن الحكومة قد تتصرف باستعجال وتهوّر كما يفعل المتعلمون من السودانيين أحياناً، على أي حال العبرة بالنتائج.

تم اختيار مجلس كسلا، ولكن أغلب أعضائه من كبار السن للأسف، ولكنها مديرية ما زالت ريفية ولم يظهر بعد أبطال صغار السن.

سمعت أن محجوب أفندي ألّف كتاباً عن الحكم المحلي. المواضيع التي تناولها الكتاب جيدة ولكن لم يكن لديّ الوقت أو المقدرة لقراءة النص العربي.

مقترح مجلس مركز القضارف الآن في مسودته النهائية، وبميزانية ٦٠,٠٠٠ جنيه. اللجنة التنفيذية لكلية غردون في لندن وافقت على خططنا وعلى المجلس الأعلى للكلية العليا. أحد الأعضاء تمنى أن تكون هناك نساء بين الأعضاء. كلية ماكرري قد تسجل أول طالبة لها السنة القادمة.

كان عليّ أن أرد على عدد من الأسئلة من ٨٠ طالباً من ماكرري عن السودان. كانت فرصة عظيمة بالنسبة لي، وكل الأسئلة كانت ممتازة.

أتمنى أن ينشر تقرير لجنة صيانة التربة الطويل والذي طبع قريباً، وسيعرض على مجلس الحاكم العام للتصديق يوم ٢٨ وسيكون هناك مجلس إدارة (بمشاركة سودانية، للتصديق على قراراتهم).

أرسل أحد الأثيوبيين شكواه في بورسودان بالإنجليزي، إلى «المفتش الملتهي!» (مثلي).

أود أن أتمكن من إيجاد حل لموضوع التموين العادل والمرتب في المناطق الريفية. الهجرة من الريف إلى المدن تدعو للقلق. وصلتني معلومات مزعجة عن زيادة سكان الأبيض. لقد تضاعف عدد السكان في العشر سنوات الماضية. الأسباب هي: رخص أسعار المياه، وتوفر التموين مقارنة بالأرياف، وفرص العمل في قوة دفاع السودان وسلاح الطيران الملكي، وزيادة أحياء الفلاتة. التموين وفرص العمل طبعاً عوامل مؤقتة وغير دائمة.

تجري دراسة مشكلة مجلس بلدية كسلا أيضاً. وألاحظ أن نيروبي وممباسا ودبلن تعاني من نفس المشكلة. الحروب لعنة لأنها تسبب في خلخلة الحياة الاجتماعية

والاقتصاد. متى سنحظى بتلك القرية المثالية وننزح إلى الريف.

مع أطيب تمنياتي، هل في نيتك زيارة الخرطوم؟

مفكرة (وجدت بين أوراقه) الخرطوم ٩ سبتمبر ١٩٤٤

البرلمان والصحافة في مصر ناشطان بهذه الأيام على جميع المستويات في ما يختص بالسودان، ويحاولان باستمرار انتقاد حكومة السودان بقسوة. إنه من الصعب على الموظفين البريطانيين في خدمة الحكم الثنائي أن يعارضوا ذلك الصخب غير المدرك للحقيقة، أو أن يخبروا السودانيين عن رياء مصر.

أتمنى أن تعرض الحقائق على الرأي العام البريطاني وتوضح الحقائق عن «حليفنا». من الخطأ أن نفترض أن لا مشكلة هناك في السودان، حكومة السودان أغلبها من البريطانيين ويمكنها أن تهتم بأمرها، والسودانيون موالون أو على أقل تقدير يعرفون من أين تؤكل الكتف. ولكنهم موالون، تذكر حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ و١٩٤٠ - ١٩٤٤، ولكن ولاءهم لمن؟ لشيء مجرد وبعيد: الحكم الثنائي. أما عن أكل الكتف، فالمصريون يعرضون أمام أعينهم الكثير، بينما بريطانيا قانوناً تحرمهم الخيارات الامبريالية، والتأهل للاستفادة من صندوق التنمية الاستعماري وخلافه. وعليه فليس من المستغرب أن بعض المتعلمين السودانيين يقولون «نحن معجبون بالثقافة البريطانية والعدالة البريطانية، ولكن ما هو الشيء الذي نتحصل عليه من هذه العلاقة؟ لقد حاربنا لبريطانيا في حربين عالميتين، ولكن ما هو اهتمام بريطانيا بنا؟ مصر تهتم بنا كثيراً». أنا أعتقد أن بريطانيا يجب أن تصحو بالنسبة للسودان وإلا فستجد أن السودان أفلت من قبضتها. بريطانيا لن تتمكن من البقاء على ذكريات غردون للأبد. وزارة المستعمرات تعج بالهيئات الاستشارية الخاصة بالزراعة، والتعليم، والصحة وخلافها. ووزراء المستعمرات والوفود الاستشارية

تطوف أرجاء الأمبراطورية الاستعمارية. جيوش المستعمرات يشاد بها في الصحف البريطانية، وتعقد الندوات على أعلى المستويات في مجلسي العموم واللوردات. أما البرلمان والصحافة في بريطانيا، فعموماً هم يتجاهلون السودان على الإطلاق. هل هم يخجلون منه؟ عندما بدأت هذه الحرب كان الطلب لموظفي السودان ملحاً، إداريون ومهندسون وخلافهم. وقد وفرنا إداريين إلى أثيوبيا، وأرتريا، وطبرق، وليبيا وجزر الإثنا عشر، وما زالت الطلبات تنهال علينا لابتعاث موظفين آخرين إلى فلسطين، والعراق، وعدن، والصومال وخلافها.

إن سمعة موظف الخدمة المدنية السوداني جيدة في الشرق الأوسط، وفي اعتقادي في بريطانيا أيضاً، وكان التقدير لبلاء السودانيين في الحرب ليس فقط من قادة الجيوش البريطانية وإنما من الأجانب أيضاً أمثال وليام بوليت والسيد أبويّ والوصي على عرش العراق وخلافهم. إن حكومة السودان لا تطالب بمكافآت مادية ولكنها فقط تطالب بأن عملها المثمر في قيادة السودانيين الطيبين والذين يتمتّعون بالرجولة إلى مستقبل اقتصادي وسياسي لن يتعطّل أو يعرض للخطر بالنفوذ المصري أو بدعاياتهم أو باختراقهم. إن القرار إذا ما كان السودان سيبقى تحت النفوذ البريطاني أو المصري ليس هو الآن نتيجة الصراع السياسي، ولكنه قد يصبح، وجدير به أن يفصح عن رغبات السودانيين أنفسهم. ولكنهم قبل أن يقرروا الانحياز لبريطانيا، قد يطالبون ببعض الاهتمام والشعور بالأهمية. بريطانيا لا يمكن لها أن تكون صاحبة أرض غائبة، بعيدة، وصامتة، وبخيلة. حكومة السودان قد عملت ما في وسعها محلياً في تحفيز التعليم والتنمية الإقتصادية والحكم المحلي، لمقابلة المتطلبات المحلية، ولكن متعلمي السودان ينظرون إلى أبعد من ذلك في هذه الظروف المستقرة من حكومة السودان أو حكومة الحكم الثنائي. أحد الشركاء - مصر - يتحدث بصوت جهوري: والآخر بريطانيا صامتة. بريطانيا قد لا تستطيع أن تعلن منفردة بدون وخز ضمير، ولكن بعض الاهتمام الواضح في البرلمان والصحافة هو ليس مطلوباً فقط أخلاقياً وإنما مقيّد سياسياً.

إلى قيساقا - طالب في ماكرري الخرطوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٤

أشكرك على خطابك بتاريخ ٢٤ أغسطس الذي تسلمته أمس. أنا أيضاً قد استمتعت جداً بلقائنا في ماكرري، وكنت أتمنى أن لو طالت زيارتي وتكررت لقاءاتنا. كانت هناك مواضيع شتى كنت أرغب في التحدث معك عنها، ولكني آمل في لقاء آخر مستقبلاً.

أتمنى أن تكون قد استمتعت بالعطلة مع أهلك ووجدتهم بخير وتمكنت من أخذ قسط من الراحة بعد عناء الدراسة. أين تسكن تحديداً في كينيا؟

كنت أرغب دائماً في لقاء الدكتو قلوكمان حيث أطلعتني الدكتورة أودري ريتشاردز على بعض أوراقه الخاصة بمعهد رودس ليفنجستون، ويبدو أنه يبحث عن نفس المواضيع الخاصة بتنمية المجتمعات الأفريقية، التي لا تهمني أيضاً. آمل أن أتمكن من دعوته لزيارة كلية غردون الربيع القادم.

في الفترة الأخيرة كنا مهتمين بتجميع وحدات المراكز الريفية الصغيرة في مجالس ريفية كبيرة بالإضافة لمجالس المدن وأيضاً مجالس مناطق القبائل.

أول مجلس يظهر في منطقة جنوب مديرية كسلا والتي تحاذي حدود الحبشة: سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمة ومساحتها ٣٢,٠٠٠ ميل مربع. وكما ترى فإن كثافة السكان أقل بكثير من يوغندا. إنها منطقة قرى وزراعة وفيها مدينة واحدة كبيرة سكانها حوالى ٨٠,٠٠٠ إلى ٩٠,٠٠٠ نسمة وهي المركز الرئيسي للأسواق، كما أن بها قبيلة واحدة كبيرة من رعاة الإبل يجوبون مناطق الرعي.

المجلس يستمد نفوذه بموجب قانون الحكم المحلي وسيباشر مهام مفتش المركز. وستكون له ميزانيته الخاصة والتي تبلغ حوالى ٦٠,٠٠٠ جنيه في العام. أعضاء المجلس بعضهم منتخب وبعضهم معيّن. إنها تجربة مثيرة وأنا مهتم بها جداً.

تجربة أخرى أقرب إليك وأفريقية في مناخها وليست عربية، هي مشروع في المديرية الاستوائية لإقامة محلات تجارية لتنشيط التجارة في مناطق ليست بها أسواق. نحن لا

نرغب في استجلاب تجار شماليين لأنهم لا يعرفون اللهجات المحلية. نحن لا نسمح بوجود الهنود في هذه المنطقة على الإطلاق، ليس هناك أي هندي في جنوب السودان وحتى في الشمال، العدد لا يزيد عن ٧٠٠ بما فيهم الرجال والنساء والأطفال. ولكننا إذا أقصينا العرب والهنود فلا بد من ملء الفراغ. المتعلمون من صغار الجنوبيين ليست لديهم الخبرة أو رأس المال لفتح محلات بأنفسهم، ولذلك اقترحت الحكومة أن تفتح محلات تجارية حكومية ممولة من الحكومة وتدار بواسطة هيئات من المديرية - هيئة تنمية المديرية الاستوائية - وتوظيف الشباب الجنوبي مديرين للفروع. الحقيقة نحن في حاجة لشبان من أمثالك مهتمين بتنمية المجتمع وملمّين باحتياجات المناطق المحلية وكذلك المحاسبة. هذا نوع من الاشتراكية الموجهة من الدولة وتجربة أيضاً مثيرة.

الاجتماع الثاني لمجلسنا الاستشاري في ديسمبر وعليّ أن أقوم بترتيبات كثيرة لأن الأعضاء سيطرحون أسئلة كثيرة، ويقدمون انتقادات لسياسة الحكومة، ويقدمون اقتراحات، والمفروض عليّ أن أستعد لشرح سياستنا الاجتماعية والاقتصادية، وأجاوب على أسئلتهم عن الزراعة والصناعة والتعليم وخلافه.

كذلك فقد تم تعييني رئيساً لمجلس إدارة كلية غردون والذي يضم نحو ٢٠ إلى ٢٥ عضواً فيهم ٦ سودانيين، وعندنا اجتماع مهم في نوفمبر للتشاور بالميزانية والمقرّرات والمباني وخلافها.

هناك مشروع آخر لترقية بعض الضباط السودانيين المختارين في قوة دفاع السودان إلى قادة فرق - أي أن تكون فرقة واحدة في كل فوج تحت قيادة ضباط سودانيين فقط وليس معهم ضباط بريطانيين. ويجري تعيين صغار الضباط السودانيين المؤهلين لهذه القيادات.

أما بالنسبة للتجارة وهي اهتمامك الأكبر، فقد صدقنا منذ فترة على إنشاء بعض الصناعات السودانية: مصنع زجاج، مدبغة حديثة، مصنع للبيرة المعبأة في زجاجات، ٣ مصانع للعطور (النساء السودانيات مغرمات بالعطور المستوردة)، وكذلك

يجري تحسين صناعة الطوب والبلاط. كل هذه الصناعات ستفتح المجال للحرفيين السودانيين.

كان الخريف جيداً هذا العام، ولكن كان الجراد كثيراً، لا أدري بعد كم سيكون حجم محصول الحبوب. التقارير بدأت تترى الآن، ولكني أعتقد أنه سيكون كافياً.

الآن يا صديقي قيساقا لقد أخبرت عن بعض أعمالنا هنا، وأنا أرغب أن تخبرني عن نفسك وعن بلدك. ماذا يجري فيها بالنسبة للتعليم والزراعة بين قبيلة الكيكويو؟ وماذا عن دراستك أنت؟

الجنرال سير وليام بلات عبر عن طريقنا في رحلته لإنجلترا وحلّ عندي في المنزل. هو صديق قديم وأعطاني بعض المعلومات عن معرض سلاح الملك الأفريقي في الهند وفي أفريقيا. هل شاهدت ذلك المعرض؟

أتمنى لك حظاً سعيداً في دراستك وفي عملك. أرجو أن تبلغ سلامي إلى يحيى وأرجو أن تكتب لي خطاباً آخر وأيضاً أخبر يحيى ليكتب لي. سمعت أن سلطان زنزبار سيرسل حفيديه للدراسة في كلية فكتوريا في الاسكندرية وهي كلية إنجليزية ثانوية، وسيمران على الخرطوم بالطائرة بعد عشرة أيام.

لا أدري سنهما وهل يعرفهما يحيى يا ترى.

هل قمت بأي بحث اجتماعي في عطلتك عن ملكية الأراضي؟ إنه موضوع معقد للغاية ولكنه مهم لسعادة سكان القرى.

أنا سعيد أن حفلكم الغنائي كان ناجحاً، أرجو أن تصفه لي أكثر. كم كان عدد العازفين وما هي الآلات؟ هل تم اختيارك من ضمنها لمقدرتك الموسيقية أم لمهارتك التنظيمية؟

مع أطيب تمنياتي لكم جميعاً في ماكرري.

ملحوظة: عندما تكتب لي أرسل الخطاب بالبريد الجوي وإلا فإن البريد العادي سيتأخر ٢ ـ ٣ أسابيع. البريد الجوي يكلف أكثر، ولذلك أنا مرسل لك طي هذا

الخطاب ثلاثة أوراق من فئة الشلن والتي وجدتها في جيب بنطالي والتي لا قيمة لها هنا. سيمكنك ذلك من إرسال ثلاثة خطابات.

إلى س.و.م. كوكس الخرطوم ١٦ سبتمبر ١٩٤٤

أشكرك على مقالتك الطويلة، الودودة والدسمة والمضيئة من نفس المحجر الذي قطعت منه. لقد وصلت إليّ أمس، وستأخذ بعض الوقت لاستيعابها ووقت أطول للرد عليها، ولكني قرأتها كاملة مرتين سريعاً. لا أعتقد أني قرأت أي خطاب مماثل - القديس كريستوفر للسودانيين - لا يقل عن خطاب القديس بولس. أدناه بعض الأجوبة المختصرة على أسئلتك (من المفارقات أنك كنت في بود بينما أنا كنت في بودو).

بالإشارة لقرارك (صعب ومؤلم) بترك وزارة المستعمرات والرجوع إلى جامعة أكسفورد أو قطع علاقتك بالجامعة والبقاء في الوزارة، يا ليتني أستطيع مساعدتك. هناك شيء واحد جيد - أن خصالك وتجاربك ستكون ذات فائدة عظيمة للشباب (وهم الأهم في العالم الجديد، إنجليزاً كانوا أو أفارقة) في أكسفورد أو في وزارة المستعمرات، فأنت تملك المؤهل للأداء الحسن في أيهما. وبما أنك الآن على أبواب الخمسين، وقد خدمت بهمة ونشاط في المجال العام أقترح عليك اختيار المكان الذي سيسعدك أكثر. ولكن لا تترك وزارة المستعمرات إلا بعد أن تجد الخلف الكفؤ والنشط.

ما هي الوظيفة التي ستتبوأها في أكسفورد؟ لن تكون بعيداً أبداً من الشباب. يمكنك أن تجدّد معلوماتك عن التاريخ القديم. ستجد عدداً من أصدقائك هناك أيضاً، ولذلك إذا رغبت في الرجوع لأكسفورد فعلى بركة الله. من جهة أخرى، فإن وظيفتك في وزارة المستعمرات مميزة، وفي إمكانك رمي حجارة في بركة كبيرة مما يسبب تموجاً يصل إلى قبرص وفيجي والصومال وقامبيا وخلافها. ملايين من الشباب الأفارقة

يعتمدون على حكمتك وحيويتك لتنمية مواهبهم. ولذلك المفروض أن أقول لك ابقَ في وزارة المستعمرات إذا ما تمكنت من إقناعهم بتعيين موظفين إضافيين وسمحوا لك بجولات تفقدية من وقت لآخر. والأخيرة في غاية الأهمية، كل الناس تقول إن وزارة المستعمرات بعيدة (قد يكون ذلك رأي مجحف) وغير متأثرة بالشعور الشخصي. ولن يتوقفوا عن ترديد ذلك إلا إذا ركبت أجنحة لنعليك وأوصلت المن والسلوى بنفسك إلى مديري المديريات ومديري التعليم والشباب.

هل لا بد لك من قطع علاقتك نهائياً بأكسفورد؟

ولكن لا تهتم بما أقوله لأني لا أدرك المواضيع، ولكن إذا رغبت أن تفرغ همومك عليّ فتفضل. لقد استمعت كثيراً لهمومي بما فيه الكفاية. ألا تقدر أن تخفف من عملك المرهق بالمطالبة بزيادة موظفين وبالإصرار على رحلات تفقدية ثم تأخذ خلالها عطلة نهاية الأسبوع في قلعة هلاريون في قبرص، أو لتسبح في جزر سليمان - أو تركب على ظهور السلاحف في سنت هلينا أو تتعرى في جبال النوبة؟

أما بخصوصي أنا عندما تقول مهما اخترت من عمل فيجب عليّ أن أسافر وأن أتحدث وأحاضر في إنجلترا، مقابلة الشباب، بيض وملونين، في الجامعات فإنك أصبت الحقيقة.

أما بالنسبة للسفر، فإني فعلاً أرغب في زيارة شرق وغرب أفريقيا، أما بالنسبة للمحاضرات فالحقيقة ليست لديّ رغبة في إلقاء المحاضرات علماً بأني اكتسبت خبرة الآن ولا أشعر بتردد وجل (صوتي ضعيف من أثر التدخين والغبار)، أما بالنسبة لحبي للشباب فلا شك في ذلك.

أنا لا أرغب أن أعين حاكماً عاماً لأي مستعمرة (إلا السودان إذا دعت الضرورة). لقد قضيت ثلاث سنوات في مصر وفلسطين: ١٩١٥ - ١٩١٨ وسأكون قد أكملت ٢٥ سنة في السودان ١٩٢٠ - ١٩٤٥. إذا ذهبت إلى مستعمرة في عام ١٩٤٥ أو ١٩٤٦ لا بد أن أقضي فيها خمس سنوات على الأقل، وسيكون عمري آنذاك ٥٦ عاماً.

وأخشى أن أفقد حيويتي في مناخ منهك. وسأقضي وقتي وحيداً في منزل حكومي أشبه بالثكنات أعزبَ ومعذباً. أنا لست من القوة أن أكسر حاجز اللامبالاة والعمر ورضى النفس.

الوظيفة الوحيدة التي أرغب فيها في المستعمرات هي وظيفة عميد لكلية ماكرري، والتي أنا غير مؤهل لها إطلاقاً.

نعم أنا أرغب في العودة لإنجلترا في عام ١٩٤٥ أو ١٩٤٦ (أنا لا أمانع في البقاء هنا حيث أنا سعيدٌ فعلاً) للمساعدة في شئون إدارة المستعمرات، وأنا أعني «الإدارة» ـ أي دراسة وتنفيذ عملية الحكم الذاتي (والتي لم يقم بها ـ ما عدا مكتب الفابيان ـ بأي قدر ما عدا في مجال مجالس المديريات، أي أحد). وكل هذه الدراسات غير منسقة، وفي رأيي أن وزير المستعمرات في حاجة لمستشار في الحكم الذاتي أسوة بحاجته لمستشارين في الجلومبيا والأسماك والزراعة وخلافها. ذلك المستشار يحتاج للسفر والتفتيش والتحفيز وكتابة التقارير. سيكون معنياً بعدم ترك يوغندا تتجه نحو الممالك الأهلية، وأن نيجريا ستحل الإمارات والسماح لأعضاء مجلسها التشريعي الثمانية من الأفارقة بصلاحيات أكبر، ولمسألة بربرا لماذا لم ترسل طلاب صوماليين للدراسة في إنجلترا. وليلهم أعضاء المجالس التشريعية، ولتجمع كل إدارات الحكم الأهلي في وحدات حكومات محلية منطقية ومطعمة بالمتعلمين. كما سيحفز كلية نوفيلد في جامعة أكسفورد لإجراء البحوث عن الحكم المحلي في المستعمرات، وعن الدساتير الاستعمارية، وعن العلائق بين الحكم المركزي والحكم المحلي، ولاستيعاب الدروس من التغيرات الكثيرة التي طرأت على دستور سيلان ولنسأل لماذا لم نجد شخصية أفريقية في مستعمراتنا مثل المسيو أبويّ؟ أعتقد أن كريش ـ جونز سيوافق على خلق مثل هذه الوظيفة.

سيكون مماثلاً وأفضل أن أقوم بمثل ذلك البحث (بالإضافة لتقديم المحاضرات إلى المتدربين للعمل الإداري الاستعماري بالإضافة للطباعة والتحدث في المؤتمرات) في كلية نوفيلد. هذا ما كنت دائماً تواقاً لعمله وما أزال. إذا كنت أنت وتيرنر ومارجري برهام وأنا في نوفيلد، فأربعتنا في إمكاننا إضاءة شمعدان يغطي ضوؤه كل أرجاء

أفريقيا. أنا لا أرغب في أن أقحم نفسي على نوفيلد. ولا أرغب في كرسي أستاذية، أو وظيفة فخرية. ليست لديّ خبرة أكاديمية، ولكني مستعد لتقديم خدماتي إلى أي جهة ترغب فيها من أمثال مارجري وأودري. أود أن أكسب ٥٠٠ جنيه إضافية لمعاشي، كما أرغب في مساعدة اللجان المفيدة المعنية بالإدارة الأفريقية والتعليم.

حسناً يا عزيزي كريستوفر، تحول هذا الخطاب الطويل عن الكلام عن نفسي وتجاهل الإعجاب بخطابك أو التعليق على التحف الثمينة المبثوثة خلال رسالتك الدسمة.

إن مشكلتك ومشكلتي أننا لا نجد الوقت للترفيه وللتفكير. لمدة شهر بعد العطلة كنت على ما يرام وقد قمت بالتفكير وتسطير المذكرات والخطابات المتأنية عن مصر ويوغندا والتعليم في الجنوب، والصناعات الثانوية (التي بدأت تظهر - صناعة الزجاج، والمدابغ، وصناعة الصابون وخلافها)، ومنذ ثلاثة أيام غرقت مرة أخرى في العمل المتزايد والآن لا بد لي (كحاكم عام بالإنابة) بالإضافة إلى كوني سكرتيراً إدارياً أن أقوم بالآتي:

١ - كتابة أربعة منشورات طويلة.

٢ - مقابلة أسراب من الزوار هذا الأسبوع والأسبوع القادم.

٣ - كتابة محاضرتين عن السودان لأقدمهما إلى المركز العربي في القدس يومي ٢-٤ أكتوبر أمام مركز تدريب لموظفي الإدارة التابع لمنظمة العلاج الموازي النمساوية تحت إدارة برترام توماس، ولا بد أن يكون مستواي لائقاً لأنهم سبق أن استمعوا لماكمايكل وكورنواليس وبولارد وخلافهم. ولم أبدأ حتى في التفكير بهاتين المحاضرتين بعد.

٤ - التجهيز لآخر لجنة استشارية عن المدارس العليا قبل انعقاد الاجتماع الأول لمجلس كلية غردون، بأجندته الضخمة - اجتماع في غاية الأهمية.

وعليه فعليّ التوقف عن الكتابة الآن وأحرق باقي شموع الليل على مصر وأثيوبيا وكلية غردون للأسبوعين القادمين بدلاً من الذهاب لبخت الرضا.

لقد طلبت خمسة وعشرين نسخة من كتاب «جامعة الطوب الأحمر» (جامعة أكسفورد وكيمبريدج كلياتها مبنية من الحجر، أما كل الجامعات التي أقيمت بعدها فكانت تبنى من الطوب الأحمر ولذلك أصبحت تعرف بجامعات الطوب الأحمر ـ المترجم)، لأقدمها لأعضاء مجلس إدارة كلية غردون. لا بد لهم أن يتعلموا أدوارهم وأنا لا أستطيع التفكير بكتاب جيد للرجل العادي منه، لأننا سنتبع الجامعات الجديدة وليس جامعة أكسفورد أو كيمبريدج. ما هو رأيك عن الكتاب؟ أنا أعجبني جداً.

لا بد من التوقف، فقد تأخر الوقت وأشعر بالنعاس ولا بد لي من دراسة موضوع أثيوبيا قبل الإفطار غداً. سوف أطلع دي لاور على رسالتك (أرجو أن لا يكون لديك مانع) هو ينوي زيارة كينيا ويوغندا بعد أثيوبيا.

❒❒❒

إلى ج. س. تيرنر   الخرطوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٤

الخطاب المرفق غير مصوغ جيداً وقد كُتب على عجل وطُبع قبل أن أراجعه. ولكني أصبت بالهواجس من الطريقة الفردية وغير الجادة والمتقطّعة في ترقية الحكم الذاتي وتمثيل الأفارقة في المؤسسات الدستورية في شرق وغرب أفريقيا، مثلاً كينيا اختارت ممثلاً أفريقياً واحداً في المجلس التشريعي ولم تخبر يوغندا بذلك، وقد علمت به يوغندا من الصحف. يوغندا تقول «نعم يجب أن نحذو حذوهم، ولكن شخصاً واحداً لن يتمكن من تمثيل كل المحليات». أنا أعتقد أنه يجب اختيار أربعة، واحد لكل إقليم «سيقولون لي هذا كلام جيد يا مستر نيوبولد، ولكن بالطبع لن نتمكن من عمل أي شيء إلى نهاية الحرب» لِمَ لا؟ لماذا لا يعرضون الأمر على المجلس التشريعي ثم يتناوب مفوضو الأقاليم في التَمثيل؟

لامركزية إدارة الباقاندا خطوة جديرة بالاهتمام ولكنها غير مفهومة لي، نسبة لتقوية جانب الإمارات والممالك إذا تركوا على حالهم ـ ولم يعرض الأمر على المجلس

التشريعي. أليس المجلس التشريعي يهمه أمر الإدارات الأهلية أو مستقبل التنمية السياسية لثلث سكان يوغندا؟

أنا أرغب في العودة لإنجلترا في ١٩٤٦ وإذا نجحت حكومة العمال في الانتخابات وتم تعيين كريش - جونز كوزير للمستعمرات، وأطلب منه أن يعيّنني مستشاراً له لشئون الحكم الذاتي، كما يعيّن كوكس مستشاراً لشئون التعليم لنحول لوغارد شرق وغرب أفريقيا لتنشيط الحكم الذاتي ولتدريب وتأهيل الخريجين، وتحسين أداء الحكم المحلي والصحافة الأهلية والتحري عن مستوى المجالس التشريعية. لوغارد وهيلي وخلافهما يعلنون أن المجالس التشريعية لا جدوى من ورائها مع أننا الآن نطعمهم بأعضاء أفارقة - لوقارد الآن عمره ٨٦ سنة وهيلي نحو ٧٠، وقد يكونان مخطئين في رأيهما، ولكن هل هناك أحد يحقق في ذلك؟

مرفق مع الخطاب أعلاه الخرطوم ١٦ سبتمبر ١٩٤٤

أرسلت لي مارجري برهام خطاباً في ما يختص بإرسالي ٤ - ٦ سودانيين للتدرب في الإدارة إلى إنجلترا في عام ١٩٤٥ لتلقّي دورات في الحكم المحلي والمدنيات والإدارة العامة، تقول فيه:

> «أنا أعتقد أن كل ما يتعلق بتوصيل التصور البريطاني للسياسة أو الإدارة، والسلوك الأخلاقي العام إلى كل سكان المستعمرات الذين تتسارع وتيرة وعيهم - هو في غاية الأهمية ويجب أن نجابهه بشكل حاد. أنا لا أدري كيف ستتمكن الجامعات من معالجته - سيسبّب لنا ذلك عناءً شديداً ولا بد لنا أن نحصر جهدنا في طلبة الشهادات العاديين».

في خطابك لي في كابال أكدت لي الحاجة إلى إيجاد الفرص للمتعلّمين من الأفارقة ووضع المقرّرات الحقيقية للمؤسسات الدستورية الأفريقية في المستقبل.

إن دراسة منظمات الحكم الذاتي تذهب أبعد من المجالس البلدية والمحاكم الأهلية، والتعاونيات الأفريقية وخلافها. إنها تشمل إدارات المديريات والحكومات المركزية. ولكن ليس هناك أحد يقوم بهذه الدراسة كسلّم مهم للوصول للحكم الذاتي. بعض الخطوات المتعثرة تؤخذ أحياناً عشوائياً ويشتم منها رائحة الايحاءات السياسية كتعيين واحد أو اثنين من الأفارقة في مجلس تشريعي (كينيا ونيجريا)، أو حتى في مجلس تنفيذي (ساحل العاج). جامايكا بدأت في إعطاء حق الانتخاب للجميع، وسيلان جربت عدداً من الدساتير ومختلف الوزراء، والحكومات الثنائية وخلافها.

وزارة المستعمرات صامتة في هذه المسألة، هيلي في آخر صفحة ٥٤٢ من كتابه «نظرة عامة على أفريقيا» يحيل المسألة «لدراسة إضافية». لوغارد في خطاب منه لي الأسبوع الماضي يشكك في جدوى المجالس التشريعية والحكومات الديموقراطية بالنسبة للهند وشرق أفريقيا، ولكنه لا يذكر بديلاً. نحن في السودان قد أسسنا مجلساً استشارياً لملء الفراغ، لكنه لن يستمر استشارياً للأبد. ما هي خطوتنا القادمة، مجلس تشريعي سوداني، أو سوداني ـ إنجليزي، أم مجلس تنفيذي سوداني، أم مجموعة هيئات مصالح، أم استبدال مباشر وتدريجي لكل الموظفين البيض بموظفين أفارقة إلى أن نصل إلى الحاكم العام؟

أعترف بأن الخطوات الأخيرة قد لا نقدم عليها لجيل أو أبعد (ولكن أقل بكثير مما يعتقده الموظفون البريطانيون الدائمون) ولكنها مسألة تحتاج للدراسة الآن، ولكن من سيقوم بها؟

في رأيي أنه ضرب من البحوث في العلوم السياسية، مثل أي بحث آخر في علم الجيلوجيا أو علم الطبيعة، ويجب أن يقوم به أساتذة بريطانيون في جامعات أفريقية بمساعدة السكرتيرين والموظفين السياسيين أو الإداريين. لا يجب أن نترك الأمر للقراءة المتقطعة والتأمل في ساعات الترفيه للسكرتيرين الأوائل المتعبين وغير الدائمين. هل توافقني أنها دراسة يمكن أن يقوم بها أساتذة كلية جامعية؟ وأن يقوم

الأساتذة بإجراء البحوث - أو المفروض أن يقوموا بذلك عندما يكتمل عددهم - في كيف يحافظ الأفريقي على تربته، وعلى صحته، وعلى محصوله، وأن ينمّي حياته الفكرية والاجتماعية، وأن يدير قريته وحكومته القبلية. أليس من المفترض كذلك أن يبحثوا في كيف يدير شئونه القومية إن كان عن طريق ملكية أو برلمان، أو مجلس تنفيذي، أو أي جهاز آخر.

قد يقال «هذا لن يحدث لوقت طويل»، ولكن قبل عشر سنوات كنا نعتقد أن الحرب لن تحدث لزمن طويل، ولا بد لنا من أن نبدأ في دمج الأفارقة في الرتب العليا من أجهزة حكوماتنا الاستعمارية الطبقية. سيثير ذلك مسائل سياسية، ولكن ليس أكثر المسائل التي ستثيرها تنمية الزراعة بالنسبة للجيلوجيا أو التسميد، وما سيثيره التعليم بالنسبة للتعليم الصوتي أو الأصولي. وإذا تسببت المسائل السياسية في زيادة الحرارة فهل من مكان أفضل لدراستها من ماكرري أو أشيموتا بجوهما الهادئ واللطيف، وبمكتباتها، ومؤسساتها البحثية في الدراسات الاجتماعية؟

الحكومة مثل الطب أو علم المناخ هي علوم أو المفترض أن تكون، ويجب أن يكون لها أساتذتها وباحثوها، ومجلاتها، ومكتبتها. أم يا ترى أنا سائر في اتجاه خطأ. أنا أشعر بفراغ في البحث في الشئون السياسية - بالنسبة لي أن أهم علم في هذا العالم المشتعل هو علم السياسة. في الوقت الحاضر تبدو العلوم السياسية غير مستقيمة وبدون هدف، وغير متصلة بعوامل رفاهية المجتمع أو بالتطلع الفكري والعرقي، أو الخبرة المؤسسية، أو بالروابط الجغرافية والاقتصادية وتحت رحمة الصحافة المتقلبة والدبلوماسية المبنية على الصراع السياسي، والشركات الضخمة وعوامل أخرى لمصالح ذاتية، غير متفهمة وغير مختصة.

ألا توافقني، في حالة وجود الأساتذة والزمن، أن تدريس النظم السياسية للبلدان الأفريقية المستقبلية في كليات ماكرري، وأشيمونا ورودس - ليفينقستون وكلية غردون، لا يقل أهمية من تدريس تلك الكليات لنظم الزراعة أو الطب في تلك البلدان في المستقبل؟ وأن يصاحب ذلك إجراء البحوث الموازية في كلية نوفيلد

في أكسفورد أو في أي جامعة أخرى بها أستاذية لدراسة إدارة المستعمرات أو الإدارة العامة.

إذا كانت الإجابة بلا، فمن أين يجد السكرتيرين الأوائل المعلومات لتقديم النصح للحكام؟ لا يمكنهم تقديم النصح من فراغ، أو من تجاربهم الخاصة والتي قد تكون محلية، أو شخصية أو قديمة.

لقد قمت للتو بإلحاق أحد مفتشي مراكزنا الذي يمتاز بتعليم عالٍ ومنطق سليم بمدرسة الإدارة في كلية الآداب بكلية غردون ليدرِّس علم الحكم الذاتي في البلدان الأفريقية، إذا وافق عميد الكلية على ذلك. وقد نجح في إقناع لجنة البحوث التابعة لوزارة المستعمرات لضم ذلك العلم في بحوثهم أسوة ببحوثهم عن زراعة القطن وتربية الأسماك.

من ج. س. تيرنر – إلى نيوبولد ماكرري ٢٦ سبتمبر ١٩٤٤

«... بالطبع أنا أتفق معك أن علم أو فن الحكم يجب أن يعلّم منهجياً. حتى لو كانت مثل هذه الدراسة في الواقع وقفاً على المثقف الموهوب (أو غير الموهوب). أما شعورنا القومي في أنه يصعب على أي أبله مهم أن يحكم بدأ تدريجياً في التبلور. أي مجلس تشريعي، مثل أي محكمة مدنية، لن يكون ذا جدوى إذا لم يدفعها ويوجهها خبير حقيقي، وذلك الخبير يجب ألا يكون موظفاً تنفيذياً.

إن ايماءة كينيا بتعيين أفريقي واحد للمجلس التشريعي هي غير ذات جدوى إن لم تكن ضارة. إنها مجرد تلاعب سياسي، مجرد تخفيف للنقد غير المتبصر، وليست خطوة بناءة. أنا لست خبيراً في علم السياسة، ولكن يبدو لي أن لدينا عدداً من الأجهزة التشريعية:

وقد نحتاج لمجلس تشريعي مركزي على مستوى أعلى (حيث لا بد من إيجاد جهة لسنّ القوانين)، المجالس المحلية في إمكانها سن القوانين الفرعية، ولكن شرق أفريقيا تعقّدها المناطق التي يستقر فيها البيض وهم أصحاب الصوت الأعلى في المجتمع.

على سبيل المثال، فإن لجنتنا لشئون العمال (أنا أحد أعضائها غير المؤهلين) تقضي الساعات الطوال في مراجعة قانون التقديم الذي صاغه مكتب قانون التاج وهو عبارة عن مجموعة قوانين لدول مختلفة - كينيا، نيواسلاند، شمال روديسيا وخلافها، وكان المفترض أن يعده رجال أكفاء على مستوى عال، وليس من محام عام، وسكرتير مالي، ومدير الإمدادات الطبية، واثنين من المزارعين وأحد موظفي الإرساليات وشخصين. إن عدم وجود الكبار هو ما يخذلنا دائماً، وعدم توافر المعرفة المنهجية الناتجة عن البحوث التي يقوم بها اختصاصيون. وفي النهاية نفتقد الأجهزة المناسبة لحكومة تخدم الملايين».

إلى مكي عباس — الخرطوم ١٩ سبتمبر ١٩٤٤

ضابط تعليم الكبار، مشروع جسر البديل

للإعاشة، النيل الأبيض.

أشكرك جزيلاً على خطابك بتاريخ ١٤ سبتمبر وقد كان ممتعاً جداً. إنه من فضلك أن تكتب بإفاضة، وحقيقة أنا ممتن لك. أنت تعلم مدى تقديري لآرائك ولصداقتك.

أنا سعيد أن مشروعك الريفي بدأ بداية طيبة، وأنا متشوق لقراءة التقرير المختصر.

انعدام روح فريق العمل دائماً متوقع، ولكن لا بد من إيجاد حل له. أرجو أن لا تمانع، ولكني أطلعت لورد دي لاوور على تقريرك بطريقة خاصة، وهو بين ظهرانينا في هذه الفترة لمدة ثلاثة أيام وهو في طريقه إلى أديس أبابا لعقد اتفاقية إنجليزية - أثيوبية عندما تنتهي الحرب. قال إن مكي وصف المشكلة العامة للحكومات. في الحكومات الكبيرة بوزاراتها وإداراتها المعقدة، ربما من الحتمي بروز أقسام مُحكمة، ولكن بالنسبة للسودان فإني لا أرى ضرراً من قيامها. فهي تحتاج لشيئين، أولاً: تضمين التعليم وخصوصاً التعليم العالي الجوانب الاجتماعية من العلوم والمعرفة، وثانياً: إعلان سياسة حكومية متفق عليها أن كل المصالح أعضاء في أسرة واحدة ولا بد أن يعملوا سوياً. تلك السياسة يجب أن ينشرها مديرو المصالح لموظفيهم وتطبيقها بواسطة لجان دستورية وهيئات في الأقاليم. أنا لا أدري لأي مدى قمتم أنتم في عبد الماجد بذلك.

أما بالنسبة للتعليم فللأسف هناك عدد كبير من الموظفين السودانيين يقلدون رؤساءهم البريطانيين في ضيق أفقهم بالنسبة لتعريف شئون مصالحهم. لقد كتبت لسكرتير لجنة المدارس العليا الاستشارية عن ذلك. أتمنى أن تدرج مدارس العلوم (الزراعة والطب والهندسة) مقررات اجتماعية. أقسام العلوم في كلية ماكرري تخصص ساعتين أسبوعياً للمقررات الاجتماعية.

لقد نويت الذهاب إلى بخت الرضا يوم ١٣ لمدة يومين، ولكن وجدت أن مواعيد البواخر لم تتوافق، وإذا رغبت في قضاء يومين معك سيتطلب ذلك بقائي ثمانية أيام أتغيب فيها عن الخرطوم. أيضاً لورد كيلرن أخر حضوره يومين وكان لا بد من انتظار وصوله واستقباله. إنه من الصعب جداً على أي إنسان زيارة بخت الرضا في فترة الخريف التي تمتد بين أربعة أو خمسة أشهر، اللورد دي لاوور كان تواقاً أن يزورها أمس أو اليوم واستفسر إذا كان بالإمكان أخذ طائرة لهناك أو السفر بعربة. ولكني اضطررت أن أرفض. من حسن حظ بخت الرضا أنها في الريف ولكن للعزلة الجميلة ثمناً لا بد من دفعه. لا أعتقد في إمكاني زيارتها قبل يناير ١٩٤٥. هل ستكون

مفتوحة حينذاك؟ لا بد أن أذهب إلى القدس بين ١ إلى ١٠ أكتوبر، ثم أرتب لافتتاح كلية غردون الجديدة في نوفمبر، ثم أعمل الترتيبات لافتتاح المجلس الاستشاري في ديسمبر.

أنا سعيد بأن قرار إنهاء التعاقد بالنسبة لمشروع الجزيرة قوبل باستحسان. إنها خطوة جريئة، وأتمنى أن تنجح، ولدينا خمس سنوات للاستعداد لذلك. ستكلفنا مبلغاً كبيراً لشراء أصول الشركة من مبان ومعدات وخلافه، ولكن احتياطينا لا بأس به، ولو أنه تحت الطلب لتأهيل السكك الحديدية والمباني وخلافه في جميع أرجاء السودان قبل تخصيص مبالغ للتنمية الاقتصادية، وقبل هذا وذاك فنحن في حاجة لمياه النيل.

أنا بريء. فلم أنصح (X) بعدم اتخاذ قرار بالنسبة لإدراج سؤالين (ولا أعرف حتى ما هي الأسئلة ولكني سأسأل (X)) عن مستقبل السودان في المجلس الاستشاري. ولكن أحد الموظفين في مكتبي قد يكون فعل ذلك. لم أقابل (X) منذ عدة شهور ولم أراسله. السؤال الوحيد المعني بالمسائل الدستورية والذي قدم هو خاص بالجنسية السودانية والذي طلب من مكتبي إبداء الرأي فيه قبل فترة. إذا تقدم أحد الأعضاء السودانيين بهذا السؤال فنحن سنعمل جهدنا أن ندرجه في الأجندة. سوف يزعج هذا السؤال الحكم الثنائي، ولكنه لن يكون معادياً لمصر إذا كان السؤال في هذا الاجتماع اختص بتصريح عن الموقف تجاه الجنسية السودانية. لن يكون هناك تصريح بالنسبة للسياسة حيث أن حكومة السودان لا يمكنها تحت الدستور تغيير الحكم الثنائي، ولن يكون من المصلحة كذلك أن ندخل في ندوة بدون معرفة بالحقائق في ديسمبر، لأن الرئيس سيضطر أن يصرح بأنه على معرفة بالحقائق. ولكن ما يمكن وما يجب عمله هو أن نضع السؤال في الأجندة، نسبة لرغبة السودانيين في ذلك، ثم نصدر تصريحاً كاملاً عن الموقف القانوني - مثلاً الجوازات السودانية أو وضع السودانيين القانوني وخلافه، ثم نفتح المجال للناس ليسألوا. وبهذا يكون المجلس الاستشاري قد أحيط علماً بالموضوع (أغلب الأعضاء من المحتمل أنهم يعرفون بعض الشرح

عنه) ويكون الموضوع قد عرض على الرأي العام. وبعدها يمكن للشعب وللمجلس أن يتدبروا الأمر ويقدموا رأيهم أو مقترحاتهم في الاجتماع القادم. وفي رأيي أن هذه الطريقة هي الأفضل.

أرجو أن لا تفكر أنت وأصدقاؤك في أن الحكومة ترغب في أن تحبط طموحات السودانيين.

رأي الحكومة هو أنها هي الجهة الوحيدة دستورياً التي تخاطب العالم الخارجي نيابة عن السودانيين، وقد استنبطت المجلس الاستشاري لتتعرف على آراء السودانيين، ولذلك نحن ملزمون أن نتحصل على ونقدم آراء السودانيين في تلك المسائل الخارجية إذا تعارضت آراء ورغبات السودانيين مع مصالح بريطانيا أو مصر أم لم تتعارض.

من المحتم أن تتعارض آراء ورغبات السودانيين أحياناً مع أحد شريكي الحكم الثنائي أو كليهما، مياه النيل مثال، والجنسية قد تكون مثالاً آخر. ولكن لن يكون ذلك الاعتراض سبباً في قمع تعبير السودانيين، إلا إذا شعرنا أن ذلك التعبير سابق لأوانه أو غير مبرر، وفي تلك الحالة يجب علينا مناقشة الأمر مع أعضاء المجلس الاستشاري والاتفاق على زمان وطريقة تقديم تلك الآراء.

وقد كتبت مذكرة عن هذا الأمر يوم ١ سبتمبر تقول:

«إن المطالبة بقانون جنسية قد ظهر في الصحافة السودانية من وقت لآخر منذ العام ١٩٣٨، كما ظهرت بعض التعليقات في الصحافة المصرية عامي ١٩٣٩ و١٩٤٠ وقد زاد اهتمام السودانيين خلال الحرب.

«إن السودانيين المتنورين والطموحين يمقتون بشدة عدم الاعتراف بجنسيتهم. الحكم الثنائي يمنع منحهم الجنسية البريطانية أو المصرية، وفي الواقع الأغلبية لا ترغب في التجنس بأي منهما، لأنهم يعتبرون

أنهم في طريقهم للتخلص من المستعمرين. ولكنهم يرغبون في أن تكون لهم هوية قانونية، لا أن يظلوا في موقف ضبابي يمكن وضعه باستفتاء عام دائم.

«السماح لمناقشة المسألة في المجلس الاستشاري سيزعج مصر ويؤكد لهم مخاوفهم غير المبررة في أن حكومة السودان تشجع حركة انفصالية في السودان. هذا لن يدخل حكومة السودان في أي مشاكل عدا أننا لن نتمكن من إصدار تصريح عن السياسة (مثلما نعمل بالنسبة للتعليم أو الزراعة أو خلافه)، ولكن في إمكاننا أن نصدر تصريحاً حقيقياً عن الوضع القانوني. وقد يفيد التصريح في تصحيح بعض مفاهيم السودانيين عن الجنسية. كما ستصحح سوء فهم المصريين عن نوايا حكومة السودان غير الدستورية وعن جواز السفر السوداني. وبعد أن يهضم المجلس الاستشاري تلك المسائل في إمكانه أن يدلي برأيه في عام ١٩٤٥.

«إن رفض مناقشة هذا الأمر في المجلس الاستشاري سيرضي مصر (وللحاكم العام الحق في رفض أي بند مقترح) ولكن ذلك سيكون بمثابة رفض للسودانيين في إبداء تطلعاتهم الشرعية في مجلس استشاري قانوني. هناك بعض المطالبة الآن ببيت الطلبة السودانيين والخريجين في مصر «لوحدة وادي النيل»، وأقلية من أعضاء المؤتمر تراودهم نفس الرغبة. أما العقلاء من السودانيين فإنهم قلقون من هذا المنحى ويتوقعون من حكومة السودان تصحيح الأمور.

«أضف لذلك فإن حكومة السودان هي الناطق الدستوري الوحيد نيابة عن السودانيين، ولا يمكننا للأبد، بضمير سليم أن نقمع تلك التطلعات التي قد تتعارض مع مصالح مصر. (اتفاقية مياه النيل مثال

آخر). نحن لا نرغب في إثارة مشاعر المصريين، ولكن هناك حدود للاسترضاء، ومثل تلك الأمور الخلافية لا بد من مناقشتها. عاجلاً أم آجلاً دائماً ما نسمع «الوقت غير مناسب»، ولكن متى سيكون مناسباً؟ التأخير دائماً يخدم مصالح مصر.

«قد يكون من غير الممكن سن قانون للجنسية دون تعديل في الاتفاقية، ولكن السودانيين حريصون أن يدرج طلبهم في الأجندة، حتى ولو لم يناقش لمدة من زمن. أضف لذلك فمن المحتمل الوصول لحل وسط في الوقت الحاضر، مثلاً قانون المواطنه مثل قانون المواطنة لفلسطين من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٩، الذي يسمح بتجنيس الأجانب (للمعلومية طلب عدد من الأجانب هنا نوعاً من المواطنة السودانية إذا تعذر منحهم الجنسية بالتجنس)».

إلى مكي عباس — الخرطوم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٤

أرفق كل مقررات مادة الآداب في كلية ماكرري. سترى أنها: التاريخ ـ الجغرافيا ـ العلوم الإجتماعية ـ والمدنيات. علم المدنيات قد يهمك، وكانت رغبتي أن أقنع مستر باتن للسماح لي بأخذ نسخ من بعض محاضراته عن المواطنة والاقتصاد وخلافهما، والتي كانت ممتازة للغاية. ولكنه قال إنها تحتاج لتنقيح، وبعد عرضها على طلبته ربما يطبعها ويرسل لنا نسخاً منها. وقد سمعته يلقي محاضرة عصماء عن مسئولية المتعلمين الأفارقة لمساعدة مواطنيهم الفقراء في القرى، وعدم اعتبارهم كآلات أو عبيد. وقد قال:

«أيها الطلاب، عندما تنهوا دراستكم ويتم تعيينكم في وظائف بمرتبات بين ١٠٠ و ١٢٠ جنيهاً وأنتم في سن الثالثة والعشرين، فأرجو أن تتذكروا

أن تلك المرتبات جمعت من كد وعرق المزارعين البسطاء الذين يعيشون في أكواخ. إن مرتب واحد منكم قد يساوي الدخل السنوي لخمس أسر. إنكم تدينون لهم بدين: دين الخدمة، ودين المساعدة بحميمية، ودين التعليم بمودة. هل تتذكرون أن توفوا بذلك الدين؟»

لقد كنت جالساً أستمع لتلك المحاضرة وكنت أفكر «هذا ينطبق عليَّ أنا أكثر». فمرتبي أعلى بكثير، ولذلك فإن ديني بالمقارنة أكبر وأسأل نفسي هل أنا أقوم الوفاء بديني؟

على أي حال إذا كان هناك موظف واحد يفي بدينه فهو أنت يا عزيزي مكي، لأنك تعمل وسط فلاحيك وتخدمهم مباشرة وشخصياً. أما أنا فعملي غير مباشر وغير شخصي.

لا بد أن أتوقف لأن لدي اجتماع لجنة مهمة عن تأسيس كلية غردون الجديدة: مجلسها ودستورها وأهدافها وخلافه. أنا أرغب أن يكون من بين أهدافها «خدمة المجتمع». يجب أن تكون منارة لتبث شعاعها واسعاً وبعيداً، وليس فقط مصنعاً لتخريج الموظفين، أو مجموعة نخب، وأنا أرغب في تأكيد أهمية الجوانب الاجتماعية في كل الدراسات وكل المهن.

أتمنى لك حظاً سعيداً وحافظ على شجاعتك العقلية، وإذا حضرت للخرطوم خلال أكتوبر وأنا فيها فأرجو أن تحضر لزيارتي.

أرجو أن تكون احتفالاتكم في بخت الرضا في مناسبة عيدها العاشر ناجحة. مع تمنياتي مرة أخرى.

ملحوظة، ٢١/ ٩/ ١٩٤٤:

لورد دي لاوور أقام مأدبة عشاء في الفندق الكبير لعدد من البريطانيين والسودانيين أمس من بينهم ابراهيم أحمد وعبد الكريم مجيد وعبيد عبد النور وأحمد محمد صالح. لقد كانت حفلة ناجحة جداً وقد ترك السودانيون الأربعة أثراً جميلاً في نفس دي

لاوور، وسير برنارد رايلي (حاكم عدن السابق) والمستر دول (المستشار المالي السابق لدولة سيام)، والكولونيل ووكر (من وزارة الحربية في لندن). وقد قابل لورد دي لاوور أيضاً سودانيين آخرين في حفلة شاي مع مستر وليامز.

إلى ف.ل. قريفث الخرطوم ١٧ أكتوبر ١٩٤٤

حامل وسام الأمبراطورية البريطانية

عميد كلية التربية ـ بخت الرضا

أشكرك على خطابك بتاريخ ٢٥ سبتمبر وآسف أنك وصلت مغتماً ـ أرجو أن تكون أحسن الآن. هل فرّجت عنك احتفالات بخت الرضا بعامها العاشر فرّجت عنك بعض الشيء أو العكس؟ الشيء الجميل هو أن كل الآخرين استمتعوا جداً حتى ولو أنك كنت تحول بينهم مثل قريمالدي (اكتشف المنطقة في إيطاليا التي اكتشفت فيها عظام الإنسان الأول ـ المترجم) بابتسامة على شفتيك وبحزن في قلبك. لقد وصلت إلى قناعة أن تُبعِد الشعور بالتشاؤم، والتفاؤل، والفرح، والحزن، والمرح، والضيق كلها لا يعتمد عليها، لأنها على الأرجح تعتمد على عوامل تافهة وسريعة الزوال وجديرة بالازدراء: مثل معدتي، أو درجة الحرارة، أو الأخبار، أو آخر شخص قابلته أو ملف قرأته.

أهم شيء هو أن تحتفظ في داخلك بأرضية من رباطة الجأش مع قليل من الإيمان، وأن تذكر نفسك دائماً بالحقيقة الأبدية وباستحالة حصولنا على النتائج في زمننا هذا.

آسف بالنسبة للمنشور عن التعاون وأم جرّ، أنا أرغب في تعاون المصالح بعضها مع بعض، ولكني أشك في جدوى المراسيم. أنا أعرف القليل عن أم جرّ. ما هي الآليات التي تملكونها للعمل الجماعي، وإلى أي مدى هي مجدية؟ أنا أعلم أن هيئة

مشاريع الإعاشة الأهلية بالنيل الأبيض ترغب في استعارة موظفين أكثر، أو ترغب في فحص وإعادة نظر، ولكن أجهل الموضوع. عشمي أن نتحدث عنها وأن تعطيني بعض الأمثلة المحددة عن الفجوات وعن الفردانية.

هناك نقطتان مختلفتان في هذه المعضلة التي نسميها «المصلحية» وهما التقوقع والتصرف الفردي، والثانية (وهذه نقطتك) هي وضع الكفاية الفنية قبل التطور الاجتماعي الصالح، والمعرفة الأكاديمية قبل الحكمة والإنسانية.

أنا أوافق أنه من الأهمية بمكان وأنا مستعد لمساندة التعاون وأن أكتب أكبر عدد من المنشورات، أو أطلب من الحاكم العام عمل ذلك. أكبر عدد من المنشورات توضع في الملفات وتحتاج للمتابعة. أعتقد أننا في حاجة إلى منشور وإلى هيئات وسطية بين المصالح وبصلاحيات مصدق عليها (وهذه يمكن أن تتضمن مبادئك بتقديم السعادة الإنسانية على الكفاية غير الإنسانية).

أنا متأكد أن هناك وسيلة للقضاء على هذه «المصلحية» - في الواقع فقد قضينا عليها في عدد من الحالات الاستثنائية هنا مؤخراً.

مع تحياتي - أرجو أن تناقش مع جيوفري هوكسورث ومكي عباس الخطوات العملية التي يجب أخذها لضمان التعاون في أم جرّ (من يدير أم جرّ للمعلومية؟) وعموماً في تنمية الريف وخلافها. أليست الإجابة في الواقع هي هيئات حكومية رسمية وحكم محلي بالإضافة لمنشورات من الحاكم العام؟

إلى ج. س. تيرنر　　　　　　　　الخرطوم ٢٠ أكتوبر ١٩٤٤

أشكرك على تعليقك عن المجالس التشريعية وعلم الحكومات. أعتقد في يوم من الأيام سيدرس أحد الناس الموضوع برمته ولكن سيكون ذلك متأخراً جداً، فإما أن نتوصل لنتيجة من تجاربنا (صواباً أو خطأ)، أو أن الأفارقة سيتخلصون منا

نسبة لمماطلتنا. أنا أرى أن ساحل الذهب التي هي دائماً أكثر مستعمراتنا مغامرة، قد حولوا مجلسهم التشريعي إلى مجلس تنفيذي أكثر وأكثر تمثيلاً أيضاً. لقد طلبت من وزارة المستعمرات أن تمدنا بالتفاصيل ولكنهم تقريباً دائماً يدعون جهلهم بما يسمونه «التجارب المحلية» ولا يذكرون أبداً إذا كان في نيتهم تطبيقها في أماكن أخرى. لم أتمكن من الحصول على أي أجوبة عن مفتشي المراكز ـ عندما عينت في ساحل الذهب اثنين.

نحن نتابع تحركات نيوتن (مهندس مباني كلية غردون الجديدة) ونتوقعه حين يرجع. أنا لا أمانع في مبانٍ بطابقين في أفريقيا. أنا أكره الثلاثة طوابق أو ما يزيد في المباني إلا إذا كان العرض والعمق يسمح بتحمّلها. أيضاً يرغب أن يتحرك داخل وخارج المبنى بسهولة في هذا الطقس الحار، وبناء فرندات مكلف هنا.

أرجو أن تقيم معي عندما تأتي لحضور اجتماعات مجلس الكلية. كان بودي لو ترأسته. سأكون مضطرباً لأن هذا خارج خبرتي وكل تعليمي غير متقن وتعوزه البراعة.

لقد اهتممت بشرحك عن إعلان الحكم الذاتي لمنطقة الباقاندا. يبدو كما تقول إنها خطوة منطقية، ولكني كنت أتمنى لو قام أحدهم قبلها بإصلاح ملكية الأرض، وجدد مجلسهم وجعله أكثر تمثيلاً، وجعل لرؤساء قبيلة السازا مجالس مرخصة مطعمة بخريجين.

عبد الغني يحيى، الطالب من جزر القمر الذي أخذني هو وقاسيقا في جولة حول الكلية أرسل لي خطاباً لطيفاً يقول فيه إن مفتشي مراكز الباقاندا سيشرفون على رؤساء قبائل السازا والقمبولولا. أعتقد أنه مخطئ.

مكتبي وسكوت من مصلحة التعليم هنا يعتقدان أن خطابات يحيى وقاسيقا فوق الوسط مقارنة مع الطلبة السودانيين من سنهم باستعمالهم للمفردات الإنجليزية بسهولة وبساطة وتواضع. قاسيقا كان ذكياً ولطيفاً. سيُسر عندما يعلم أن ي. و. ماثو قد عيّن في مجلس كينيا التشريعي. سيكون من الغريب إذا كان أول خريج من

كلية باليول في أكسفورد يعين في المجلس التشريعي أفريقياً. هو كان يدرّس قاسيقا في مدرسة الوحدة العليا.

أنا متأكد أنك محق في زعمك بأننا نفتقد الفكاهة وروح الدعابة. فملفاتنا منتفخة وجادة، وأغلب لجاننا تنذر بالاحتمالات، بينما يتوق المتعلمون من السودانيين للمعرفة للحد الذي يفقدون فيه فكاهتهم الطبيعية والتي هي عظيمة - خصوصاً عند الجنود وأطفال المدارس وكبار السن في القرى (الذين يحبون العبارة البارعة). أعتقد أن السبب الرئيسي في انعدام الفكاهة عند الموظفين هو التفكير الذي لا ينقطع عن الوضع، نسبة لطبيعة الحكومة التراتبية وعدم استعمال التعابير الجميلة واللاذعة من الموظفين.

أعتقد لا بد لنا من سيرك حكومي - حقيقي مثل سيرك سانقر بمهرجيه وأفياله وجوقاته الموسيقية - متنقل دائماً بين الأقاليم حتى يتمكن مفتشو المراكز في الأقاليم وخريجو كلية ماكرري وزعماء القبائل من الجلوس جنباً لجنب حول الحلبة والضحك سوياً وتبادل النكات. هل لديكم ظرفاء في ماكرري؟ سأسأل قاسيقا في خطابي القادم. هو صديق قلم ممتع، ويقوم بتأليف كتاب. سأسأله إذا كان يحوي بعض المواقف المضحكة.

لا أعتقد أن المستر ريد عميد كلية فكتوريا بالإسكندرية سيتمكن من حضور اجتماع مجلس كلية غردون الجديدة لأنه مريض جداً، ولكن آمل أن يحضر بواز أستاذ التاريخ القديم. هو مدير المجلس البريطاني في الشرق الأوسط.

لقد كان الطقس في غاية الحرارة هنا مع رطوبة عالية، ولكن نتوقع أن يتحسن قريباً. أشعر بصعوبة في المشي وعندي متأخرات كثيرة من واجباتي. سأذهب إلى بنغازي وطرابلس والقدس لمدة ١٤ يوماً الأسبوع القادم. سأسعد برؤية بعض حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى، قديمها وجديدها، وأنا حريص على زيارة قورنيه وخلافها. مع تحياتي.

إلى السيدة أرنست هوكليف الخرطوم نوفمبر ١٩٤٤
(زوجة ناظر مدرسة أبنقهام)

وصلني خطابك بتاريخ ٢٩ سبتمبر يوم ٦ نوفمبر، اليوم الذي رجعت فيه من رحلة ممتعة بالطائرة بعد زيارة جيوشنا في حاميتي طرابلس وطبرق. ثم سافرت إلى القدس وقضيت فيها ثلاثة أيام قدمت فيها ثلاث محاضرات عن السودان في مدرسة لتأهيل صغار الموظفين الإداريين من ضمن نزل نمساوي في المدينة القديمة. أنا أعرف القدس جيداً وعادة أبارحها بأسى. رغم حروب اليهود والعرب وبعض المباني الجديدة القبيحة، فللمدينة جاذبيتها الأبدية، والكثير من قراها الصغيرة المعلقة على جبالها الجرداء وعلى ضفاف بحيرة طبرية، لم تتغير كثيراً منذ أيام المسيح عليه السلام.

لقد حلّقنا فوق منطقة العلمين. لقد أزالت الرياح آثار المعركة وعادت الصحراء مرة أخرى ساكتة وجرداء، كأن قطعة من الإسفنج قد مسحت الدماء والضوضاء وقرع السلاح. أما طبرق فقد كانت مجرد خراب، ولكن طرابلس لم يصبها ضرر كبير.

سندشن هنا الأسبوع القادم كلية غردون الجديدة، كانت في الماضي مجرد مدرسة ثانوية ولكنها الآن كلية جامعية بأقسام للقانون، والعلوم، والآداب، والزراعة، والطب وخلافها. في صبيحة يوم معركة أمدرمان في عام ١٨٩٨، عندما انهزم الدراويش، سئل كتشنر، كما تقول الرواية، ما هي الجائزة التي يرغب فيها، فرد قائلاً: «أن أمنح ١٠٠,٠٠٠ جنيه لبناء كلية في الخرطوم». وقد تم بناؤها كمدرسة وسطى، ثم تطورت إلى مدرسة ثانوية والآن ستصبح كلية جامعية. وقد اختاروني لأكون رئيس مجلس إدارتها. يا ليتني علمت شيئاً عن عمل مجالس إدارات الجامعات، مع ذلك أنه شيء ممتع أن أقود شباب قارة فتية. إنهم تواقون للتعليم وقد كتب لي أحدهم يسأل عن رأيي في ت. أس. أليوت الشاعر.

الحياة هنا في غاية الزحمة ولدي الكثير من المهام العامة. لجان عن التعليم، والصحة، والحكم المحلي والعلاقات الخارجية مع دول شرق أوسطية أخرى - إنه عمل ممتع

وأرجو أن يكون مفيداً، ولكني أشعر بالحنين للوطن ولرؤية شجرة بلوط، أو زهرة الربيع، أو معلم من معالم ريفنا الجميل. أرجو أن تعتني بنفسك، والعام القادم قد تجدينني أدخل حديقتك ونتحدث عن الأيام الجميلة الماضية وعن حديقة المدرسة وعن ورد أرنست وننسى القنابل.

رؤوس أقلام لخطاب بمناسبة تدشين مجلس إدارة كلية غردون الجديدة، أكتوبر ١٩٤٤

«أساس مشكوك فيه ـ ٤٥ شهادة مدرسية، تحذير كوكس يجب أن لا يحبطنا، بل يحفزنا أن نكون أكثر طموحاً ويقوي روح المغامرة.

«التكاليف عالية ـ ولذلك كل طالب وأستاذ يجب أن يتحلى بالشعور بالمسئولية العامة (المهنية) يجب أن لا نتخوف من هذه الكلمة ـ كل التعليم مهني، دعوة لاستعمال العقل، خدمة.

«هنا في السودان يوجد ملايين من الفقراء رجالاً ونساء وأطفالاً، لن يتمكنوا أبداً من عبور أبواب هذه الكلية، ولكن هذه الكلية يمكنها تقديم المساعدة لهم لتخفف من معاناتهم، أتمنى أن يعتبر الخريجون أنفسهم حملة مشاعل.

«في الماضي، كان العلماء فقراء.

«رعاة الأبقار ـ البقارة ـ ينتظرون الطبيب البيطري، وأعالي النيل تنتظر مهندس الري، والسحب في انتظار الأرصاديين السودانيين: وهناك أسرار عن الهواء والتاريخ والتربة في انتظار عالم الآثار، وخلافه.

«يجب أن لا نعتبر في هذا المجلس أن كلية غردون هي عبارة عن مجموعة قاعات محاضرات ومكتبات، أو مجرد مصنع لتخريج المهنيين بدون همّ سوى بحوثهم ومستقبلهم الوظيفي. يجب أن تكون منارة تخترق أشعتها أقصى أطراف السودان، لتهزم الجهل والأمية، والمرض، والطاعون، والمحل، والمجاعة.

ليس في استطاعة المرء أن يتنبأ بالمستقبل أو يتحكم فيه، ولكنه يستطيع حل ألغاز الماضي، ويمكنه تخطيط وقيادة الحاضر، ويستطيع مجابهة المستقبل متسلحاً ببعض الحكمة والخبرة. المعرفة ليست حكمة.

«ضرب من التعليم ينتهي في بوابة الكلية، وآخر يبدأ. هذه الكلية يجب عليها أن تنظر إلى ما وراء قاعاتها وبواباتها إلى العالم، الدراسات الإضافية، والدراسات فوق الجامعية والبحوث».

❐❐❐

إلى باري سوليفان الخرطوم ١٢ نوفمبر ١٩٤٤

أشكرك على خطابك بالبريد الجوي بتاريخ أول نوفمبر. أنا مسرور أنك على وشك الانتهاء من كتابك وأن شركة فيبر للنشر قد وافقت على نشره. أنا أتطلع لقراءته.

لقد ذهبت جواً إلى ليبيا قبل أسبوعين ـ وزرت طرابلس وبنغازي وطبرق ودرنة وخلافها من مدن ـ آخر زيارة لي لتلك المناطق كانت قبل ٢٤ عاماً أثناء الحملة ضد السنوسي في ١٩١٥ ـ ١٩١٦. التاريخ يعيد نفسه ولكن بطريقة عكسية غريبة. لا تتردد في تجميل الذكريات، فكلها تفقد بريقها عندما نحاول كتابتها ولذلك تحتاج للمسة جمالية، ورومانسية، (دون مبالغة) في هذا العالم المعقد، خصوصاً بالنسبة

لأولئك الذين هم في منتصف أعمارهم المتعبين، والشباب المحبط. كذلك عنصر الفكاهة - هل هناك فقرات فكهة في كتابك؟ الضحك يساعد على الهضم والهضم يعني الصحة والصحة تعني الحيوية وسلامة العقل. فأرجو أن لا تحذف أي لمسة فكهة، بسخرية إذا أردت ولكن برقة وليس بتشاؤم.

للأسف لن أتمكن من السفر لإنجلترا قبل أبريل، وربما مارس. ولكنك ستكون هناك أليس كذلك؟ أرجو أن تحضر لمنزل أختي في إيست قرنستد، حوالى ٣٠٠ ياردة من منزل أمي القديم بالقرب من فونتهيل. سأمكث فيه ويكون مقراً لي أنطلق منه إلى لندن وأكسفورد، ويمكننا أن نتمشى داخل غابة أشداون وأماكن أخرى. أنا مرتبط بهذه الوظيفة إلى العام القادم أو حتى العام ١٩٤٦ من ناحية أدبية ولأني أعزب.

إلى قاسيقا الخرطوم ٢٤ نوفمبر ١٩٤٤

أشكرك على خطابيك بتاريخ ١ و١٥ أكتوبر، وقد استمتعت بهما جداً. أرجو معذرتي لعدم الرد عليهما قبل الآن. لقد كنت مشغولاً جداً، كما كنت في جولة في منطقة الشرق الأوسط بالطائرة، ولكني أعتز بصداقتك وبمراسلتك حتى ولو لم أتمكن من الكتابة لك دائماً، ولذلك أرجو أن لا تقطع مراسلتي إن كان لديك موضوع مهم أو ترغب في توجيه أي أسئلة.

أولاً لقد وجدت بعض الطوابع اليوغندية والتي لا فائدة لي منها هنا ولذلك أرفقها لك مع هذا الخطاب، وقد تغطي لك تكاليف إرسال خطابين أو ثلاثة بالبريد الجوي.

يبدو أن رحلتك من كينيا إلى الكلية كانت متعبة. قطاراتنا هنا أيضاً دائماً مزدحمة ودائماً تجد صعوبة في إيجاد حجوزات للموظفين السودانيين والبريطانيين في القطارات

والبواخر عند نقلهم أو أخذهم لعطلاتهم.

لقد أثار اهتمامي ما ذكرته لي عن كتابك. ما هو الموضوع ومتى سينشر؟ أرجو أن ترسل لي نسخة منه في الوقت المناسب.

لقد استفسرتني عن متعلمي السودان وعن حوانيت الحكومة. هدفنا هو أن نؤسس هيئة تنمية للمديرية الاستوائية والتي ستخطط وتدير المشروعات المصدق عليها، صناعية أو زراعية. وسيكون بها مديرون بريطانيون، واحد للزراعة: أي زراعة المحاصيل الغذائية والمحاصيل التجارية، والآخر للتجارة: أي التسويق ومعالجة التصنيع وهذا يعني على سبيل المثال تحويل الزيوت إلى صابون، والغزل والنسيج إلى ملابس (بدلاً من الجلود ولحاء الأشجار) وإدارة حوانيت الحكومة. ستكون عملية بطيئة ولكنها مهمة لتعطي الأهالي فكرة عن التعامل بالنقد، وهم متخلفون جداً وليست لديهم فكرة عن المتاجرة أو الأسواق ويفكرون فقط في المقايضة القبلية.

لقد كان وصفك للتعليم الأهلي في منطقة الكيكويو مهماً وخصوصاً المدارس التي يديرها الأفارقة. في شمال السودان حيث كل المدارس حكومية وليس هناك مدارس إرسالية تذكر، أنشأ مؤتمر الخريجين السوداني صندوقاً للتعليم وفتح عدداً من المدارس الأولية ومدرسة وسطى أو اثنتين من تبرعات الأهالي، وتدير تلك المدارس هيئات خاصة. أملي في المستقبل أن تتحول تحت إشراف الحكومات المحلية والتي هي الآن أو ستكون في المستقبل كلها مكونة من سودانيين، وستكون المحافظة عليها أضمن من التبرعات الخاصة ونسبة من العوائد والضرائب المحلية.

لقد سررت بتعيين المستر ماثو كأول أفريقي في عضوية مجلس تشريعي كينيا، وأملي أن يتبعه أفارقة آخرون في المجلس التشريعي كما هو الحال في مستعمرات غرب أفريقيا. أشكرك على قصاصة الصحيفة «بارازا» وملخص لسيرة المستر ماثو من صحيفة «إيست أفريكا ستاندرد». يبدو أنه تلقّى تعليماً عالياً وخبرة واسعة ولا بد أنه رجل عظيم.

لقد قرأت ترجمة إنجليزية في مجلة «أخبار كينيا» الأسبوعية (المطبوعة في ناكورو) عن مخاطبته للأفارقة المنشورة في «بارازا» بتاريخ ٧ أكتوبر. وجدتها تحتوي على أفكار جيدة. أنا سعيد أن مجلس بلدي نايروبي يفكر في تعيين أفارقة لعضوية المجلس. لقد حان الوقت لذلك. لقد قامت حكومة ساحل الذهب بإجراء تعديلات مهمة في دستور مجلسها التشريعي والذي به الآن أغلبية غير رسمية من الأفارقة. لا أملك كل المعلومات ولكنه تطور دستوري طيب.

الطالبان السودانيان المرشحان لكلية ماكرري: مايكل دفع الله وبولين بيور من نابومالي أعتقد سيخضعان لامتحان الدخول الآن أو قريباً. لغتهما الإنجليزية جيدة، ولكن أعتقد مستواهما في العلوم والرياضيات قد يكون ضعيفاً. أملي أن ينجحا ويتمكنا من أن يُقبلا.

ستفتتح كلية غردون الجديدة في يناير، لقد قامت المدارس العليا المنفصلة منذ زمن طويل، والآن فقط سيتم ضمها في كلية واحدة. وقد تم تكوين المجلس الذي سأترأسه أنا وقد اجتمع لأول مرة منذ عشرة أيام. ولقد تأسفنا جداً أن مستر تيرنر لم يتمكن من الحضور. يتكوّن المجلس من ١٢ بريطانياً و٧ سودانيين ومصري واحد. وقد ألقى الحاكم العام خطبة سأرسل لك نسخة منها عندما تطبع. الطلبة أغلبهم سودانيون، ١٦٠ الآن وسيصبحون ٢٠٠ عام ١٩٤٥. هناك طالب بريطاني يدرس العلوم وقد رأيته في أحد الفصول مع أستاذه السوداني. هناك ١٦ أستاذاً بريطانياً و٨ سودانيين. كلية الطب التي بدأت في عام ١٩٢٤ ليست بعد جزءاً من كلية غردون ولكن طلبتها يتم اختيارهم من كلية العلوم.

سألقي محاضرةيوم ٢٩ نوفمبر، عن كلية ماكرري، في المركز الثقافي السوداني، وهي مؤسسة بريطانية - سودانية بها مكتبة ونادٍ، أرجو أن لا يسألوني أسئلة يصعب علي الإجابة عليها.

الجيوش الكينية واليوغندية يبدو أنها تُبلي بلاء حسناً في بورما. أملي أن لا تكثر إصاباتهم.

يجب عليّ أن أتوقف يا عزيزي قاسيقا، أكتب لي مرة أخرى وأخبرني بما تفعله وما تقرأه. أيضاً أخبرني عن أسرتك، مع تمنياتي لك النجاح في دراستك وفي مستقبلك.

❐❐❐

إلى عبد الغني يحيى الخرطوم ٢٥ نوفمبر ١٩٤٤

(طالب بكلية ماكرري)

أشكرك على خطابك بتاريخ ٢٩ سبتمبر. تجدني آسفاً لعدم تمكنك من الذهاب لوطنك بسبب تعذّر الملاحة، ولكني سعيد بأنك استمتعت بوقتك في شلالات تومسون.

لقد سررت بزيارة لورد دي لاوور إلى كلية ماكرري. هو كان أحد الذين حققوا تطويرها. هو ما زال في الحبشه يتفاوض مع الامبراطور نيابة عن حكومة بريطانيا في أمور خاصة بالمالية والتجارة والحدود وخلافه.

لقد كنت أرغب في معرفة ما تم في اجتماع الجمعية المركزية للبقاندا (اللوكيكو منقو). وسمعت أن الكاباكا ألقى خطبة جيدة وأن الاحتفال كان ممتازاً. أملي أن تتمكن مملكة البقاندا من اختيار عدد من المتعلمين للزعامة ولعضوية مجالس الحكومات المحلية وللإدارة والزراعة وخلافها. حفيدَيّ سلطان زنزبار حضرا وتناولا الشاي معي. في رأيي أن السيد جامشيد الأخ الأكبر ذكي. لا يبدو أن كليهما قد تلقيا تعليماً مكتملاً، وقد يكون السبب نشأتهما في انعزال. وقد أخذناهما في جولة حول الخرطوم وسافرا بالطائرة إلى القاهرة. لقد أعجبت بالسيد أديس الذي أخبرني عن زنزبار بإفاضة.

لن أكتب لك خطاباً مطولاً حيث أعطيت قاسيقا كل المعلومات في خطابي له. كنت أرغب في مقابلة العرب في طرابلس وطبرق في رحلتي التي قمت بها قبل مدة قصيرة. لهجتهم العربية تختلف عن لهجة السودانيين، ولكنني استطعت فهم أغلبها، لونهم أفتح

من السودانيين، ولكنهم أقل نظافة ومرحاً. نسبة الشباب المتعلمين عندهم قليلة.

أرجو أن تكون قد أنهيت الفترة الدراسية بنجاح، متى ستذهب في عطلة لوطنك مرة أخرى؟

أتوقع أن يكون الحاكم العام الجديد في يوغندا سيرجون هاثورن هول ضليعاً في اللغة العربية لأنه كان في عدن لمدة أربع سنوات، وأيضاً خدم في زنزبار وفلسطين والقاهرة. قد تكون رأيته في زنزبار. مع تمنياتي لك النجاح في عملك وصحتك.

❐❐❐

إلى ف. ل. قريفث الخرطوم ٢٥ نوفمبر ١٩٤٤

عميد معهد بخت الرضا لتدريب المعلمين

أشكرك على عرضك للأهداف. سوف أضعه في ملفي الإداري الخاص المليء بحِكَم العالم، من أفلاطون إلى مكي عباس، ومن أرسطو إلى قريفث. أنا أوافقك جداً على تطوير الذات، ولكن ذلك يعني إبطاء في الحركة، ونحن دائماً في حالة ركض. كل يوم أنا أطارد من قِبَل الإداريين ومن التربويين، وأحاول أن أسرع خطاي وأشحذ عقلي. على أي حال فإن السكرتيرين الإداريين تدفع لهم مرتبات عالية ليتحملوا التعب والآن أنا أصبح جلدي من السماكة كجلد الفيلة. لقد شاهدت فيلم الفيل DUMBO (دمبو) لمخرجه والت ديزني (فيلم كرتون للأطفال - المترجم) وكان ممتازاً. لماذا ليس لدينا دزني سوداني ليرسم لنا كاريكاتير للنظار وأعضاء المؤتمر والمفتشين على ظهور جمالهم، والسكرتيرين الإداريين البدينين منكبّين على ملفات منتفخة؟ حضر جان بيير قرينلو لتناول العشاء معي واشتكى من قبح معهد بخت الرضا ولكن بأسلوب جميل.

فلسطين كانت ممتعة ولكنها مرهقة حيث اضطررت أن أكتب محاضراتي هناك وألقيها كذلك.

❐❐❐

إلى اللواء كليتون الخرطوم ٢٨ نوفمبر ١٩٤٤

مكتب وزير الدولة ـ القاهرة

لقد سعدت بالحديث الطويل معك في شقة فور ـ أكرز يوم ٥ نوفمبر. لقد كان من لطفك أن منحتني كل ذلك الوقت. إن اغتيال لورد موين العبثي والجبان في اليوم التالي برهن على ما ذكرناه عن فلسطين. لقد أزعج الخبر الحاكم العام سير هيوبرت هودلستون كثيراً، لأنه قابله قبل أيام من اغتياله، كما أحزننا جميعاً. لقد كان لورد موين رجلاً وديعاً وجديراً بالاحترام بالإضافة لأهميته للأمبراطورية والشرق الأوسط. لقد كان صديقاً حميماً لشقيقي الأكبر. من الغريب أن الحكومة البريطانية تقبلت الأمر بهدوء، وكل الناس تقارن موقفها هذا بموقفها المتشدد بعد اغتيال سير لي ستاك، ولكن قد تكون المقارنة أقرب باغتيال سير هنري ويلسون بواسطة جيش التحرير الإيرلندي.

لقد تحادثت مع ألبرت حوراني في القدس وإدوارد عطية هنا عن المجلس العربي وعرفت قضية العرب في لندن وواشنطون. أعتقد أنك ملمّ بالمشروع الخاص بتكوين وكالة عربية، أو مكتب اتصال في لندن. حوراني يفضل أن يكون إدوارد عطية مديراً للإعلام، وعطية يحبّذ الفكرة. سنستفتي عنه إذا نضج المشروع وتمّ اختياره. لقد كتب عن رأيه في الموضوع إلى حوراني. هناك ثلاث صعوبات يجب التغلب عليها:

١ ـ مساعدة متواصلة وبتنسيق، خصوصاً في الوقت الحالي، من الدول العربية.

٢ ـ موظفون أكفاء ومتعلمون فعلاً يقفون على قدم المساواة مع الإنجليز اجتماعياً وثقافياً، كما يفعل اليهود.

٣ ـ العلاقة بين ذلك المكتب مع السفارة المصرية والبعثات العربية.

أيضاً مرسل لك نسخة من مقالة طويلة ولكنها ممتعة كتبها إدوارد عطية عن الثقافة العربية وسياسة تقليد الغرب. هل تم أي شيء بالنسبة لقرارات اللجنة الفرعية عن

وحدة الثقافة العربية التي حضرت اجتماعاتها أثناء اجتماعات مجلس الحرب في الشرق الأوسط في مايو ١٩٤٣؟ وهل عندك أي ملخصات أو مذكرة عن القرارات لمؤتمر الدول العربية الأخير؟

هل قراراتهم عن الفحص الجماعي لأي اتفاقية عربية - أوروبية تنطبق على مراجعة اتفاقية بريطانية - مصرية؟ وهل هي حقيقة أن الولايات المتحدة وروسيا صرحا بأنهما لن يوافقا على أي قوة أن يكون لها موقف أعلى أو مميز في دول الشرق؟ أتمنى لو تمدنا بمعلومات عن أحداث مارس في خصوص الوحدة العربية.

لقد أخبرتك عن انطباعاتي عن مركز الدراسات العربية في الشرق الأوسط. إنه مشرف وبإدارة ممتازة؛ ما عدا اختيار الجزائر. أعضاؤه أفضل ما يمكن اختياره من خدمة في ظروف حرب عالمية. المقررات العربية تعطى أولوية والمحاضرات تبدو متنوعة بخلطة من الاقتصاد والعلوم الاجتماعية أفضل مما كان متوقعاً في السابق. بعض المحاضرات عن شمال أفريقيا، وعدن واليمن والمناطق الإسلامية في الاتحاد السوفياتي يشار إليها. (قد تستغرب أن أحدهم يدعى بروتسير قليدن سيحاضر غداً في دار ثقافتنا عن العرب في أمريكا).

أنا كنت على قناعة أن المركز كان يفترض قيامه قبل سنتين. وعلى أي حال أعتقد أنه لا بد أن يستمر لسنة أخرى. العام القادم يمكن تخفيض سن المقدمين من ٢٨ إلى ٢٦. أرغب في أن ترسل حكومة السودان من تختارهم إلى هذا المركز، بدلاً من الجامعات وكلية الدراسات الشرق أوسطية، لفترة قبل تعيينهم.

لقد عرضت على أحد صغار موظفينا، أ. د. تنيسون وظيفة في خدمتنا السياسية، إذا وافق عليها.

سيعقد المجلس الاستشاري لشمال السودان جلسته الثانية يوم ٦ ديسمبر. أحد بنود الأجندة، الموافقة على طلب ٥ من الأعضاء، موضوع الجنسية السودانية. بنود

أخرى هي: مستقبل مشروع الجزيرة، والموقف المالي. أنا أجد رئاسة هذا المجلس متعبة لأن لغتي العربية ليست جيدة.

انتخابات مؤتمر خريجينا ستكون اليوم. هذا الجهاز الغريب ذهب بعيداً عن بداياته، وقد سمح بضم الحرفيين وكل مَن هبّ ودبّ، والانتخابات الحالية هي في الواقع بين الانعزاليين والذين يطالبون بوحدة وادي النيل. السودانيون المحترمون يشجبون انحرافه وسياسته المتحيزة.

كلية غردون الجديدة والتي تطمح أن تكون كلية جامعية تفتتح رسمياً في منتصف فبراير. مجلسها والذي يضم ٧ سودانيين عقد اجتماعه الأول يوم ١٥ نوفمبر. ونأمل أن تجذب مستقبلاً طلبة من عدن واليمن والحجاز وأرتريا والصومال، وأن تكون بؤرة ثقافة وأبحاث في جنوب الشرق الأوسط.

إلى مارجري هندرسون — الخرطوم ٢٨ نوفمبر ١٩٤٤

كلية التمريض ـ لندن

لقد كنت مديناً لك بخطاب منذ مدة طويلة، ولكنك تعرفين أنني كاتب خطابات مقصّر. لقد احتفظت بخطابك اللطيف بتاريخ ٢١ فبراير في مكتبي مع شعور متزايد من الخجل لتأخّري في الرد عليه. لقد كان من لطفك أنك هنأتني على لقب سير والذي كان اسمياً فقط لي ولكنه في الواقع تكريم للسودان ككل. أنا لا أحب تلك الألقاب، لأنها تعقّد الحياة العادية، وكنت أتمنى لو كانت والدتي ما زالت حية لأن ذلك كان سيسعدها جداً.

منذ وصل إليّ خطابك قمت بجولة إلى جنوب السودان في مايو لأريح أعصابي بعد مشاق اجتماعنا الأول لمجلسنا الاستشاري والذي كان عليّ أن أترأسه، والذي كان بل سكرتيره المجتهد (بل هو أخ مارجري هندرسون مرسلة هذا الخطاب ـ المترجم). ثم

قضيت شهراً عطلة في يوغندا في حانة يديرها زوجان إنجليزيان على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم على حدود الكنغو، وأسبوعين في كلية ماكرري والتي نأمل أن نرسل لها بعض طلبتنا من جنوب السودان - وهي كلية جميلة على ربوة جبل أخضر مطل على بحيرة فكتوريا. ثم عدت للخرطوم لمدة شهرين ونصف للمعاناة من طقس الخريف الرطب والحار، ثم رحلة جميلة ولكنها متعبة إلى طرابلس وطبرق جواً مع الحاكم العام لمعاينة الجنود السودانيين بين الذين يحمون تلكما الحاميتين. طرابلس مدينة جميلة وميناء، لم تتضرر كثيراً، وأيضاً بنغازي جميلة ولكنها أصيبت بأضرار أكثر. درنة مدينة صغيرة لطيفة لميناء صغير وبساتين نخيل وبازار عتيق مسقوف، مثل البازارات التركية. طبرق تقريباً تم تدميرها بالكامل وميناؤها ممتلئ بالسفن المغرقة والمضروبة بالقنابل وتظهر سارياتها فوق سطح الماء.

لقد كنا محظوظين بمشاهدة أنقاض صبراتة غرب طرابلس، إحدى المدن الفينيقية الثلاث في ليبيا التي أنشئت نحو ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد. الأنقاض أغلبها رومانية من القرن الأول الميلادي بالإضافة لتعديلات بيزنطية من القرن السادس مكونة من قاعات ومسرح وحمامات وكنيسة ومعابد وفسيفساء جميلة. ثم طرنا بارتفاع منخفض فوق لبتس ماقنا - والتي لم نتمكن من زيارتها، وهي إحدى المدن الثلاث شرق طرابلس، أيضاً بقاعة ضخمة، وسوق، وقوس سبتيموس سفيروس الذي ولد هنا عام ١٤٦ ميلادية وتوفّي في مدينة يورك بإنكلترا. وقد زرنا أيضاً سيرين Cyrene والتي بها أغلب الأنقاض المثيرة للانتباه وتغطي حقبة طويلة، وهي منتشرة بجانب صخرة ترتفع حوالى ١٨٠٠ قدم وتطل على البحر الأبيض المتوسط الأزرق. معابدها وحماماتها ومسرحها وخلافه في غاية الروعة. في يوم من الأيام كان بها ١٠٠٠٠٠ نسمة ومدرسة طب مشهورة، وأنجبت الشعراء كاليماكوس وأريستيبوس وايراتوستينس (كلهم لا بد معروفين لك) وقد أسسها يونانيو بحر إيجه عام ٧٠٠ قبل الميلاد وبها مغارات صخرية عجيبة.

ثم قضيت ثلاثة أيام في القدس ألقي محاضرات على موظفي إدارة في مدرسة

مقرها نزل نمساوي في المدينة القديمة. أنا معجب بالقدس رغم مرارات العرب والصهاينة.

والآن أنا وراء مكتبي أكابد في الملفات الخاصة بالحكومة المحلية، والطيران المدني، ومحاجر الحمى الصفراء، والسحر، وسنسرة الأفلام، وتطوير وإصلاح السجون، وتعليم البنات، وخصوصاً كلية غردون الجديدة والتي أنا رئيس مجلس إدارتها، وطبعاً أنا غير مؤهل لذلك لأنه ليس لديّ شهادة جامعية حتى! إنها تجمع كل المدارس العليا. مدرسة الإدارة في نمو مطرد تحت إدارة بل. قد يكون أخبرك بأنه سيذهب لإدارة منطقة الهدندوة (يسمونها الآن منطقة البجا) في سنكات الشهر القادم. لقد قام بزيارة استطلاعية لها وأعجبته. مساحتها حوالى ٩٦,٠٠٠ ميل مربع - أي أكبر من إنجلترا واسكتلندا وويلز مجتمعة، وسكانها فقط حوالى ١٤٠,٠٠٠ نسمة. لديها ساحل طويل على البحر الأحمر وجبال ترتفع إلى ٧,٠٠٠ قدم. سوف أفتقده كثيراً هنا.

أرجو أن تتوقف قنابل الطائرات قريباً. هل ما زلت تعملين متطوعة لمراقبة الحرائق؟ لندن والبلدات المجاورة قضت أياماً عصيبة، وأنا معجب بصمودكم. منزل أختي كاثلين في شمال لندن أصيب بأضرار ولكن لم يصب أحد بأذى. كل عيد ميلاد وكل عام وأنت بخير.

الفصل السابع عشر

آخر ثلاثة أشهر من حياته
يناير - مارس ١٩٤٥

في أكتوبر ١٩٤٤ كتبت مارجري برهام:

«حقيقة يا دوغلاس يجب عليك أن تحضر إلى إنجلترا، ليس لأسباب جسدية أو سياسية، ولكن لتنعش عقلك. لا أقول ذلك لأني أرى أسباباً لذلك، ولكن فقط لأسباب منطقية. لا أحد في منصبك المسئول يجب أن يكون بعيداً عن موقع اتخاذ القرار ومنبع الثقافة طويلاً كما غبت أنت. أنا متأكدة من أن أي أسباب تذكرها عن تضحيتك بنفسك قد تكون في النهاية تضحية بالسودان. ولذلك أرجو أن تحضر لإنجلترا وقريباً».

في نوفمبر أخبر نيوبولد الحاكم العام أنه لا يرغب في أن يكون حاكماً لأي مستعمرة:

«أنا لا أرغب في السكن في قصر حاكم لأن ذلك لا يناسبني. أنا أعزب وكل أصدقائي هنا - كما لا أرغب في أن أعين حاكماً عاماً - لأني أعرف عدداً كبيراً جداً من الناس هنا. الصداقة تجلب الحرج للحاكم العام. لا يستطيع الإنسان أن يكون نبياً في أهله. الحاكم العام يجب أن يكون محايداً وأن يكون له نفوذ في إنجلترا. ليس فقط مجرد موظف خدمة استعمارية».

كان يرنو بتبصره نحو جامعة أكسفورد وكلية نفيلد، ومذكراته عن تلك المحادثة مع الحاكم العام تنتهي بإشارته عن إصابته بالروماتيزم. ولكنه لم يقرّر متى سيتخلّى عن منصبه، وقد كتب لمايال في يناير:

«سمعت أن الطقس في إنجلترا بارد لدرجة أن البيرة تجمدت في براميلها في حانات لنكولنشاير. أنا سعيد أنني هنا ـ ولو أني أحن لرؤية شقيقاتي وأولادهن وبناتهن وأنت. حقيقة أنا لا أرغب في العودة للوطن أثناء الحرب. لا أستطيع أن آخذ عطلة بينما الجميع يعملون كالعبيد، وأنا لن أستطيع عمل شيء إذا لم أرتح بعض الوقت، ولكن كيف يمكن للمرء أن يقضي شهر عطلة في إنجلترا بينما كل أولئك الشبان يقتلون في أوروبا والنساء يكابدن في المصانع؟ أشعر أن الوقت قد اقترب لتقاعدي وأن أفسح المكان لشخص أصغر سناً مني، ولو أننا نفتقد الرجال في الوقت الحاضر ويصعب عليّ أن أتركهم إلى أن ينتهي هذا العام ومتابعة خطط تعليم الجنوب، والخطط الاقتصادية ولمعرفة رأي حكومة بريطانيا. وقد أغادر الشتاء القادم».

في ذات الوقت استمرت خطاباته ويومياته مليئة باهتماماته المختلفة. كتب في مذكراته يوم ١ يناير أن بعض النظار تقدموا بطلب لتسجيل شركة لنشر صحيفة قومية، مضيفاً: «اتجاه مهدوي. نظار الختمية لم يشاركوا»... كانت تلك بداية ولادة حزب الأمة ـ حزب وطني يطالب بالاستقلال يسانده الإمام عبد الرحمن بن المهدي. كان في الجزيرة في ذلك الوقت ورجع بالسيارة للخرطوم وكانت يومياته:

ـ هل في إمكاننا الحصول على منحة من المجلس البريطاني لصحفي سوداني شاب؟

ـ أول طيار يدخل السودان كان المستر بورب الذي وصل إلى الخرطوم من القاهرة يوم ١٢ يناير ١٩١٤ عندما طار من أبو حامد (٣٤٠ ميلاً) بدون توقف.

ـ مقتطف من ورقة امتحان طالب ثانوي جلس لامتحان المعلومات العامة لدخول الخدمة المدنية عن الحكم المحلي ـ «نأمل أن يتمكن الأعضاء من عمل ما يطلب منهم، ويا إلهي نرجو أن لا تؤثر الأحداث العابرة والأمور الدنيوية وتمنعنا من المضي قدماً في تحقيق مقاصدنا».

والمذكرات التالية عن تخطيط جديد لمكتب الاتصال العام، وتقديم استشارة لإدوارد عطية عندما عرضت عليه منصب مندوب الدول العربية في لندن (وهي وظيفة قد يتبوأها بجدارة)، ومذكرة عن تطوير اقتصاد منطقة النوير، «حاجتهم هي للمواصلات، ليتمكنوا من تصدير الجلود والحبوب واستيراد الفنيين وموظفي الحكومة المركزية».

إلى يوان كامبل الخرطوم ٨ يناير ١٩٤٥

ألبرت حوراني سيقوم بزيارة إلى كردفان قريباً. أعتقد سيتوجه إلى مدني يوم ٩ لمدة ثلاثة أيام ثم يواصل للأبيض. لا أدري إذا أخبروك شيئاً عنه. هو شاب لطيف وعلى خُلُق وأنا أطلب منك مساعدته. هو سوري مسيحي وتخرج في كلية ماجدولين بجامعة أكسفورد. يرغب أن تتبنى بريطانيا اتحاد الشرق الأوسط وتدعمه وتنميه. هو أحد ثلاثة أخوة مبرزين كلهم شبان. جورج حوراني تحصّل على شهادة في الفكر العصري من جامعة أكسفورد وحاز الدرجة الأولى، وهو الآن كابتن في مركز الاستخبارات السياسية في الشرق الأوسط.

ألبرت أعير إلى مكتب وزير الدولة ويكتب مقالات تحت إدارة كليتون وقد كتب مذكرات ممتازة عن الشرق الأوسط، والثقافة الغربية ـ العربية، وعن الأقليات وخلافه. هو في الواقع باحث في الشئون السياسية والاجتماعية والثقافية. هو معجب بالسودان وبالسودانيين. أرجو أن تكرّمه، لقد قابل عدداً كبيراً من الشخصيات

هنا، ولكن لم يقابل بعد شخصاً متخصصاً في الحكم المحلي من أمثال يحيى في شرق كردفان. عنده بعض نقائص المثاليين، ولكن ذلك أفضل من نقائص المتشككين من طيبة الدوافع البشرية.

لم يكن لدي أبداً متأخرات مثل هذا الوقت وأجد صعوبة في العمل بعد العشاء إلا إذا امتنعت عن الأكل. كل شيء يداهمني في وقت واحد - الطيران المدني، الاقتصاد والتعليم، التوسع، الإرساليات، تسريح الجنود، أزمة الذرة، تورّط المصريين، العلاقات الأرترية، الجرائم، الصحافة، وخلافها. ولكني بصحة جيدة، وأفتقد جون ويلي (روبرتسون)، وبما أن هناك عودة للوطن، فنحن نفتقد موظفاً مسئولاً منذ وفاة هكتور قبل سنة وتسعة أشهر، وهذه فترة طويلة.

***

يوم ١٠ يناير قدم محاضرة عن ماكرري في المركز الثقافي (كانت جيدة كما ذكر لكوكس، ولو أن مثقفي السودان يبغضون إرسالنا الطلاب الجنوبيين إلى ماكرري وليس لكلية غردون) - لقد تغيرت السياسة في ما بعد.

يوم ١٤ قام بتدشين عدد من الاجتماعات المختلطة برئاسة مديري أقسام سكرتاريته والتي استمرت كل يوم أحد وأصبحت معهداً في ما بعد.

يوم ٢٩ سمع بأن طلبه من الحكومة البريطانية لمنح كلية غردون وقفاً قد رفض في المالية البريطانية بسبب صعوبة وضعهم المالي. في آخر الأمر قدموا منحة بمبلغ مليوني جنيه، ضعف ما طلب، ولكنه لم يعلم بذلك، وقد كان محبطاً جداً من رفض الحكومة البريطانية وعبّر عن استيائه من سياسة الحكومة، أو عدم السياسة نحو الشرق الأوسط.

إلى س. و. م. كوكس الخرطوم يناير أو فبراير ١٩٤٥

«يجب علينا عدم إحراج ديغول... وعدم إزعاج الأمريكان، ولا وايزمان (إسرائيل - المترجم)... ثم نأمل أن نحتفظ بصداقة العرب وولائهم. كورنواليس، وماكمايكل، وسبيرز، وكيليرن، كلهم حذّروا الحكومة البريطانية من خطورة الاتجاهات تلك بكل وضوح، وأقنعوا كايسي وموين بوجهة نظرهم. هم أربعة متباينو الرأي وإذا اتفقوا جميعهم أو هم كانوا مندوبي حكومة بريطانيا المعتمدين في الشرق الأوسط، لا بدّ أن آراءهم تكون ذات وزن. ولا واحد منهم متعصب للعرب. سبيرز كان مناصراً للفرنسيين إلى عهد قريب، كيلرن يناصر النحاس باشا، وكورنواليس وماكمايكل غير منخدعين بالعرب.

ومع ذلك، فإن الحكومة البريطانية تجهل كالعادة شئون الشرق الأوسط - ترسل وزراء مميزين من مجلس الوزراء إلى الشرق الأوسط، ثم لا تستمع لآرائهم - بينما توثق علاقتها مع فرنسا ومع اليهود - وتدفن رأسها في الرمال. فرنسا ليس لديها مصلحة استراتيجية في سوريا، فقط اهتمام تاريخي عاطفي بالموارنة في لبنان، وحتى لبنان الآن بدأت في الابتعاد عن سوريا.

رغبة اليهود الجامحة في استيطان أكبر عدد منهم في فلسطين مجرد خرافة. يوجد هناك الآن في فلسطين قائمة بعشرة آلاف يهودي يطالبون بالخروج من فلسطين. أغلب العرب يوافقون على مشروع القرار، وهذا تطور إيجابي. العراق بدأت تمتن صداقتها معنا مرة أخرى، وسوريا تناصر بريطانيا بصراحة. حركة وحدة العرب أخذت شكلاً واضحاً في توجهها نحو بريطانيا، وكما يقول فيرجل:

«إن أرواح الموتى تمت إلى الشاطىء الآخر». عصابة شتيرن تورط نفسها وتعود علينا بفائدة وبضرر عليها. الإنتخابات الأميركية وسخرية

الصهاينة قد انتهت. الآن بالتحديد هو الوقت الذي يجب فيه أن تتخذ الحكومة البريطانية سياسة محددة في الشرق الأوسط وتكسب الأفندية والباشاوات والشيوخ والفلاحين من بغداد إلى طرابلس والخرطوم. كل العقلاء من المراقبين هنا يوافقون حتى أصحاب الأفكار المنحرفة. في عام ١٩٤٤ كنت في زيارة لطرابلس وبنغازي والقاهرة وفلسطين، وقد قابلت زعماء من السنوسيين، وعرب فلسطين ومتخرجين من جامعات بيروت - وكلهم ينتظرون تطبيق إيدن لمباركته الضبابية لوحدة العرب. ولكن الصمت هو سيد الموقف.

هذه ليست وجهة النظر الفجة للإداري المتعصب يا كريستوفر. لقد انغمست في الدبلوماسية في الخمس سنوات الماضية، وأنا أدرك أن المصاعب ليست بيضاء أو سوداء. ولكن هؤلاء العرب يناصروننا. وهذه فرصة عظيمة للحكومة البريطانية، ولكن الحكومة البريطانية أولاً ليس لها إدارة خاصة بالشرق الأوسط ولكنها تنظر إليه من خلال منظار متعدد الألوان لوزارة الحربية ووزارة الخارجية ووزارة المستعمرات وخلافها، وثانياً فإن مشاكل أوربا يجب دائماً أن تكون لها الأسبقية في اهتمامات الحكومة البريطانية.

اغتيال موين كان مأساة مؤسفة، فريق غير معروف سيقوم بزيارتنا في المستقبل القريب وأتوقع أن أسمعه كلاماً كثيراً».

***

لقد أرفق ذلك الخطاب مع خطاب آخر كتبه في اليوم السابق بأسلوب ساخر، وصف فيه الترتيبات التي اتخذت لافتتاح كلية غردون الجديدة في فبراير، وأول قبول لطالب جنوبي نجح في دخول كلية ماكرري، والصعوبات التي تواجهه بالنسبة لبرنامج التعليم في الجنوب «محبطة ومنهكة جدا»:

«لم يتمكن مجلس الحاكم العام من اتخاذ أي قرار سوى التصديق على خطط مدير التعليم من ناحية المبدأ خصوصاً اقتراحه بإحكام السيطرة والمشاركة، ولو أننا لن نتمكن في الظروف المالية (والتي هي أسوأ مما يتخيل الجميع بالنسبة لتحسين الموارد) من إعطاء التزام بزيادة الصرف مسبقاً، خصوصاً وأن خطة لتطوير الشمال والتي ستستمر لمدة ثماني سنوات، وخطة تطوير الاقتصاد الجنوبي حتى الآن لم تدرج في الميزانية. إن عدم أهليتنا للاستفادة من صندوق التنمية الاستعماري يؤثر علينا كثيراً.

«ومع ذلك فقد فوضناه ليبدأ التفاوض مع الإرساليات وأن يقدم تقريره للمجلس وفي ذلك الوقت سنكون قد صدقنا على ميزانية عام ١٩٤٥، والتي تمكنا من تأمينها بصعوبة شديدة، وسنعرف وضعنا المالي بدراية أفضل آنذاك. إن احتياطنا الجيد كله مرهون لتجديد المباني، ولمشروع الجزيرة والسكك الحديدية وخلافه، وهذا يخفي الحقيقة المرة من أن إيراداتنا جامدة دون زيادة ما لم نحصل على مياه من بحيرة تانا أو زيادة مياه من نصيب مصر في مياه النيل.

«الحاكم العام سيذهب إلى إنجلترا في يوليو، وأنا زيارتي ستتزامن معه، وسنقابلك نحن الاثنين هناك، وأملي أن نقدم مسألة السودان إلى الحكومة البريطانية بطريقة أقوى».

***

لقد كان منهمكاً في ذلك الوقت في ضرورة تسريع عملية سودنة الخدمة المدنية. وقد كتب إلى لامبن، مدير دارفور في نهاية يناير الآتي:

«أشكرك على ردك بخصوص المنشور الخاص بالإحلال. لقد تأخر الوقت كثيراً بالنسبة لهذا الأمر. لقد أصدر مجلس الحاكم العام

أوامره للجنة الخدمة العامة في سبتمبر ١٩٤٢ ولم يصدر المنشور لغاية نوفمبر ١٩٤٤. ولرب ضارة نافعة لأني أشك أن سنة ١٩٤٣ أو ١٩٤٤ كانتا مناسبتين من ناحية سايكلوجية لتخفيض الموظفين البريطانيين مهما كانت أهمية التخطيط المستقبلي، لأننا في الوقت الحاضر نتعاقد مع موظفين جدد».

كان من رأيه أيضاً أن يتريثوا بالنسبة للتنمية الاقتصادية إلى أن يتوافر الموظفون والآلات والتمويل.

«من المشكوك فيه أن نقدم على تنمية كبيرة في الشمال سوى في مجال صيانة التربة وزيادة المياه (عبارة عن ٣٠٠,٠٠٠ جنيه في الخمس سنوات القادمة) إلى أن نتحصل على زيادة موارد. ميزانية ١٩٤٥ في الوقت الحاضر تظهر عجزاً قدره ٢٥٠,٠٠٠ جنيه. أما مصروفات المرتبات فتزيد عن ٤٠٠,٠٠٠ جنيه بما فيها المعاشات وتعادل حوالى ٥٠٪ من المصروفات العمومية، وتعتبر عالية مقارنة بالمستعمرات الأخرى إذا أخذنا في الاعتبار عدد موظفينا، لأن مرتبات الموظفين السودانيين أعلى بكثير من أقرانهم في أفريقيا. الحكومة تنوي تعديل قانون المعاشات، وهناك تعديلات كثيرة يجب عملها ولكن ليس هناك أمل في أن يتم ذلك لفترة من الزمن، فليس لدينا بساطة الموظفون ولا الزمن. أنها عملية عويصة ونحن في غاية المشغولية الآن.

«موضوع آخر، لا مكتبي ولا مكتب السكرتير المالي يملك الموظفين أو الزمن لمعالجته بطريقة كاملة (أي لوضع سياسة للمدى البعيد) هو تمويل الحكم المحلي. لقد وضعته ضمن أجندة مؤتمر مديري المديريات (وأنا أقوم بإعداد مذكرة) لطرحه ولمعرفة آراء مديري المديريات، ولكنه موضوع معقد. حتى حكومة بريطانيا اضطرت لتعليقه لفترة (راجع مضابط البرلمان وصحيفة «التايمز»)،

ويشمل هنا مرتبات النظار والعمد، وصندوق التوفير وخلافه، بالإضافة لشروط خدمة موظفي جهاز الحكومة المحلية، وأسلوب إعداد الميزانية، ومراجعة قانون الضرائب المحلية. كل هذا يحتاج لموظف مالية كبير ومساعد سكرتير إداري (ينقطعون لعدة أشهر في إعداده). وقد تمكنت من الحصول على مساعد لي لشئون الحكم المحلي الآن وإذا ما تمكّن السكرتير المالي من إيجاد نائب له (لن يكون له نائب قبل ثمانية أشهر)، وبعد أن يأخذ عطلة، فربما نتمكن من التفرغ لدراسة الموضوع عام ١٩٤٦.

«لا أدري إذا كان في علم الناس كيف نصرّف الأمور هنا (بموظفين أقل عدداً مما كان عليه الحال قبل الحرب) وبمشاكل تتعلق بالحرب وما بعد الحرب متزامنة، مما يضطرني والسكرتير المالي أن نكدح كل يوم وطوال اليوم لكيلا يتأخر العمل. الآن أنا أعالج في الملفات التالية وكلها تحتاج لقرارات سريعة:

١ـ اقتصاد الجنوب.
٢ـ التعليم في الجنوب.
٣ـ كلية غردون الجديدة.
٤ـ المجلس الاستشاري.
٥ـ التسريح.
٦ـ الطيران المدني.
٧ـ مشترى الذرة (أربعة مفتشي مراكز متفرغون لذلك).
٨ـ إصلاح الحكم المحلي.
٩ـ ختان النساء.
١٠ـ ضبط الأمن العام.
١١ـ الإمدادات الحربية (مختلفة).

١٢ـ شئون الصحافة والإعلام.
١٣ـ أرتريا وأثيوبيا.

«أضف لذلك لديّ أعداد غفيرة من الزوار من القاهرة، والشرق الأوسط، وشرق وجنوب أفريقيا، وأرتريا والمملكة المتحدة.

«وهذا شيء مزعج ويحرمني من الوقت للتفكير والاضطرار لقراءة تقارير الأمن، والدوريات وخلافه، في فراشي أو خلال تناولي للطعام. لا يمكنني توزيع المسئوليات أكثر مما عملت حيث أغلب القرارات الآن يتطلب اتخاذها من أعلى المستويات. ولا أتمكن من أن أقوم بنصف الجولات التفقدية التي أحتاج إلى أن أقوم بها. هذه ليست شكوى يا دولبي، إنها مجرد حقائق. جوك (السكرتير المالي) وضعه أسوأ مني لحد ما، لأن كل شيء يرجع له أخيراً، وأعتقد أنه يعمل ٨ ـ ١٠ ساعات متواصلة يومياً، وقد طلبت منه أن يعمل أيام الجمع في منزله بهدوء. هو رجل نبيل ولكنه مرهق.

«أنا أخشى أن نقص الموظفين والمعدات (السيارات والحديد والواردات عموماً) سيضطرنا إلى أن نجمد بعض الأعمال أو نقلصها في المصالح الإدارية لبعض الوقت. وقد كتب إليّ كامبل يقول: «ليست لديّ أي شكوك بالنسبة لمجالس الأقاليم. كل النظريات والسياسة في المملكة المتحدة الآن تتجه نحو مجالس الأقاليم كهيئات تخطيط وتنسيق للحكم المحلي (مجالس المناطق = المجالس الريفية، مجالس البلديات = مجالس المدن والمجالس البلدية). الفقرتان ٦ و٧ من القانون تعطيان مجالاً كافياً للرقابة والتخطيط وإذا ما دعت الضرورة اتخاذ خطوات تنفيذية. لم يتشكك أي من مستنيري السودان في جدواها، وكل المجالس حتى تاريخه قد انعقدت وناقشت كل المواضيع الهامة بكرامة وتعقل وبدرجة

مقدرة من الحيوية. وقد تنحصر موجة الحماس الأولى، ولكن بالتأكيد فحجم المديريات الحالية، وما يتطلب عمله من تحسين للخدمات الاجتماعية وللاقتصاد والمواصلات والأمن العام، والحاجة إلى اتساق مرن في الحكم المحلي، وقبل هذا وذاك توحيد لنشاط المصالح، فهناك الكثير من العمل الجذاب في انتظارهم. إن كينيا ونيوآيسلاند وشمال روديسيا إما أن تلتحق بمجالس أقاليم أو أنها تقوم بالتخطيط لذلك. ساحل الذهب لديها مؤسسات مماثلة. في رأيي أن لمجالس المديريات مستقبلاً زاهراً خصوصاً بعد بداياتها الناجحة».

في ذات الوقت فإن خطاباته ويومياته تذخر بمثابرة لا تعرف الكلل وباهتمامات متعددة. في نهاية يناير كان يعد تلخيصاً لكتاب أ. ن. س. شيلي عن الحكم المحلي الإنجليزي «عضو المجلس»، ويدرس تشريع الحكم المحلي المصري، والذي يقتبس منه:

«يجب على المجالس أن لا تتعرض لأي مسألة خاصة بصلاحيات الدولة، أو تبدي رأياً، أو أن تتخذ قراراً، أو تشارك في نقاش يختص بالسياسة».

❐❐❐

وفي خطاب إلى جوك دانكن الذي يودع كردفان والصحراء الليبية يقول:

«إلى ج. س. ر. دانكن الخرطوم ٨ فبراير ١٩٤٥

مساعد مفتش مركز

أنه من لطفك أن تتذكرني، وخطابك بتاريخ ٢٢ ديسمبر أثلج صدري. نحن في الحكومة المركزية الشريرة نعاني من لسان شباب المديريات اللاذع، الذين يميلون

تقليدياً وبصواب ضد الروتين التقليدي، وضد تقوقع الكبار، وضد البخل المالي، وضد منشوراتنا الرنانة بتكلف، لدرجة أننا ندرك ونقدر خطاباتكم والتي تشهد بأننا ما زلنا نحتفظ بقليل من الإنسانية المتوهجة من قلوبنا القاسية، وإننا لم نفقد بعد الذكريات الباهتة عن ارتحالنا بالجمال إلى ويوي وكاجا وزرناخ وحتى قرن جنفيجورا وهانقادابنقا. ولذلك فأنا أرفع قبعتي وأعري صلعتي (التي تعاني من برد هذه الأيام) تحية لك. ولو أني تأخرت في الرد ستة أسابيع لكني أؤكد لك أن الغياب يذكّي الولع، وأن ريتشارد أوين، وجاك سيمر، وحتى جوك دانكن (كلهم إداريون في كردفان ـ المترجم) هم رجال أكن لهم فائق الاحترام أسوة باحترامي لتشرشل أو روزفلت أو ستالين.

لقد وصل إليّ خطابك بتاريخ ٢٢ ديسمبر مثل وسام «سير» دون أن أتوقعه أو أستحقه، لأني لم أكتب لك منذ فترة طويلة وكنت أخشى أنك آمنت بالنظرية المعقولة بأن السكرتيرين وكبار موظفي الخرطوم هم مجرد شر لا بد منه، أو مخرفين لا يستحقون الاهتمام ولكن يكفي استرضاؤهم بكتابة الأسماء في دفاتر زيارتهم أو بزيارة عابرة في طريقكم لقضاء العطلة.

خطابك ورؤية خطك العنكبوتي ولو أنه مقروء جعلت دقات قلبي تتسارع، وقد أزحت الملفات عن طاولتي، وأشعلت غليوني وقرأته بالكامل غير مكترث لرنين التلفونات ولا بالزوار الذين ينتظرونني في غرفة الاستقبال.

لقد تغيرت دار حمر كثيراً بالفعل ولكنها تظل كما هي. فضيلي قد لا يكون رجلاً عظيماً ولكنه كان حمرياً عظيماً وقد انتقل الآن للدار الأخرى. حسن أبو جلوف والذي أذكره كوليد صغير قد توارى. لقد كنت دائماً معجباً بإبراهيم البدين.

يبدو أن حملة جبل توليشي تمت بنجاح ولعله من الإنصاف أن قاد كوريات الحملة التي نجحت في إخراج قاطني جبل توليشي من حصنهم بعد أن فشل في ذلك خلال ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠. ولا يضيره الآن أن يمتطي صخرة وينشد المقطع الثالث والرابع من سورة «عباديا» (والتي لا أحتاج أن أذكرها لسليل القساوسة) ـ (العباديا إحدى سور التوراة كتبت حوالى ٥٥٠ سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام ـ المترجم).

وبما أننا نتحدث عن الكتاب المقدس، فتذكر أنك ساعدتني قبل سنتين أو أكثر في كتابة محاضرة لجمعية المحاضرات التابعة للكاتدرائية. لقد أخطأ القساوسة وقاموا بطبع المحاضرة، وأرسل لك نسخة منها. وما زلت أشعر بوخز الضمير كون أني أقدم النصح للآخرين بينما لا أعمل بنفسي بتلك النصائح.

أما بالنسبة للصحراء الليبية فإنها فكرة عظيمة أن تقوم برحلة عبر مثلث سارا، إذا كانت صحتك تسمح بذلك وكان لك رفيق. شهر سبتمبر دائماً طقسه حار في تلك المناطق، وقد انهمكت مرة أو اثنتين خلال شهر أكتوبر في رحلتي مع بانقولد (الأهرامات، العوينات، حلفا). لقد بدأناها حوالى أسبوعين قبل اعتدال الطقس. على أي حال يمكن أن يتحسن الطقس بعض الشيء في الجنوب الغربي. أنا لم أذهب غرباً أو جنوب غرب العوينات، ولو أنه كان مطلوباً مني كتابة مذكرة عن مثلث سارا في عام ١٩٣١. مديرية حلفا كانت تمتد غرباً حتى خط الطول ١٩ وخط العرض ٢٢، شمال - شمال - غرب وانيانقا! لقد تنازلنا عن مثلث سارا غرب خط طول ٢٤ دون تردد (للطلاينة) وهي الآن منطقة قيد النظر القضائي وتحت إدارة BMA لشرق ليبيا.

يمكنك قراءة كل ذلك في ملف مكتبي عندما تحضر في مارس، وسأعيرك كتاب لابوري، ولكن يجب أن لا تذهب وحدك، كما أن استئجار الجمال مكلف، أم ستستأجر سيارات؟

تهاني على إحراز اثنين من أسرتك شهادة جامعة سانت أندروز بشرف. إنه لشرف عظيم أن تنعم أسرة واحدة برداءين أحمرين.

إلى كاثلين تيري الخرطوم ٩ فبراير ١٩٤٥

آسف لعدم الكتابة منذ مدة طويلة. منذ أول ديسمبر كنت في غاية المشغولية وخصوصاً بغياب جيمس روبرتسون لمدة شهرين في عطلة في إنجلترا، تضاعف عليّ العمل، حيث هو كان يدي اليمنى.

أشكرك على خطابك بالبريد الجوي بتاريخ ٩ يناير وخطابك بتاريخ ١٠ ديسمبر الخاص بعيد الميلاد، وصورة آن والتي وصلت سليمة. إن الصورة تشبهها ومع ذلك لم أحب الصورة كثيراً، ربما لأني لم أدرك أنها كبرت. صورة وجهها جميلة ولكن غير متأكد أني أحب طريقة تصفيفها لشعرها. ولكني كنت أرغب في اقتناء صورة لها وليس من اللائق انتقاد الهدايا، وكل من شاهد الصورة يسأل «من هذه البنت الحلوة؟» وأنا أجيب: «في الواقع هي بنت أختي».

تمكنت من أخذ أسبوع عطلة في فترة الميلاد وذهبت إلى مديرية النيل الأزرق، وكانت فترة تغيير رغم أنها كانت مزدحمة بالعمل. الأيام الخمسة الأولى قضيتها في منطقة جيوفري هكسويرث (وحضرت حفلته للميلاد التي دعا إليها ثلاثين شخصاً)، وتفقدت المشاريع الزراعية ومجالس القرى والمدارس. ثم ذهبت إلى مدني مع جورج بريدن، والذي تماثل للشفاء مع زوجته والآن يعمل بهمة. ثم رجعت يوم ٢ يناير ولمدة ستة أسابيع لم أبارح مكتبي ليل نهار ومع ذلك كانت ممتعة. سياسة الشرق الأوسط، وتنمية ما بعد الحرب، والتعليم، والري، والطيران وخلافه، واجتماعات العديد من اللجان، وجيوش الزوار، بمن فيهم القائد العام باجيت، وأساتذة جامعات من سوريا وجنوب أفريقيا، واليوم وصل رونالد ستورز.

كوربين الذي يقوم بالدعاية لنا في لندن يقوم بمد «التايمز» و«الأسبكتيتور»، و«الكريستيان ساينس مونيتور» وخلافها بمعلومات أرسلها له، ولكن السودان ليس بأهمية لوبلين (مدينة جنوب بولندا يحتلها الروس ـ المترجم) أو E.L.A.S، كما أن كوربين أكاديمي بعض الشيء ولا يرغب في مخاطبة «الديلي ميرور» أو صحيفة «سباق الخيل» الأسبوعية.

جون ويلي (روبرتسون) ذكر لي أنه قام بزيارتك ووجدك تشكين من التواء في كاحلك. هذا شيء مؤسف وخصوصاً أنكم تعانون من الشبابيك المكسرة وشح المياه وانخفاض درجات الحرارة لأقل من الصفر. لقد سعدت أنه زاركم وقد ذكر لي أنكم بالرغم من كل شيء فلم يصبكم الكدر. هل أنت نحيلة ومتعبة؟ لا بدّ أنكم تعانون من أوقات عصيبة كما أتمنى أن يتوقف قصف القنابل. إذا ما تمكن إيزنهاور من الاختراق كما فعل الروس، فسوف يكون ذلك نهاية للألمان. حتى ولو كان النصر في النهاية من نصيب الأمريكان والروس فلا أحد ينكر استبسال الإنجليز عندما صمدوا وحدهم في الأيام الأولى.

هل يا ترى نسف اليابانيون تمثال آرثر فيرقسون في مانيلا؟

سوف أرجع لإنجلترا حوالى يوم ٥ يونيو (إن شاء الله جواً. تمني لي حسن الحظ) وسأجتهد لإثارة مواضيع السودان وحث وزارة الخارجية، ومساعدة ند مايال في بعض المسائل. ند المسكين يعاني من الرحلة الطويلة رغم البرد كل يوم في هاريندن، بالإضافة للقلاقل الأخرى التي أثرت عليه كثيراً. لقد تمكنت من رفده بعدد من الموظفين في السنوات الأخيرة، ولكني لن أتمكن من تقصير الرحلة أو تخفيض عرقلة الوزراء الأغبياء. هل أخبرك جون ويلي بمقابلته مع موظف وزارة البحرية الأطرش؟

أصبحت بدون ملابس. بنطلونين لي تمزّقا عند الركبة والآن أستعمل ملابس مايكل. أرجو أن يكون في دواليب العائلة في منزل والدتي بعض الملابس وإلا سأضطر للذهاب لوزارة الخارجية لابساً شورتات. عندي ما يكفيني من القمصان ولكن ليس لديّ جوارب كافية.

هل هناك ركن تحت الدرج عند وصولي لأقضي فيه بعض الوقت؟ آمل أن أصل لإنجلترا من يوم ٥ يونيو إلى يوم ٢٠ أغسطس. لم أقرر بعد متى سأغادر السودان نهائياً، ولكنني أعتقد في فبراير ١٩٤٦. لا أرغب في أن أصل إلى إنجلترا في الشتاء وأفضل أن أصل صيفاً لأتعوّد على البرودة شيئاً فشيئاً. أنا أكره البرد، وحتى هنا، كانت درجة الحرارة خلال الأسبوعين الأخيرين أدناها ٥١ وأقصاها ٩٠ درجة وحتى هذه كانت

باردة بالنسبة لي. يمكن أن أموت في صقيع إنجلترا. أنا أكابد لتخفيف وزني لأني شبه أعرج بسبب وقوعي عن حصاني والذي وقع بدوره على وركي. أنا آكل فقط الفواكه للإفطار والغداء ـ طماطم وبرتقال وموز وبلح وقريب فروت وشمام وجوافة ومع ذلك لم أتمكن من تخفيض وزني لأقل من ٧٤ كلغ تقريباً بدون ملابسي.

لقد استمتعت برحلتي لليبيا وفلسطين الخريف الماضي. لدينا في السودان ٢٥٠ من أفراد عصابة شتيرن اليهودية تحت الحراسة. قتل موين كان فظيعاً. لقد كان شخصاً ودوداً ووديعاً. لم أقابل قريق بعد.

عمر العجوز ما زال معي ـ أسوأ طباخ في أفريقيا، وفرسي «دود» عمره الآن ٢٩ عاماً، ولكنه ما زال بصحة جيدة ويعيش على الفول السوداني ويأكل حشيش ميدان التنس.

يوم ١٠ فبراير

زارني رونالد ستورز مساء أمس وتحادثنا لمدة ساعة. هو رجل ذو وجه متورد وشعر أشقر اشعث، يبلغ حوالى الستين من العمر ويشبه كنقزلي وود. لقد أصبح صحافياً ومحاضراً لمكتب الجيش لشئون العلاقات المحلية، وقد ألقى محاضرات عن لورانس العرب والكتب الأربعة (دانتي، وهوميروس، والإنجيل ـ لقد نسيت الرابع). هو رجل مثقف، وقد كان حاكماً للقدس، ثم قبرص (حيث حرق القبارصة القصر الرئاسي وهو بداخله) ثم شمال روديسيا. هو في هيئة تحرير «الصندي تايمز» ولذلك أمددته ببعض المعلومات عن احتياجات السودان وما شابه.

دعايتنا تحتاج لعمل متواصل وأنا دائماً أحاول أن أجعل من كل زوارنا سفراء لنا في إنجلترا.

* * *

(X) زائر آخر قضى ليلتين معي بالمنزل. لقد كان النقيض تماماً لأستوز اللحم وحب

القيل والقال. رسميّ في لبسه، بوجه شاحب، في غاية الأدب والصرامة وقضى طول حياته في الخدمة المدنية. كان يكره العصابات اليونانية، كما كان يكره أي عمل طيش أو تهور، ولم تكن لديه أي آراء حقيقية عن أي شيء كما أذكر - مثال كبير موظفي الخدمة المدنية.

هل أخبرتك أن ماري ناي والتي حضرت لنا في الشتاء؟ كانت في جدل حول أفريقيا تمثل فيها «نساء شكسبير» لقد رأيتها مرتين هنا وفي رأيي أنها ممثلة رائعة يا كاثلين. كانت تمثل في مسرح الأولد فيك عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥. عمرها تقريباً خمسين عاماً، جذابة جداً (ليست جميلة ولكن قريبة من الجمال) وصوتها رائع. لقد مثلت دور بورشيا، وروزاليند، وليدي ماكبث وخلافهن، لوحدها في المسرح. لقد تعلمت في نيوزيلندا، ومثلت أدواراً مهمة في لندن: كانديدا والأشباح، وجدار لندن والأخوات الثلاثة لشيكوف وخلافها. متزوجة من رجل اسمه منزيس. نحن عادة لا نحظى بمشاهدة أمثالها هنا. هل شاهدتها قبلاً تمثل في لندن؟ أنا أتوق لمشاهدة مسرحية جيدة مرة أخرى وأستمع إلى حفلة موسيقية.

إلى شيخ أحمد عثمان القاضي — الخرطوم ٢٨ فبراير ١٩٤٥

حامل وسام (عضو الأمبراطورية البريطانية)

أشكرك جزيلاً على خطابك بتاريخ ٢٢ فبراير والذي أثلج صدري. أنا أسأله سبحانه وتعالى أن يطول عمرك ويمتعك بالصحة والسعادة، وأن تبقى ذخراً لنا لتواصل نصحك الحكيم وعطفك ونقدك المخلص لمجهودنا في قيادة السودانيين نحو الحكم الذاتي.

إذا كانت حركة الحكومة أحياناً تبدو بطيئة، فأؤكد لك أن هذا ناتج من ملهيات الحرب وقلة الموظفين والحاجة إلى اتخاذ قرارات لإصلاح دائم بإقناع كل الأطراف

المعنيين، بريطانيين وموظفين سودانيين، ومواطنين سودانيين متعلمين وأميين وليس بقرارات مرتجلة أو إملائية أو اتخاذ إجراءات استعراضية. ستتسارع الخطى بإذن الله مع توسع التعليم وإزالة عوائق الحرب.

أنا آسف فإن انشغالي بالعمل الرسمي، وخصوصاً بالنسبة للسياسة الخارجية (العلائق مع مصر وشمال أفريقيا وأرتريا والحبشة وخلافها)، قد قلصت فرص احتكاكي الشخصي معك وبقية المستشارين السودانيين، ولكني مطلع تماماً بشتى الوسائل على آراء وتطلعات المستنيرين من السودانيين.

أنت وأنا لم نعد شباباً، وقد شاهدنا السودان يخطو خطوات واسعة وأملي أن نعيش لنرى الكثير أيضاً. الحاكم العام وأنا والسكرتير الحالي، جميعنا سنزور إنجلترا هذا الصيف ونأمل أن نقوم بحملة دعائية في إنجلترا عن السودان وعن احتياجاته.

مع تمنياتي لك بدوام الصحة والسعادة.

❑❑❑

إلى يوان كامبل الخرطوم ٩ مارس ١٩٤٥

لقد ارتطم وركي بحافة طاولة حادة قبل ثلاثة أيام وقد تعطلت رجلي تماماً وكنت في غاية الألم، ولو أنه بدأ يخف. أنا سعيد أن جون ويلي قد عاد من عطلته. بغياب الحاكم العام المستمر وبكثرة الزوار كنت محبطاً ومجهداً. أنا أكره أن تكون لدي متأخرات وأن أرتكب أخطاء. كان عليّ أن أستضيف ١٧ شخصاً في القصر قبل يومين. المستر تاك، الوزير الأمريكي المقيم في القاهرة وزوجته، وهما زوجان فاضلان وجنرال طيار أمريكي، وأرو سميث مراقب الأقطان في المملكة المتحدة، وبوريث مراقب الأقطان في الشرق الأوسط، وأربعة أو خمسة ضباط أمريكان وعدد من الضيوف من السودان. تاك كان ممتعاً في وصفه للقاء الثلاثة الكبار (يقصد تشرشل وروزفلت وستالين ـ المترجم) مع عدد من ملوك الشرق الأوسط في القاهرة. سأقابل كايث موراي عميد

كلية لنكولن في أكسفورد غداً. مشاغل الشئون الخارجية تأخذ أغلب وقتي الذي أحتاج له في التفكير في السودنة والتعليم المحلي والجنوب.

شاركت في اجتماع لجنة شئون الخدمة وكان اجتماعاً صعباً عن تكاليف المعيشة ومجلس الطيران الاستشاري بالنسبة لتكلفة المطارات بعد الحرب والتي ستبلغ حوالى مليون وربع مليون جنيه - هل وزارة الطيران في إنجلترا ستساعد في التكلفة؟

جوك ميلر، السكرتير المالي، في غاية الإنهاك ويعلم الله كيف يمكننا مساعدته. الرسائل العاجلة تنهمر من لندن وواشنطون والقاهرة عليه وعليّ، وهو بدون نائب. وزارة المالية تقول إنها لا تملك أحداً. مكتبي يمكنه أن يكافح لأنه يمكن الاستغناء عني، وثانياً في إمكاننا أن نغامر بعض الشيء، وكلا السببين لا ينطبقان على جوك.

هذا خطاب بائس، ولكني بخير يا يوان ولو بدرجة (ب).

لك ولكردفان تمنياتي الطيبة.

إلى ر. س. مايال — الخرطوم ١٠ مارس ١٩٤٥

يا إلهي كم نحن مرهقين، ومع ذلك فلا يجب علينا هنا التذمر لأننا ننعم بالدفء وبالخدم وبالمواصلات السهلة وليست لدينا مشاكل غذاء أو سكن أو استحالات. الناس هنا لا يدركون كم هم محظوظون.

لقد سعدت بعودة جون ويلي. حقيقة جوك وأنا كنّا محبطين في الآونة الاخيرة، وخصوصاً جوك. لا تصدق جون ويلي إذا كتب لك قائلاً إننا نشبه الموتى - على الأقل بالنسبة لي. جوك يمثل مشكلة، فهو بدون نائب سكرتير مالي لمدة سبعة أشهر (أربعة انقضت وثلاثة تنتظر) وهو حي الضمير ودقيق ولا يعرف الكلل أو الملل، بينما أنا بدون ضمير وأترك الأمور تسير كيفما تشاء.

الرد على منشوري بخصوص السودنة كان مزعجاً جداً. كل مديري مديريات الشمال كانوا غير مؤيدين ما عدا جون همفريز مدير كسلا الذي أفاد أن كل مفتشي مراكزه كانوا مجمعين أن تكون السودنة بطيئة جداً ومخففة ولكنه اختلف تماماً معهم. وقد علمت أن منشوري سمّوه خطاب الانتحار في كردفان. على أي حال الأمهات لا بد لهن من ارتكاب انتحار عندما يكبر أبناؤهن وهذا مفيد للأمهات والأبناء. والدتي كانت تكره تعلق الأطفال بمرايل أمهاتهم ويا ليتها كانت هنا لتتحدث بحكمة مع بعض هؤلاء المديرين ومفتشي المراكز.

لقد تحادثت بصراحة مع مديري المديريات الشمالية الستة في اجتماع فبراير وأخبرتهم أنني مستاء من ردة فعل الجهاز الإداري على منشوري الذي حظي بمباركة الحاكم العام، وقد انفضوا وهم محزونون مثل الشاب في الإنجيل، وأتمنى أن يراجعوا موقفهم. كلهم كانوا يرغبون في استمرار رقابة الجهاز السياسي إلى أن تصبح الحكومات المحلية في غاية الكفاية ومقتدرة على نفسها. أخبرتهم أنهم يطالبون بدولة سماوية وهذا فيه اغتصاب لحقوق المولى عز وجل. وكما يقول المثل «الأحسن هو عدو الحسن».

وقد قدمت تقريري للحاكم العام والذي قال: «أخبرهم أنك لا يمكن أن تعلم ابنك السباحة على اليابسة». هو دائماً يأتي بالمختصر المفيد. على أي حال يا ند سأستمر في اجتهادي.

مكي عباس حضر لي في المنزل وقال: «أنا وأصدقائي نرغب في طرح موضوعين في اجتماع المجلس الاستشاري القادم، ولكننا لا نرغب أن نسبب لك حرجاً». وقد دارت بيننا هذه المحادثة:

مكي عباس: الأول هو السودنة ـ نحن نرغب في تصريح لتطميننا أن لديك خطط وأن الترقية لن تتوقف في الدرجة (C) أو (D).

نيوبولد: نعم لقد حان الوقت أن تتلقوا تصريحاً، وسوف أدرج ذلك في الأجندة

إذا طالب خمسة من أعضائكم بذلك. لكن لن يكون ذلك بالشيء الهين لنا لأننا ما زلنا مع التريث، ولكننا ندين لكم بذلك وأي إلحاح من جانبكم سيفيد الحكومة.

مكي عباس: المهم هو أن تصرحوا وتعطونا بعض الضمانات.

نيوبولد: ما هو الأمر الآخر؟

مكي عباس: هل لنا أن نطالب بضمانات أن مستقبل السودان لن يقرر فيه بدون استشارة المسئولين السودانيين؟

نيوبولد: نعم هذا مطلب معقول وأنا في مكانكم سأطالب به، ولكني أعتقد أن الحكومة سبق أن أعطتكم ذلك في خطاب السكرتير الإداري عام ١٩٤٢ للمؤتمر.

مكي عباس: نعم كان ذلك وعداً من حكومة السودان بأنها ستستشيرنا. ونحن نعلم أنكم دائماً تفعلون ذلك، ولكن هل ستتم استشارتكم في وقت كاف لتستشيرونا نحن؟ نحن نرغب في ضمانة من حكومتي الحكم الثنائي بأنهما أو أي منهما لن تقوم منفردة أو مجتمعتين بإصدار تصريح بشأننا دون إعطائنا الفرصة لنتحدث عن أنفسنا.

نيوبولد: نعم أنا أتفهم أن هناك خطورة من وزارة خارجية ضعيفة أو ملهية بأمور أخرى قد تتفق مع مصر على شيء لا أنتم ولا نحن نرغب فيه. أرجو أن أؤكد لك أن الحاكم العام وشخصي متنبهين لهذا الأمر، وهذا أحد الأسباب في ذهابنا سوياً إلى لندن هذا الصيف. لا أدري إن كان هذا موضوعاً يتطلب تقديم سؤال في المجلس الاستشاري لأن الحاكم العام لن يتخلى عن تقديم أي تأكيدات نيابة عن دولتي الحكم الثنائي، ولكنكم على حق في المطالبة به، وأقترح عليك وعلى أصدقائك أن تكتبوا لي خطاب كسكرتير إداري أو كرئيس للمجلس الاستشاري تبدون فيه تخوفكم، وسوف أناقشه مع الحاكم العام لنرى ما يمكن عمله. على أي حال هذا سيعزز من موقفنا في لندن.

على أي حال يا ند لا بد أن أتوقف.

أنا أتطلع لعطلتي في إنجلترا ويتنازعني شعور مختلط، حيث أنت تتوقعني أن أعمل وأقضي وقتي في وزارة الخارجية، بينما أنا أحن إلى سسكس.

النقراشي (رئيس الوزراء الجديد في مصر) سيكون التعامل معه صعباً، وقد أساء للحاكم العام لأن الحاكم العام أرسل برقية تعزية في وفاة أحمد ماهر عن طريق وكيل حكومة السودان في القاهرة.

الضيوف يتدفقون هذا الأسبوع في غياب الحاكم العام. وكلهم وصلوا مع بعض ولذلك أولمت لسبعة عشر منهم في القصر بالرغم من اجتماعي طول اليوم مع لجنة الخدمة العامة وآلام الروماتيزم الممضة. على أي حال كانت حفلة عشاء ناجحة.

أخبرت ي. أن أي نائب عمالي سوي يمكنه أن يتحدث في البرلمان عن السودان وصندوق التنمية الاستعماري. بنكناي تاك (الوزير الأمريكي المقيم في القاهرة) سألني عن المجلس الاستشاري وعن مجالس المديريات، وأخبرته أننا نؤمن بالديموقراطية. هو رجل عظيم وتمنيت لو قضى معنا وقتاً أطول من ليلة واحدة.

أحد الأولاد من الأنْقَسَنا (أو الوطاويط) رمى عربة جورج بحجر دخل عبر الشباك وجرح جورج في حنكه، ولكن جرحه برئ وقام بإجبار أهالي القرية على بناء شفخانة كعقاب لهم.

جوك دانكن الذي حضر لأداء امتحان العربي أخبرني أن مجلس بلدية النهود يعمل بطريقة مرضية وأن منعم (منعم منصور - ناظر عموم قبيلة الحمر - المترجم) متفق وأن مؤسسة أبونا مايال ما زالت قائمة في غربي كردفان.

أصبح الوقت ظهراً ويجب عليّ أن أنهي هذه الثرثرة وألتفت لبعض الملفات.

ملحوظة: كايث موراي، أستاذ في جامعة أكسفورد ـ كلية لنكولن، وصديق ليوان، هو مراقب أغذية أو في منصب اقتصادي عالٍ في مركز تموين الشرق الأوسط،

كان في زيارة للسودان، وهو صغير في السن وودود، وسيرجع الآن إلى أكسفورد. وقد حضر لزيارتي اليوم وقال: «هل تعلم أن السودان هو أحسن دولة في الشرق الأوسط، نظيف، وفعال وخيّر. لقد وفرتم للحكومة البريطانية ملايين الجنيهات بالقوانين التي سننتموها. لا أحد يعلم بذلك. إنه من غير اللائق أن تمنح الحكومة البريطانية الأمم المتحدة ١٢ مليوناً لإيطاليا ومنحت أثيوبيا ٣ ملايين، وأنتم لا تحصلون على شيء. موظفوكم السودانيون أكفاء ومهذبون. إدارتكم منظمة ومنفتحة. يجب عليكم أن لا تتواضعوا. أنا أقترح أن تتضمن دعاياتكم مقالات في الدوريات العلمية والمجلات المحترمة مثل «الفورت نايتلي» (والتي لديها قراء قلائل وكلهم مؤثرون) من أمثال كين وورثنغتون وخلافهما. قلت له بالطبع، ولكن هل ستكتب أنت إحدى تلك المقالات؟

إلى قيساقا الخرطوم، السودان ١١ مارس ١٩٤٥

يخيّل لي أنك اعتقدت بأني لن أرد أبداً على خطابك لي بتاريخ ٢٩ ديسمبر. ولكني لا أتخلى عن أصدقائي أبداً، وأتمنى أن لا تكف أنت عن الكتابة، لأني أعتز برسائلك كما أعتز بصداقتك. لقد كنت في غاية المشغولية في الآونة الأخيرة. وقد تطلّب الوضع أن أقوم بأعباء الحاكم العام إضافة لأعمالي حيث كان الحاكم العام في جولة في أثيوبيا لمقابلة الأمبراطور.

لقد كتب لي المستر تيرنر مرة أو مرتين، وأيضاً وصلت إليّ أخبار عن ماكرري من السيد نيوتون المهندس المعماري الذي زارنا بعد مغادرته ماكرري ليقدم لنا المشورة بالنسبة لمباني كلية غردون الجديدة وداخلياتها وقاعاتها ومكتبتها ومسرحها المفتوح وخلافه.

الآن لدينا ١٨٠ طالباً في الكلية ونهدف إلى زيادتهم إلى ٤٠٠. وقد قمت بإعارة

أحد مفتشي مراكزنا، وهو أكاديمي ممتاز ليقدم محاضرات في علوم المدنيات والإدارة، وأن يقوم ببحوث في العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية، كما سأبعث بعض موظفي الإدارة السودانيين الشباب إلى جامعتي أكسفورد وأكستر هذا العام لدراسة الإدارة والحكم المحلي. مجالس مديرياتنا الستة تسير بطريقة حسنة والمجلس الاستشاري المركزي لشمال السودان جلسته الثالثة في مايو لمناقشة مشكلة شرب الخمور وقضايا اجتماعية أخرى. كما ستقوم الحكومة، بالطلب من أعضاء المجلس بالإدلاء بتصريح عما تمّ بشأن سودنة بعض وظائف البريطانيين. المتعلمون السودانيون يهتمون كثيراً بهذا الأمر بالطبع، وإنه لمن المفيد لنا نحن كبار الموظفين البريطانيين أن نبحث من وقت لآخر باتخاذ خطوات أسرع. لقد قمنا بسودنة عدد من الوظائف في الإدارة والصحة والقضائية والتعليم والشرطة، ولكننا لم ننجز إلا القليل بالنسبة للمصالح الفنية مثل السكك الحديدية، والبريد والبرق، والأشغال العامة أساساً لعدم وجود مدارس مهنية جيدة ومصاعب الحرب. ولكن في إمكاننا أن نسرّع خطانا ويجب علينا أن نفعل. لدينا قضاة وأطباء سودانيين ممتازين وليس هناك ما يمنع أن يكون لدينا مهندسون وعمال قضاة وضباط لاسلكي سودانيون. هذا الأسبوع سعدت جداً بمقابلة أول طيار سوداني عمره ٢٢ سنة ونصف تلقّى تدريبه في مصر.

هل تذكر عندما قابلتك في ماكرري وأخبرتك أني آمل أن أرى اثنين من طلابنا السودانيين الذين يدرسون في مدرسة نابومالي الثانوية أن يلتحقا بكلية ماكرري؟ لقد نجح أحدهما ـ مايكل يللو من قبيلة المورو، والآخر قد رسب ـ بولين بيور. أتوقع أن يكون مايكل في الكلية الآن، وأطلب منك أن تعتني به وتساعده أن يتأقلم حتى لا يشعر بالغربة. عندما يحدثك عن جنوب السودان قد تشعر أن جنوب السودان متخلف عن يوغندا. هذا صحيح. كل التطور الذي تحدثت عنه في محاضرتي كان عن شمال السودان المتقدم كثيراً عن الجنوب، ولكننا نجتهد لتطوير الجنوب في مجال التعليم والاقتصاد. إن مايكل محظوظ كونه أحد الرواد. سأكتب له قريباً. أرجو أن تبلغه تحياتي وتمنياتي الطيبات.

خطابك بتاريخ ٢٩ ديسمبر كان ممتعاً جداً. هل صدر كتابك عن كونيوكي ومالتسن؟ هل هو مكتوب باللغة السواحلية أم الكيكويو أم الإنجليزية؟ ومتى سيصدر كتابك عن سيرة المطران كراوثر الذاتية؟ السيد باتن أخبرني عن حانوت الطلاب التعاوني. تهانينا لاختيارك رئيساً لمجلس إدارته. سيكون ذلك مجال خبرة مفيدة. أوافقك على ملاحظاتك بالنسبة للغتين الإنجليزية والسواحلية. أرجو أن يكون والدك الشائب بخير، أتمنى أن ألتقيه. هل سيلتحق شقيقك بكلية ماكرري بعد تخرّجه من مدرسة الوحدة الثانوية؟ ما اسمه؟ هل هو ذكي؟ ما هدفه في الحياة؟

لقد أسفت لسماع أخبار أعمال الشغب في كمبالا. لقد وصلت إليّ بعض التفاصيل من بعض أصدقائي هناك ومن الصحف، ولكني أرغب في معرفة رأيك عن الأسباب. أعتقد أن إدارة الباقاندا قد اتضح أنها غير مقبولة شعبياً. أرجو أن تخبر عبد الغني يحيى أني سأكتب له. مع تمنياتي الطيبات، وأرجو أن تكتب لي متى تيسر لك الوقت.

❐❐❐

إلى الراهب ي. س. دانيال الخرطوم ١١ مارس ١٩٤٥

(حامل وسام الأمبراطورية البريطانية)

ليتون شيني - (والد ح. ب. س. دانيال)

بول يطلعني على بعض خطاباتك بالبريد الجوي له، وأنا ممتن لك لعواطفك النبيلة التي تحملها رسائلك، كما أن مذكراتك عن دورست تزيدني حنيناً للوطن. أنا سعيد أن جزءاً من إنجلترا على الأقل ما زال يحتفظ بخصائصه وحيويته. الحرب تسير لمصلحتنا، ولكن كل هذا القتل يسبب الغثيان، كما أن الجوع والشقاء في وسط أوروبا لا بد أن يكون مروّعاً وسنحتاج لسنوات عديدة لتخفيف المعاناة ومحو الذكريات المريرة. ما زلت أشعر بأن فقد المطران تمبل كان أسوأ مصائبنا، أتمنى أن يملأ المطران فيشر مكانه بجدارة، ولكن لا أحد سيكون في مقام تمبل. لقد سمعته يعظ في مدرسة

أبنقهام منذ سنوات طويلة عندما كان ناظراً في مدرسة ربتون، وكانت واحدة من المواعظ التي رسخت في ذاكرة طالب مدرسي. لقد كنا كلنا مسحورين، لا حركة ولا صوت.

أنا طريح الفراش لأيام بألم حاد في وركي. لقد كنت أشكو من آلام خفيفة من التهابات المفاصل منذ نحو عشر سنوات، ولكن السنوات الخمس الأخيرة اضطرتني بالتدريج أن أتخلى عن لعب البولو، والأسكواش، والقولف وخلافها. ما زلت أمشي لمسافة ثلاثة أو أربعة أميال وأركب فرسي على مهل، ولكن فرسي وقع فوقي في شارع مسفلت الشهر الماضي كما ارتطم بعدها وركي المصاب بحافة طاولة حادة والآن أنا فاقد للحركة، ولكن آمل أن تكون فقط لأيام قليلة.

كنت أعيد قراءة كتاب إينق «المقالات الصريحة» في الأيام الماضية. هو ناقد ذكي ولكنه يحتقر الإنسان العادي، ولا أعتقد أن أي شخص يدين بالمسيحية يكون بهذه الدرجة من السخرية. كان يمتلك عقل القديس بولص ولكنه لم يمتلك إحسانه. لقد كتب عنه سيدني دارك - محرر الـ«شيرش تايمز»، المولع بالأذى يقول: «إذا تحدث دين إينق بصراحة فسوف يصف للعالم حكومة يديرها كرادلة أذكياء، ليس بينهم واحد يؤمن حقيقة بالعقيدة التي من وا جبه أن يعظ بها». سيرة دارك الذاتية: «حياة لا بأس بها» بها تصوير قلمي جيد لبارنز وقور وهاليفاكس ودافيدسون ولانق، كما تذخر أيضاً بهجوم جارح لبوكمان.

هناك تطور سياسي واقتصادي كبير في أفريقيا، والأخير تحت إدارة صندوق التنمية الاستعماري واللجان التنفيذية الجديدة تحت إشراف وزارة المستعمرات. أما التطور السياسي فهو متقطع ويعتمد أساساً على ليبرالية ونشاط مديري المديريات. ساحل الذهب تقود الركب بدستورها الجديد (وبأغلبية أفريقية غير رسمية) الذي تمت الموافقة عليه بعد المحادثات التي جرت بين زعماء القبائل والمثقفين. نيجريا أيضاً تسعى للاتفاق على دستور ولكنها متأخرة في بناء الجسور بين أمراء الشمال ومتعلمي الجنوب. مجلس تشريعي شمال روديسيا ناقش بحيوية تمثيل الأفارقة. ولكن الأمور تسير ببطء،

وهي على الأقل تسير للأمام، كما أن مجالس المديريات في شمال روديسيا ونيواسلاد وخلافها الآن في طور التأسيس. أما تجربتنا هنا في السودان فقد كانت ناجحة جداً، والآن نحن نقوم بإنشاء مجالس مناطق ريفية تنفيذية (على غرار مجالس المقاطعات الإنجليزية) (تعداد السكان بين ٦٠,٠٠٠ نسمة الى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة) بميزانيات خاصة وموظفين وضباط مجالس. أما مجلسنا الاستشاري المركزي والذي يضم ٢٨ سودانياً في عضويته، فسيجتمع في دورته الثالثة خلال مايو. أجندة هذا العام أغلبها عن شئون اجتماعية، مشاكل شرب الخمر والأمن العام، وختان النساء (عادة وثنية غير إسلامية وكارثة بالنسبة لتعليم البنات). كلية غردون الجديدة بميزانيتها التي تبلغ ٧٣,٠٠٠ جنيه وعدد طلبتها البالغين ١٨٠ طالباً في قسم الإنسانيات وقسم العلوم، وهي الآن في تقدم مستمر. وقد استقبلنا منذ فترة وجيزة المهندس نيوتون والذي قام بتصميم القاعات التذكارية عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ والفصول وخلافه لمدارس مالبرو وأبنقهام ورادلي وبرادفيلد وأخيراً ماكرري. تيرنر يداوم الكتابة لي، وكذلك أصبح لي أصدقاء من طلبة ماكرري. يوغندا شهدت أعمال شغب عنيفة سالت فيها الدماء واضطرت الحكومة أن تحضر عربات مصفحة من نيروبي ـ الأسباب جزئياً اقتصادية، ولكن جزئياً في رأيي احتجاج ضد توجه مملكة الباقاندا الرجعية. لقد التحق أول طالب جنوبي بكلية ماكرري، ولدينا آخرين في موكونو ونابومالي.

كنت منغمساً في سياسة مصر والوحدة العربية، والطيران المدني وخلافها من مواضيع، ألهتني عن عملي الأساسي في شئون الحكم المحلي والتعليم. كما يتوافد علينا الزوار بمن فيهم صديقي الجنرال سكوبي من اليونان والوزير الأمريكي المقيم في القاهرة والذي حكى لنا قصصاً عن تشرشل وروزفلت وابن سعود يتحتم عليّ عدم ترديدها.

بول بخير وسينهي بعد أيام خدمته العسكرية التي أنهاها بتقدير وبمجهود كبير. سوف أفتقده ويفتقده منزلي بدرجة لا تتصور. أطيب تمنياتي لكم جميعاً في ليتون شيني.

***

الخطابان أعلاه كانا آخر ما كتب. بقية القصة من الأفضل أن يسردها صديقه وخلفه ج. و. روبرتسون:

«لقد عدت من عطلتي (كانت أول زيارة لي لإنجلترا منذ عام ١٩٣٩) يوم ٣ مارس ووجدت دوغلاس يعاني من كثرة العمل ويبدو عليه المرض. أخبرني أن وركه يسبّب له ألاماً قاسية وذكر لي أنه ارتطم بحافة طاولة حادة. لم أقابله كثيراً خلال الأسبوع، وكانت لديه اجتماعات كثيرة وعدد كبير من الزوار في منزله.

يوم الأحد ١٢ مارس ذهب لفراشه بعد ليلة مضنية واضطر لاستدعاء دكتور كروكشانك ليكشف عليه، ونقل يوم ١٣ مارس إلى المستشفى.

منذ ذلك اليوم وإلى يوم ٢٣ عندما توفي، كنت أزوره يومياً في المستشفى وكنت أتعجب لشجاعته. لقد كان يعاني من الألم الممض وقد أعطي مسكنات قوية جداً، وكانت حالته تتحسن وتسوء من يوم لآخر.

لم يدرك أحد خطورة حالته إلا قبل أسبوع من وفاته عندما اضطر مدير الخدمات الطبية أن يستدعي اثنين من الإخصائيين من الجيش البريطاني في الشرق الأوسط للحضور للخرطوم. لقد علمت أن خراجاً في مفصل وركه قد إنفجر عندما ارتطم وركه بحافة الطاولة مما سبب التسمُّم في كافة جسمه.

لقد كان في أغلب الأوقات مبتهجاً ويلقي النكات عندما أزوره، كما كان بالطبع دائماً يعتذر لعدم تمكنه من القيام بنصيبه من العمل: «لقد خذلتك يا جيمي»، وما شابه ذلك - وكان شيئاً غير محتمل بالنسبة لي خصوصاً بعد أن أخبرني الأطباء أن صحته لن تتحسن. لقد زرته صباح

يوم ٢٣ مارس نحو الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً وتأكد لي وقتها أنه لن يكمل ذلك اليوم حياً: كان يجلس على سريره مسنوداً بالمساند وكان شبه نائم، ولكنه تعرف عليّ وسألني عن زوجتي نانسي والأطفال، ومرة أخرى قال لي إنه سيرجع لمزاولة العمل وأن لا أقتل نفسي من كثرة العمل. وقد توفي ذلك اليوم في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر».

مسطورات
MUSTORAT

حاشية
السودان منذ ١٩٤٥

في صلاة الجنازة في كاتدرائية الخرطوم يوم ٢٤ مارس وبعد ذلك في المقبرة، تجمع عدد غفير من كل الطبقات والجاليات، سودانيون وأقباط، وبريطانيون، ويونانيون، وسوريون وأرمن، ليقدموا عزاءهم وتقديرهم للراحل (أحد الأجانب وصل الخرطوم عصر يوم وفاة نيوبولد علّق على الظاهرة الاستثنائية «مدينة تنتحب». لقد أدركوا أنه ناضل من أجلهم ومن أجل السودان إلى أن إنهارت قواه ولم يتمكن من مقاومة تسمم الدم. لقد ظن أطباء القاهرة أن سنه تربو على الستين، في الوقت الذي كان عمره خمسين فقط، كل ذلك بسبب الإجهاد من نشاطاته المتعددة.

كتب روبن هودجكن في «مجلة السودان في باب رسائل ومدوّنات» - المجلد الرابع والعشرين، الجزء الثاني:

«لقد كانت سنواته مديراً لكردفان وخصوصاً سنوات الحرب عندما كانت مهامه كسكرتير إداري متنوعة ومرهقة لحد بعيد هي سبب تدهور صحته. ولكن خلال كل تلك الفترة من المعاناة لم يقلل أبداً اهتمامه الصادق بالأفراد أو مشاكلهم أو عملهم. كان منزله دائماً مليئاً بأصدقائه وزواره العابرين عن طريق الخرطوم. قد يزوره إنسان ويجده منهمكاً في مشاكل اثنين من أطفال النوبة اليتامى اللذين تبناهما من كردفان وسجلهما الآن في مدرسة في أمدرمان، وكانا

يحظيان بنفس العناية والتقدير اللذين كان يحيط بهما الجنرالات والساسة الذين كانوا يجيئون ويذهبون في زيارات خاطفة. كان يسهر الليالي ليكتب خطابات مطولة وشخصية للرجال الذين كانوا يعملون في المناطق النائية، وكانت تلك الخطابات تخفف عليهم معاناتهم بما تحتوي من عطف وحكايات مسلية.

لقد كان لمنزله في الخرطوم، عدة نواحي مميزة. كانت مكتبته تذخر بالنفيس من الكتب من ثيوسيديس إلى ودهاوس، ومن ابن بطوطة إلى برترام توماس. أغلب كتبه أهداها إلى مكتبة كلية غردون، التي كان أكبر المشاركين في تطويرها. حديقة المنزل كانت تتجدد دون تنسيق وأركانها غير منسقة وبأحواض من زهر الجهنمي وكمية من زهرة صباح المجد تحت أشجار النخيل. وهناك الإسطبلات لخيوله ومن بينها «دود» فرسه الذي على أبواب الثلاثين من عمره وما زال مستعداً للعدو في غابة السُّنط وكان الجو العام في المنزل بدون رسميات وعفوياً ولا يتطلب من زواره أي شيء وذاك كان أساس حسن ضيافته.

أما عن نيوبولد شخصياً فالصورة التي تستقر في أذهان الذين يعرفونه جيداً لم تكن فقط لإداري عظيم، وإنما كصديق يحلو للناس أن يكونوا في صحبته. لا توجد صور معبرة عادة ولكن هناك صور من المخيلة. كان طوله ٥ أقدام و١٠ سنتم (حوالى متر و٧٥ سنتمتراً)، ضخم الجسم وبخطوات ثابتة فيها عرج بسيط. وتحت رأسه الأصلع والمدبوغ بحرارة الشمس كان وجهه معبراً جداً. كان فمه المجدول نوعاً ما وحاجباه الداكنان اللذان يرتفعان إلى أعلى يوحيان بروح الفكاهة والخيال اللّذين يكمنان خلفهما. بينما صوته الأجش بسخريته المحببة كان كافياً لأن يفجر الضحك في كل من يسمعه.

لأصدقائه الذين عرفوه من سودانيين وبريطانيين وآخرين، وللجميع الذين قد رأوا ميزاته يبدو أن النهاية أتت قبل أن تكمل الروح مهمتها. والحال كما هو فما علينا إلا أن نفجع في فقد صديق عظيم وقائد ملهم».

إذا ما حاولنا أن نقيّم أهدافه وإنجازاته بصدق فسيتطلب ذلك مقدرته هو في التعبير. لقد سعى لكسب ثقة وود المثقفين السودانيين، للوصول لهدف موحد كما فعل مع قادة الريف، وكان يسبقهم دائماً في فكرهم السياسي حتى يتسنى له توجيههم لا أن يكون تابعاً للرأي العام. إن القرار الذي اتخذ لتحويل السلطة عن طريق مؤسسات على نمط برلماني غربي ثم عن عمد بعد تفكير عميق ومشاورات. كما أن تطوير المدارس العليا إلى كلية جامعية كان جزءاً من ذلك وأيضاً افتتاح المجلس الاستشاري. لقد شاهد عدم الاستقرار في الديموقراطيات الجديدة في البلدان العربية، وعلم أن لورد لوغارد وآخرين من الاختصاصيين شعروا بأن أفريقيا يناسبها نمط مختلف من الحكم المحلي. لقد راهن على اتزان شخصية السودانيين، ذلك الاتزان الذي يحجب أحياناً في زمن الهياج الوطني كما حدث أعوام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨، ومع ذلك كان يمكن تبينها في ردة فعل الرأي العام ضد أعمال الشغب التي في أغلب البلاد العربية ولم تكن ذات بال تستدعي الانتباه.

لقد حقق هدفه الأول ـ اكتساب ثقة وود حتى أكثر المعادين للإنجليز كراهية، ولكن الحرب منعته من أن يسبق الرأي العام ـ وخصوصاً بالنسبة للتأخير في تأسيس المجلس الاستشاري. لقد ملأ المؤتمر الفراغ، كما فشلت محاولة إبعاد الطائفية عن السياسة. إن عدم تلبية الحكومة لمطالب المؤتمر في عام ١٩٤٢ ـ يعزوه المؤتمر لضغوط الرأي العام البريطاني المحافظ وليس لنيوبولد شخصياً ـ وقد كان يمكن أن يعالج بطريقة أفضل لولا ظروف الحرب.

كلية غردون الجديدة هي أساساً من مجهوداته وإنجازاته. إن القلاقل التي أثارها طلبتها في ما بعد أخفت عن الكثيرين نجاحها كمصنع لتفريخ موظفي خدمة مدنية

تعتمد سياسة السودنة عليهم. ولكن بالنسبة للطلبة أو المؤسسات الدستورية البرلمانية ستبدي لنا الأيام القادمة البراهين.

كان الحاكم العام سنداً له في جميع مساعيه، ولولا نصحه وتشجيعه ما كان لإنجازاته أن تتم بهذا النجاح. كان الحاكم العام السير هيوبرت هدلستون معروفاً ومحبوباً في أنحاء البلاد، كما تمتع بالولاء الودود من كل جهاز الخدمة المدنية. لقد أدرك السودانيون أنه نصيرهم في مطالبتهم المشروعة بتقرير المصير، وأخبار وفاته عام ١٩٥٠ أثارت موجة عريضة من الحزن والتعاطف كما حصل عند وفاة نيوبولد.

السكرتير الإداري الجديد السير جيمس روبرتسون قضى سنة قبل أن تبدأ القلاقل.

كانت تلك فترة ترقب يشوبه الأمل، عندما كان الناس من كل الفئات وخصوصاً الشباب المتعلم في بلاد مثل السودان يترقبون النصر الذي أوشك أن يتحقق، ينظرون للمؤسسات العالمية لعدالة جديدة في الشئون العالمية. إن آثار التضخم الكاملة وما تبع ذلك من تحريض وسخط لم تظهر في السودان بعد. لقد حافظ المجلس الاستشاري على وعده وبدأ رويداً رويداً يكتسب سمعة ساعدت في تهدئة مخاوف المحافظين وفي نفس الوقت كسب احترام المتطرفين رغم أنفهم. قامت المجالس المحلية في المدن وفي الريف بدون ضوضاء، وخطط التعليم وتنمية الاقتصاد وتمت بعد الحرب دراستها واتخذت الخطوات الأولى لتطبيقها. بين الموظفين البريطانيين تلاشى التخوف الذي كان يشتكي منه نيوبولد قبل وفاته، وحلّ محله تفاؤل متنام أن السودنة في الخدمة المدنية يمكن تسريعها دون خطورة من تقليل الكفاءة، كما أن المؤسسات التمثيلية يمكن إنشاؤها دون أن نضع رجال الريف تحت رحمة رجال المدن الأكثر ذكاء ولكن لا يخلون من جشع.

في نهاية عام ١٩٤٥ وافقت الحكومة البريطانية على فتح تفاوض مع القاهرة لمراجعة الاتفاقية الإنجليزية ـ المصرية لعام ١٩٣٦، والتي بقيت سارية المفعول لغاية عام ١٩٥٦. لم تتمكن حكومة السودان أو السودانيون بدون مؤسسات تمثيلية

كاملة من المشاركة في المفاوضات. قرر متعلمو السودان أن لا يرضخوا للأمر الواقع وترك بريطانيا ومصر ليقررا مصيرهم دون مشاركتهم، وتمكنوا من الاتفاق مرحلياً في ما بينهم - أنصار - وأعداء مصر - وأرسلوا وفداً مشتركاً إلى القاهرة. لم يستمر الاتفاق طويلاً، وقد تم استدعاء أعضاء الوفد من المناوئين لمصر إلى السودان، ولمدة ثلاث سنوات كان الجو العام مسمماً لهذا السبب. وقد تبددت جهود كبار الموظفين البريطانيين وقادة السودانيين لتحقيق أهدافهم في حالة السودانيين، ولمنع أي شيء يعيق البلاد من تقرير مصيرها في الوقت المناسب في حالة البريطانيين. إن نظام الحكم الثنائي الذي بمقتضاه يمكن لبلدين أن يقررا مصير بلد ثالث، أصبح غير مقبول، كما أن الخوف من أن مصالح القوى الكبرى ستطغى على مصالح مواطني الدولة تحت الوصاية أصبح يتزايد، وخصوصاً بعد فشل المفاوضات التي استمرت طويلاً والخاصة بمستقبل المستعمرات الإيطالية. أما حكومة السودان، وهي مكبلة الأيدي، فلم تنج من وصمها بالعار.

كانت هناك مظاهرات ومظاهرات مضادة، وأعمال شغب وإضرابات. وقد كان لطلبة كلية غردون وحتى طلبة المدارس الدور الرئيسي في القلاقل أسوة بزملائهم في القاهرة. بعضهم حصل على منح من المصريين كدعاية والتقطوا من شوارع القاهرة نوعاً من الفكرة الشيوعية قادتهم في آخر الأمر إلى الدخول في صراع مع نفس السلطة التي أغرتهم سابقاً.

وقد تمخض عن ذلك وضع يصعب على أي سياسي أو صحفي أن يعترف من جرّائه بأي فضل للحكومة لأن ذلك كان بمثابة انتحار سياسي. وفي مجاراة للصحافة المصرية التي انحدرت لمستوى من القدح أشبه بحملة د. قوبلز في منطقة السوديتون، قامت الصحف السودانية الشعبية بتقويض ثقة الشعب في حسن نوايا نيوبولد وزملائه ومن خلفهم، وولّدوا مرارات جديدة مع الجالية البريطانية. حتى صديقه مكي عباس، والذي قد استقال من الخدمة المدنية وكان يشرف على تحرير إحدى الصحف، وجد نفسه ينتقد الحكومة بشكل متزايد.

ادعت مصر أن ما يسمى باتفاقية صدقي ـ بيفن التي نشرت بنودها عام ١٩٤٦ أعطت مصر السيادة على السودان، الشيء الذي لم تعترف به أي اتفاقية سابقة. وقد قاد ذلك إلى شعور عدائي ضد البريطانيين حيث فهم في جميع الأوساط أن بريطانيا قد نكثت بتعهداتها للسودانيين. في الواقع فإن فشل المفاوضات مع مصر لاحقاً كان بسبب تلك التعهدات التي تنص على أن الحق للسودانيين في تقرير مصيرهم والذي رفضته مصر. تقدمت مصر بشكوى للأمم المتحدة وعبرت وفود السودانيين المتخاصمة الأطلنطي في صيف ١٩٤٧. أجهضت المفاوضات في مجلس الأمن ورجع ممثلو الأطراف المختلفة كل إلى بلده بدون نتيجة.

كان هناك خلاف آخر برز بعدما تقرر استبدال المجلس الاستشاري بجمعية تشريعية تمثّل كل السودان، شماله وجنوبه، واستبدال مجلس الحاكم العام بمجلس تنفيذي يمثل السودانيين خمسين في المائة من أعضائه. هذه الإجراءات اتخذت، بالرغم من القلاقل السياسية، بواسطة مؤتمر خاص مكوّن من بريطانيين وسودانيين عقد خلال ١٩٤٦ و١٩٤٧ لمناقشة الإجراءات الإضافية التي ستوسع مشاركة السودانيين في جهاز الدولة المركزي والحكم المحلي. وقد أصبحت تلك الإجراءات، كما كان متوقعاً، نقطة خلاف سياسي. شاركت الجبهة الاستقلالية المكوّنة من حزب الأمة وأتباعه والمسنود بنفوذ السيد عبدالرحمن المهدي القوي، في المحادثات ووافقت على توصيات المؤتمر كخطوة في طريق الاستقلال. أتباع السيد علي الميرغني أيضاً شاركوا في المحادثات، ولكن السيد علي نفسه كان مشككاً رفض الموافقة على التوصيات النهائية. كان اعتراضه على مبدأ الانتخاب غير المباشر وضم مدن صغيرة في دوائر ريفية، كما أوضح أنه لن تكون هناك حرية اختيار بعد أن سمح لزعماء القبائل بالترشح للانتخابات. أما الأحزاب المساندة لمصر بما فيها حزب المؤتمر فرفضت المشاركة في المحادثات وقاطعت الانتخابات.

أسفرت المفاوضات في القاهرة بين وزير خارجية مصر وسفير الحكومة البريطانية عن اتفاق على مشروع قانون جديد، ولكن الصحافة المصرية وأبواق الدعاية أجبرت الحكومة المصرية على عدم المصادقة عليه.

بالرغم من تلك الأحداث العاصفة قرر السير روبرت هاو الحاكم العام الجديد الذي خلف السير هيوبرت هدلستون، أن يسير قدماً في تنفيذ الاتفاقية غير مبال بالدعاية المغرضة ومقاطعة الختمية التي كانت شبه كاملة. فقد اجتمع في الخرطوم في ديسمبر ١٩٤٨ عدد من الرجال يمثلون قطاعات كبيرة من الشعب لافتتاح الجلسة الأولى للبرلمان السوداني. مثل الختمية نفر قليل من نظار القبائل، وباستثناء غياب قادة حزب وحدة وادي النيل، كان الانتقاد الرئيسي للجمعية هو عدم تمثيل الخريجين بنسبة معقولة، ليس بالنسبة لعددهم وإنما لدورهم الذي لعبوه في تقرير مستقبل بلادهم. السبب في ذلك هو أن الناخب في الريف محافظ ولا يصوّت للمثقفين، كما أن شروط أهلية الناخب تتطلب تسجيله في مكان سكنه. وبما أن الأغلبية العظمى من المتعلمين السودانيين يقطنون في العاصمة الخرطوم ـ والخرطوم بحري وأمدرمان فهم يشكلون فقط ٦ دوائر بينهم. ولكن كان هناك عشرة ممثلين للمهنيين يعينهم الحاكم العام، وعشرة وكلاء مصالح يمثّلون المصالح المختلفة في الحكومة وثلاثة وزراء ـ التعليم والصحة والزراعة. السيد عبدالله خليل كان وزير الزراعة كما كان سكرتير حزب الأمة وقد انتخب رئيساً للجمعية، وقد تمت مشاورته بالنسبة للمعينين.

ضم المجلس التنفيذي ثلاثة وزراء وثلاثة سكرتيرين، والقائد العام للجيش في السودان ووكيلين وثلاثة أعضاء معينين أحدهم سوداني والآخران بريطانيان. كل أعضاء المجلس التنفيذي وكل السكرتيرين ووكلاء المصالح بحكم مناصبهم أعضاء في الجمعية. بمقتضى اتفاقية كامبل ـ خشبة بتاريخ مايو ١٩٤٨ تم تخصيص مقعدين للمصريين.

لقد حقق افتتاح الجمعية آمال نيوبولد وسياسته. لقد كانت تجربة ناجحة بلا شك وقامت بأعمالها بسرعة وتعقل، كما ساد النقاش روح المرح والتهذيب. وكان أول نتائجها أن تحول اهتمام الرأي العام للشئون الداخلية، وهو تغيير صحي استمر طوال الفترة التي توقفت فيها المفاوضات البريطانية ـ المصرية. وفي فترة تقديم الأسئلة كانت القاعة تعج بالزوار من الأقاليم عندما تطرح أسئلة خاصة بالريف، وهذا ما

سير روبرت هاو أثناء افتتاح قاعة التشريع في ١٩٤٨. السيد عبد الرحمن المهدي، يجلس في منتصف الصف الأمامي من البلكونة.

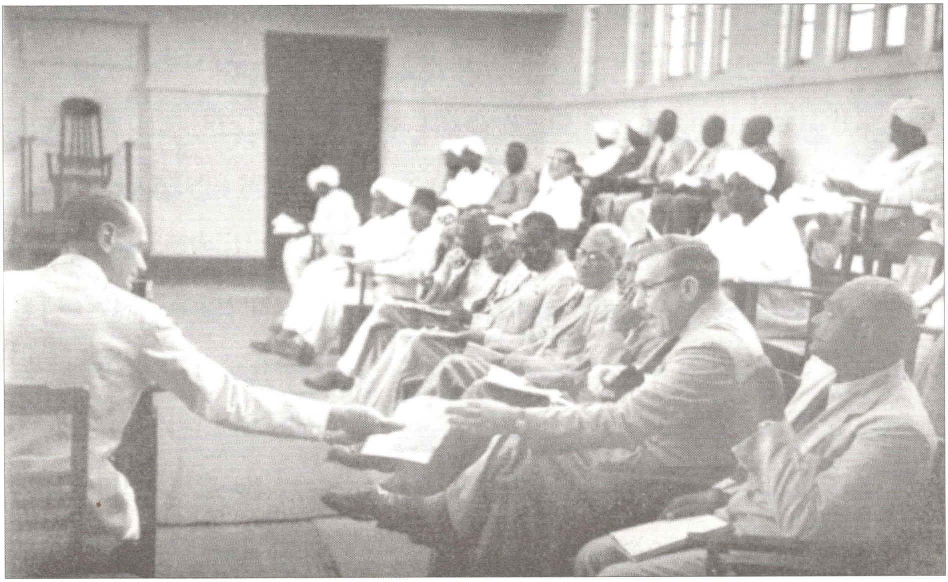

أثناء انعقاد إحدى الجلسات في قاعة التشريع في سنة ١٩٥١. الحاجب يناول ورقة للسير جايمس روبرتسون الجالس في الصف الأمامي الخاص بأعضاء الحكومة.

سنار، السد والقناة الرئيسية موصولان ببعضهما.

مزارع يعمل على ري الأرض المزروعة قطناً في الجزيرة.

ساعد في زيادة الوعي السياسي لسكان الريف. وفي داخل الجمعية كان النقاش تسوده روح الانضباط والتصرف المحتشم مما ساعد على تفادي الآثار الضارة من أول صعوبة واجهتها عندما انعقدت الجمعية طوال الليل في أواخر عام ١٩٥٠ لمناقشة اقتراح من حزب الأمة يطالب بالحكم الذاتي والذي كان مفاجأة لأعضاء الجمعية من الأقاليم، والذي أجيز بأغلبية صوت واحد بعد نقاش مرير.

كان هناك تخوّف في بادىء الأمر بالنسبة لتمثيل الجنوبيين وكان لا بد من سن قوانين لتسريح الموظفين الجنوبيين في الخدمة المدنية لضمان اختيار الرجال المناسبين. وقد استقبلهم الأعضاء الشماليون بحفاوة، ولم يتأخروا في كسب احترامهم مبرزين شجاعتهم الأدبية وقوة شخصيتهم والتي ساعدت كثيراً لتطمين الجنوبيين أن مصالحهم في أيدٍ أمينة.

سودنة وظائف الخدمة المدنية تزامنت مع تلك الإصلاحات. وقد قرر مجلس الحاكم العام عام ١٩٤٧ أن لا يقبل توظيف أي أجنبي بعقود معاشية، رغم أن القرار تزامن مع تعيين أعداد غفيرة من الموظفين الأجانب بعقود قصيرة الأجل لتنفيذ برنامج التنمية في مجال التعليم والاقتصاد، كما أن عدد الموظفين السودانيين في الدرجات العليا كان يتزايد سريعاً.

إن إدخال مؤسسات ديمقراطية في الحكم المحلي واجه صعوبة أكبر. ولم يتم تطور في هذا الاتجاه في أي من البلاد العربية الأخرى، ولم يتغيّر النظام التركي القديم المبني على القبلية عند الدول الجديدة. إن فكرة التوصل لقرارات بالتفاوض هو تقليد عند المجتمعات العربية، ولكن لتطويره لبناء جهاز حكم محلي عن طريق مجالس تضم النظّار والمتعلمين سيأخذ وقتاً طويلاً وسيواجه بصعوبات جمة. المرونة والتنوع المحلي مطلوبان ولكن التطور محكوم بالظروف. دائماً أولئك الذين في الأمام يطالبون بالتقدم، بينما يطالب الذين في المؤخرة بالتراجع. في عام ١٩٤٨ دعت حكومة السودان الدكتور أ. م. مارشال، السكرتير المالي لمجلس مدينة كوفنتري بإنجلترا، لزيارة السودان وتقديم المشورة بالنسبة للمسائل القائمة. وقد وافقت على تقريره الجمعية بالإجماع في خريف

١٩٤٩. وفي أغراضه الطموحة، ووضوحه وفعاليته، وفي إصراره على التقدم حين يكون التقدّم ميسوراً والتحفظ حين يكون التقدم سابقاً لأوانه وسيقود للفشل، نلمس فيه روح نيوبولد ويمكن أن يتضمنه هذا الكتاب كحاشية. اعتراض مارشال الوحيد هو رفضه لمجالس المديريات كوحدة حكومية.

في برنامج التنمية لما بعد الحرب، حاز التعليم، كمطلب السودانيين الملح على أغلبية الموارد مقارنة بالخدمات الأخرى وهناك خطة عشرية الآن في منتصف مدتها للتوسع في جميع الاتجاهات.

بالرغم من عوائق ارتفاع الأسعار وشح المعدات والموظفين فقد تواصلت التنمية الاقتصادية، وقد تمت تجارب في الزراعة الآلية في المناطق المطرية، كما حفرت الآبار الارتوازية ومستودعات المياه الجوفية في مناطق الشمال البعيد، وأنشئت المرافق العامة، وكان هناك شعور عام أن التطور مستمر بالرغم من أن الكثير ينتظر أن يعمل، ولذلك فإن مناطق كثيرة كان مندوبوها يطالبون في الجمعية بتلبية احتياجاتهم.

أيضاً فإن مشاريع نيوبولد بالنسبة للجنوب تم تحقيقها. فهيئة مشاريع الاستوائية بدأت تدعم مشاريعها الانمائية بتوفير السلع الاستهلاكية لسكان القرى بأسعار اقتصادية. وتجربة الزاندي في يامبيو ترسخت في محاولتها لتوفير الاحتياجات المحلية، متزامنة مع تطوير الخدمات الاجتماعية، في مناطق نائية تبعد عن البحر ولا يمكن أن تنافس سلعها في الأسواق العالمية. بدأت المدارس الحكومية تفتح بجانب مدارس الإرساليات، وقد تم تأمين عدم تغوّل الشمال على الجنوب ومحو ثقافته.

كل هذا التطور تم عندما توقّف التفاوض بين بريطانيا ومصر، تلك المفاوضات التي كانت دائماً سبب قلاقل في السودان.

كذلك ساعد ذلك في إنشاء لجنة برئاسة قاضٍ بريطاني وتضم مندوبين من كافة الأحزاب السياسية ما عدا الأقليات المتطرفة، للاتفاق على دستور جديد مؤقت يتم بمقتضاه تحقيق تقرير المصير، ويتكون من برلمان بمجلسين ومجلس وزراء تحت

مسئولية الحاكم العام. وقد تم التصديق على مشروع قانون لتطبيق ذلك في الجمعية في أبريل ١٩٥٢.

في غضون ذلك قامت الحكومة المصرية في نوفمبر ١٩٥١ بإنهاء الاتفاقيات مع بريطانيا وأعلنت أن ملك مصر هو ملك السودان، وسنت دستوراً أقل ليبرالية وبدون تشاور مع السودانيين.

وكانت ردة الفعل الأولى في جميع أرجاء السودان عنيفة ضد مصر، ثم تبع ذلك استقالة أقلية أعضاء لجنة الدستور والتي كانت على وشك مراجعة قانون الانتخابات. تلك الأقلية اعتقدت أن إلغاء مصر للاتفاقية الثنائية قد خلقت فراغاً في السيادة على السودان، حيث لا توجد سلطة في ذلك الوقت لتعيين حاكم عام. وقد اعتقدوا أن الدولة يجب وضعها فوراً تحت وصاية الأمم المتحدة، ولذلك رفضوا أن يوقّعوا على تقرير اللجنة.

البلاد بوجه العموم كانت راضية أن تقبل بالأمر الواقع ورأي بريطانيا أن إنهاء الاتفاقية من طرف واحد لا يمكن أن يبطل الوضع الراهن. ولكن كان هناك تخوّف من أن ترضخ بريطانيا للضغوط الأمريكية ـ ومن بعض الصحف البريطانية للاعتراف بسيادة مصر على السودان على منوال اتفاقية صدقي ـ بيفن كثمن لقبول مصر الانضمام لخطط دفاع الشرق الأوسط.

وكما حصل في عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧، فقد زارت الوفود الجمعية العمومية للأمم المتحدة في باريس، كما ذهب الحاكم العام والسكرتير الإداري إلى لندن للتشاور. وقد إتضح سريعاً أن الحكومة البريطانية لن تتنازل بدون موافقة السودانيين، الشيء الذي قاد رئيس الوزراء المصري أخيراً للدخول في تفاوض مع ممثلي حزب الأمة. لم تسفر تلك المفاوضات عن أي نتائج، حتى قيام ثورة يوليو التي أتت بقائد مولود في الخرطوم لأم سودانية وتلقّى تعليمه في كلية غردون مع عدد من القادة السياسيين السودانيين.

لقد كانت نظرة الجنرال محمد نجيب لمسألة السودان واقعية أكثر من أي رئيس

وزراء مصري سابق، كما كان أقل اعتماداً على الغوغاء والصحافة. أضف لذلك أنه كان ينوي تطهير الحياة العامة في مصر. لقد كان اعتراض الموظفين البريطانيين في السودان على زيادة نفوذ المصريين نابعاً أساساً من تخوفهم من الفساد والمحسوبية اللتان هما من الخصال المميزة للأنظمة المصرية السابقة منذ أن كتب إيسايا ISAIAH الفصل التاسع للثورة عام ٧١٠ قبل الميلاد. وبالنسبة للموظفين البريطانيين من السودان كانت مصر وهي الشريكة في الوصاية مع البريطانيين على السودان، على حسب كلام نيوبولد، «فاسدة ومريضة وأنانية وغير كفؤة ومثيرة للشقاق».

المفاوضات التي تلت راقبها الجميع في السودان بتلهف وأمل، وفي الواقع ورغم أن اتفاقات نجيب مع الأطراف السودانية المختلفة اختلفت كثيراً بعضها عن بعض، ومذكرته الأخيرة للحكومة البريطانية لم تتوافق مع أي منها، ولكنها كلها احتوت على تنازل كبير وهو حق السودانيين في تقرير مصيرهم.

كانت هناك شروط صعبة وغير مستساغة - المجلس الجديد يحق له نقض قرارات الحاكم العام الشيء الذي يبدو نقيضاً للوضع السائد. وأيضاً إلغاء عقود العمل وفرض سيادة بدون التشاور مع السودانيين عبر المؤسسات الدستورية الشيء الذي التزمت به الحكومة البريطانية. إن إزاحة الموظفين البريطانيين السريعة سيوقع الاضطراب في جهاز الخدمة المدنية ويحرم البلاد من خبرة وتفاني موظفين لا يمكن الاستغناء عنهم. استبدال الانتخابات من مباشرة إلى غير مباشرة سيعني في كثير من المناطق عدد ناخبين أقل وتمثيل غير حقيقي. ولكن المكاسب كانت عظيمة، وكان هناك أمل في التغلب على المصاعب. أعصى المصاعب كانت إلغاء الإجراءات الوقائية بالنسبة للجنوب والتي صيغت لتطمين الجنوبيين خلال فترة تقرير المصير القصيرة من مخاوفهم التي برزت بعد هدوء، نسبة لتهور ممثلي حزب الأمة.

هذه هي المشاكل التي يجب التغلب عليها قبل أن يقرر السودان مصيره. وعندما يحل ذلك اليوم فلن يتذكّر إلا القليلون نيوبولد الذي لعب الدور الأساسي في تقرير مصيرهم، ومع ذلك، مثل بذرة الصالحين الذين كان يحلو له أن يذكرهم، فبذرته هو

ستبقى إرثاً صالحاً بينهم، ولو أنهم قد يكفون عن الكلام عن حكمته بعد حين ويفتقد المصلّين الذين يذكرون محاسنه.

فهرس الاعلام

(أ)

أباظة، فكري ٨١.
أبويّ (المسيو) ٥٥.
أحمد، ابراهيم ٢٨٥.
أندرز (الجنرال) ٨٧.
أنطونيوس، جورج ١٤٠.
أور، دنيس (المقدم) ٤٦.
أوربي، رؤوف ٩٥.
أوستينلك (الجنرال) ٧٥.
أوين، رتشارد ٢٠١.
إيدن، أنطوني ٥٨.
إيسايس، مونتاني ٦٥.

(ب)

باترسن ٤٢.
بتلر (الجنرال) ١١٦.
برهام، مارجري ٧، ٣٤، ٤٨، ٧٣، ١٠٦، ١٢٥، ١٨٣، ٢١٠، ٢٤٤، ٢٧٥، ٣٠٣.
بروكلهيرش، فيليب ١٦٨.
بريدن، جورج ٨٦.
البستاني، بطرس ٨.
بلات، وليام (الجنرال) ٤٤، ٤٩، ١٧٢.
بلاكي، ترافرز ١٨٨.
بورب (المستر) ٣٠٤.
بوردوليون ٤٢.
بولارد، ريدر ١٥١، ١٧١، ١٧٢، ٢١٢.
بوليت، آدامز وليام ٩٤، ٢١٢، ٢٦٦.
بوليت، جيرالد ٧٣.
بوير، نورمان ٥٥.
بوستد، هيد ١٦٨.
بيرتون، مارجري ٦١، ١١١.
بيرمان، د. ج. ١٤٢.
بيرنت، رودجر ٢٣٦.

(ت)

تشرشل، راندولف ٨٧.
تشرشل، ونستون ٢٥١، ٢٥٢.
تولستوي ١٧.
تيرنر، جورج ٢٣١، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٧٨، ٢٨٧، ٣٢٥.
تيري، كاثلين ١٢٨، ١٦٢، ٣١٦.
توماس، برترام ٢٢٥.

(ث)

ثيودور (الأمبراطور) ٥٣.

(ج)

الجاحظ ٨.

(د)

حاج موسى، درويش ١٥٥.
حوراني، ألبرت ٢٩٨.
دانكن، جون ٣١٣، ٣٢٤.
دانيال، ج. ب. س. ٦٩، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ٢٠٥، ٣٢٧.
دنتز (الجنرال) ٤٦.
دوغلاس، شولتو ١٣٠، ١٧١.
دونكان، ج. ر. س. ٢٠١.
دي لاوور (لورد) ٢٩٦.
ديغول (الجنرال) ٦٦.

(ر)

رايلي، برنارد (السير) ٢٨٥.
رشدي، توفيق ٩٥.
رقمان، فرانسيس ٢٠٤.
روبرتسون، جيمس ٢٨، ١٥١، ١٥٣، ١٦٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٦.
رودس، سيسل ٢٣.
روزفلت ٩٤.
روزفير ٥٩.
روميل ٥٨، ٦٩، ١٠٠.
ريد، ج. أ. ٢٠٩، ٢٢٤.
ريشيلو (الكاردينال) ٦٥.
رينفلد، يبرفان (السير) ٩٣.

(س)

ساندرز ٨٤.
سانديسون، ج. ٢١٦.
ستاك، لي (السير) ٢١.
ستانلي، أوليفر ٢٤٥.
ستورز، رونالد ٣١٨.
سكريفنر ٨٢.
سليمان، مكاوي ٥، ٦٤، ٦٥، ٧٠.
سمتس (الجنرال) ٤٤، ٤٧، ٩٣.
السنوسي، إدريس ١٤٠.
سوليفان، باري ٧٧، ١٣٣، ١٤٥، ١٩٠، ٢٥٠، ٢٩٢.
سوينغ، ريموندقرام ٤٢.

(ش)

شرودر (الجنرال) ٩٨.
شولتو ١٧٢.
شيمبرلين ٤٧.
شيني، ليتون ٧٠.

(ص)

صالح، أحمد محمد ٢٨٥.
صالح، محمود صالح عثمان ٩.

(ع)

عباس، مكي ٥، ٢٩، ٣٢، ٧٢، ٢٠٤، ٢٦٣، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩٧، ٣٢٢، ٣٢٣.

(خ)

خوري (المارشال) ٤٥.

(ق)

القاضي، أحمد عثمان ٥، ٣١٩.

(ع)

عبد النور، عبيد ٢٨٥.
عطية، إدوارد ٢٩٨.

(غ)

الغامض، عبد الرحمن ١٨٨.

(ف)

فاروق (الملك) ١٩٤.
فلمنج، بيتر ٩٥.

(ڤ)

ڤارنت، ديفيد ١٤٢.
قلوب باشا ١٧٣.
ڤيرقسون، آرثر ٣١٧.
ڤرينت، ف. ل. ٢٨٦، ٢٩٧.
ڤورر، جفري ٧٣.
ڤيرني، هـ. ل. ١٨٢.

(ك)

كامبل، إيوان ٤٣، ٦٤، ٨٢، ١٢٠، ١٥٠، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٤، ٢٢٣، ٣٠٥، ٣٢٠.
كرابي، جون ٢٤٠.
كريش - جونز ٢٧٥.
كفوري، جبرائيل ٦٥.
كليتون (اللواء) ٢٩٨.
كنج، جيوفري ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨.
كندي - شو، و. ب. ٣٥، ٣٦.
كوتريل، فرانك ٢١٦.
كورنوالس ٤٧، ١٥١، ١٧١، ١٧٦، ١٧٩.
كوك، ريتشارد ١٤٠.
كوكس، س. و. م. ٢١٨، ٢٥٧، ٢٧٠، ٣٠٧.
كولنيتز، باولا (الكونتيسا) ٤٥.
كيبلنغ ٢٠.
كيسي، رتشارد ٩٤.

(ل)

لابي (المسيو) ٥٨.
لامبن ٣٠٩.
لورانس، تي. إي. ١٤٢.
لوس، وليام ٢٠٣.
لوغارد (لورد) ٣٩، ٤٠، ٤١، ١٢٤، ١٢٦، ٢١٠، ٢٤٣، ٢٤٥.
لاكرين، مايكل ١٣٢.
ليتلتون (الوزير) ٤٧.
ليقنتلهوم (الجنرال) ١٢٩.
ليندسل، ويلفرد ٩٧.
ليوبولدفيل ١١٨، ٢٥٠.

(م)

ماثيو، ج. ج. ١٩٧.
ماكدونالد، و. س. ١٣٩.
ماكسويل (الجنرال) ٩٤.
ماكفيرسون ١٥٦.
ماكمايكل ٤٧، ٨٧، ١٥١، ١٥٦، ١٧٠، ١٧١.
ماكنتوش ٨٤، ١٠١.

ملاكيك (القس) ٢٣٦.
مايال، ر. س. ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٦٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٣، ١٠٢، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ٢٥٠، ٣٢١.
متشل (الجنرال) ٤٩.
مجيد، عبد الكريم ٢٨٥.
محمد، عبد الكريم ١٩١.
مسعود، عبدالله أفندي ١٣٢.
مكسمليان ٤٥.
المهدي، عبد الرحمن ٣٣٨.
موراي، كايت ٣٢٤.
موريس، جاك ١١٦، ٢٣٣.
موين، لورد ١٥٢، ٢٩٨، ٣٠٨.
مير، لوسي ٧٣.
الميرغني، علي ٣٣٨.
ميلر، جاك ٢٣٤.

(ن)

ناي، ماري ٣١٩.
نيوبولد، دوغلاس (السير) ٥، ٦، ٨، ١١، ١٣، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤٥، ١٣٨، ١٥٠، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٣.
نيوتن ٣٢٥.

(هـ)

هاليفاكس (العميد) ٥٣.
هاملتون، جون ١٥١.
هاو، روبرت ٥٩، ٩٧، ١١٨، ١٧٢، ٢٢٣، ٣٣٩.
هاول، أ. ب. ب. ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٩.
هتلر ١١٢.
هدلستون، هيوبرت ٣٩، ٣٣٦.
هكسلي، ألدوس ٦٥.
هكسورث، جفري ٤٨.
هندرسون، ك. د. د. (السير) ١١، ٣٤، ٣٦، ١٣١، ١٣٩، ٣٠٠.
هودجكن، روبن ٧٣، ٣٣٣.
هوكليف، أرنست ٢٩٠.
هول، هابتورن ١٧١.
هيلاسيلاسي ٤٠.

(و)

واليس، س. أ. ج. ٢٠٨، ٢٣٣.
وايلد، و. ج. ٢١٥.
وردزورث، روبن ٧٠.
ولاس، إدغار ٩٧.
ولسون، جاك ٤٥، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.
ولسون، جورج ٢٢٣.
وليامز، بيلي ٢٣٢.
ويلسون، هنري ٢٩٨.
ويفيل (الجنرال) ٣٩، ٦٧، ٩٣.
يحيى، عبد الغني ٢٨٨، ٢٩٦.

فهرس الأماكن

(أ)

آسيا ٤٧، ٩٣.
أثيوبيا ٧، ٤٩، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ١١٦، ١١٨، ١٤٨، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٢، ٢٧٤.
أديس أبابا ٤٨، ٥٧، ١٢٩، ١٤٨، ١٩٣.
أرتريا ٥، ٤٩، ٥٦، ٩٤، ١٠٤، ١٢٩، ١٤٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٣، ٢١٦.
الأردن ١٢٩.
أستراليا ٨٨.
أسمرة ١٩٣.
أسوان ١٠١.
أفريقيا ١٥، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٩١، ٩٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٥، ١٣٧، ٢٤٤، ٣١٨.
أم درمان ٤٨، ٩٦، ١٩٥، ٢٢٠.
أمريكا ٤٢.
أوغندا ٢٣١.
إنجلترا ١٦، ١٧، ٤٣، ٥٦، ٦٥، ٨٨، ٩٣، ١٠٦، ١٨٣، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١٧، ٣٤٢.
إيران ٣٦، ٨٦، ٩٠، ١٧٠.
إيرلندا ٤٣.
إيطاليا ٢٣، ٩٥، ١٨١، ١٩٠.

(ب)

البحر الأحمر ٢٠، ٧٧، ١١٢.
بروتوريا ٤٤، ٤٩.
بريطانيا ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣١، ٤٨، ٧١، ٨٥، ١٠٠، ١٨٩، ١٩٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٣٧، ٣٤٣.
بور سودان ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٧، ١٠١، ١١٩، ١٩٦.

(ت)

تركيا ١٤١.
ترينيداد ٧.
تنزانيا ٤١.
توبيقو ٧.
تونس ١٧٢.

(ج)

جزر الهند الغربية ٦٠.
جوبا ١٧٩، ١٨٠، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٥.
جيبوتي ٤٩، ١١٧.

(ح)

الحبشة ٥، ٥٧، ٥٨، ١٧٨.

(خ)

الخرطوم ٢٤، ٣٠، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ٨٨، ٩٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٧.

(د)

دارفور ٢٠٦، ٢١٣، ٣٠٩.

(ر)

روديسيا الشمالية ٧.
روسيا ٩٠.

(س)

ساحل العاج ٧، ١٠٥.
السودان ٥، ٧، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٨١، ٨٣، ٨٦، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٧١، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥.
سوريا ٣٦، ٤٦، ٥٤، ٩٦، ١٢٩، ١٤٠، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٧، ٢١٦.
سيلان ٧.

(ص)

الصحراء الغربية ٦٣.
الصومال ٢٦٦، ٢٧٠.

(ط)

طهران ١٧٩.

(ع)

عدن ٢٦٦.
العراق ١٤٠، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٧، ٢١٥، ٢٦٦.

(غ)

غينيا ٤٢.

(ف)

فرنسا ٥٤، ٥٨، ١٠٩، ١٤١، ١٩٠
فلسطين ٦٠، ٩٤، ١٤١، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧،

١٦٢، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٧، ١٩٨، ٢٤١، ٢٦٦، ٢٧١.

(ق)

القاهرة ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٥٩، ٧٤، ٨٣، ٨٦، ١٠١، ١٢٨، ١٣٧، ١٥١، ١٧١، ١٧٦، ٣٠٤، ٣٣٦، ٣٣٧.

قبرص ٩٦، ٣١٨.

القدس ١٥٩، ١٦٣، ١٦٩، ١٩٨، ٢٨١، ٢٩٨، ٣١٨.

قمبيلا ٧١.

قيساقا ٢٩٣، ٣٢٥.

(ك)

كابال ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٨.

كردفان ١٧، ١٨، ٢٠، ٤٥، ٤٨، ٥٧، ٧٥، ٨٢، ١٣٧، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٣١٣.

كسلا ٤٦، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٦٤.

كينيا ٤١، ٤٩، ٦٠، ٨٦، ٨٨، ١٨٣، ٢٤١، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٤.

(ل)

لاغوس ٤٢، ٥١، ٩٤، ١٢٥.

لندن ٤٣، ٥١، ٢٩٨، ٣١٩.

ليبيا ٥، ٥٥، ١٢١، ١٧٤، ١٨٧، ١٩٣.

(م)

ماكرري ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٨٤، ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٢٦.

مالطة ٤٧، ١٩١.

مصر ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٦، ٤٢، ٧١، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ١٠٨، ١١١، ١١٧، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٦٥، ٢٧١، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٤.

المكسيك ٤٥، ٤٦.

مكسيكو ٤٥.

موسكو ٩٧.

(ن)

نهاريا ١٥٤، ١٥٥.

النيجر ٥٥.

نيجريا ٧، ٤٢، ٥٨، ٧٣، ٨٦، ١٢٥، ١٨٢.

نيروبي ٤١، ٤٩.

(هـ)

الهند ١٩، ٣٦، ٤٢، ٤٩، ٦٠.

(و)

الولايات المتحدة الأميركية ٩٤.

(ي)

يوغندا ٦، ٤١، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٦٢، ٢٧٤، ٣٠١، ٣٢٦.

اليونان ٩٥، ١٧١.

الفهرس

مقدمة المترجم ٧

مقدمة ترجمة الجزء الأول ٩

مقدمة المحررة ١٣

مقدمة المؤلف ٣٧

الفصل التاسع

ترسانة الشرق الأوسط

١٩٤١ ـ ١٩٤٢ .... ٣٩

الفصل العاشر

خطوط الاتصال ضد روميل

١٩٤٢ .... ٦٩

الفصل الحادي عشر

آفاق جديدة

١٩٤٣ .... ١٢١

الفصل الثاني عشر

استراحة في فلسطين ١٥٣

الفصل الثالث عشر

السودان والعالم العربي ١٧١

الفصل الرابع عشر

المجلس الاستشاري ومشكلات التعليم

١٩٤٤ .... ٢٠٧

الفصل الخامس عشر

أوغندا وماكرري

١٩٤٤ .... ٢٣١

الفصل السادس عشر

التعليم لأجل الديموقراطية

١٩٤٤ .... ٢٦٣

الفصل السابع عشر

آخر ثلاثة أشهر من حياته

يناير ـ مارس ١٩٤٥ .... ٣٠٣

حاشية

السودان منذ ١٩٤٥ .... ٣٣٣

فهرس الأعلام ٣٤٩

فهرس الأماكن ٣٥٣